التنزيل والتأويل
(٤)

القرآن .. وانتحال المبطلين

رواية حول الشبهات المثارة حول القرآن الكريم والرد عليها

الجزء الثاني



أ.د. نور الدين أبو لحية

دار الأنوار للنشر والتوزيع

هذا الكتاب

هذا الكتاب هو المقدمة الضرورة الرابعة لهذه السلسلة، ويتناول القسم الثاني من أقسام المنحرفين عن القرآن الكريم، وهو القسم الذي سماه رسول الله ﷺ [انتحال المبطلين]

ومن خلال تحليل ذلك التعبير النبوي المقدس، رأينا أن المقصود منه تلك الجهات التي تريد نشر الباطل، وتشويه الحق، لا بالمواجهة المباشرة، وإنما بالانتحال، وأصناف الحيل.

وقد رأينا من خلال استقرائنا للواقع أن ذلك الانتحال قد تم من طرف أربع جهات، أولها وأسبقها من يطلق عليهم لقب [الحشوية]، وهم أولئك الرواة والمدلسين الذين امتلأت بهم كتب الحديث والتفسير، والذين كان لهم دور كبير في نشر الخرافة والدجل والشعوذة وتشويه الحقائق والقيم القرآنية.

وأما الجهة الثانية؛ فيمثلها من أطلقنا عليهم لقب [الكشفية]، وهم أولئك الذين اعتبروا الكشف والإلهام المجرد أداة من أدوات تأويل القرآن الكريم وتفسيره وفهمه، من غير مراعاة لأي ضابط أو قانون.

وأما الجهة الثالثة؛ فيمثلها من أطلقنا عليهم لقب [المشككين]، ونقصد بهم كل من حاول أن يشكك في القرآن الكريم، ابتداء من السابقين من المعاصرين لرسول الله ﷺ إلى المبشرين والمستشرقين والحداثيين وغيرهم.

وأما الجهة الرابعة؛ فيمثلها من أطلقنا عليهم لقب [المبدلين]، ونقصد بهم كل الذين حاولوا أن ينحرفوا بالقرآن الكريم عن معانيه الظاهرة الواضحة التي فهمها المتقدمون والمتأخرون إلى معاني بديلة، متأثرين في ذلك بموجة الحداثة الغربية ومناهجها المختلفة، ولذلك تعاملوا مع القرآن الكريم، مثلما تعامل حداثيو الغرب مع الكتاب المقدس، من غير أن يراعوا الفوارق بين الكتابين.

القرآن.. وانتحال المبطلين

رواية حول الشبهات المثارة على القرآن الكريم والرد عليها

الجزء الثاني

أ. د. نور الدين أبو لحية

www.aboulahia.com

الطبعة الثانية (مزيدة ومنقحة)

2022.1443

دار الأنوار للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

تقديم

هذا هو الجزء الثاني من كتاب [القرآن وانتحال المبطلين]، وهو يتضمن ما يلي:

الفصل الثالث ـ القرآن والمشككون: وقد تطرقنا فيه إلى الجهة الثالثة التي يمثلها من أطلقنا عليهم لقب [المشككين]، ونقصد بهم كل من حاول أن يشكك في القرآن الكريم، ابتداء من السابقين من المعاصرين لرسول الله ﷺ إلى المبشرين والمستشرقين والحداثيين وغيرهم.. والذين استعملوا سلاح التشكيك، وسيلة لإلغاء قداسة القرآن الكريم، وذلك عبر بث شبه وإشكالات يكررونها بصيغ مختلفة.

الفصل الرابع ـ القرآن والمبدلون: وقد تطرقنا فيه إلى الجهة الرابعة التي يمثلها من أطلقنا عليهم لقب [المبدلين]، ونقصد بهم كل الذين حاولوا أن ينحرفوا بالقرآن الكريم عن معانيه الظاهرة الواضحة التي فهمها المتقدمون والمتأخرون إلى معاني بديلة، متأثرين في ذلك بموجة الحداثة الغربية ومناهجها المختلفة، ولذلك تعاملوا مع القرآن الكريم، مثلما تعامل حداثيو الغرب مع الكتاب المقدس، من غير أن يراعوا الفوارق بين الكتابين.

ثالثا ـ القرآن.. والمشككون

في اليـوم الثـالث، وبعـد أن منّ اللـه علي بـالجلوس مـع معلمي والحكماء السبعة، وسمعت الكثير من أخبارهم غير التي حكيتها لكم في كتاب [الطائفيون والحكماء السبعة]، والـتي قـد أحكيها لكم في مناسبات أخرى، سمعنا صائحا يصـيح في سـوق المدينـة: من أراد أن يـرى المبطلين من المشـككين من أهـل المدينة، وهم يخلعون أثواب التشـكيك، ويلبسـون ثيـاب اليقين؛ فليحضـر إلى السـاحة الكـبرى، أمـام المسـجد الجـامع؛ فهنـاك ينتظرونكم، لينفذوا قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُـوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الـرَّحِيمُ﴾ [البقـرة: 160].. فلا توبـة ولا صلاح بلا بيان.

سـألت معلمي عنهم، فقـال: سـل الحكمـاء عنهم.. فهم سبب توبتهم.

قال أحد الحكماء: بل الله تعالى هو الذي هداهم، ونحن ما أدينا سوى واجبنا.

قلت: كيـف تم ذلـك بهـذه السـرعة؟.. ومن هم هـؤلاء المبطلون المشككون؟

قال: هؤلاء شباب تتلمـذوا على أيـدي كـل الحاقـدين على القرآن الكريم والنبوة، ولذلك سرت إليهم الكثـير من شـبهاتهم وتشكيكاتهم.. وقد حضروا بها معهم، وصاروا يفتنـون بهـا من لا يعرف الإجابة عليها.

قال آخر: والحمد لله.. لقد كان لتوبة الحشـوية والكشـفية تـأثير كبـير فيهم، جعلهم يسـتعدون لمـا نقـول لهم.. ذلـك أنهم كـانوا يواجهـون كـل من يـرد عليهم بمـا في كتب الحشـوية والكشـفية من خرافـات ودجـل؛ فلمـا تـبين لهم دخنهـا ودجلهـا وبعدها عن القـرآن الكـريم، سـقط السـلاح الأكـبر من أيـديهم، وسهل علينا بعد ذلك حوارهم.

قال آخر: وقد دعوناهم بعد قناعتهم إلى الاجتماع بالنـاس، والإجابة على الإشكالات التي كانوا يشوشون بهـا عليهم، لكنهم رفضوا خشية على سمعتهم.. لكن هـا هم قـد اسـتجابوا لـذلك، والحمد لله رب العالمين.

قـال آخـر، يوجـه الخطـاب لي: لا تنس أن تكتب كـل مـا يقولون، حتى ما يبدو لك من عدم علاقته بالتشكيك؛ فللتشكيك مقدماته.. ومن لم يفهم المقدمات، لم يفهم النتائج.

قلت: طبعا أنا أفعل كل ما طلبه مني معلم القرآن وجميع المعلمين الذين أرسلهم.. فدوري هو الكتابة، ولا يهمني بعدها هل وعيت أم لم أعِ.. فعسى أن يكون من القراء من يعي ما لم أعه.. ورب مبلّغ أوعى من سامع.

بعد أن وصلنا إلى الساحة الكبرى، أمام الجامع الأعظم، رأينا مجموعة من الشباب، يلتف حولهم الكثير من الناس، قال كبيرهم: قبل أن نبدأ في بيان ما جمعناكم لأجله، نود أن نشكر أولئك الحكماء الطيبين الذين لم يعرفوا منهلا غير تلك المنابع الصافية التي لم تتدنس؛ فلولاهم لظللنا في شكنا وضلالنا، ولاستمررنا في تشكيكم وتضليلكم.

قال آخر: لكنا بعدما رأيناهم، وهم يردون على الحشويين وخرافاتهم، والكشفيين وأوهامهم، علمنا أن القرآن الكريم أطهر من أن تمثله تلك الأباطيل، أو أولئك المبطلون.

قال آخر: وقد شاء الله أن نلتقي بعد تلك المجالس بأولئك الحكماء، ونسألهم عن الشبهات التي ملئت بها عقولنا، وقد أجابونا عليها جميعا.. ولذلك نحن نتوب إلى الله من كل ما كنا نوحي به إليكم من الوساوس التي لم نكن سوى ضحايا لها.

قال آخر: وقد اجتمعنا في هذا المجلس بكم، لتوفروا لنا صدق توبتنا؛ فلا توبة لداعية ضلالة ما لم يحذر من ضلالته، بمثل ما كان يدعو إليها.

قال كبيرهم: وقبل ذلك اسمحوا لنا أن نخبركم عنا، وعن سر تلك الشبهات والشكوك التي عرضت لنا، ومن أوحاها إلينا، ومن شجعنا عليها، حتى تأخذوا حذركم، فلا يتسرب إليكم من يشككم غيرنا.

قال آخر: أنتم تعلمون أنا كنا متفوقين في الدراسة والعلم بين أهلنا، وكان أهلنا ذوي مال وجاه، ولذلك أذنوا لنا في الخروج خارج مدينتنا لنتلقى العلم في غيرها من البلاد، وهناك وجدنا من يوجهنا إلى غير الوجهة التي أرادها منا أهلنا.

قال آخر: لقد أرسلنا أهلنا لنتعلم من العلوم الحديثة والتقانة ما نوفر به ما تحتاجه مدينتنا من حاجات، لكن الذين استقبلونا هناك راحوا يزجون بنا في مدارس وجامعات تشرح لنا ديننا بغير ما تعلمناه.

قال آخر: ولم يكن لنا قدرة على الخروج منها إلى غيرها، ذلك أنها الوحيدة التي كان يسمح لنا بدخولها بحسب المال

الذي أحضرناه معنا، والذي لم نصر بحاجة إليه بعدما وفـروا لنـا في تلك المدارس والجامعات كل ما نحتاجه من حاجات.

قال آخر: وكـل ذلـك في سـبيل سـلب اليقين من عقولنـا، والإيمان من قلوبنا.. وقـد تحقـق لهم الكثـير من ذلـك، لـولا أن قيض الله لنا الحكمـاء الـذين دلونـا على الحقيقـة، ودعونـا إلى الإقرار بها.

قال آخر: لقد اسـتعمل أولئـك الـذين وصـفهم اللـه تعـالى بقوله: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْـكَ الْيَهُـودُ وَلَا النَّصَـارَى حَتَّى تَتَّبِـعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَـا لَـكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِـيرٍ﴾ [البقـرة: 120] ـ كـل الوسـائل الـتي تضـللنا عن ديننـا، ابتـداء من الأسـاتذة الـذين يدرسـوننا، والمقـررات الـتي قـررت لنـا، وطلب منـا حفظهـا، وانتهاء بتلك الحوافز التي أتاحوهـا لكـل من يسـلك سـبيلهم، أو يسير معهم.

قال آخر: وقد كان نتيجة ذلك أن تسـربت إلينـا الكثـير من الشـكوك والشـبهات الـتي سـربناها إليكم، كمـا سـربت إلينـا.. وأولها التشكيك في كون القرآن الكريم وحيا إلهيا بنـاء على مـا وجـد في البيئـة الـتي عـاش فيهـا رسـول اللـه ﷺ من ديانـات وأفكار.. ولذا كنا ـ عنـد ذكـر أي عقيـدة أو شـريعة أو قصـة في القرآن الكريم ـ نذكر لكم أن مصدرها اليهودية أو المسـيحية أو الصابئة أو غيرهم.

قال آخر: ومنها التشكيك في الوحي الإلهي، واعتباره ـ كما أوحى إلينا شياطين التشكيك ـ نوعا من الوساوس أو الأمـراض النفسية والعصبية.

قال آخر: ومنها التشكيك في حفظ القرآن الكـريم، وكونـه قد تعرض بمرور الزمن للزيادة والنقصان والتحريف.

قـال آخـر: ومنهـا التشـكيك في الحقـائق الـتي وردت في القرآن الكريم، وعدم اختلافها وتناقضها.

قـال آخـر: ومنهـا التشـكيك في الحقـائق الـتي وردت في القـرآن الكـريم، وعـدم تعارضـها مـع العقـول السـليمة والعلم القطعي.

قال آخر: ومنها التشكيك في لغة القرآن الكـريم وأسـلوبه وبلاغته.

1. منابع التشكيك:

قال أحد الحضور: فحدثونا عن الجواب عن تلـك الشـبهات التي سمعناها منكم كثيرا.

قـال أحـد المشـككين: سـنفعل ذلـك إن شـاء اللـه، ومـا اجتمعنا بكم هنا إلا لهذا الغـرض، لكن قبـل ذلـك سـنتحدث لكم عن منـابع التشـكيك، والـتي لا تـزال تبث سـمومها كـل حين لتحجب عن الغافلين نور الهدايـة الإلهيـة.. فمن لا يعـرف منـابع الشر، سيقع فيه لا محالة.

أ. مصادر التشكيك:

قال أحد الحضور: فحـدثونا عن المصـدر الأول الـذي نبعت منه كل التشكيكات والتضليلات.

قـال أحـد المشـككين: هـو مـا ذكـره القـرآن الكـريم عن الشـيطان عـدو البشـر الأكـبر، والـذي توعـد أن يسـتعمل كـل الوسائل لإغوائهم، كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَـادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِـينَ﴾ [الحجر: 39، 40]، فالآيتان الكريمتان تلخصان المصدر والمنهج الذي تعتمده كل التشكيكات والتضليلات الـتي يتعـرض لهـا الإنسـان، وهـو منهج الـتزيين والإغـواء، وهـو لا يعـني أن الشـيء المـزين يحمـل أي حقيقـة جماليـة، ولكنـه يعـني أن ذلـك المـزين وضـع بصورة بحيث تُقبـل عليـه العين، أو يقبـل عليـه الـذوق، ثم يقـع الإنسان فريسة له بعد ذلك، مثلمـا يقـع المـدمن فريسـة لـذلك الشراب، أو تلك المخدرات التي استعملها مرات عديدة إلى أن صارت متحكمة فيه.

قال آخر: ولذلك أخبر الله تعالى أن من تزيينات الشـيطان للمشركين قتل أولادهم، كمـا قـال تعـالى: ﴿وَكَـذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِـيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَـذَرْهُمْ وَمَـا يَفْتَـرُونَ﴾ [الأنعـام: 137] فمع أن هذه الظاهرة لا تتناسب أبدا مع ما جبـل عليـه الإنسـان من قيم الرحمة والحنان، وخصوصا على الأولاد إلا أن الشيطان عـبر أدواتـه المختلفـة، اسـتطاع أن يجعـل من ذلـك التصـرف سلوكا عاديا طبيعيا، أقره المجتمع، وراح يجد من يدافع عنه.

قال آخر: وهكذا نستطيع من خلال هذه الرؤية القرآنيـة أن نكتشف المصادر والمناهج التي تعتمدها كل الأفكار والفلسفات

التي انحرفت بالإنسان عن الهدي الإلهي، لتجعله فريشة للخطة الشيطانية لإغواء الإنسان.

قال آخر: ولذلك يمكن اعتبار كل ما ذكره المستشرقون والحداثيون وغيرهم ليس سوى وحيا مزخرفا من القول، ذلك الذي ذكره الله تعالى فقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: 112 ـ 113]

العصور الأولى:

قال آخر: ولذلك ـ عند استقصاء وتحليل ما ذكره المستشرقون ـ نجده نفس ما ردده من قبلهم كل المنكرين والحاقدين على القرآن الكريم، والذين لم ينطلقوا من البحث العلمي، وإنما من الهوى المجرد، وأولهم قوم رسول الله ﷺ من المشركين، أو اليهود، أو النصارى، أو غيرهم من الذين لم يتدبروا بصدق قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في الحديث عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ قال: لما قدمت نجران سألوني فقالوا: إنكم تقرؤون: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ﴾ [مريم: 28]، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا.. فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال: (إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم)[1]، وللأسف؛ فإن هذا الطعن الذي ذكر في الحديث، ومع أن النبي ﷺ أجاب عليه، إلا أنه لا يزال يردد إلى يومنا هذا.

قال آخر[2]: وقد ذكر الله تعالى كثيرا من المشككين من قوم رسول الله ﷺ، وذكر تشكيكاتهم، وهي نفس ما يردده المستشرقون والحداثيون وغيرهم.. ومن الأمثلة على ذلك رده على من ادعى أنه يستطيع أن يأتي بمثل القرآن، فقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: 31]؛ فتحداهم الله تعالى أن يأتوا بمثله فعجزوا، فتحداهم أن يأتوا بعشر سور من

---

1 () مسلم، رقم: ٢١٣.

2 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص43.

مثله فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا.

قال آخر(1): ومثل ذلك رده على من زعم أن القرآن الكريم إنما هو من قصص الأولين وأساطير السابقين، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [النحل: 24]، وقال: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: 5 ـ 6]، فرد الله عليهم أنه لا يعرف أن يقرأ ولا يكتب، فكيف ينقلها!؟.. ثم هذه الأساطير ليست خاصة بمحمد ﷺ، بل هي كتب للجميع، فلماذا لا تحضرون لنا هذه الكتب التي نقل منها؟

قال آخر: ومثل ذلك رده على من زعم أن القرآن الكريم من تأليفه وإنشائه ﷺ، لكونهم يستكثرون عليه أن يكون من إنتاجه وحده فقالوا: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: 4]

قال آخر: ومنهم من نفى أن يكون قد جاء بشيء منه من عنده، بل زعموا أن معلمه بشر، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: 103]

قال آخر: ومنهم من هون الأمر فقال: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: 25]، وقال: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: 31]، وقال: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المطففين: 13]

قال آخر: وهكذا كان منهم من وصفه بالكهانة، والجنون، والشاعرية، والسحر.. وكل ذلك لإنكار نزول الوحي عليه.

قال آخر: وهم يتناقضون في كل ذلك.. فقد كانوا يصفونه قبل البعثة بالصادق الأمين، لكنه بمجرد دعوتهم للحق، وبالبينات الواضحة صاروا يتهمونه بالكذب.

قال آخر: ولذلك استعمل رسول الله ﷺ هذه الحجة في دعوته لهم، فقد قال لهم في أول بعثته: (أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما

1 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص43.

جربنا عليك كذبا)[1]

قال آخر: وفي استجواب هرقل لأبي سفيان بالسـؤال عن حال النبي ﷺ قال له: هل كنتم تتهمونه بالكـذب قبـل أن يقـول ما قال؟ فقال: لا.. وفي نهايـة الحـوار قـال لـه: (مـا كـان ليـدع الكذب على الناس ويكذب على الله)[2].

قـال آخـر: ونفى الوليـد بن المغـيرة بشـدة احتمـال كذبـه وافترائه ﷺ على الله بقوله: (وتزعمون أنه كذاب، فهـل جـربتم عليه شيئا من الكذب)؟ فقالوا: (لا)[3].

قال آخر: أما زعمهم أنـه (إفـك افـتراه)؛ فإنـه هـروب من الحقيقة، ذلك أن البلغاء والشعراء والحكماء عجزوا بعـد أن قـد تحــداهم وأمهلهم ثلاثـا وعشــرين ســنة.. فعجــزهم يــدل على كذبهم، وتناقض أقوالهم.

قـال آخـر: ومثـل ذلـك مـا ذكـروه من أوهـام لا تسـتحق المناقشـة، ولهـذا اكتفى القـرآن الكـريم بإيرادهـا والـرد عليهـا إجمالها، لا تفصيلا لتفاهتها، ذلك أن منشأها هـو العجـز عن كبت دعـوة الحـق، فلـذلك لجـؤوا إلى الإنكـار والسـخرية كنـوع من الحرب النفسية المنظمة[4].

قال آخر[5]: ومن ذلك اعتبارهم له كاهنا ـ وهو الـذي يخـبر بالأخبار الماضية الخفية؛ مستمدا لها من الجن ـ فهل يقبل عقل أن يكـون رسـول اللـه ﷺ كاهنـا لأنـه أخـبر ببعض الغيب؟ ولم نسمع أن كاهنا وضع كتابا ـ لا قبله، ولا بعده ـ فضلا عن أن يضع كتابا كالقرآن الكريم[6].

قال آخر[7]: ومن ذلك اعتبارهم له مجنونا، والجنون اختلال في العقل يحرم صاحبه من سداد التصرف.. فإن كانوا صادقين فلماذا حكموه في أصعب مشكلة مرت بهم، وهي وضـع الحجـر الأسود في مكانه عند بناء الـبيت، وهم يعلمـون أن المجنـون لا يتبعه عاقل يحترم نفسه، وهذا تنـاقض أثبتـوه بقـولهم إنـه: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾ [الدخان: 14]

---

1 () البخاري ص1013 برقم 4770.

2 () البخاري، رقم 7.

3 ()نور اليقين ص43، النبوة في ضوء العلم والعقل ص287.

4 () النبوة في ضوء العلم والعقل ص304.

5 () آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي، ص 11.

6 () النبوة في ضوء العلم والعقل ص304.

7 () آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي، ص 11.

قال آخر: ومن ذلك اعتبارهم له شاعرا، مع أن هناك فروقا جوهرية بين ما جاء به من القرآن وبين الشعر، ولو كان شاعرا لقرب إليه الشعراء وجالسهم، والذي حصل عكسه كما قال الله عز وجل: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 224 ـ 227]

قال آخر: ومن ذلك اعتبارهم له ساحرا، والسحر وهو خداع للأبصار بحركات لطيفة غريبة يأتي بها السحرة، وقد أجمع أئمة الكفر على هذا الوصف، واتفقوا عليه بعد أن نفوا عنه ما سبقه من أوصاف؛ لأنهم رأوا أنه يسعفهم أن يقولوا: (يفرق بين المرء وأخيه)، ثم إنه ﷺ حمل على السحرة والكهنة والشعراء والشياطين، فلو كان متصلا بهم وناقلا عنهم لما صدر منه مهاجمتهم ولا تحقيرهم.

قال آخر: فتبين بهذا كله اضطرابهم في موقفهم من نزول الوحي على رسول الله ﷺ، فالذين رموه بالجنون والسحر والشعر والكهانة، هم أنفسهم الذين نفوا عنه هذه الأكاذيب.

قال آخر[1]: هذه هي جل آراء المشركين المعاصرين لرسول الله ﷺ حول الوحي.. وهي نفسها الآراء التي تناولها المستشرقون، وتوسعوا فيها مدعين أنهم ألبسوها ثوب البحث العلمي، مع أنها تكرار لآراء المشركين نفسها.

قال آخر: وهكذا استمر المشككون بعد وفاة رسول الله ﷺ، وكان أئمة الهدى، والراسخون في العلم يجيبونهم عن إشكالاتهم وشبههم بكل المناهج التي أمرنا الله تعالى بها، كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125].. فالحكمة تجذب أصحاب العقول والفطر السوية.. والموعظة الحسنة تستميل أولئك الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، والذين تلين قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق.. أما من يحتاج فهمه إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: 46]

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما روي أن نافع بن

---

1 () آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي، ص 11.

الأزرق، وعطية أتيا ابن عباس فقالا: يا ابن عباس، أخبرنا عن قول الله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ﴾ [المرسلات: 35] وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: 31]، وقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 23]، وقوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: 42]، فقال: (ويحك يا ابن الأزرق، إنه يوم طويل وفيه مواقف، تأتي عليهم ساعة لا ينطقون، ثم يؤذن لهم فيختصمون، ثم يكون ما شاء الله يحلفون ويجحدون، فإذا فعلوا ذلك ختم الله على أفواههم، وتؤمر جوارحهم، فتشهد على أعمالهم بما صنعوا، ثم تنطق ألسنتهم فيشهدون على أنفسهم بما صنعوا، وذلك قوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: 42] [1]

قال آخر: ومثله ما روي عن عبد الله بن الصامت قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أرأيت قول الله ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ﴾ [المرسلات: 35]؟ فقال: (إن يوم القيامة له حالات وتارات، في حال لا ينطقون وفي حال ينطقون)[2].

قال آخر: ومثله ما روي عن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: 101]، وقال: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات: 27]، وقوله ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: 42]، وقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 23] فقد كتموا في هذه الآية؟، وقال: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: 27 ـ 30] فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض، ثم قال: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: 9 ـ 11] فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء.. وقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 96] و﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: 99] و﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 104] و﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ

---

1 () تفسير ابن كثير (2/307)

2 () فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٨/٥٥٥).

شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ [النساء: 126] فكأنه كان ثم مضى؟

قال آخر: وقد أجابه ابن عباس على هذه الإشكالات جميعا، فقال: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: 101] في النفخة الأولى، ثم ينفخ في الصور﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: 68] فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون، ثم في النفخة الآخرة ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات: 27].. وأما قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 23]، وقوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: 42]، فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، فقال المشركون: تعالوا نقل لم نكن مشركين، فختم على أفواههم، فتنطق أيديهم، فعند ذلك عرف أن الله لا يكتم حديثا، وعنده ﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: 2].. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: 99] سمى نفسه ذلك، وذلك قوله أي لم يزل كذلك، فإن الله لم يرد شيئا إلا أصاب به الذي أراد، فلا يختلف عليك القرآن، فإن كلا من عند الله [1].

العصور التالية:

قال آخر: وقد استمرت الإشكالات والتشكيكات بعد ذلك؛ فاضطر العلماء للتأليف فيها، واختلفت مناهجهم في ذلك، وقد ذكر السيوطي أن أول من ألف فيه هو محمد بن المستنير أبو على البصري المعروف بقطرب، وهو أحد العلماء بالنحو واللغة، واسم كتابه [الرد على الملحدين في متشابه القرآن] [2]

قال آخر: وقبله كتب سفيان بن عيينه الهلالي الكوفي، [ولد سنة 107 هـ] كتاب [جوابات القرآن]، لكن هناك من شكك في صحته، فقد قال ابن أبي حاتم في [الجرح والتعديل] في ترجمة كاكا الرازي: روى عن الحميدي عن بن عيينة (جوابات القرآن) وروى عن الأصمعي أخبرنا عبد الرحمن، قال: سألت أبى عنه فقال: (هذا كذاب لم يكن عند الحميدي من هذا

---

1 () البخاري معلقا (كتاب تفسير القرآن، باب: سورة حم السجدة (فصلت))، وقال الحافظ ابن حجر كما في الفتح (٨/٤١٨): وصله الطبري وابن أبي حاتم بإسناد على شرط البخاري في الصحة.

2 ()الإتقان في علوم القرآن (٣/٧٩)، وانظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/٥٣)، والفهرست لابن النديم (١/٥٧).

شيء، وهذا شيخ كذاب)[1]

قال آخر: وقبلهما كتب أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي، كتاب [الجوابات في القرآن]، لكنه كان من الحشوية المجسمة، وقد اتفق الجميع على عدم وثاقته، وقد قيل: إنه قال: سلوني عما دون العرش، فقالوا: أين أمعاء النملة؟ فسكت.. وسألوه: لما حج آدم من حلق رأسه؟ فقال: لا أدري.. قال وكيع: كان كذابا.. وقال البخاري: مقاتل لا شيء ألبتة.. وقال الذهبي: (أجمعوا على تركه)[2]

قال آخر: لكن كل هذه الكتب مفقودة، ولعل أقدم الكتب التي وصلت إلينا في هذا العلم مفردا، كتاب أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل: المروزي الكاتب، صاحب كتاب [مشكل القرآن] [3]

قال آخر: وأما الجواب عن بعض الإشكالات القرآنية في ثنايا الكتب، من غير إفراد لهذا الموضوع، فكثير.. لكن دخلها جميعا داء الطائفية المقيت؛ فلذلك لم تراع في تلك الردود القرآن الكريم بقدر ما راعت طوائفها.. ومن الأمثلة على ذلك الإمام أحمد، الذي خصص القسم الأول من كتابه [الرد على الزنادقة والجهمية] في الرد على من زعم أن القرآن متناقض، وأسماه باب بيان ما ضلت فيه الزنادقة من متشابه القرآن وذكر فيه اثنتين وعشرين مسألة.. ومثل أبو الحسين محمد بن أحمد الملطي، والذي صنف كتابه [التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع]، وقد أفرد فيه بابا لمتشابه القرآن، وما يتوهم أنه من الاختلاف والتناقض، نقل فيه ما أخذه عن مقاتل بن سليمان [4].

قال آخر[5]: وقد ألفت بعد ذلك الكثير من الكتب المفردة التي تجيب على الإشكالات، وترد على الشبهات والتشكيكات.. ومن أمثلتها ما ألف في الجواب على الإشكالات اللغوية والنحوية.. ومن الأمثلة عنها كتاب [مشكل إعراب القرآن] لأبي بكر محمد مكي بن أبي طالب حموش بن حمد بن مختار

---

1 () الجرح والتعديل (٧/١٩٨)

2 () سير أعلام النبلاء (٧/٢٠١ ـ ٢٠٢)

3 () اسير أعلام النبلاء (١٣/٢٩٦ ـ ٣٠٠)

4 () انظر: رسالةموهم الاختلاف والتناقض في القرآن، ص ١٧.

5 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص51.

القيسي المقرئ[1].. وكتاب [إعراب مشكل القرآن] لأبي العباس ثعلب أحمد بن يحيي بن يزيد الشيباني.. وغيرهما.

قال آخر[2]: ومنها الكتب المؤلفة في [المتشابه أو المشتبه]، ومن أمثلتها كتاب [الآيات المتشابهات] لبقي بن مخلد، و[أضواء على متشابه القرآن] لخليل ياسين، و[تأويل متشابهات القرآن] لابن شهر آشوب وغيرها.

قال آخر: ومنها الكتب المؤلفة في [موهم الاختلاف] أو [مختلف القرآن]، كما سماه الزركشي في البرهان: (معرفة موهم المختلف)[3]، وسماه السيوطي في الإتقان: (مشكله وموهم الإختلاف والتناقض)، وقد أخذوا هذا الاسم من قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82].. ومنها كتاب [دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب] لمحمد الأمين الشنقيطي، وهو يتحدث عن نوع واحد من الطعون، وهو ما قد يبدو متناقضا من الآيات الكريمة.

قال آخر[4]: ومنها الكتب المؤلفة في [أسئلة القرآن]، أي الأسئلة التي يطرحها بعض الناس بقصد التشكيك في كتاب الله تعالى؛ ومنها كتاب [البرهان في مسائل القرآن] للجماعيلي المقدسي، و[التبيان في مسائل القرآن] لرضي الدين القزويني.. وبعضهم يسميها [جوابات القرآن]؛ باعتبار الجواب على هذا السؤال، ككتاب [الجوابات في القرآن] لمقاتل بن سليمان، وبعضهم يجمع بين الاسمين مثل [أسئلة القرآن وأجوبتها] لأبي بكر الرازي.

قال آخر[5]: ومنها الكتب المؤلفة في [مشكل القرآن]، وهي كثيرة، منها كتاب [تأويل مشكل القرآن] لابن قتيبة.. و[فوائد في مشكل القرآن] للعز بن عبد السلام.. و[مشكلات القرآن] لمحمد أنور الكشميري.. و[مشكل القرآن] للحكيم الترمذي.

قال آخر: وللأسف.. فإن هذه الكتب وغيرها مع كونها مؤلفة للرد على الإشكالات والشبه إلا أنها أصبحت مصادر

---

1 () شذرات الذهب (٢/٢٦٠).

2 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص55.

3 () البرهان في علوم القرآن (٢/٥٣).

4 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص31.

5 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص31.

للمشككين ينقلون منها الشبهات والإشكالات والتشكيكات، لعلمهم أن جماهير الناس لا تعرفها، ولا ترجع إليها.

ب. مناهج التشكيك:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن المناهج التي اعتمدها المشككون، وخاصة المتأخرين منهم، والذين جمعوا كل تشكيكات العصور السابقة.

قال أحد المشككين: كما استفاد المشككون المتأخرون من كل المصادر السابقة؛ فقد استفادوا أيضا من مناهجها، ولذلك تراهم أحيانا بصورة الوثنيين الحاقدين، أو اليهود الماكرين، ولو كانوا يرتدون مآزر البحث العلمي، لكنهم في حقيقتهم لا يختلفون عن أبي جهل وأبي سفيان وأبي بن كعب وحيي بن أخطب.

قال آخر: ذلك أنهم دأبوا في تحرير أبحاثهم عن الدراسات الإسلامية على ميزان غريب في البحث العلمي، حيث يضعون في أذهانهم فكرة معينة، ويسعون إلى تصيد الأدلة لإثباتها، بحيث لا يهمهم صحة الدليل بمقدار ما يهمهم إمكان الاستفادة منه لدعم آرائهم الشخصية.

قال آخر[1]: ولذلك نراهم يقومون بجمع المعلومات التي ليس لها علاقة بالموضوع من كتب الديانة والتاريخ والأدب والشعر والرواية والقصص، أو المجون والفكاهة، فيقدمونها بعد التمويه بكل جراءة، ويبنون عليها نظرية لا وجود لها إلا في نفوسهم وأذهانهم.

قال آخر[2]: وهكذا نراهم يستنبطون الأمر الكلي العظيم من حادثة جزئية بسيطة مظنونة أو مكذوبة، كما فعلوا ذلك في موضوع الوحي، يتصيد كل منهم حادثة فيبني عليها، ويجودها ما أمكنه لتمكينها في النفوس، مثل حادثة لقاء النبي ﷺ لورقة بن نوفل، أو بحيرا، أو الحداد الرومي، ويزعمون أنه أخذ منهم أو تتلمذ عليهم.

قال آخر[3]: وهكذا نراهم يعتمدون على الوهم المجرد لتفسير الأمور، فقد فسروا ظاهرة الوحي بحديث النفس وإلهاماتها تارة، وبالنوبات الانفعالية أخرى، وبالتنويم الذاتي أو

---

1 ()الإسلاميات بين كتاب المستشرقين والباحثين المسلمين، ص16.
2 ()أجنحة المكر الثلاثة، ص141.
3 () آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي، ص 18.

التجربة الذهنية المرضية كالصداع الهستيري.
قـال آخـر: لكن من بـاب الأمانـة العلميـة، والشـهادة للـه، والصدق الذي أمرنا به، نذكر أن هناك الكثير من المستشـرقين المنصفين، والذين كانوا أول من أدخل علينا الشـك فيمـا ذكـره المستشرقون الحاقدون.
قـال آخـر: ومنهم المستشـرق إدوارد مونتيـه الـذي قـال: (كان محمد نبيا بالمعنى الذي يعرفه العـبرانيون القـدماء، ولقـد كان يـدافع عن عقيـدة خالصـة لا صـلة لهـا بالوثنيـة)[1]، وقـال: (كان محمد نبيا صادقا، كما كان أنبياء بني إسرائيل في القـديم، كان مثلهم يؤتى رؤيا ويوحى إليه)[2]
قال آخر: كما تصـدت المستشـرقة الإيطاليـة لـورا فكشـيا للمستشـرقين الحاقـدين، ودافعت عن الرسـول ﷺ بتفنيـد الأكاذيب التي كانت تشاع عنه في القرون الوسطى [3].
قـال آخر[4]: ومثلهمـا وقـف المستشـرق السويسـري حنـا مواقف نبيلة في دفاعـه عن الرسـول ﷺ بعـد دراسـته الوثـائق التاريخية.
قـال آخـر: ومثلهم أكـد المستشـرق جـون وانتبـورت أن الدراسات التاريخية تسـقط كـل الأكـاذيب الـتي أشـاعها أعـداء الإسـلام بقولـه: (بقـدر مـا نـرى صـفة محمـد الحقيقيـة بعين البصيرة والتروي في المصـادر التاريخيـة الصـحيحة.. وقـد جـاء بشرع لا يسعنا أن نتهمه فيه)[5]
قال آخـر: ومثلهم قـال المستشـرق كـارل هيـنرش بيكـر، مؤسس مجلة العـالم الإسـلامي: (لقـد أخطـأ من قـال إن نـبي العرب دجال أو ساحر؛ لأنه لم يفهم مبدأه السـامي، إن محمـدا ﷺ جدير بالتقدير، ومبدأه حري بالاتباع، ليس لنـا أن نحكم قبـل أن نعلم، وإن محمـدا خـير رجـل جـاء إلى العـالم بـدين الهـدى والكمال، كما أننا لا نرى أن الديانة الإسلامية بعيـدة عن الديانـة المسيحية)[6]

1 () المدينة الشرقية ص47 نقلا عن الشيباني، الرسول في الدراسات الاستشراقية ص117.
2 () الوحي المحمدي ص45.
3 () الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ص388.
4 () آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي، ص 25.
5 () وانتبرت، محمد والقرآن، الشيباني، الرسول. ص394.
6 () الشيباني، الرسول في الدراسات الاستشراقية ص394.

قال آخر[7]: ومثلهم المستشرق الروسي جان ميكائيليس والمستشرق الفرنسي دينيه، وتوماس كارليل، ولامارتين، والكونت كاستري، والباحث الأوروبي سنكس، والفيلسوف الروسي تولستوي، والبروفيسور ليك، والإنجليزي توماس آرنولد.

قال آخر: هؤلاء وغيرهم من المستشرقين المنصفين كانت لهم اعترافات بنزول الوحي على النبي ﷺ، وصرحوا بصدق الرسول ﷺ بعد دراسة عميقة، بعدل وإنصاف؛ لأنهم وجدوا في شخصه كل ما يدل على صدق نبوته وصحة رسالته، ثم قاموا بنشرها في بلادهم ضد مفاهيم مجتمعهم، على حساب مصالحهم الخاصة[2].

ج. مقررات التشكيك:

قال أحد الحضور: وعينا هذا، ونحن نشكر هؤلاء المستشرقين المنصفين، وقد سمعنا بهم كثيرا، واطلعنا على كتاب مفصل يذكرهم، ويذكر أقوالهم، وهو [قلوب مع محمد ﷺ].. فهلا ذكرتم لنا نماذج عن تلك المقررات التي حوت تلك الشبهات.

قال أحد المشككين: هي كثيرة جدا، ولا يمكننا في هذا المجلس أن نحيط بها أو نحصيها، فهي أكثر من أن تحصر، ولذلك سنذكر لكم سبعة نماذج عنها، وهي المقررات التي كانوا يدرسونها لنا، وهي تحوي أمهات الشبهات، والتي تكرر في كل حين بما يتناسب مع الجيل الذي يخاطبونه.

النموذج الأول:

قال أحد الحضور: فحدثونا عن أول تلك المقررات.

قال أحد المشككين[3]: أولها كتاب [مقالة في الإسلام]، لمؤلفه (جرجيس صال)، وهو مستشرق إنكليزي مولدا ومنشأ، ولد في أواخر القرن السابع عشر الميلادي، ومات سنة ألف وسبعمائة وست وثلاثين، وله من العمر أربعون سنة، كان من المشتغلين بعلم الفقه إلا أنه أولع بدرس لغات المشرق ولا سيما اللغة العربية وعلومها، وله بلسان قومه مصنفات في التاريخ واللغة ولكنه أكثر ما اشتهر بنقل القرآن إلى لسان

---

7 () آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي، ص 26.

2 () انظر: الإسلام والمستشرقون عنوان المقال ((نبي الإسلام في مرآة بعض المستشرقين المنصفين))، بقلم د. عبد الله الطرازي ص351.

3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1/ 149.

الإنكليز وبما ألحق به من حـواش تكشـف الغطـاء عن مبهمـات النص القرآني انتقى أكثرها من كتب التفسير الإسلامي، وأشهر مصنفاته (مقالة في الإسلام)، ويقع في ثمانية فصول.

قال آخر[1]: ويعتبر المؤلـف من أكـثر المستشـرقين حقـدا وخطرا على الإسلام ومن أكثرهم أخطـاء في كثـير من القضـايا التي طرحها خاصة في كتابه أسرار القرآن وما كتبه عن القرآن في كتابه (مقالـة في الإسـلام)، حيث بـذل جهـده لربـط عقائـد الإسلام وشرائعه بالمـذاهب والمعتقـدات السـماوية تـارة وغـير السماوية تارة أخرى.

قال آخر[2]: وقد تحدث في الفصـل الأول منهـا، والمعنـون بـ (في عرب الجاهلية وتـاريخهم وأديـانهم وعلـومهم وعـاداتهم) عن اسـم العـرب منـذ نشـأتهم وبلادهم، ثم تنـاول أديـانهم ومعبوداتهم وعاداتهم وأخلاقهم وعلومهم.

قال آخر: وتحـدث في الفصـل الثـاني المعنـون بــ (البحث عما كـانت عليـه حـال المسـيحية واليهوديـة أيـام ظهـور محمـد والطرق التي سلكها محمد لتأسيس دينـه ومـا أعانـه على ذلـك من الشـؤون) عن الكنـائس الـتي كـانت موجـودة آنـذاك واعتقاداتهم، وتناول كـذلك حالـة الـروم والفـرس، وتحـدث عن محمد ﷺ ومقدار معرفته بعقائدهم، وزعمه أن الرسول ﷺ كان شديد الميل للنساء، ثم تناول سيرة الرسول ﷺ وكيفية انتشـار الإسلام وقوته.

قال آخر: وتحـدث في الفصـل الثـالث المعنـون بــ (الكلام على القرآن وما تميز به عن غيره من الكتب وفي كيفية كتابتـه ونشـره والغايـة العامـة المقصـودة بـه)، وقـد تحـدث فيـه عن اشتقاق لفظة القرآن، وأسمائه، وأقسـامه، وأسـماء سـوره، ثم تعرض للبسملة في أول كـل السـور وتحـدث عن لغـة القـرآن، وأسلوبه ومحاكاته لأسلوب التوراة، ثم تحـدث عن غايـة محمـد ﷺ من القرآن واستخدام السيف لنشـر الـدعوة، ثم تحـدث عن فروض الإسلام وشعائره وأحكامه وأنها قابلة للتبديل، ثم تحدث عن التنـاقض في القـرآن ومحاولـة الخـروج منـه بالنسـخ، ثم تحدث عن الإعجاز في القرآن الكريم وعن المحكم والمتشـابه، وختمه بالحديث عن حكم ترجمته.

---

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /153.

2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /150.

قال آخر(1): وتحدث في الفصل الرابع المعنون بــ (تعــاليم القرآن وأوامره المتعلقة بالإيمان وفروض الـدين ــ أي قضـاياه النظرية والعلمية ـ)، وقد تحدث فيه عن أركان الإسـلام وأركـان الإيمان والتأثر فيها ــ كمـا يـزعم ــ بـاليهود والصـابئة وغيرهمـا، وتناول القبر والجن والشيطان وإحياء الإنسان مرة ثانية والتـأثر في ذلك ـ كما يزعم ــ بـاليهود، ثم تنـاول موضـوع النفخ، ويـوم الحساب، والصراط، وغيرها من الاعتقادات عند المسلمين التي تأثر بها النبي ﷺ ـ كما يزعم ـ بـاليهود والمجـوس وغـيرهم.. ثم تناول الركن الثاني وهو الصـلاة وتـأثر المسـلمين في صـلاتهم ـ كما يزعم ـ بالطقوس اليهودية وغـيرهم.. ثم تحـدث عن الـركن الثـــالث الزكـــاة والفـــرق بينهـــا وبين الصـــدقات ومصـــارفها ومستحقيها وتأثرهم كذلك ـ كما يزعم ـ بهـا بـاليهود.. ثم تنـاول الركن الرابع الصيام وتأثره فيه ـ كما يزعم ـ بـاليهود كـذلك، ثم تناول الركن الخامس وهو الحج وما فيه ـ كما يزعم ـ من وثنيـة وأن شرعه الحج لقومه كان إرضاء لهم ولكسبهم لدينه.

قال آخر(2): وتحدث في الفصل الخامس المعنون بـ (بعض نواهي القرآن) عن الأحكام والفروض الفرعيـة فابتـدأ بالحـديث عن المنهيات: كالخمر والميسر، كما تحدث عن المحرمـات من الأطعمة كالميتـة، ولحم الخـنزير، وغيرهـا، ثم تحـدث عن الربـا وتحريمه ـ كما يزعم ـ اتباعا لليهـود كمـا تحـدث عن وأد البنـات وتحريم هذه العادة الذميمة.

قــال آخر(3): وتحــدث في الفصــل الســادس المعنــون بـ (شرع القرآن المدني)، وقـد تحـدث فيـه عن شـرع المسـلمين وأنه بني على الأوامر كاليهود، وتناول تعدد الزوجـات، والطلاق، والعدة، ومقارنتها بما عند اليهود، وعقوبة الزنا، واعتزال النساء في الحيض، والنكـاح فيمن يجـوز الـزواج منهن، ثم تحـدث عن شـرائع القـرآن في المـواريث، والقتـل، والسـرقة، والجنايـات، ومقارنة ذلك بما عنـد اليهـود، ثم تنـاول الجهـاد في سـبيل اللـه وملحقاته من فيء وغنائم.

قال آخر(4): وتحدث في الفصل السابع المعنون بـ (الأشهر الـتي حرمهـا القـرآن وفي إفـراز يـوم الجمعـة للـه)، وبين فيـه

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /151.
2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /151.
3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /152.
4 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /152.

تحديد القرآن لعدد الشهور ب (12) شهرا، وتحريم أربعة منها على ما كانت عليه بعض قبائل العرب، ثم إعطاء يوم الجمعة ميزة خاصة لعبادة الله عزوجل فيه، ثم تعرض لأعياد المسلمين (الفطر ـ والأضحى)

قال آخر[1]: وتحدث في الفصل الثامن المعنون بـ (فرق المسلمين الكبيرة وفي من ادعى النبوة في العرب على عهد محمد أو بعده)، وتناول فيه علم الكلام، وعلم الفقه، ثم تناول الأصول التي اختلف فيها المتكلمون، وتعدد الفرق الإسلامية للاختلافات في القضايا العقائدية، ثم تناول المذاهب الفقهية الأربعة ومعرفا بأئمتها.. ثم تناول الفرق الأخرى معرفا بها وبما انفردت به من قضايا عقائدية كالجبائية والقدرية، والجبرية، والشيعة، وفرقها، معتمدا في ذلك على كتابي ابن حزم والشهرستاني في هذا الفصل، ثم تناول المتنبئين كأمثال: طليحة ابن خويلد، وسجاح بنت المنذر، وغيرهما مما جاء بعدهم.

النموذج الثاني:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن النموذج الثاني.

قال أحد المشككين[2]: النموذج الثاني، كتاب [مصادر الإسلام]، لمؤلفه (كلير تسدال)، وهو في ستة فصول، وقد ترجم من الألمانية للإنكليزية السير (وليم موير) وطبع في الهند.

قال آخر[3]: وهو من أشد الكتب حربا على الإسلام عامة والقرآن خاصة، فقد نهج فيه المؤلف مسلك المنصرين الحاقدين على الإسلام، وقد اعتمد كثير من المستشرقين والمنصرين عليه في افتراءاتهم ضد الإسلام.. وهو يحاول بكل السبل أن يشكك في كون القرآن الكريم وحيا إلهيا.. بل يذكر أنه من تأليف محمد ﷺ حيث جمعه من ديانات ومذاهب مختلفة مدللا على دعواه ببعض وجوه التشابه بين الإسلام وبين هذه المذاهب والديانات.

قال آخر[4]: وقد تحدث في الفصل الأول المعنون بـ (ما قاله المجتهدون الأعلام وعلماء الإسلام العظام في حل هذا

---

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1/ 152.

2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1/ 124.

3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1/ 127.

4 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1/ 124.

المعنى العظيم الأهمية)، وقد تحدث فيه عن موقف المسلمين من مصدر القرآن الكريم، واعتقادهم أنه منزل من الله سبحانه على رسوله ﷺ كنزول التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود عليهم السلام.

قال آخر[1]: وتحدث في الفصل الثاني المعنون بـ (البحث والنظر فيما ذهب إليه القائلون من أن بعض عقائد المسلمين ورسومهم وفرائضهم مأخوذة من مذاهب العرب في أيام الجاهلية وأن هذا هو أول مصادر الديانة الإسلامية)، وقد استعمل فيه الكثير من المغالطات لإثبات أن الجاهلية والوثنية العربية هي إحدى مصادر الإسلام ذاكرا الدافع الذي جعل الرسول ﷺ يبقي الموروثات القديمة في ديانته كاعتقادهم بإله واحد، وكالختان، وتقبيل الحجر الأسود، كما أنه حاول إثبات هذه الصلة بإتيانه ببعض الأبيات الشعرية رابطا إياها ببعض الآيات القرآنية زاعما أن هذه الأبيات هي مصدر هذه الآيات القرآنية.

قال آخر[2]: وتحدث في الفصل الثالث المعنون بـ (البحث فيما ذهب إليه بعض المعترضين من أن بعض التعاليم والقصص الواردة في القرآن أو الأحاديث مأخوذة من تفاسير اليهود الوهمية وأن بعض فرائض المسلمين الدينية مأخوذة من طريق الصابئين)، وقد استعمل فيه الكثير من المغالطات لإثبات هذه المزاعم مستدلا ببعض العبادات والشعائر والعقائد التي فيها التشابه بين الإسلام وبين اليهودية والصابئة مثل: الصلاة، والاغتسال، والاعتقاد بالألوهية، والتشابه ببعض القصص الواردة عندهم والتي وردت في القرآن العظيم كقصة إبراهيم عليه السلام وقصة ولدي آدم قابيل وهابيل وقصة سليمان عليه السلام وغيرها من القصص.. كما استدل على التشابه بوجود بعض الكلمات المشتركة في القرآن وعندهم كلفظ (جهنم) حيث رد أصلها للغة الكلدانية والسورية.

قال آخر[3]: وتحدث في الفصل الرابع المعنون بـ (النظر والبحث فيما ذهب إليه البعض من أن كثيرا مما ورد في القرآن مأخوذ من حكايات وروايات بعض فرق النصارى المبتدعة العاطلة وآرائهم الباطلة)، وقد استعمل فيه الكثير من

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /124.
2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /125.
3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /125.

المغالطات لإثبات ذلك بإيجاد بعض المتشابهات بين الإنجيل والقرآن مثل بعض القصص كقصة أصحاب الكهف، وقصة مريم وابنها عيسى عليهما السلام، ومثل ذلك بعض القضايا المتعلقة باليوم الآخر كالحساب، والعذاب، والجنة، والنار، وغيرها.

قال آخر[1]: وتحدث في الفصل الخامس المعنون بـ (النظر والبحث فيما ذهب إليه المعترضون من أن بعض أركان القرآن والأحاديث أخذت من كتب أصحاب زرادشت والهنود القديمة)، واعتمد فيه على بعض نقاط التشابه بين القرآن وهذه المذاهب، كالتشابه ببعض القصص مثل قصة المعراج، وقصة خروج الشيطان من الجنة.. والتشابه ببعض العقائد المتعلقة باليوم الآخر وبغيره، كالجنة والنار وصفه الحور العين والميزان والصراط، وملك الموت، والجن.. والتشابه في قضايا عامة كتبشير كل نبي بالنبي الذي يليه، والابتداء باسم من أسماء الله في أول الكلام.. وغيرها.

قال آخر[2]: وتحدث في الفصل السادس المعنون بـ (الحنفاء وتأثيرهم على أفكار محمد وعلى تعاليمه)، واعتمد فيه على التشابه بين ما كان يدين به الحنفاء قبل الإسلام، وما جاء به الإسلام كالدعوة لعدم وأد البنات، ورفض عبادة الأصنام، وإقرار بالوحدانية لله سبحانه والدعوة لذلك، ووعد المؤمنين بالجنة وتخويف الكفار من النار.. ثم وصف الذات الإلهية ببعض الأسماء الخاصة بها كالرحمن، والرب، والغفور، وغيرها مما وقع فيه التشابه.

النموذج الثالث:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن النموذج الثالث.

قال أحد المشككين[3]: النموذج الثالث، كتاب [صلة القرآن باليهودية والمسيحية]، لمؤلفه (د، فلهلم رودلف).. وهو كتاب تحامل فيه مؤلفه بشدة على الإسلام والقرآن الكريم، وقد أقحم كثيرا من المغالطات في ثنايا ما قرره من نتائج مسبقا ليدلل على أن الإسلام فرقة تأثرت بالمسيحية واليهودية وخاصة المسيحية.

قال آخر[4]: وقد تحدث في فصله الأول المعنون بـ

---

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /126.
2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /126.
3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /137.
4 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /137.

(اليهودية والمسيحية في البلاد العربيـة قبـل محمـد) عن وجـود هاتين الـديانتين في الجزيـرة العربيـة ومقـدار حـظ أهلهمـا من العلم والمعرفة، فمع أنه نسب لهما قلة المعرفة والجهل أحيانـا إلا أنه اعتبرهم أكثر علما وفهما من الوثنـيين ومن بينهم محمـد ﷺ الذي تأثر ـ في زعمه ـ كثيرا بما عندهم من معرفة انعكست على قرآنه.

قال آخر[1]: وتحدث في الفصل الثـاني المعنـون بــ (كيـف اقتبس محمـد المـواد اليهوديـة والمسـيحية)، وقـد نـاقش فيـه طريقة تلقي الرسول ﷺ معرفتهم وثقافتهم، أكان بـالقراءة في كتبهم أم بطريق السماع فحسـب؟.. لـذا نـاقش موضـوع أميـة الرسول ﷺ ولكنه أكد أنه حـتى لـو كـان يتقن القـراءة والكتابـة فإنه لن يستطيع أن يستفيد منها لعدم ترجمتهـا.. ثم ذكـر بعض المقتبسات من القرآن الكـريم ومـا يشـابهها من العهـد القـديم ليؤكد أنه قد حصل للرسول ﷺ معرفة بمـا في التـوراة بطريـق السماع.. ثم ذكر مجموعة من الأمثلة القرآنية التي حصل فيها ـ كما يذكر ـ التشابه مع العهدين القديم والجديـد وأشـار أن هـذه الأمثلة قد وقع فيها أخطاء وتفاوت وأن مرجع ذلك يعـود لسـوء الفهم الذي يؤكد دعوى المؤلف أنه تلقاها مشافهة لا من مصدر مكتوب.. ثم أتى ببعض الأدلة القرآنية التي فيها الإنكار على من زعم أن محمدا ﷺ تلقى الوحي من مصدر غير إلهي لكنه حملها على تأكيـد مزاعمـه في تلقيـه لمعلومـات الـوحي من أقـوال شفوية.

قال آخر: وتحدث في الفصل الثالث المعنون بـ (مـاذا أخـذ محمـد من اليهوديـة والمسـيحية) على الأفكـار الرئيسـية الـتي تنتظم دين محمـــد ﷺ ـ على حـــد فهمـــه ـــ وهي: البعث ـ فالمحاكمة ـ فالفردوس ـ وجهنم.. ذاكرا صلة هـذه الأفكـار بمـا هي عليــه عنــد اليهــود والنصــارى، ثم ذكــر بعض الكلمــات المتشابهة بين الإسـلام وهـذين الـدينين مثـل: اللـه، أحـد، روح، إبليس، زاعما أنها مأخوذة من مصدر يهودي أو نصراني، ثم ذكر أن أكثر القصص القرآني مصدره يهودي، وزعم أن بعض أسماء الأنبيـاء مثـل: سـليمان وإليـاس، ويـونس، منقولـة عن مصـدر نصراني.. ثم زعم أن ما طرأ على القصص في المدينة المنورة من تغيير بحيث أصبح نادرا يعـود ذلـك إلى أن محمـدا ﷺ شـعر

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /138.

بتفاوت بين ما يذكره من قصص وبين مـا هـو عنـد اليهـود على وجه الدقة، كما زعم أن كثيرا من الجـوانب الأخلاقيـة والعباديـة في الإسـلام يعـود لأصـل يهـودي أو نصـراني كالوصـايا العشـر، وأركان الإسلام الخمس، وقواعد الطعام، وغير ذلك.

قال آخر[1]: وتحـدث في الفصـل الرابـع المعنـون بــ (هـل المسيحية هي التي دفعت محمدا الدفعة الحاسمة إلى الظهور) على أن المسيحية بتأثيرها البالغ على محمـد ﷺ دفعتـه للتنبـؤ.. وذكر في هذا الفصل كذلك بعض الأمثلة المتشابهة بين القــرآن والإنجيل كقصة مريم وابنها عيسى عليه السلام، وعـذاب النـار، والمحاكمة العامة، وغيرها.. ثم ذكر تأثير الصـابئة على الإسـلام ذاكرا بعض الأمور المتشابهة بينهما، كما ذكر الحنفاء ومـا أثـروا به على الإسلام موضحا ذلك ببعض الأمثلة.

قـال آخر[2]: وتحــدث في الفصــل الخــامس المعنــون بـ (نظرية جنوب بلاد العرب) عن وجهـة نظـر (جريمـه) في كتابـه (محمد) من أن اليهودية لم يكن لها أثر فعال على محمـد ﷺ إلا في العهـد المـدني، بخلاف الفـترة الأولى، والـتي كـانت ــ كمـا يزعم ـ أفكار محمد ﷺ الدينية انعكاسا للتوحيد الذي في جنـوب العرب، هذا التوحيد الخليط من الوثنيـة واليهوديـة والمسـيحية، وقد كان وصول (جريمه) لهذه النتيجة عن طريق النقوش الـتي تم العثور عليها في جنوب الجزيرة العربية.. وقـد قـام المؤلـف (رودلف) بنقد آراء (جريمة) واحدا بعد الآخر.

قال آخر[3]: وتحدث في الفصل السادس المعنـون بــ (مـا عرفه القرآن عن شخص عيسى ـ عليـه السـلام ــ وحياتـه ومـا خلف وراءه من أثر)، ثم ذكر الآيات التي تناولت هـذا الموضـوع وما طابقها أو خالفها في كتب الإنجيل، ليؤكد ـ بحسـب زعمـه ـ تأثر محمد ﷺ بالأناجيل.

النموذج الرابع:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن النموذج الرابع.

قـال أحـد المشـككين[4]: النمـوذج الرابـع، كتـاب [مقدمـة القرآن]، لمؤلفه أستاذنا دبليو منتجمـري واط، هـو عميـد قسـم الدراسـات العربيـة في جامعـة أدنـبره، لـه عـدة مؤلفـات عن

---

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /140.

2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /140.

3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /140.

4 () المستشرقون 2/132.

الإسـلام منهـا: هـذه (المقدمـة)، وكتـاب (الإسـلام) و(الإسـلام والجماعة الموحـدة، دراسـة فلسـفية اجتماعيـة)، و(محمـد في مكة)، و(محمد في المدينة)، و(الوحي الإسلامي في نظر العالم الحديث)، و(الجدل الديني)

قال آخر[1]: وهذا الكتاب هو الثامن من سلسلة الدراسات المسيحية الإسـلامية، وقـد طبـع لأول مـرة في سـنة 1977 م، وقد شمل هذا الكتاب كثيرا من أبـواب علـوم القـرآن، لكنـه لم يخـرج فيـه عن خطـوات أسـتاذه (بـل) إلا تخفيـف حـدة بعض العبـارات الجارحـة لشـعور المسـلمين الـتي كـان لا يبـالي بهـا أستاذه (بل) كما ذكـر ذلـك المؤلـف نفسـه في مقدمـة كتابـه.. وبسبب تبعية (واط) لأستاذه (بـل) وقـع في أخطـاء عـدة منهـا: اعتبار النبوة أمـرا يكتسـب بـالخبرة والتجربـة الحياتيـة.. وتـأثير البيئة على نشأة رسول الله ﷺ ـ حسب زعمه ـ لذا حـاول بكـل جهده الربط كغيره من الغربيين بين الإسلام والديانات الأخرى.. ومحاولة التشكيك في سلامة القرآن من النقصـان أو الزيـادة.. وقياسه أسلوب القرآن الكـريم على الشـعر، والنـثر المسـجوع ومحاولـة وصـفه بسـجع الكهـان.. وقـد سـاقت هـذه الدراسـة لأسـلوب القـرآن الكـريم المؤلـف إلى القـول بنظريـة أسـتاذه (التكميلات البديلة)

قال آخر[2]: وقـد قسـمه مؤلفـه لأحـد عشـر فصـلا سـوى الفهارس والمقدمة.. وقد تحـدث في الفصـل الأول المعنـون بـ (السياق التاريخي) عن الجزيرة العربية، والموقف العالمي منها في ذلك الوقت، ثم تناول حياة محمد ﷺ ومـا أثرتـه هـذه البيئـة وطبيعة عصره عليه، ملحقا هذا الفصل بملحقين: الأول: جـدول زمني متسلسل لمجرى حيـاة الرسـول ﷺ.. والثـاني: تكلم فيـه عن كلمة (حـنيف) من حيث المعـنى وعلاقتهـا بحنيفيـة إبـراهيم عليه السلام.

قال آخر[3]: وتحدث في الفصل الثاني المعنـون بــ (خـبرة محمـد كرسـول) عن موقـف النـاس من الـدعوة الإسـلامية ثم تكلم عن الوصــف القــرآني للــوحي والنبــوة، وإمكانيــة فهم الوظيفة النبوية، ثم تحدث عن القرآن الكريم وحفظـه في زمن

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /110.
2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /107.
3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /107.

الرسول، ولم يمانع المؤلف من وجود شيء منه مكتوبا بشكل ما، ثم ناقش قضية أمية الرسول ﷺ.

قال آخر[1]: وتحدث في الفصل الثالث المعنون بـ (تاريخ النص القرآني) عن مراحل جمع القرآن الكريم كصحف خاصة، ثم جمعه في عهد أبي بكر وعثمان، ثم تناول أسلوب القرآن الكريم في تلك الفترة.. ثم ختم الفصل بالحديث عن موثوقية القرآن من حيث اكتماله أو احتمال سقوط وضياع شيء منه.

قال آخر[2]: وتحدث في الفصل الرابع المعنون بـ (الشكل الخارجي للقرآن) عن أسماء القرآن الكريم، وأقسامه، والطقوس الدينية التي يقرأ فيها، وآياته، وترتيبها، والإيقاعات والإلزامات في قوافي الآيات ــ كما يسميها ــ أي (الفاصلة القرآنية) ثم تحدث عن الحروف المقطعة ومعناها وأقوال المستشرقين في ذلك، ثم تحدث عن الصور الدرامية ــ كما يسميها ـ الموجودة في أسلوب الخطاب القرآني ويقصد بذلك أسلوب الالتفات في القرآن الكريم.

قال آخر[3]: وتحدث في الفصل الخامس المعنون بـ (خصائص الأسلوب القرآني) عن القوافي القرآنية، والوزن الشعري في الآيات القرآنية، والصيغ التعليمية المختلفة التي جاءت في القرآن الكريم كالأمثال والقصص وغيرهما، ثم تناول الآيات التي غلب عليها أسلوب الكهان، ثم تحدث عن أسلوب القصص والأمثال ذات المغزى الأخلاقي في القرآن الكريم، ثم تحدث بعد ذلك عن الاستعارة في القرآن الكريم، وختم الفصل بالحديث عن لغة القرآن الكريم مطلقا عليها لغة الكويني (الشعر)

قال آخر[4]: وتحدث في الفصل السادس المعنون بـ (تشكيل القرآن) عن النسخ القرآني، وإمكانية وجود المراجعة في النصوص القرآنية ثم ذكر نظرية أستاذه (بل)()(التكميلات البديلة) ذاكرا بعض الشواهد على حدوث المراجعة والتعديل، وذكر موقفه من هذه النظرية.

قال آخر[5]: وتحدث في الفصل السابع المعنون بـ

---

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /107.
2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /107.
3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /108.
4 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /108.
5 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /108.

(الـترتيب الزمـني في القـرآن) عن وجهـات النظـر الإسـلامية والتقليدية والأوربية حـول التـاريخ، مؤكـدا أن تتـابع الأفكـار في القرآن دليل على عملية التـاريخ الزمـني والتطـور الفكـري في القرآن.

قال آخر(1): وتحدث في الفصل الثامن المعنون بـ (أسـماء الرسالة المنزلة) عن أسماء القرآن الكـريم: (القـرآن، الكتـاب، التنزيل، ذكـر، وذكـرى، وتـذكرة، وفرقـان)، ثم عقـد فصـلا عن كون القرآن الكـريم آيـة ومعجـزة، ثم تكلم عن معـنى (مثـاني) وعن طريقـة عـرض القـرآن الكـريم لجـانب العقيـدة، ثم ختم الفصل بالحديث عن الجـانب التشـريعي الإسـلامي وعن أركـان الإسلام الخمسة.

قال آخر(2): وتحدث في الفصل التاسع المعنون بـ (العلماء المسـلمون والقـرآن) عن جهـد العلمـاء المسـلمين في علم التفسير والتأويـل، ثم تحـدث عن المتكلم الحقيقي في القـرآن الكريم، وموقف المعتزلة من ذلك.

قـال آخر(3): وتحـدث في الفصـل العاشـر المعنـون بـ (القـرآن والعلمـاء الغربيـون) عن جهـود العلمـاء الغربـيين في ترجمة القـرآن الكـريم، وتـاريخ هـذه الترجمـة والمراحـل الـتي مرت بها، ثم ذكر فهرسا بأشهر الكتب التي تناولت موضـوعات القرآن الكريم المتعددة، ثم علق على بعض هذه الكتب ككتـاب (تاريخ القرآن) لـ (نولديكه) وكتـاب (أبحـاث جديـدة في تـركيب وتفسير القرآن) لـ (هيرشفيلد 1902 م) وكتاب (تركيب القرآن وترتيبه الزمني) لــ (هيـوبرت جـريم) وغيرهـا من الكتب.. وفي آخر هـذا الفصـل تنـاول المشـكلات الـتي تواجـه الـدارس غـير المسلم خلال دراسته للقرآن الكـريم مثـل مشـكلة صـدق هـذا القــرآن الكــريم.. ومشــكلة المصــادر الأصــلية ذات العلاقــة المباشرة بالنصوص القرآنية.. ثم ختم الفصل بقائمـة للفهـارس تخـدم كتابـه وجـدولا للآيـات القرآنيـة حسـب تـرتيب (فلوجـل) مقارنا هذا الترتيب بترتيب المصحف المصري.

النموذج الخامس:

قـال أحـد الحضـور: وعينـا هـذا.. فحـدثونا عن النمـوذج

(1) آراء المستشرقين حول القرآن: 1/ 109.

(2) آراء المستشرقين حول القرآن: 1/ 109.

(3) آراء المستشرقين حول القرآن: 1/ 109.

الخامس.

قال أحد المشككين[1]: النموذج الخامس، كتاب [القـرآن]، لمؤلفـه [ريجي بلاشـير]، الـذي كـان أسـتاذا في اللغـة والأدب العربي في (السوربون) لغاية سنة 1970 م، وله عدة مؤلفـات مرتبطة بالقرآن الكريم، بالإضافة إلى كتابـه هـذا، منهـا مقدمـة عن القـرآن، وترجمـة القـرآن الكـريم باللغـة الفرنسـية مرتبـا السور والآيات حسب النزول، ثم أعـاد الترجمـة سـنة 1957 م حسـب تـرتيب المصـحف، ولـه كتـاب لخص فيـه أبحـاث المستشرقين الذين كتبوا عن حياة رسـول اللـه ﷺ، ولـه كتـاب بعنوان (معضلة محمد).. وله عدة أبحـاث حـول القـرآن وغـيره منها: نبذة عن النفس في القرآن نشر في مجلة الساميات عام 1948 م.

قال آخر[2]: وهو ـ كسائر كتابات (بلاشير) ـ تتسم بـالطعن الشديد في الإسلام والقرآن، ولذلك؛ فإن هذا الكتاب مع ما فيه من معلومات، حمـل في طياتـه مجموعـة من الأخطـاء أفقـدت الكتاب كثيرا من قيمته، فقد زعم المؤلف في الفصـل الأول أن القرآن مضطرب، وفيه بلبلة فكرية، وهذا الزعم عين مـا صـرح به (جولد تسـيهر) في مؤلفاتـه.. كمـا ركـز المؤلـف في دعـواه على تأثر رسول الله ﷺ خلال تأليفـه القـرآن بالبيئـة الـتي نشـأ فيها من يهودية ونصرانية وموروثات جاهلية.

قال آخر[3]: ومما تابع فيه (بلاشير)(كازانوفـا) خطـأ دعـواه في الفصل الثاني والثالث أن تركـيز السـور المكيـة على اليـوم الآخر بهذا الأسلوب المتميز كان سببه شبح اليوم الآخر وأهواله الـذي كـان مخيمـا على فكـر الرسـول ﷺ إلى غـير ذلـك من الأخطاء التي رددها هذا المؤلف في ثنايا صفحات كتابه.

قال آخر[4]: وقد قسم كتابه إلى سبعة فصول.. تحدث في الفصل الأول منها، وهو بعنوان: (المصـحف بنيتـه وتكوينـه) عن نشأة رسول الله ﷺ في الجزيرة العربية، وبين ـ زاعما ـ مقـدار تأثره باليهودية والمسيحية، ثم تحدث عن جمـع القـرآن الكـريم مقررا أن أول جمع تم في عهده ﷺ وذلك بتأثره بـاليهود ــ لأنـه أحب أن يكون له كتاب خاص به كما لليهـود كتـاب ــ ثم تحـدث

1 () انظر المستشرقون نجيب العقيقي 1/309 ـ 312. وموسوعة المستشرقين، بدوي ص 82.
2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /116.
3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /116.
4 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /111.

عن الجمع الثاني في عهـد (أبي بكـر) والجمـع الثـالث في عهـد الخليفـة الثـالث (عثمـان بن عفـان).. ثم تحـدث عن القـراءات القرآنية ودورها في فهم النص القرآني، واعتراض بعض العلماء عليها زاعمين أنها تهـدم قدسـية النص القـرآني، ثم تحـدث عن موقف بعض الفرق الإسلامية من النص القرآني.. ثم تحدث عن تـرتيب الآيـات والسـور القرآنيـة في القـرآن الكـريم وتفسـير القرآن إلى أجزاء، زاعما أن القرآن فيه بلبلة فكرية، وختم هـذا الفصـل بالثنـاء على (نولديكـه) وتجربتـه في تـرتيب المصـحف ترتيبا زمنيا.

قـــال آخر[1]: وتحـــدث في الفصـــل الثـــاني المعنـــون بـ (الرسالة القرآنية في مكة) عن أسلوب القرآن المكي، والسور المكية، وأن هذا الأسلوب كان متأثرا ـ كما يزعم ـ بشـبح اليـوم الآخر الذي كان يخيم على فكر الرسول ﷺ.. وهـذه الفريـة قـد سـبقه بهـا المستشـرق (كازانوفـا)، ثم زعم (بلاشـير) أن هـذه القضية هي السبب في مجيء السور على نوعين: الأول، ســور قصــيرة وهي بســيطة في إيحاءاتهــا، وهي في إحــدى عشــرة سورة موزعة في المصـحف.. والثـاني: سـور آياتهـا أطـول في اثنـتين وعشـرين سـورة تبتـدئ بسـورة الكهـف وتنتهي بسـورة النجم، وهي مختلفــة العناصــر والأســلوب، وقــد ذكــر أن كلا النـوعين جـاء لتثـبيت العقيـدة والتركـيز عليهـا.. وقـد لخص في نهاية الفصل أسلوب السور المكية زاعمـا أن القـرآن في هـذه الفترة كان مضطربا.

قال آخر[2]: وتحدث في الفصل الثالث المعنون بـ (رسـالة القرآن في المدينة) عن الوحي في هذه الفترة، وأنه قـد تطـور حتى أصبحت سوره تمتاز بالطول، وهي أربع وعشرون سورة.. ثم ختم الفصل ببعض القضايا الخاصـة برسـول اللـه ﷺ وببعض المشـاكل الخاصـة بـالوحي ــ كمـا يـزعم ــ كمعالجتـه للنظـام القبلي، وغيرها.

قال آخر[3]: وتحدث في الفصل الرابع المعنون بـ (الواقعة القرآنية وعلوم القرآن) عن التنزيلات الـتي نـزلت على رسـول الله ﷺ وبلغها للناس، وعلاقتها بما حصل من انقلابات سياسـية،

---

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /113.

2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /113.

3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /114.

واجتماعية، وتطورات فكرية وأخلاقية، ونظـرات علميـة ودينيـة، وما أدت هـذه التـنزيلات من تقـدم حضـاري وتمـدن واضـح في المجتمعــات الإســلامية، كمــا تحــدث عن دور اللغــة في هــذا التمدن، ثم تعرض للأسـلوب القـرآني ودوره في إيجـاد مـذاهب تفســيرية كالتفســير النحــوي لأهــل البصــرة ومــا نتج عن هــذا الأسلوب من قراءات مختلفـة.. ثم تحـدث عن أسـلوب القـرآن المكي وما أحدثه من تفوق إبداعي في جانب الإعجاز القــرآني، والعلوم ذات العلاقـة بالبلاغـة كالاسـتعارة، والمجـاز، وغيرهمـا، مما حدا بالتفسير أن يظهر بعد ذلك كعلم مستقل.

قــال آخر(1): وتحــدث في الفصــل الخــامس المعنــون بـ (التفسير القرآني ـ أصوله وأغراضه) عن التفسـير، وأن بداياتـه كانت من عهـد رسـول اللـه ﷺ ثم تحـدث عن الصـعوبات الـتي كانت واجهت المفسرين، كعدم ثبـوت الخـط العـربي الـذي نتج عنه غموض في اللهجـات، وتعـدد القـراءات.. كمـا ذكـر أن من أسباب تطـور هـذا العلم تعـدد الفـرق الإسـلامية وحرصـها على دعم آرائهــا بالنصــوص القرآنيــة وحمــل شــروحها لمــا يوافــق آراءهم.

قــال آخر(2): وتحــدث في الفصــل الســادس المعنــون بـ (القـرآن والسـنة مصـدر العقيـدة والشـريعة في الإسـلام) عن السنة ودورهـا في التعريـف بسـيرة الرسـول ﷺ وتـاريخ نـزول القرآن وتأثيره على مفهـوم النسـخ، وفهم النص القـرآني، كمـا تعــرض لموقــف بعض الفــرق من النص القــرآني كالجبريــة، والقدرية، كما ذكـر أن للسـنة دورا في ظهـور مدرسـة التأويـل بالحديث، ثم تحدث عن كون القرآن مصدرا للأحكام الشرعية.. ثم تحدث عن مصادر التشـريع الإسـلامي بعـد القـرآن والسـنة، كالإجماع، والقيـاس، والاجتهـاد.. ثم ختم الفصـل بـدور مدرسـة (محمد عبده) بالرجوع للمصدرين الكتاب والسنة.

قال آخر(3): وتحدث في الفصل السابع المعنون بـ (القرآن في الحياة الإسلامية والمجتمع الإسلامي) عن مكانة القرآن في نفـوس المسـلمين، ومــا لــه من تــأثير عليهم، ومقــدار اعتنــاء المســلمين بــه بتحفيظــه لأبنــائهم، ومــا عليــه معلم القــرآن في

---

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /114.
2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /115.
3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /115.

السابق وفي الوقت الحاضر من الاحترام والتعظيم عند المسلمين.. ثم تحدث عن تعامل المسلمين مع القرآن في عباداتهم كالصلاة المفروضة والنافلة، ثم تعرض لبعض استخدامات القرآن في شؤون بعض المسلمين الخاصة كحرز يحميهم من السحر وغيره.. ثم تحدث عن هيئة القراء خلال تراتيلهم، واعتناء المسلمين الزائد بالمصاحف حتى دعاهم ذلك لتسجيلها على جدران المساجد، وتخصص بعض الخطاطين بنسخ المصحف، وتزيين المصاحف ببعض الألوان الذهبية، ولزيادة عنايتهم به فتح له إذاعة خاصة تبثه عبر الأثير.. كما ختم الفصل في الحديث عن دور القرآن الكريم في حل مشاكل المسلمين السياسية والاجتماعية، وغيرهما.

النموذج السادس:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن النموذج السادس.

قال أحد المشككين(1): النموذج السادس، كتاب [مقدمة القرآن]، لنفس المؤلف السابق [ريجي بلاشير]، وقد طبع بادئ الأمر مع ترجمته للقرآن الكريم، ثم وضعه في مؤلف مستقل وزوده بفهارس تخدم الكتاب.. وكان صدوره سنة 1958 م في باريس، وقد اعتمد في كثير من معلوماته في هذه المقدمة على كتاب (تاريخ القرآن لنولديكة، وشفالي وجسترشتر، وبيرتزل، زيادة على المصادر العربية نفسها والموضوعات الحديثة حول الموضوع.. وقد راجع هذه المقدمة صديقه (جان سوفاجيه) وقد جاء الكتاب في مقدمة وخمسة فصول ومجموعة من الفهارس.

قال آخر(2): وهذا الكتاب من أشد الكتب عداء للإسلام، مليئا بالافتراءات والتحليلات الخاطئة والجرأة، والتخيلات الواهمة، بعيدا عن المنهجية والتجرد العلمي.

قال آخر(3): وقد تحدث في الفصل الأول المعنون بـ (بنية الكتاب المقدس) عن أن تحديد النص القرآني لا يكون إلا من طريق الروايات المنقولة عن الصحابة والتابعين.. ثم تحدث عن تاريخ القرآن الكريم والعوامل التي حددت هذا التاريخ

---

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1/ 117.
2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1/ 123.
3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1/ 118.

كاستخدام نوع من الكتابة مغايرا للكتابة الأصلية، وعدم جمع القرآن في عهد الرسول ﷺ كتابة والاعتماد لفترة طويلة على الذاكرة في حفظ القرآن الكريم، ثم تحدث بعد ذلك عن الكتابة العربية في القرن السادس الميلادي ومقدار تأثر مكة بها.. ثم ناقش مسألة معرفة رسول الله ﷺ القراءة والكتابة، وعلاقة ذلك بكلمة (أمي) التي وصف بها، وذكر موقف المستشرقين من هذه القضية، وتوصل إلى أن معنى (أمي) أنه نبي للأمم؟ لا أنه لا يعرف القراءة والكتابة.. ثم تحدث في هذا الفصل عن الأداتين اللتين حفظ بهما رسول الله ﷺ التنزيل وهما (الحفظ ـ المناقلة الشفوية ــ والكتابة) متعرضا خلاله لكتبة الوحي، ومعرضا بقلة عدد الحفظة للقرآن الكريم.. ثم رجع وناقش قضية جمع القرآن الكريم في عهد رسول الله ﷺ وأن ذلك كان بتأثره باليهود، ومقدرا بعد ذلك أن الترتيب للآيات القرآنية كان لبعض الآيات دون غيرها.. ثم تناول قضية جمع القرآن الكريم من الصحف الخاصة إلى جمع (أبي بكر) ومبينا نقاط الخلاف بينهما كترتيب للسور، والاختلاف في رسم بعض الكلمات.. ثم تحدث عن الجمع في عهد عثمان ـ رضي الله عنه ــ كما ذكر رأي (كازانوفا) وردد زعم (كازانوفا)(أن هذا الجمع كان أسطورة لا غير).

قال آخر[1]: ثم تحدث عما سماه (تحسين كتابة مصحف عثمان)، وتناول فيه التحسينات التي استحدثت لتغطي القصور الموجود في النسخة العثمانية، ودور (الحجاج) في هذا التحسين، ونشوء القراءات وتأثرها بالحركات السياسية آنذاك.. وقد أشار في هذا الفصل لوجود بعض الصحف الخاصة في عهد (عبد الملك بن مروان) وواليه على العراق (الحجاج بن يوسف الثقفي)

قال آخر[2]: ثم تحدث عن (علم القراءات والتحديد النهائي للقرآن الكريم)، وقد تناول فيه القراءات القرآنية وأقسامها وعددها وطريقة أدائها وتلقيها ومقدار تأثيرها على النص القرآني، ثم تحدث عن عدد القراء وأوضاعهم الاجتماعية والسياسية، ثم تحدث عن دور الطباعة في انتشار القرآن الكريم.

---

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /119.
2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /119.

قال آخر[1]: وتحدث في الفصل الثاني المعنون بـ (وصف الكتاب المقدس) عن شكل القرآن الكريم وتقسيماته، وكتابته ولغته، وأسلوبه، والبسملة، والحروف المقطعة.. وعن الطبعة المصرية للقرآن الكريم وكتابتها بالطريقة القديمة.. وعن لغة القرآن الكريم، وهل كل مفرداته عربية أم فيها غير العربي، وتحدث عن سبب اختيار لغة قريش لتكون لغة القرآن الكريم، ثم تناول نظرية (مولرز) وهي كون لغة القرآن (لغة الكويني) الشعرية القديمة أم لا؟ مقررا أنها جمعت بين لغة الشعر (الكويني) وبين لغة (نجد) التي كتبت بها، ثم هاجم هذه النظرية وأنها بدلا ما تحل المشكلة غيرت وجهها ـ حسب زعمه ـ.

قال آخر[2]: ثم تحدث عن أسلوب القرآن الكريم، وكونه معجزا تحدى به محمد ﷺ العرب فأعجزهم، ثم تحدث عن موقف قريش وبعض الملاحدة كابن الراوندي، وابن المعري، وعيسى بن صبيح، والمثنى، والحلاج، وغيرهم من هذا القرآن الكريم بمحاولاتهم الإتيان بمثله منكرين وجه الإعجاز الذي فيه زاعمين أنه لا يختلف عن أي كلام بشري.. ثم ختم هذا المبحث بالحديث فيه عن الوزن الشعري، والسجع الموجود في آياته في كلا النوعين القرآن المكي والمدني.

قال آخر[3]: وتحدث في الفصل الثالث المعنون بـ (النقد المثار بواسطة النص المنزل في الكتاب المقدس) عن الانتقادات التي وجهت حول سلامة النص القرآني من الزيادة والنقصان، وملاحظاتهم على بعض كتبة الوحي من حيث الأمانة والدقة، والوسائل التي كتب عليها النص القرآني ومقدار قدرتها على حفظ النص القرآني.. ثم تحدث عن دور القراءات في إثارة الفوضى والاضطراب في النص القرآني.. وكان أغرب ما في الفصل ذكره لتصور كل من (ويدنيورج)، و(جيير) و(جولد تسيهر) بإيجاد طبعة تلبي انتقادات الغرب للنص القرآني.

قال آخر[4]: وتحدث في الفصل الرابع المعنون بـ (المصادر المقدمة لتفسير المستشرقين من خلال بعض العلوم القرآنية) عما سماه مصادر لذكاء النص القرآني، وقد ذكر فيه بعض هذه المصادر، كالقراءات الشرعية وغير الشرعية

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /119.

2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /119.

3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /120.

4 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /121.

وغيرها.. كما تحدث عن التفسير الإسلامي نفسه على اختلاف أنواعه من تفسير بالمأثور، وبالرأي المحمود منه وغير المحمود.. ثم تحدث عما سماه (المصادر والمناهج لإعادة ترتيب الكتاب المقدس حسب فترات نزوله)، وتناول فيه أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وترتيب القرآن حسب التسلسل التاريخي، وترتيب بعض المستشرقين للقرآن الكريم كترتيب (موير) و(سبرنجر)، وترتيب المدرسة الألمانية وإمكانية استفادة هذا الترتيب من تطور رسالة محمد ﷺ.

قال آخر[1]: وتحدث في الفصل الخامس المعنون بـ (ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأوربية) عن ترجمات القرآن الكريم في العصر الوسيط منذ محاولة قس كلوني (بيير لوفييرابل) باللغة اللاتينية.. ثم تناول الترجمات الحديثة منذ بداية القرن السابع عشر على يد الفرنسي (أندريه دي رير) القنصل الفرنسي في مصر ودوره في تعميم كتاب الإسلام المقدس ـ حسب تعبيره ـ في الغرب وقد ظهرت ترجمته للقرآن سنة 1647 م في باريس تحت عنوان (قرآن محمد) وقد لاقت هذه الترجمة حماسا كبيرا مما جعلها تترجم بعد ذلك لعدة لغات.. ثم ذكر عدة ترجمات صدرت بعدها كترجمة (جيرمان دي سيليزي)(1650 ـ 1665 م) وترجمة ماراتشي (1698 م) بعنوان (نماذج لتصحيحات نصوص القرآن).. ثم تحدث بعد ذلك عن الترجمات المعاصرة منذ ترجمة (واهل) عام 1828 م التي دفعت موضوع ترجمة القرآن الكريم للغات الأوربية قدما، فذكر ترجمة (أولمان) وترجمة (كازشرسكي)، و(رودويل) سنة 1861 م و(جريجيل هال) 1901 م وغيرها كثير.

النموذج السابع:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن النموذج السابع.

قال أحد المشككين[2]: النموذج السابع، كتاب [مقدمة القرآن]، لمؤلفه أستاذنا [ريتشارد بل]، وهو إنجليزي الأصل، وأحد أساتذة اللغة العربية بجامعة ادنبره، وقد صرف سنين عدة من عمره في دراسة القرآن الكريم وتاريخه دراسة وافية متتالية، ومن أشهر أعماله المرتبطة بالقرآن الكريم: ترجمة

---

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1/ 122.

2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1/ 99.

للقـرآن الكـريم. سـنة 1937 م ـ 1941 م.. ومقدمتـه للقـرآن الكريم.. وأسـلوب القـرآن الكـريم. سـنة 1942 م ـ 1944 م.. والمتشابه في القرآن الكريم. سنة 1982 م.. وأهـل الأعـراف. سنة 1932 م.. وسورة الحشـر. سـنة 1948 م.. بالإضـافة إلى غيرها من الأعمال والمقالات، ومنها (معلومات محمد عن العهد القديم) والتي نشرتها مجلة الدراسات السامية والشرقية سـنة 1945 م.

قـال آخر[1]: والكتـاب يمثـل دراسـة أكاديميـة بـذل فيهـا المؤلـف جهـدا كبـيرا، ولكنهـا لم تتجـرد عن النزعـة العدوانيـة للإسلام.. وقد ملئ الكتاب بكثير من الأخطـاء، وسـببها اعتبـاره القرآن الكريم من تأليف محمد ﷺ لذا أخضعه لمقـاييس الكتب البشرية، من حيث الأفكـار والأسـلوب والمضـمون، وغـير ذلـك مما تورثه البيئة في فكر المؤلف وأسلوبه.

قال آخر[2]: ولهذا نجده يعتبر أن التأثير الأكبر على شخص رسـول اللـه ﷺ كـان من البيئـة المحليـة كاليهوديـة والمسـيحية والوثنية.. ومن البيئة الخارجية كالمجوسية والزرادشتية.

قال آخر[3]: ولهـذا نجـده في كتابـه يركـز على الطعن في سلامة النص القرآني، حيث زعم أنـه مضـطرب دخلتـه الزيـادة والنقصان، والتلفيق بين بعض الفقـرات مبتـدعا نظريـة سـماها (نظريـة التكميلات البديلـة).. وقـد كـانت الموروثـات الفكريـة والمنهج الـذي اتبعـه سـببا في وقوعـه في كثـير من الأخطـاء العلمية.

قال آخر: وقد قسم كتابه لعشرة فصول.. أولهـا [الموقـف التـاريخي ومحمـد]، وتحـدث فيـه عن البيئـة الـتي نبت فيهـا الإسلام، وما كان لها من تأثير على التعاليم والعقائد الإسـلامية، كالاعتقاد بالجن وموقفه من الكهان، وتأثير اليهودية والمسـيحية والحنفاء على الأسلوب القرآني، وتأثير الموقف العـالمي حـول الجزيـرة على الـدعوة الإسـلامية، وخاصـة المجوسـية والزرادشتية.. ثم تحدث عن موقف الإسلام من المـرأة، ثم عن الكتابة والقراءة وتأثير ذلك على رسول اللـه ﷺ.. ثم ذكـر نبـذة عن سيرة رسول الله ﷺ ثم تحدث عن الأشهر العربية والأشـهر

---

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /105.

2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /105.

3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /105.

الحــرم منهــا، ثم ختم الفصــل بالحــديث عن الــوحي ومعنــاه، واستعمالاته في القرآن الكريم.

قال آخــر: وتحــدث في الفصــل الثــاني المعنــون بــ (أصــل القرآن) عن القرآن ونزوله وجمعه والصحف الخاصة بالصـحابة، والنص القرآني من حيث الزيادة والنقصان. متأثرا بأقوال الغلاة من الســنة والشــيعة بــأن النقص والزيــادة والاضــطراب دخــل القرآن الكريم، ثم تعرض في نهاية الفصــل للقــراءات القرآنيــة الســبعة وقرائهــا ومن اعتــنى بهــا من المستشــرقين أمثــال: براجشترســتر، وبــيرتزل، وآرثــر جيفــري، وهــؤلاء اعتنــوا بهــذا الجـانب خاصـة (القـراءات الشـاذة)، سـاردا بعض الأمثلـة على ذلك؛ ليخلص منها أن هذه القراءات مـا هي إلا نسـخ أخـرى من القرآن الكريم تقابـل النسـخة العثمانيـة ليـدلل من خلالهـا على وجود الاضطراب والاختلاف في نص القرآن الكريم.

قال آخر: وتحـدث في الفصـل الثـالث المعنـون بــ (شـكل القرآن) عن تفسيم القرآن الكـريم إلى أجـزاء وأحـزاب وأربـاع وسور وعنــاوين الســور، ثم تحـدث عن الحــروف المقطعــة، ثم ذكر أن الغرض من وراء هـذا التقسـيم كـان لغـرض التلاوة، ثم ذكــر موقــف ابن مســعود من المعــوذتين، ثم تحـدث عن إيقـاع الآيات القرآنية، وعن الصور الدرامية في القرآن الكريم.

قال آخر[1]: وتحدث في الفصــل الرابــع المعنــون بــ (بنيــة وأسلوب القرآن) عن أسـلوب القـرآن الكـريم زاعمـا أنـه غلب عليه السجع والإلزامات المتكررة لتأثره بسجع الكهان، كما ذكر أن أسلوبه امتـاز بالقصـر وشـدة الإيقـاع، والتكـرار، والفقـرات التوكيديــة، وأنــه كــان غنيــا بالقصــص والحكايــات الرمزيــة، والتشبيهات، والاستعارات.

قــال آخر[2]: وتحــدث في الفصــل الخــامس المعنــون بـ (تصنيف السور) عن السور القرآنيـة من حيث الطـول والقصـر وتكــرار العبــارات المســجوعة والانقطــاع النحــوي للجمــل والإقحامات لبعض الفقرات كتكميلات بديلة على حسب زعمه.. زاعما أن هذه التكميلات كانت بعـد تمـام الجمـع، وأكـد أن هـذا كـان بفعـل جمعـة القـرآن الـذين كـانوا يضـعون مـا على ظهـر الورقــة بصــورة عشــوائية، ثم ذكــر أن عــدم كفايــة التفســيرات

---

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /101.

2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /102.

العاديـة لإيضـاح بعض العبـارات غـير المترابطـة أدى إلى بعض الاضـطراب والخلـط.. ثم ذكـر بعض الفقـرات الـتي ناقشـت موضوعات سـببت مشـكلات حرجـة لرسـول اللـه ﷺ ـ حسـب زعمه ـ ثم ذكر في هذا الفصل أن الصورة الحالية للقرآن تعتمد على وثـائق مكتوبـة ترجـع إلى زمن حيـاة الرسـول ﷺ، ثم ختم الفصل بالحديث عن الناسخ والمنسوخ.

قـال آخر[1]: وتحـدث في الفصـل السـادس المعنـون بـ (الترتيب الزمني للقرآن) عن الترتيب في القرآن الكريم وذكـر موقـف المستشـرقين منـه، ومحـاولات المستشـرقين لـترتيب القرآن الكريم ترتيبا زمنيا كمحاولة (نولديكه) و(موير) و(جريم) وغـيرهم، مبينـا العناصـر الـتي اعتمـدوها في هـذه المحـاولات كتحليـل مـواد السـورة بدراسـة الأسـلوب، والصـياغة وعلاقتهـا بتكليف رسول الله ﷺ بالرسالة لأول مـرة، وعلاقـة ذلـك بمبـدإ عقوبة الكافر، مع بيان ردة فعله على عداوة يهود المدينة له مع مراعاة تـواريخ بعض الفقـرات، ثم ذكـر جـدولا بين فيـه تـرتيب سور القرآن الكـريم حسـب المصـحف العثمـاني، وحسـب رأي (نولديكه) و(جريم) و(موير) وحسب ترتيب المصحف المصري.

قال آخر[2]: وتحدث في الفصل السابع المعنون بـ (مراحل نمو القرآن) عن دلائل قدرة اللـه سـبحانه وعلى كرمـه بإنعامـه على خلقه، مع ربط هذا الأمر بآيات البعث، زاعما أن كثـيرا من هذه الآيات قد روجعت وعدلت بحيث تتلاءم مع وضـعها الحـالي في المصحف، وزعم أن ذلك بسبب التأثر بالمصادر المسـيحية، ثم تناول معنى (مثاني) مبينا فهم بعض المستشرقين لهـا حيث فسرها بعضهم بالفاتحة بآياتها السبع، أو هي سبع قصص عقاب كثر تكرارها في القرآن الكـريم، كقصـة عـاد، وثمـود وأصـحاب الحجر، وأهل الأيكة، وقوم تبع، وسـبأ، وقصـة نـوح، وغيرهـا، ثم ختم الفصـل بالحـديث عن أسـماء القـرآن الكـريم: القـرآن ـ الكتاب ـ الفرقان.

قال آخر[3]: وتحدث في الفصل الثامن المعنون بـ (محتوى القرآن ومصادره) عن تعـاليم القـرآن الكـريم وأهدافـه ودرجـة تأثره باليهودية والمسيحية، والمبدأ الأساسي الذي دعا له، وهـو

---

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1/ 102.

2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1/ 102.

3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1/ 102.

توحيد الله سبحانه، وأسمائه، وصفاته، وزعمه تأثر بعض أسماء الله عزوجل (كالرحمن) بالمذهب المانوي، وغيره، ثم تحدث عن تطور معنى كلمة (رسول) من المعنى الإقليمي إلى المعنى العالمي، ثم ختم الفصل بالحديث عن نهاية العالم، ومصير الإنسان فيه إلى جنة أو نار.

قال آخر[1]: وتحدث في الفصل التاسع المعنون بـ (القصص) عن القصص القرآني ومقدار تأثره باليهودية والمسيحية، واعتماده على المصادر الشفوية أكثر من المصادر المكتوبة الموثقة ـ في نظره ــ ثم ذكر أن بعض القصص كان فيه اضطراب واضح على حد زعمه.

قال آخر[2]: وتحدث في الفصل العاشر المعنون بـ (التشريع) عن بعض العبادات في الإسلام كالصلاة والصيام والزكاة والحج، ثم تناول بعض جوانب التشريع المتعلقة ببعض المطعومات والمشروبات، كالخمر، والربا، والمقامرة، ثم تحدث عن بعض الأحكام المتعلقة بالأسرة كالزواج، والطلاق، والإرث، وغيرها.. وختم الكتاب بقائمة فهارس تخدم الكتاب.

2. التشكيك والبيئة:

بعد أن انتهى المشككون التائبون من ذكر المنابع والمقررات التي تحوي أصناف الشبه والتشكيكات، قام بعض الحضور، وقال: حدثتمونا عن منابع التشكيك المسمومة؛ فأجيبونا عما حوت عليه من الضلالات؛ فلا يصح ذكر المنكر دون النهي عنه، ولا يصح ذكر الشبهة دون الرد عليها.

قال كبير المشككين: أجل.. وسنبدأ بأول الشبه، وأكثرها انتشارا، وهي ربط القرآن الكريم بالبيئة التي تنزل فيها، واعتبار أنه نتاج لها، وقد رأينا أن أكثر المشككين يرددونها، وكأنها بديهية ومسلمة لا شك فيها.

قال آخر: وقد رأينا من خلال إحصائنا واستقرائنا لما في تلك الكتب أنهم يقصدون خمس جهات، يعتبرون أنها مصادر القرآن الكريم، لا الوحي الإلهي.

قال آخر: وأولها الوثنية التي كانت سائدة في أكثر القبائل العربية، بما فيها قريش التي عاش رسول الله ﷺ بين أهلها.

---

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /104.

2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /104.

قال آخر: وثانيها أولئك الحنفاء الذين تمـردوا على الوثنيـة، وآمنوا بالله الواحـد، وحـاولوا بحسـب مـا وصـلهم التـدين بـدين إبراهيم عليه السلام.
قال آخر: وثالثها اليهوديـة.. وهي الديانـة الـتي كـان عليهـا الكثير من أهل المدينة التي هاجر إليها رسول الله ﷺ.
قال آخر: ورابعها المسيحية.. وهي الديانة التي كان يــؤمن بها بعض العرب، والذين وفد بعضهم إلى رسول الله ﷺ.
قال آخر: وخامسها الزرادشتية.. والتي كانت موجــودة في ذلك الحين في فارس.
قال آخر: وسادسا الصابئة.. والتي كانت موجودة في ذلـك الحين في الشام والعراق.

أ. القرآن والوثنية:

قــال أحــد الحضــور: فحــدثونا عن الشــبه الــتي أثارهــا المستشرقون وغيرهم حول القرآن الكريم والبيئة الوثنية.
قال أحد المشككين: على الرغم من غرابـة هـذه الشـبهة، إلا أنا سنذكرها كما ذكرها أساتذنا المشككون.. والـذين يكـادون يتفقون على أن رسول الله ﷺ تأثر بالبيئـة الوثنيـة الـتي عـاش فيها.
قال آخـر: وقـد اسـتدلوا على ذلـك بالتشـابه الموجـود في بعض العقائد والشـعائر التعبديـة، والعـادات، حيث اسـتدلوا بهـا على أن رسول الله ﷺ استفادها من البيئة التي عاش فيها[1].
قال آخر: ومن الأمثلة على الشعائر التعبدية الحج بمـا فيـه من طواف وتقبيل للحجر الأسـود وسـعي بين الصـفا والمـروة، وغيرها من شعائر الحج[2].
قال آخر: ومثل ذلك ما كان من تشابه بين شرائع الإسلام، وبعض العادات الجاهلية المرتبطة بالزواج والختان ونحوهما[3].
قال أحد الحضور: عرفنا الشبه.. فما هو الرد عليها؟
قال أحد المشككين: أول الرد عليها ما سمعتموه في الرد على الكشـفية من أن التوافـق على الخـير والحكمـة لا يعـني التأثر ولا الاقتباس.. فالحق والخير موجود في العالم أجمع، وإن خلط ببعض الباطل، أو بالكثير منه.

---

1 () كتاب مصادر الإسلام لتسدال ص 6 وما بعدها، ومقدمة القرآن لريتشارد بل ص 9، وكتاب مـدخل القـرآن للأستاذ دراز ص 129 وما بعدها.
2 () مصادر الإسلام ص 806، ومقدمة القرآن بل ص 9.
3 () مصادر الإسلام لتسدال ص 8.

قال آخـر: والحكيم هـو الـذي يمـيز الحـق عن الباطـل، أو يجعل الحق الموجود في بيئته وسيلة لقمع الباطل الذي سـيطر عليها، كما قـال تعـالى: ﴿لِيَمِـيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَـلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأنفال: 37]

ملة إبراهيم:

قال آخر: ولذلك؛ فإن البيئة التي عـاش فيهـا رسـول اللـه ﷺ، وكُلف بأن يبدأ رسالته منها، لم تكن بيئة منحرفة تمامـا عن الحق، وإنما خلطت الحق بالكثير من الباطل؛ فلذلك صار الحق باطلا بسبب تشويهها له.

قال آخر: ويـدل لـذلك مـا ورد في القـرآن الكـريم من أن اللـه تعـالى أمـر إبـراهيم عليـه السـلام بـأن يهـاجر إلى مكـة المكرمة، ليبني الكعبة المشرفة، قال تعـالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَـا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِـدْنَا إِلَى إِبْـرَاهِيمَ وَإِسْـمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَـاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَـلْ هَـذَا بَلَـدًا آمِنًـا وَارْزُقْ أَهْلَـهُ مِنَ الثَّمَـرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَـوْمِ الْآخِـرِ قَـالَ وَمَنْ كَفَـرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْـرَاهِيمُ الْقَوَاعِـدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْـمَاعِيلُ رَبَّنَـا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْـلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَـا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُـو عَلَيْهِمْ آيَاتِـكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَـةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: 125 ـ 129]

قال آخر: وقد ورد في كتب الحديث والتاريخ مـا يـدل على أن العرب ظلوا تابعين لملة إبـراهيم عليـه السـلام إلى أن دبت الوثنيـة ديـارهم بسـبب أنـه كـان لا يظعن من مكـة ظـاعن إلا احتمـل معـه حجـرا من حجـارة الحـرم، فحيثمـا حلـوا وضعـوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تعظيما للحرم وصبابة بمكة.

قال آخـر: وتـذكر المصـادر التاريخيـة أن أول من غـير دين إبـراهيم وإسـماعيل عليهمـا السـلام ونصـب الأوثـان، وسـيب السائبة، وبحر البحيرة، ووصل الوصيلة، وحمى الحام، عمرو بن لحي، ثم انتشرت عبادة الأصنام وصارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب حتى بلغ بهم الجهل أنـه حين غلبت خزاعـة على البيت ونفت جرهم عن مكة، جعلت العرب عمرو بن لحي

(1) ربـا لا يبتـدع لهم بدعـة إلا اتخـذوها شـرعة، لأنـه كـان يطعم الناس ويكسو في الموسم، وقيل: إن أمره وأمر ولده دام على مكة ثلاثمائة سنة (2).

قال آخر: وهكذا ابتعد العرب عن دين إبراهيم عليه السلام فـدخل الشـرك في عقائـدهم وعبـاداتهم وصـرفوا مـا ينبغي أن يكون لله سبحانه لأصنامهم وأوثانهم وساءت الأخلاق، وانتشرت المفاســد، وانتهكت المحــارم، وتــركت الفــرائض والســنن، وانتشــرت البـدع والخرافـات، ومـع هـذا بقي قلـة من النـاس يبحثون عن الحقيقة وهم الحنفاء.

قـال آخـر: وقـد صـور ذلـك جعفـر بن أبي طـالب، فقـال للنجاشـي ملـك الحبشـة ردا على افـتراءات السـفيرين اللـذين أرسلتهما قـريش لإرجـاع المهـاجرين من الحبشـة لمكـة: (أيهـا الملك كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتـة، ونـأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسـيئ الجـوار، ويأكـل القـوي منـا الضعيف؛ فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينـا رسـولا منـا نعـرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى اللـه لنوحـده ونعبـده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنـا من دونـه من الحجـارة والأوثـان، وأمرنـا بصـدق الحـديث وأداء الأمانـة، وصـلة الـرحم، وحسـن الجـوار، والكـف عن المحـارم والـدماء، ونهانـا عن الفـواحش، وقول الزور، وأكل مـال اليـتيم، وقـذف المحصـنات، وأمرنـا أن نعبـد اللـه ولا نشـرك بـه شـيئا، ــ وعـدد عليـه أمـور الإسـلام ـ فصدقنا به واتبعناه على ما جاء به من الله فعبدنا اللـه وحـده لا نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا)(3)

قــال أحــد الحضــور: فمــا تقولــون فيمــا ذكــره بعض المستشـرقين، حيث قـال: (نجـد في المدينـة في معيـة محمـد حاشية مسيحية ويهودية قـد أسـلمت أو سـايرت الإسـلام، نجـد بلالا الحبشي مؤذن النـبي، وصـهيبا الـرومي المسـيحي الـثري، وســلمان الفارســي المســيحي الأصــل، وعبــد اللــه بن ســلام اليهودي الوحيد الذي أسلم في المدينة مـع كعب الأحبـار، وهـل كان حديث هذه الحاشية الكريمة سوى التـوراة والإنجيـل؟.. إن ذلك حجة قاطعة على أن بيئة النـبي والقـرآن كـانت كتابيـة من

1 ()كتاب أخبار مكة 1/116.

2 () الروض الأنف 1/102.

3 () البداية والنهاية 3/73 ـ 74، والكامل في التاريخ 2/55.

كل نواحيها، وأن ثقافة محمد والقرآن كتابية في كل مظاهرهـا، وذلك بمعزل عن الوحي والتنزيل)[1]

قال أحد المشككين[2]: أول الردود على هـذه الشـبهة هـو أن هذه الحاشية المسيحية واليهودية ـ كما يزعمون ـ والتي قـد أسلمت؛ دليل واضح على أن الديانات قبل الإسلام حرّفت، فلذا لم يسع هؤلاء بعد أن عرفوا الحق إلا أن يتركوا ما هم عليه من الباطل ويتبعوا رسول الله ﷺ.

قال آخر: وقد ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال لزيد بن عمرو: ما لي أرى قومك قد شنفوا لك، فقال: أما واللـه، إن ذلك لبغـير نـائرة كـانت مـني إليهم، ولكـني أراهم على ضـلالة، فخــرجت أبتغي هــذا الــدين حــتى قــدمت على أحبــار يــثرب، فوجدتهم يعبدون الله، ويشركون به، فقلت: ما هذا بالدين الذي أبتغي، فخرجت حتى أقدمت على أحبار خيبر فوجدتهم يعبــدون الله ويشركون به، فقلت: ما هذا بالـدين الـذي أبتغي، فخـرجت حتى قدمت على أحبار فدك فوجـدتهم يعبـدون اللـه ويشـركون به، فقلت: ما هذا بالدين الذي أبتغي، خرجت حتى أقدمت على أحبار أيلة فوجدتهم يعبدون الله ويشـركون بـه، فقلت: مـا هـذا بالدين الذي أبتغي، فقال لي حبر من أحبـار الشـام: أتسـل عن دين مـا تعلم أحـدا يعبـد اللـه بـه إلا شـيخا بـالجزيرة، فخـرجت فقدمت عليه فأخبرته بالذي خرجت له، فقال: إن كل من رأيت في ضلال؛ إنك تسأل عن دين هو دين اللـه ودين ملائكتـه، وقـد خرج في أرضك نبي أو هو خارج يدعو إليه، ارجع فصدقه واتبعه وآمن بما جاء به[3].

قال آخر: وقد شهد المستشرقون أنفسهم بذلك؛ فقد نفى (نلسـن)أن تكـون اليهوديـة أو المسـيحية قـد أثّرتـا في وجـود التوحيد عند العرب، ففي رأيه أن اليهود كان إلههم الخــاص بهم ولم يكن إلها عالميا، كما أن المسـيحية الـتي ظلت حـتى عصـر محمد ﷺ لم تكن توحيدية بـل كـانت متعـددة الآلهـة، فالمسـيح وأمه كانا يقدسان كإلهين [4].

---

1 () القرآن والمبشرون: ٩٤.

2 () محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام: 4/391.

3 () رواه البخاري: رقم 3827، وأبو يعلى في مسنده: 13/137.

4 () التاريخ العربي القديم: نلسن ديتلف وآخرون؛ نقلا من كتاب: ورقة بن نوفل مبشر الرسول لغسـان عزيـز حسن (٢٨)

قال آخر(5): ويدل لذلك أيضا أن ورقة عندما أراد أن يتنصر ذهب إلى الشام، وهذا لعـدم تـوفر ذلـك في الجزيـرة العربيـة، فكان على الشرك قبل هذا؛ لأنه نشأ في بيئة وثنية.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلـك؛ فـإن الواقـع يشـهد أن ديانـة العرب المنتشرة في الجزيرة هي الشرك، وقد قال المستشـار نجيب وهبـة، وهـو بـاحث مسـيحي: (كـانت كـثرة العـرب في الجاهليـة وثنيـة تـؤمن بقـوى إلهيـة كثـيرة تنبث في الكـواكب ومظاهر الطبيعة)(2)، ثم ذكر عدة أسماء للقبائل الـتي تنصـرت في شـبه الجزيـرة، ولم يفصـل في وجـود كنـائس أو قبائـل نصرانية في مكة (3).

قال آخر(4): وقد روي أنه قال لرسول الله ﷺ: (إنه لم يأت أحد بمثل ما جئت بـه إلا عـودي)(5)..فـإذا كـان رسـول اللـه ﷺ نصـرانيا، وكـان المجتمـع نصـرانيا، فلمـاذا حـدث العـداء، فلم يصدّقوه بل حاربوه، حتى إن القبائل النصرانية بالجزيرة العربية ـ التي يشهد التاريخ الصحيح بأنها نصرانية ـ لم تقبله.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن الحركة الدينيـة اليهوديـة والمسـيحية في مكـة لم تكن مزدهـرة؛ بـل كـان الشـرك هـو المسيطر، حيث لم يظهر بين يهود الجزيرة العربيـة من اشـتهر بعلم أو فقه أو فلسفة، وهذا يدل بالضـرورة على عـدم ازدهـار الحركة الفكرية والثقافية عندهم، فهم آثروا البقاء منعـزلين عن العالم، مكتفين بأبسط أنواع الحياة (6).

قـال آخر(7): بالإضـافة إلى ذلـك عـدم اسـتغلال النصـارى للشعر لتقوية موقفهم في مكة ونشر دينهم، فإن هذا كـان أهم وسيلة لنشر دينهم، حيث نجـد أنـه لا يختلـف الشـعر النصـراني عن شعر الشعراء الوثنيين بشـيء، فمن الصـعب على البـاحث أن يجد فرقا كبيرا بين شعر الشعراء النصارى وشـعر الشـعراء الوثنـيين، ولهـذا ذهب بعض المستشـرقين إلى أن من الصـعب التحدث عن وجود شعر نصراني عربي له ميزات امتـاز بهـا عن

---

5 () محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام: 4/392.

2 () إشراقة شمس المسيحية في شبه الجزيرة العربية ٦١.

3 () إشراقة شمس المسيحية في شبه الجزيرة العربية ص ١٣١.

4 () محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام: 4/393.

5 () البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠)

6 () العرب قبل الإسلام د. جواد علي ٦/٨، ود. إسرائيل ولفنسون؛ تاريخ اليهودية في بلاد العرب ٤٢.

7 () محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام: 4/393.

الشعر الوثني قبل الإسلام [1].

الحج:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فما السر في تشابه بعض شعائر الحج في الإسلام مع بعض شعائره في الجاهلية؟

قال أحد المشككين: تشابه مناسك الحج في الإسلام في بعض الأمور مع الحج في الجاهلية، يدل على أن أهل مكة ورثوا تلك الشعيرة من ملة إبراهيم عليه السلام، وهي شعيرة صحيحة سليمة لها دورها في إصلاح النفس والمجتمع؛ فلذلك أبقاها الله تعالى، وأمر المسلمين بإحيائها، لا وفق ما كان عليه أهل الجاهلية، وإنما وفقا للقيم التي جاء بها الإسلام.

قال آخر: وذلك يشبه ما لو أن طبيبا رأى قوما من الناس يستعملون دواء صحيحا، لكنهم يخلطونه ببعض الأدوية الفاسدة، أو يستعملونه بطريقة غير صحيحة؛ فالحكمة لا تدعوه لأن ينهاهم عن الدواء الصحيح الشافي، وإنما تدعوه ليحذرهم مما خلطوه به من الأدوية الفاسدة، أو من الاستعمال الخاطئ له.

قال آخر: ولهذا قُرنت الأوامر القرآنية المرتبطة بالحج بتوحيد الله، مثلها مثل كل الأوامر، كما قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: 196]، أي بصحبة الإخلاص لله، وهو ما يفرقها عن الوثنية تماما.. فالوثنية كانت تتوجه بتلك الشعائر للأوثان لا لله.

قال آخر: ومثل ذلك قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: 91]، وقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ [قريش: 3]، فبين الله تعالى أن العبادة لرب البيت وهو الله عز وجل وليست للبيت، والمعنى: إنما أمرت أن أخص الله بالعبادة وحده لا شريك له[2].. وإضافة الربوبية إلى البلدة على سبيل التشريف لها والاعتناء بها[3].

قال آخر: وهكذا نرى الله تعالى يقرن كل شعائر الحج بالعبودية الخالصة، أو بملة إبراهيم عليه السلام بعيدا عن كل ما انحرف به الوثنيون في هذه الشعيرة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ

---

1 () انظر العرب قبل الإسلام د. جواد علي ٦/٨.

2 () فتح القدير ٤/٢٢٣.

3 () تفسير ابن كثير ٣/٥٠٣.

بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 96، 97]، وقال: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: 29]، وقال ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: 125]، وقال: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 158]، وغيرها من الآيات الكريمة التي تبين أن أعمال الحج من عند الله، وليست من أعمال الوثنية.

قال آخر: ولهذا ذكر الله تعالى المصدر الصحيح لتلك الشعائر التعبدية التي حافظ المشركون على بعض ظواهرها، بينما خالفوا حقائقها وبواطنها، فقال: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 127، 128]

قال آخر: ولهذا نرى رسول الله ﷺ ينبه في كل محل إلى ارتباط كل شعائر الحج بإبراهيم عليه السلام أو بغيره من الأنبياء الكرام، وقد ورد في الحديث عن ابن عبّاس قال: سرنا مع رسول الله ﷺ بين مكّة والمدينة فمررنا بواد فقال: (أي واد هذا؟) فقالوا: وادي الأزرق، فقال: (كأني أنظر إلى موسى ﷺ واضعا إصبعيه في أذنيه له جؤارٌ إلى الله بالتّلبية مارا بهذا الوادي) قال: (ثمّ سرنا حتّى أتينا على ثنيّة، فقال: (أي ثنيّة هذه؟) قالوا: هرشى أو لفتٌ، فقال: (كأني أنظر إلى يونس على ناقة حمراء عليه جبّة صوف خطام ناقته ليفٌ خلبةٌ مارا بهذا الوادي ملبّيا)[1]

قال آخر: وقال ابن عبّاس: (أوّل ما اتّخذ النّساء المنطق من قبل أمّ إسماعيل، اتّخذت منطقا، ثمّ جاء بها إبراهيم، وبابنها إسماعيل وهى ترضعه حتّى وضعهما عند البيت عند دوحة، فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكّة يومئذ أحدٌ، وليس بها ماءٌ، فوضعهما هنالك.. فذكر القصة وفيها: فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصّفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه ثمّ استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا فلم

[1] () مسلم (١٦٦)

تر أحدا، فهبطت من، الصّفا حتّى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها، ثمّ سعت سعى الإنسان المجهود حتّى جاوزت الوادي، ثمّ أتت المروة، فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا، فلم تر أحدا، ففعلت ذلك سبع مرّات ـ قال ابن عبّاس: قال النبي ﷺ: (فذلك سعى النّاس بينهما)[1]

قال آخر: وعنه قال ـ يحدث عن رسول الله ﷺ ـ: (لما أتى إبراهيم خليل الله المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثانية فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثالثة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض)، قال ابن عباس: (الشيطان ترجمون وملة أبيكم تتبعون)[2]

قال آخر: وعن يزيد بن شيبان قال: كنّا في موقف لنا بعرفة يباعده عمرو بن دينار من موقف الإمام جدا فأتانا ابن بزيغ الأنصاريّ فقال لنا: إنّي رسول رسول الله ﷺ إليكم إنّ رسول الله يأمركم أن تقفوا على مشاعركم هذه فإنّكم على إرث من إرث أبيكم إبراهيم عليه السلام)[3]

قال آخر: وهكذا كانت كل مواقف رسول الله ﷺ المرتبطة بالحج تدعو إلى إزالة كل آثار الوثنية عنه؛ فعن عبد الله بن مسعود قال: دخل النبي ﷺ مكّة وحول الكعبة ثلاثمائة وستّون نصبا فجعل يطعنها بعود كان بيده ويقول: (جاء الحقّ وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقا)(جاء الحقّ وما يبدئ الباطل وما يعيد)[4]

قال آخر: وعن ابن عبّاس أنّ النبي ﷺ لمّا رأى الصّور في البيت لم يدخل، حتّى أمر بها فمحيت، ورأى إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السّلام ـ بأيديهما الأزلام فقال: (قاتلهم الله، والله إن استقسما بالأزلام قطّ)[5]

قال آخر: ولهذا؛ فإن الحج الذي جاء به الإسلام يختلف جذريا عن الحج الذي كان في الجاهلية، وإن تشابه معه في بعض صوره ومظاهره، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد عن

---

1 () البخاري (٣٣٦٤)

2 () الحاكم ١/٦٣٨، والبيهقي ٥/١٥٣.

3 () النسائي ٥/٢٥٥، والترمذي (٨٨٣)

4 () البخاري (٢٤٧٨)، مسلم (١٧٨١)

5 () البخاري (٣٣٥٢)

أقـوالهم في التلبيـة، فعن ابن عبـاس قـال: كـان المشـركون يقولون: لبيك لا شريك لـك، فيقـول رسـول اللـه ﷺ: ويلكم قـد قد، فيقولون: إلا شريكا هو لك تملكـه ومـا ملـك، يقولـون هـذا وهم يطوفـون بـالبيت[1].. فكـان النـبي ﷺ يقـول: (لبّيـك اللهمّ لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، إنّ الحمد والنّعمة لك والملـك، لا شريك لك)[2]

قال آخر: ومن ذلك أن أهل الجاهلية كانوا يطوفـون الـبيت عراة، ويرمون ثيابهم، ويتركونها ملقاة على الأرض، ولا يأخذونها أبدا، ويتركونها تداس بالأرجل حتى تبلى، فأمر الله تعالى بسـتر العـورة ونهى عن الطـواف عرايـا، قـال عـروة: كـان النّـاس يطوفون في الجاهليّـة عـراة إلّا الحمس، والحمس قـريشٌ ومـا ولـدت، وكـانت الحمس يحتسـبون على النّـاس يعطى الرّجـل الرّجل الثّياب يطوف فيها، وتعطى المرأة المرأة الثّياب تطـوف فيها، فمن لم يعطه الحمس طاف بـالبيت عريانـا، وكـان يفيض جماعـة النّـاس من عرفـات، ويفيض الحمس من جمـع، قـال: وأخبرنى أبى عن عائشة أنّ هـذه الآيـة نـزلت في الحمس ﴿ثُمَّ أَفِيضُـوا مِنْ حَيْثُ أَفَـاضَ النَّاسُ وَاسْـتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُـورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقـرة: 199]، قال: كـانوا يفيضـون من جمـع فـدفعوا إلى عرفات[3]، وعن ابن عباس قال: كـانت المـرأة تطـوف بـالبيت وهي عريانة؛ فنزلت هذه الآية: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُـلِّ مَسْـجِدٍ﴾ [الأعراف: 31][4]

قال آخر: وهكذا كان رسول اللـه ﷺ يخـالفهم في كـل مـا كان لـه علاقـة بالوثنيـة والجاهليـة، ففي الحـديث عن جـابر في سياق حجة الوداع قـال: (وكـانت العـرب يـدفع بهم أبـو سـيّارة على حمـار عـرى فلمّـا أجـاز رسـول اللـه ﷺ من المزدلفـة بالمشعر الحرام، لم تشـكّ قـريشٌ أنّـه سيقتصـر عليـه ويكـون منزله ثمّ فأجاز ولم يعرض له حتّى أتى عرفات فـنزل)[5]، وهـو يدل على أن قريشا كانت قبل الإسلام تقف بالمزدلفة وهي من الحرم ولا يقفون بعرفات، وكان سائر العـرب يقفـون بعرفـات، وكانت قريش تقول: نحن أهل الحرم فلا نخـرج منـه، فلمـا حج

---

1 () مسلم (١١٨٥)
2 () البخاري (١٥٤٩)، مسلم (١١٨٤)
3 () البخاري (١٦٦٥)، مسلم (١٢١٩)
4 () مسلم (٣٠٢٨)
5 () مسلم (٢٣١٦)

النبي ﷺ ووصل المزدلفة اعتقدوا أنه يقف بالمزدلفة على عادة قريش، فجاوز إلى عرفات لقول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: 199]

قال آخر: وهكذا يذكر الله تعالى أن أهل الجاهلية كانوا يخلطون شعائرهم بالمكاء والتصدية؛ فنهى عن ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنفال: 35]، أي أنهم كانوا يطوفون بالبيت ويصفّقون ويصفرون ويضعون خدودهم بالأرض، فجاء الإسلام وبين أن الطواف لذكر الله، قال رسول الله ﷺ: (إنما جعل الطّواف بالبيت وبين الصّفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله)[1]

قال آخر: ولهذا؛ فإن تصوير الحج بصورة الشعيرة الوثنية عجيب جدا، ذلك أن كل المناسك مرتبطة بالتوحيد، وقد أبطل الإسلام كل المخالفات التي كانت في الجاهلية، وقد قال رسول الله ﷺ في خطبة عرفات: (ألا كلّ شيء من أمر الجاهليّة تحت قدمي موضوعٌ ودماء الجاهليّة موضوعةٌ وإنّ أوّل دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيلٌ وربا الجاهليّة موضوعٌ وأوّل ربا أضع ربانا ربا عبّاس بن عبد المطّلب فإنّه موضوعٌ كلّه)[2]

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك كله؛ فإن المستشرقين أنفسهم يشهدون بأن الحج من الشعائر التي كانت معروفة في جميع الأديان، وأنه لا علاقة له في ذاته بالوثنية، ففي دائرة المعارف الإسلامية قالوا: (ولم يك هذا الحج إلى عرفات أمرا اختص به العرب، فالحج إلى معبد من المعابد عادة سامية قديمة جعلت حتى في الأجزاء القديمة من أسفار موسى الخمس فرضا يجب أداؤه، فقد ورد في سفر الخروج الإصحاح الرابع والثلاثين (ثلاث مرات في السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيد الرب إله إسرائيل)[3]

الزواج:

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فما تقولون في الشبه الذي استدل به المستشرقون بين الإسلام والوثنيين في بعض أنواع

1 () أبو داود في سننه (١٨٨٨)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٨٨٢)

2 () مسلم (١٢١٨)

3 () دائرة المعارف الإسلامية 7/305، وانظر الكتاب المقدس ص 145.

الزواج والختان وغيرهما[1].

قال أحد المشككين: أنتم تعلمون أن الشعوب جميعا مهما اختلفت دياناتها قد تتصف ببعض العـادات الطيبـة الـتي لا يصـح للعاقـل أن يخالفهـا، بـل إن العاقـل هـو الـذي يسـتثمر بعض العادات الطيبة الموجودة، ليبني عليها، ويدعوهم من خلالها إلى ما لم يكن موجودا، أو يصحح ما كان فاسدا.

قال آخر: وقد ورد ي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قـال: (شهدت حلف بني هاشم، وزهرة، وتيم، فما يسرني أني نقضته ولي حمـر النعم، ولـو دعيت بـه اليـوم لأجبت على أن نـأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر، ونأخذ للمظلوم من الظـالم)[2].. فرسول الله ﷺ في هذا الحديث يخبر أنه أقـر ذلـك الحلـف مـع كونه في الجاهلية، وأنه لو دعي مثله في الإسلام لأجاب.

قال آخر: ومثل ذلك ورد في الحديث عن كميل قال: قـال علي بن أبي طالب: يا سبحان الله، مـا أزهـد كثـيرا من النـاس في خير عجبا لرجل يجيئـه أخـوه المسـلم في الحاجـة فلا يـرى نفسه للخير أهلا، فلو كان لا يرجو ثوابا، ولا يخشى عقابـا لكـان ينبغي له أن يسارع في مكـارم الأخلاق، فإنهـا تـدل على سـبيل النجـاح، فقـام إليـه رجـل، فقـال: فـداك أبي وأمي يـا أمـير المؤمنين، أسمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، وما هو خـير، فذكر حديثا في قدوم ابنـة حـاتم الطـائي، وذكرهـا أخلاق أبيهـا، وأنه لم يرد طالب حاجة قط، فقال النبي ﷺ: (خلوا عنهـا، فـإن أباهـا كـان يحب مكـارم الأخلاق، واللـه يحب مكـارم الأخلاق)، فقام أبو بردة بن نياد فقال: يا رسول الله، الله عـز وجـل يحب مكارم الأخلاق؟ فقـال رسـول اللـه ﷺ: (والـذي نفسـي بيـده لا يدخل الجنة أحد إلا بحسن الخلق)[3]

قـال آخر[4]: ومن هـذا البـاب؛ فقـد كـان للعـرب عـادات تأصـلت فيهم؛ فلمـا جـاء الإسـلام أقـر منهـا مـا كـان صـالحا وشجعه.. وبناء على هذا وافق على ما كـان من عـادات العـرب في الزواج وغيره موافقا لروح الإسلام وتشـريعاته، فقـد أقرهـا الإسلام وحض عليها، وما جـاء منهـا مخالفـا للإسـلام في روحـه

---

1 () مصادر الإسلام لتسدال ص 8.

2 () البزار في (المسند)(1/185)

3 () شعب الإيمان (10/374)

4 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /252.

وشرعه كنكاح الجاهلية الذي وصف في بعض الأحاديث، أو عدم الزواج من امرأة المتبني، أو نكاح أكثر من أربع نساء، كل ذلـك أبطلـه الإسـلام وحاربـه لمـا فيـه من أضـرار خلقيـة وفوضـى اجتماعية.

الختان:

قال آخر[1]: ومثـل ذلـك الختـان؛ فهـو سـنة فطريـة وأمـر شـرعي في الكثـير من الـديانات، وقـد ورد في الحـديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: (الفطرة خمس: الاختتان، والاسـتحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط)[2]

قال آخر: وقد ذكرت التوراة أن الختان هو العهد بين الرب وبين إبراهيم وذريته، ومن يترك الختان ينكث العهد، كما ذكـرت أن إبـراهيم ختن وهـو ابن تسـع وتسـعين، وقـد تعاهـد الأنبيـاء وأتباعهم من بعده هذه السنة فقـد انتشـرت في بـني إسـرائيل حتى اعتبروا أن من لم يفعلها قد ارتكب عارا[3].

قال آخـر: وفي الكتـاب المقـدس أن يشـوع مثلا لم يـترك الخارجين من مصـر قلفـا بـل ختنهم جميعـا ليخلصـهم من هـذا العار، وقد ذكرت التوراة أمر الختـان في سـفر يشـوع [1/5 ـ 9]: (وفي ذلك الوقت قال الرب: يشوع اصنع لنفسك سـكاكين من صوان وعد فاختن بني إسرائيل ثانية، فصنع يشوع سـكاكين من صوان وختن بني إسرائيل في تل القلف)

قال آخر[4]: وهو أيضا موجـود في المسـيحية قبـل تبـديلها وإدخال ما ليس فيها من قبل بولس الذي مسـخها وأدخـل فيهـا الوثنية والفلسـفة الإغريقيـة، فقـد جـاء في إنجيـل لوقـا [2/21]: (ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمي يسـوع كمـا تسـمى من الملاك قبل أن حبل به في البطن)

قال آخر: كما أن الختان كان منتشرا في أمم أخرى قديمة كالمصـريين والعـرب، وأهـل أروم، ومـوآب، وبـني عمـون [5].. وغيرها.

قال آخر: وهكذا نـرى من خلال هـذه النصـوص أن الختـان سـنة فطريـة في أمم الأرض قـديما، وسـنة مشـروعة لأهـل

---

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /253.

2 ()مسلم (50) ج 1/221.

3 () الكتاب المقدس ص 24 ـ 25. سفر التكوين الإصحاح 17.

4 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /254.

5 () انظر الكتاب المقدس (العهد القديم) سفر أرميا الإصحاح التاسع فقرة 25.

الأديـان، وفي ذلـك رد كـاف على هـذه الفريـة الـتي أشـاعها المستشرقون.

ب. القرآن والحنفاء:

قال أحد الحضـور: وعينـا هـذا.. فحـدثونا عن الشـبه الـتي أثارها المستشرقون وغيرهم حول القرآن الكريم والحنفاء.

قال أحد المشككين: لقد ذهب بعض المستشرقين، ومنهم (تسدال) و(مستر كانون سل) وغيرهما إلى أن الحنيفية ورجالها قبل البعثة المحمدية هم أحد مصادر القرآن الكريم[1].

قال آخر[2]: وقد اسـتدلوا على ذلـك بوجـود بعض التوافـق بين أحكام القرآن وهداياته وبين ما كان يدعو إليه الحنفـاء مثـل الدعوة لإفـراد اللـه بوحدانيتـه سـبحانه وتعـالى.. ورفض عبـادة الأصــنام.. والوعــد بالجنــان.. والوعيــد بالعقــاب في جهنم.. واختصاص الله تعالى بأسـماء منهـا: الـرحمن، الـرب، الغفـور.. ومنع وأد البنات.. والإقرار بالبعث والنشور والحشر والحساب.

قال آخر: وقـد زعم (شـبرنجر) أن (أفكـار محمـد لا تخـرج عن الأفكار التي كان يدعو إليها زيد بن عمرو بن نفيل)[3]، وهـو أحد هؤلاء الحنفاء.

قـال آخر[4]: ولهـذا ركـز المستشـرقون في أبحـاثهم على أصل كلمة (حنف) وما يشتق منها كحـنيف، وحنفـاء.. وهـل هي عربية الأصل أم عبرية؟ أم كنعانية آراميـة؟ وعلى معانيهـا: هـل هي بمعنى كـافر؟ أو مشـرك؟ أو تـدل على الـراهب النصـراني إلى غير ذلك من المعاني التي ذكروها لهذه الكلمة، وزيـادة في اهتمامهم بهذه الكلمة كتبوا فيها أبحاثا وكتابات مختلفة[5].

قال آخر[6]: وهذه الكلمة تعني الميل، والحنيف هو المائـل إلى الدين المستقيم، كما قال تعـالى: ﴿مَـا كَـانَ إِبْـرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمـــران: 67]، ولـــذلك؛ فـــإن الحنفـــاء هم مجموعـــة من النـــاس متفرقين مالوا عن الوثنية وعن عبادة الأصنام إلى التوحيد، ولم يكن هؤلاء على رأى واحد ولا طائفة واحدة تسـير على شـريعة

---

1 () انظر مصادر الإسلام ص 198 وما بعدها، وكتاب حياة محمد ﷺ 56 ـ 57.
2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /263.
3 () انظر تاريخ القرآن 1/18.
4 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /263.
5 () انظر دائرة المعارف الإسلامية 8/124 ـ 130.
6 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /264.

واحدة ثابتة، وإنما هم نفر من قبائـل شـتى ظهـروا في منـاطق مختلفة اتفقوا على رفض عبادة الأصنام والدعوة إلى الإصلاح.

قال آخر[1]: وكل وهؤلاء الحنفاء كانوا حريصـين أن يصـلوا لدين إبراهيم عليـه السـلام، وكـانوا على يقين أن اللـه سـيبعث من يجدد أمر دين إبراهيم عليه السلام؛ فاختاروا في ذلك كثـيرا وأجهـدوا أنفسـهم في الوصـول لـذلك، فسـاحوا في البلاد يلتمسون ما عند أهل الكتاب والملل لعلهم يجـدون بغيتهم، لـذا تنصر بعضهم كورقة بن نوفل، وعثمان بن حـويرث، وعبيـد اللـه بن جحش، وتهود آخرون.

قال آخر: وهؤلاء جميعـا كـانوا يبحثـون عن دين كالإسـلام، ويبشرون بنبيه، ويتمنون لو يدركوه فينصروه ويسلموا معه كمـا وضح ذلك قس بن ساعدة وورقة بن نوفل.

قال آخر[2]: بالإضافة إلى ذلك؛ فـإن المعـروف من سـيرة رسـول اللـه ﷺ أنـه لم يجلس لأحـد من هـؤلاء الحنفـاء جلسـة تعلم، وإنما كان لقـاؤه لهم لقـاء عـابرا، وكـانوا هم بحاجـة لمن يبصرهم ويرشدهم للدين الذي يرضاه الله عزوجل.

قال آخر[3]: والناظر بـأدنى تأمـل في القـرآن الكـريم ومـا أتى به هـؤلاء الحنفـاء يـرى البـون الشاسـع بينهمـا، حيث يـرى بسـاطة مـا دعـوا إليـه، ويـرى مقابلـه قرآنـا معجـزا في لغتـه وأسـلوبه قـد عجـز العـرب جميعـا عن مضـاهاته مـع فصـاحتهم وطلاقة ألسنتهم.. بل يرى قرآنـا معجـزا في تشـريعاته صـغرت أمامه كل التشريعات البشرية، ويـرى قرآنـا معجـزا في وضـوح عقيدتـه وتكاملهـا وصـدق نبوءتـه فيمـا أخـبر عنـه من غيبيـات، وحقائق علمية ثابتة تحققت في حياته ﷺ وبعد مماتـه، كمـا أنـه من المعروف أن هذا القرآن بقي يتنزل بعد موت هؤلاء الحنفاء حسـب مـا تقتضـيه الحاجـة والمصـلحة، فمن أين يـا تـرى هـذه الاستمرارية له؟

قال آخر: ثم إن هؤلاء الحنفاء كـانوا هم أنفسـهم يخـبرون الناس بقرب بعثـة الرسـول ﷺ، وكـانوا يطلبـون من النـاس أن يتبعوه ولا يخالفوه، ويتمنوا لو يدركوه فيسلموا معـه وينصـروه، فلـو كـانوا هم الأصـل لدعوتـه ولتعليمـه لقـاموا بالـدعوة لـذلك

1 () الوحي المحمدي 2/96 ـ 98.
2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /267.
3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /267.

بأنفسهم وتصدروا أمر الرسالة، ونسبوا لأنفسـهم هـذا الشـرف العظيم.

قال آخر: بل قد تشرفت نفوس بعضهم واشرأبت أعناقهم لهذا الفضل، كأمية بن أبي الصلت الذي لبس المسـوح وتـرهب طمعا به، ولكن الله سـبحانه يـؤتي فضـله من يشـاء من خلقـه والله ذو الفضل العظيم.

قال آخر: أما التقاء الإسلام مع دعوة الحنفاء في بعض مـا صرحوا به واعتقدوه فلا غرابة في ذلك لأن ما عندهم بقايا لدين إبـراهيم عليـه السـلام.. فمن هـذا القبيـل جـاء الاتفـاق بينهمـا بالـدعوة إلى وحدانيـة اللـه سـبحانه وتعـالى، ومحاربـة الشـرك بأنواعــه، وخلــع عبــادة الأصــنام، والأوثــان بأشــكالها والــدعوة للأخلاق الفاضلة، ومحاربة الفساد والرذيلة.. لكن كل ذلـك كـان في الإسلام أتم وأكمل وأشمل.

قال آخر[1]: وذلك لأن والإسلام ما جاء ليهدم كل ما وجـده في طريقه، لا بـل مـا كـان منـه موافقـا للإسـلام أبقـاه ودعمـه وأحياه، وقد وضح هذا المعنى قوله ﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[2]، وهـو المبـدأ الـذي جعـل الرسـول ﷺ يحضـر حلـف الفضول في دار عبد الله بن جدعان قبل بعثته لأنه يتوافــق مـع قيم الإسلام ومكارمه.

قال آخر[3]: ومن هنا يتـبين الفـرق بين نبـوة كاملـة تامـة، وشــرع متكامــل، وقــرآن معجــز عظيم، وبين بقايـا دين طمس نوره بين حطام الجاهلية وأو حال الشرك والوثنية، فالقرآن بمـا حواه من لغة رفيعة المستوى، وأسـلوب محكم بـديع وبمـا فيـه من فصاحة وبلاغة خارقة، وحكم بالغـة، وأمثـال محكمـة، وذكـر لأحــوال الماضــين من أنبيــاء وأمم وأنبــاء المســتقبل، وعلاقــة الإنسان بخالقه وعلاقته بغيره، والتشـريع العظيم الشـأن الـذي صار موضوع بحث الأئمة المجتهـدين، والعلمـاء الأعلام لا يكـون مصدره اجتماع زيد بن عمرو برسول الله ﷺ مصادفة في حراء أو في الطريق، ولكنها الرسالة التي بعث بها أكرم رسـول وهـو محمد ﷺ من عند الله عزوجل؛ فوافق نـوره بقايـا النـور الإلهي الضارب في أعماق التاريخ لإبراهيم عليـه السـلام والـذي حمـل

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /268.

2 () الموطأ 2/904.

3 () حياة محمد ﷺ، محمد رشيد رضا ص 56.

مشعله ركب الأنبياء الكـرام من ذريتـه، وتعهـده الصـالحون من أقوامهم، أمثال هؤلاء الحنفـاء الـذين كـانوا يتمنـون أن يـدركوه وينالوا من شرف الإسلام العظيم، كما نال ذلك منهم أبــو قيس بن الأسلت في المدينة المنورة وغيره.

ج. القرآن واليهودية:

قال أحد الحضـور: وعينـا هـذا.. فحـدثونا عن الشـبه الـتي أثارهـا المستشـرقون وغـيرهم حــول القـرآن الكـريم والبيئـة اليهودية.

قــال أحــد المشــككين: لقــد زعم (تســدال) و(ماســيه) و(أندريـه) و(لامـنز) و(جولـد تسـيهر) و(نولديكـه) وغـيرهم من المستشرقين أن اليهوديـة مصـدر من مصـادر القـرآن الكـريم، واسـتدلوا على ذلـك بالتشـابه بين مـا ورد في القـرآن الكـريم والكتب اليهودية في القصـص، كقصـة ابـني آدم عليـه السـلام، وقتل أحدهما للآخر، وقصة إبراهيم عليه السلام وإنقاذه من نـار النمرود، وقصـة سـليمان عليـه السـلام مـع ملكـة سـبأ، وقصـة هاروت وماروت، وقصة موسى عليه السلام وبعض مواقف لـه، وغير ذلـك.. وكالتشـابه في بعض القضـايا العقديـة والتشـريعية والحث على مكارم الأخلاق[1].

قال آخر: والجواب على هـذا كمـا سـبق، وهـو أن القـرآن الكريم يعترف بالأديان السابقة، ويوجب على أتباعه أن يعـترفوا بهـا، وبالرسـل الـذين حملوهـا إلى أقـوامهم، كمـا قـال تعـالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِـالْحَقِّ مُصَـدِّقًا لِمَـا بَيْنَ يَدَيْـهِ مِنَ الْكِتَـابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48]

قال آخر[2]: ولهذا نرى المسلمين يمتازون عن بقيــة الأمم بتعظيمهم رسل اللـه عليهم السـلام جميعـا، ويثبتـون في حقهم صــحة العقــول، والصــدق في القــول، والأمانــة في التبليــغ، والعصمة من كل ما يشوه مسيرتهم، وسلامة أبدانهم ممـا تنبـو عنه الأبصار، وتنفر منه الأذواق السليمة.

قال آخـر: وبخلاف هـذا نجـد موقـف اليهـود والمسـيحيين، حيث نرى عندهم التشنيع على أنبيائهم، ونسـبة مـا لا ينبغي في حقهم، وإيذائهم بالسب والطعن والقتل.

---

1 () انظر مصادر الإسلام لتسدال ص 29 وما بعدها (الفصل الثالث)، وانظر مذاهب التفسير الإسـلامي ص 6، 10، وتاريخ القرآن لنولديكة 1/6.

2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /335.

قال آخر: ولهذا ـ كما ورد في القرآن الكريم تصحيح ما كان عليه الوثنيون من جهالة ـ فقد ورد فيه تصحيح ما وقع فيه اليهود من أخطاء وانحرافات، كما قال قال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: 181].. وقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: 64]

قال آخر: ومثل ذلك موقفهم من رسل الله عليهم السلام؛ فقد بينه الله تعالى، فقال: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: 70]

قال آخر: ومثل ذلك موقفهم من الملائكة عليهم السلام، فقد شنع الله تعالى عليهم موقفهم منهم، فقال: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 97 ـ 98]

قال آخر: ومثل ذلك شنع الله تعالى عليهم استخفافهم بالوحي وبالكتب الإلهية، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 78]

قال آخر[1]: بالإضافة إلى هذا؛ فإن التاريخ يشهد أن اليهود لم يسكتوا لحظة في عدائهم لرسول الله ﷺ ومحاربتهم له بكل أنواع الأسلحة الدعائية العدائية، وترويج الإشاعات في الوسط المسلم، وتحريض قريش عليه، ووصل الأمر إلى حملهم السلاح ضد الإسلام، لذا، فإنه لو كان رسول الله ﷺ أخذ شيئا من كتبهم، فما الذي سيسكتهم عن كشفه وبيان عوار دعوته وفضح ادعائه، وبيان عدم صدقه في دعوته؟

قال آخر: بالإضافة إلى هذا؛ فإن الكتاب المقدس ـ وباعتراف أكثر المستشرقين ـ لا يصلح أن يكون مرجعا لدعوة

---

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1/ 341.

بشرية؛ فكيف يكون مصدرا لدعوة إلهية كدعوة نبينـا محمـد ﷺ لمـا فيـه من العقائـد الفاسـدة، وسـوء أدب مـع الأنبيـاء عليهم السـلام، ولمـا فيـه من اضـطراب وتنـاقض، وتحريـف ونقض واضح[1].

القصص:

قال آخر: أمـا زعمهم اقتبـاس القـرآن الكـريم من قصـص الكتـاب المقـدس عن طريـق أهـل الكتـاب، أو عن طريـق من أسلم من أحبارهم، أو من القبائل اليهودية، الـتي كـانت تسـكن في المدينة المنورة، فقد رد على ذلـك بعض المتكلمين، فقـال: (إن ما انطوى عليه القرآن من قصص الأولين، وسير الماضـين، وأحاديث المتقدمين وذكر ما شجر بينهم، مما لا يجـوز علمـه إلا لمن كثر لقاؤه لأهل السير ودرسه لها وعنايتـه بهـا، ومجالسـته لأهلها، وكان ممن يتلو الكتب ويستخرجها، مـع العلم بـأن النـبي ﷺ لم يكن يتلو كتابا ولا يخطه بيمينه، وأنـه لم يلـد ممن يعـرف بدراسة الكتب ومجالسة أهـل السـير والأخـذ عنهم، ولا لقي إلا من لقــوه، ولا عــرف إلا من عرفــوه، وأنهم يعرفــون منشــأة وتصرفه في إقامتـه بينهم وظعنـه عنهم فـإن ذلـك المخـبر عن هذه الأمور هو الله سبحانه وتعالى علام الغيوب)[2]

قال آخر[3]: ثم إن الناظر في القصص المذكور في القرآن الكريم مقارنا بقصص العهد القديم يجد بينهـا فرقـا واضـحا في المحتوى والغرض والأسلوب.. ففي القصة القرآنيـة نجـد دعـوة للتوحيد، ومكـارم الأخلاق، وإظهـار الأنبيـاء بأجمـل صـورة تليـق بمقامهم من العصمة، ومكارم الأخلاق، وسلامة الفطـرة، وغـير ذلك بعكس القصص الموجود في الكتاب المقدس.

قـال آخر[4]: فـالمطلع على الكتـاب المقـدس يجـد فاتحـة التوراة عنيت بتدوين التاريخ فأول سفر من أسفارها وهو (سفر التكوين) سرد لتاريخ الخلق منذ بدء الخليقـة إلى مـوت يوسـف عليه السلام، كما أن فواتح الأناجيل الأربعة دونت تاريخ المسيح عليه السلام وسيرته، أما القرآن الكريم ففعلى عكس ذلك فقد أشارت فاتحته لتوحيد الله عزوجـل وبيـان كيفيـة عبوديتـه، وأن نهاية كل حي أن يقف بين يدي الله مالك يـوم الـدين، وصـنفت

1 () انظر تفاصيل ذلك ودلائله في كتاب: الكلمات المقدسة، للمؤلف.
2 () إعجاز القرآن، ص 51، طبعة مصر 1954 م.
3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /342.
4 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /342.

الناس إلى فريقين حسب استقامتهم تبعا لأوامر الله أو مخالفتهم لها.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ نجد قصص الكتاب المقدس تسيء إلى الله تعالى وإلى رسله عليهم السلام أيما إساءة، بخلاف القرآن الكريم الذي ينزه الله تعالى ورسله عليهم السلام، ومن الأمثلة على ذلك هذا النص التوراتي الذي يصف الله تعالى بالتعب: (فأكملت السموات والأرض وكل جندها، وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمله)(1).. وهذا النص الذي يذكر قصة آدم عليه السلام: (وسمعا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة فنادى الرب الإله آدم وقال له: أين أنت)(2)

قال آخر(3): كما أساء اليهود للأنبياء عليهم السلام، إما باتهامهم بالكذب تارة، أو بقلة المروءة تارة أخرى.. بل وصل الأمر بهم إلى رميهم بالفاحشة.. ولهذا كان من أغراض ذكر قصصهم في القرآن الكريم فضح أباطيلهم، وكشف زيغهم وانحرافهم، وليحمي شرف الوحي، وجلال النبوة.

قال آخر(4): ومن الأمثلة على ذلك تصويرهم لنوح عليه السلام ـ الصبور الشاكر الداعية لرب العالمين ـ بصورة السكير الذي يشرب الخمر، ويتعرى داخل خبائه فيدخل عليه ابنه الصغير، فيرى عورته فيسخر منه، ويذهب فيخبر أخاه الأكبر منه، فيحضر ويغطي سوأة أبيه ويعلم أبوهم الخبر فيدعو على الصغير أن يجعله وذريته عبيدا لسام وذريته.. وقد تنزل القرآن الكريم ليكشف هذه الأباطيل ويردها، ويبرئ نبي الله نوحا عليه السلام، ويرد زيفهم ويكشف ما قصدوه وراء هذا الافتراء(5).

قال آخر: ومثل ذلك ما رموا به لوطا عليه السلام ــ النبي الكريم الذي آتاه الله حكما وعلما ـ حيث نجدهم يحيكون حوله أبشع التهم من مؤامرة ابنتيه عليه حتى سقتاه خمرا، وضاجعتاه، وهو لا يدري فحملتا منه سفاحا، فجاء منهما

1 () سفر التكوين 2/1.
2 () سفر التكوين 3/8.
3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /343.
4 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /343.
5 () انظر كتاب معركة الوجود ص 155 ـ 158.

المؤابيون وبنو عمون إلى اليوم[1].
قال آخر[2]: لكن الله تعالى أبى أن تلوث سيرة نبي من أنبيائه وولي من أوليائه بمثل هذه الصورة، فأنزل صفته وسيرته وعفته وإيمان أهل بيته إلا امرأته بآيات تتلى.
قال آخر[3]: وهكذا نجدهم يقدمون لإبراهيم عليه السلام صورة كئيبة مادية، وهو يتاجر في زوجته الجميلة عند الملوك ليربح ويأكل، كما يفعل المرابون اليهود إلى يومنا هذا؛ فبرأ الله نبيه عليه السلام من هذا البهتان العظيم.
قال آخر[4]: وهكذا دنس اليهود سيرة أبيهم يعقوب (إسرائيل) عليه السلام فصوروه سارقا للنبوة من أخيه، ومستغلا استغفال أبيه، والكذب عليه إلى درجة التمثيل الساذج والتلاعب البين الذي لا يخرج عن أساطير الصغار، وهزل الصبيان [5].. أما القرآن الكريم فصوره بأجمل صورة للوفاء والإيمان والنور والبصيرة، كما أنه وصف ابنه يوسف عليه السلام بأجمل وصف.
قال آخر: وهكذا دنس اليهود سيرة النبي الصالح داود عليه السلام؛ فقد خصوه وأهل بيته بالتهم الباطلة المخلة للشرف والعفة؛ فجعلوا منهم أسرة تعيث في الخطايا والدنس بكل ألوانه، فهم يرمونه عليه السلام ابتداء بارتكاب فاحشة الزنا مع زوجة قائده (أوريا) فحملت منه سفاحا بسليمان عليه السلام، ولم يكتف داود عليه السلام بذلك ـ كما يزعمون ـ بل يرمونه، بأنه تخلص من هذا القائد بوضعه في مقدمة الجند وأمرهم بالرجوع عنه وعن القلة الذين معه حتى قتل وتزوج زوجته؛ فعاقب الله عزوجل داود عليه السلام ـ كما يزعمون ـ بأن سلط عليه ابنه (أبشالوم) فنزع منه ملكه وزنا بسراري أبيه أمام جميع بني إسرائيل.. ويصورونه فوق ذلك كله بأنه كان لاهيا عن ربه عزوجل مشغولا بنسائه وسراريه [6].
قال آخر: لذا جاء القرآن الكريم ليطهر ساحة هذا النبي الكريم ويبرئه وأهله من تهمة الفواحش المنسوبة إليهم،

1 () انظر سفر التكوين، الإصحاح ص 19.
2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /344.
3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /344.
4 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /345.
5 () انظر سفر التكوين، الإصحاح (27) وما بعدها، وانظر معركة الوجود ص 157.
6 () انظر سفر صمويل الثاني 2/11 وما بعدها.

فصوره قانتا منيبا راكعا، عابدا عدلا، كما قال تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: 17 ـ 20]

قال آخر[1]: وهكذا دنس اليهود سيرة النبي الصالح سليمان عليه السلام ـ النبي المجاهد العادل ـ فقد نسبوا إليه كل خطيئة ورذيلة وفجور، فقد اعتبروه ابن زنا، راكضا وراء شهواته، لاه عن عبادة ربه كأبيه، كما نسبوا له نشيد الإنشاد، ذلك الغزل الداعر الذي يعتبرونه وحيا يتعبدون بتلاوته.. وقد تنزل القرآن الكريم ليبين حقيقة سيرة هذا النبي الكريم الشاكر لأنعم الله الأواب العابد المجاهد، كما قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 30]

قال آخر[2]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن القصص القرآني صادق غير مثقل بالجزئيات والتفاصيل التي تصرف الفكر عن التدبر والاعتبار بعكس القصص الواردة في الكتاب المقدس.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن القرآن الكريم لم يسرد كل قصص الأنبياء والمرسلين عليهم السلام كما فعل الكتاب المقدس، بل اختار بعضهم بما يتفق وحال الدعوة الإسلامية، مركزا على جانب العظة والعبرة في قصصهم.

قال بعض الحضور: فما تقولون في إنكار (تسدال) وغيره من المستشرقين كون قصة قابيل وهابيل موجودة في التوراة، وأن القرآن الكريم اخترعها، ومثلها قصة رفع الجبل فوق رأس بني إسرائيل كأنه ظلة في قصة موسى عليه السلام؟

قال أحد المشككين[3]: أما إنكار (تسدال) وغيره من المستشرقين كون قصة قابيل وهابيل موجودة في التوراة، وإنما هي في كتاب اسمه (بيرك رابي وليزر)، فهو زعم باطل حيث ذكرت في سفر التكوين [الإصحاح الرابع الفقرة 1 ـ 16]، ولا مانع من وجودها في مصادر متعددة، بل ذلك ما يؤكد صحتها ووقوعها.

قال آخر[4]: أما إنكار (تسدال) لقصة رفع الجبل فوق رأس بني إسرائيل كأنه ظلة في قصة موسى عليه السلام

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1/ 345.
2 () سيكلوجية القصة في القرآن ص 70.
3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1/ 347.
4 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1/ 347.

حيث زعم أن القصة ليست في العهد القديم، وإنما أخذها رسول الله ﷺ من كتاب (الأكسودس)[1].. فهذه القصة لم تصرح التوراة بها صراحة، ولكنها أشارت إليها في سفر الخروج حيث جاء فيه: (فانحدر موسى من الجبل إلى الشعب وقدس الشعب وغسلوا ثيابهم وقال للشعب كونوا مستعدين لليوم الثالث لا تقربوا امرأة، وحدث في اليوم الثالث لما كان الصباح أنه صارت رعودا وبروقا وسحابا ثقيلا على الجبل وصوت بوق شديد جدا فارتعد كل الشعب الذي في المحلة لملاقاة الله فوقفوا في أسفل الجبل، وكان جبل سيناء، كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار، وصعد دخانه كدخان الأتون، وارتجف كل الجبل جدا فكان صوت البوق يزداد اشتدادا جدا وموسى يتكلم والله يجيبه بصوت)[2]

قال آخر[3]: فعبارة (تحت الجبل)[4] تحتمل أنه على سفحه، وفي أسفله.. وتحتمل [تحت] أن الجبل صار كأنه ظلة فوقهم، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم.. وما جاء في التوراة في سفر الخروج ليس بعيدا عن هذا، بل هو نفسه لأن وصف الجبل بهذه الصورة من الحركة والارتجاف الشديد مقدمة للنتق ويكون عندئذ كلام (تسدال) مجرد قلب للحقائق.

قال آخر[5]: وحتى لو فرضنا أن القصة لم يذكرها سوى القرآن الكريم، فإن في ذلك ميزة لهذا الكتاب العظيم على غيره من الكتب، حيث ذكر قصة نبي من الأنبياء عليهم السلام عانى من قومه أكثر مما عاناه أي نبي آخر حتى وهم يظهرون أنهم سائرون معه طائعون لأمره، فقصة الجبل تبين نفسية بني إسرائيل، حيث صورتهم على حقيقتهم، وأنهم لا يتوبون إلا بالعصا، ولا يخافون حتى يروا العذاب الأليم.

قال آخر[6]: أما ما ذكره (تسدال) من أن القصة أسطورة هندية فهو مجرد ادعاء، حيث لم يبين لنا أين ذكرت هذه القصة عندهم، ولا في أي مرجع هندي، والذي يعرف أسلوب (تسدال) وغيره من المستشرقين غير المنصفين لا يأمن منهم أي كذب

---

1 () انظر مصادر الإسلام ص 14 وما بعدها.

2 () العهد القديم سفر الخروج 19/14 ـ 19.

3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /348.

4 () مصادر الإسلام ص 40 وما بعدها.

5 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /348.

6 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /349.

أو ادعاء.

قال بعض الحضور: فما تـردون على (تسـدال) وغـيره من المستشرقين الذين زعموا أن المسـلمين ذكـروا نـزول القـرآن من اللوح المحفـوظ، وحفظـه فيـه تقليـدا لوضـع موسـى عليـه السلام الألواح في التـابوت، وظنـا منهم أن التـابوت هـو اللـوح المحفوظ[1].

قـال أحـد المشـككين[2]: هـذا من تـزييفهم للحقـائق؛ فهم عندما يريدون أن يجعلوا محمدا ﷺ مؤلفا للقرآن الكريم يصفوه بالذكي الألمعي الذي اسـتطاع بجلسـات قصـيرة ومحـدودة مـع أحبـار اليهـود ورهبـان المسـيحيين وتلاميـذ المجوسـية وكهـان السامرائية أن يؤلف كل هذه العقائد والشرائع، وعندما يريـدون تقرير أغاليط كهذه يصفون أتباعه بالبساطة والسذاجة لقبـولهم كل هذه الأمور حيث لم يعرف محمد ﷺ هذا اللـوح أهـو تـابوت موسى عليه السلام أم اللوح السماوي المحفوظ بالملائكة عنـد اللـه تعـالى، وهـذا نـابع من عـدم إيمـان هـؤلاء المستشـرقين بالنبوات والرسل وإلا لمـا أسـاءوا هـذا الفهم وحملـوه لرسـول الله ﷺ.

قـال آخر[3]: وقـد ذكـر اللـه تعـالى تـابوت موسـى عليـه السـلام، كمـا قـال تعـالى: ﴿وَقَـالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَـةَ مُلْكِـهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَـرَكَ آلُ مُوسَـى وَآلُ هَـارُونَ تَحْمِلُـهُ الْمَلَائِكَـةُ إِنَّ فِي ذَلِـكَ لَآيَـةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُـؤْمِنِينَ﴾ [البقـرة: 248]، والآيـة الكريمـة توضـح جليـا أن اللـوح المحفوظ غير التوراة والألواح اللذين كانا في التابوت .

قال آخر[4]: أما كون الآجال والأعمال والتقادير مكتوبة في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض فقـد ذكرتهـا آيـات أخرى، منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَـلْنَا رُسُـلًا مِنْ قَبْلِـكَ وَجَعَلْنَـا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَـا كَـانَ لِرَسُـولٍ أَنْ يَـأْتِيَ بِآيَـةٍ إِلَّا بِـإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَـابٌ يَمْحُـو اللَّهُ مَـا يَشَـاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْـدَهُ أُمُّ الْكِتَـابِ﴾ [الرعد: 38 ـ 39]، حيث حمل المحو والإثبات من الصحف الـتي في أيدي الملائكة وأن قولـه: ﴿وَعِنْـدَهُ أُمُّ الْكِتـابِ﴾ أي أصـله، وهـو اللوح المحفوظ.

---

1 () مصادر الإسلام ص 40 وما بعدها.

2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /349.

3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /350.

4 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /350.

قال بعض الحضور: فما تـردون على (تسـدال) وغـيره من المستشرقين الذين أنكروا قصة العجل الذهبي الذي عبـده بنـو إسرائيل، وذلك لأن القرآن الكريم ذكر أن صانعه هو السـامري الـذي ظن (تسـدال) أنـه من السـامرة الـتي لم توجـد إلا بعـد موسى بأربعمائة سنة[1].

قال أحد المشككين[2]: هذه القصة التي أنكرهـا (تسـدال) للمدة الطويلـة الفاصـلة بين موسـى عليـه السـلام والسـامري المنسوب للسامرة، جهل واضـح منـه؛ فالقصـة قـد ذكـرت في العهد القديم حيث ورد فيه: (فانصرف موسى ونـزل من الجبـل ولوحا الشهادة في يده، وسمع يشوع صوت الشـعب في هتافـه فقال لموسى صوت قتال في المحلة، وكان عند مـا اقـترب لي المحلة أنه أبصر العجل والرقص، فحمى غضب موسـى وطـرح اللوحين من يديه وكسـرهما في أسـفل الجبـل، ثم أخـذ العجـل الذي صنعوا وأحرقه بالنار وطحنه حـتى صـار ناعمـا وذراه على وجه الماء وسقى بني إسرائيل وقال موسى لهارون: ما ذا صنع بك هذا الشعب حتى جلبت عليه خطية عظيمة!؟ فقـال هـارون لا يحم غضب سيدي، أنت تعرف الشعب أنه في شر، فقالوا لي اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لأن هذا موسى الرجل الـذي أصـعدنا من أرض مصــر لا نعلم مــا ذا أصــابه فقلت لهم من لــه ذهب فلينزعه ويعطيني، فطرحته في النار فخرج هذا العجل)[3]

قال آخر[4]: فالقصـة واحـدة في المصـدرين، لكن التـوراة المحرفة نصت ـ زورا وبهتانا وكذبا ـ أن صانع العجل هو هـارون عليه السلام، أما القرآن الكريم فقد برأ نـبي اللـه هـارون عليـه السلام ورد الأمر لحقيقته، وأن صانعه هو سامري موسى عليــه السلام، وليس سامري السـامرة كمـا ظن ذلـك (تسـدال) ممـا جعله ينكر هذه القصة.

قـال آخـر: وقـد رد بعض البـاحثين علي إنكـار (تسـدال) للقصة لذكر القـرآن الكـريم السـامري على أنـه صـانع العجـل، فقــال: (الســامري ليس منســوبا إلى (ســامره) في مدينـــة (نــابلس) في فلســطين بــل إلى (شــامر) بالشــين في اللغــة العبريــة، ويغلب أن تكــون (الشــين) في العبريــة (ســينا) في

---

1 () مصادر الإسلام ص 37 وما بعدها.

2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /351.

3 () العهد القديم، سفر الخروج 23/15 ـ 26.

4 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /352.

العربية فهو سامر كما ينطقها سبط أفرايم بن يوسف عليه السلام، وقد كان رجال سبط يهوذا في بعض الحروب يمتحنون الرجل ليعرف هل هو من سبط يهوذا أو أفرايمي بأن يأمروه بأن ينطق (شبولت) ــ سنبله ــ فإذا قال (سبولت) علم أنه أفرايمي ومعنى (شامر) أو سامر كما هو في النطق العربي والأفرايمي (حارس) فالسامري نسبة إلى سامر ونطقها العبرية (شومير) من مادة شمر أي حرس، فقد جاء في سفر التكوين: (فقال الرب لقابيل أين هابيل أخوك؟ فقال: لا أعلم، (ه شومير حى أنواخي؟)[1] وترجمتها (أحارس أنا لأخي)[2]

قال آخر[3]: وبهذا يبطل الالتباس الذي حصل (لتسدال) في شخص السامري، ويبقى (تسدال) دون مستند تاريخي لإبطال القصة، ويظهر بطلان دعوى التوراة كون هارون عليه السلام هو صانع العجل، ويظهر جليا أن ما رمي به نبي الله هارون عليه السلام هو مما رمي به الأنبياء الآخرون من الافتراء والكذب عليهم.. ولذلك؛ فإن خير من دافع عن نبي الله هارون عليه السلام القرآن الكريم، كما قال تعالى يذكر القصة كما وقعت: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: 147 ـ 150]

قال بعض الحضور[4]: فما تقولون في إنكار (تسدال) لقصة صعق شيوخ بني إسرائيل[5].

قال بعض الحضور[6]: هذه القصة مما انفرد به القرآن

---

1 () سفر التكوين، الإصحاح الرابع الآية (9)
2 () قصص القرآن، النجار ص 224.
3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1/ 354.
4 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1/ 354.
5 () انظر مصادر الإسلام ص 30 وما بعدها.
6 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1/ 354.

الكريم باعتباره المهيمن على غيره من الكتب في صدقه ودقته وكشفه عن المستور، فقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 55 ـ 56].. ولا شك أنها مما أخفاه بنو إسرائيل، وذلك لأنها تمس شيوخهم ورؤساءهم، أما القرآن فقد وضح ما حصل منهم بأجلى صورة لما بين أن القوم قد ظلموا أنفسهم وقارفوا إثما كبيرا بعبادة العجل، وحينها اختار موسى عليه السلام من القوم سبعين رجلا يذهبون معه إلى الجبل الذي اعتاد أن يناجي الله فيه ليقدموا الطاعة والندم على ما اقترفوا من الإثم، فلما عادت جماعة منهم إلى التمرد والعصيان، وقالوا له: لن نؤمن أن الله نبأك وأعطاك الكتاب حتى نرى الله تعالى جهرة بأعيننا لا يحجبه حجاب ولا يستره ساتر، وعلى إثر هذا الطلب من القوم أخذتهم الصاعقة وهم ينظر بعضهم إلى بعض، يتهافتون على أديم الأرض ليكون ذلك برهانا فعليا لديهم على أن ما أصابهم حق لا شبهة فيه، ثم بعثهم الله تعالى بعد موتهم بعد التضرع من موسى عليه السلام وطلبه العفو عما صدر من سفائهم والغفران لزلتهم، فغفر الله لهم ذلك وأعادهم بمشيئته وقدرته سبحانه[1].

قال آخر[2]: أما التوراة فقد أشارت لهذه القصة إشارة خفية عند ما تحدثت عن خروج السبعين مع موسى عليه السلام لميقات الله سبحانه حيث جاء فيها: (وكان جميع الشعب يرون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخن، ولما رأى الشعب ارتعدوا ووقفوا من بعيد وقالوا لموسى: تكلم أنت معنا فنسمع ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت، فقال موسى للشعب لا تخافوا)[3].. فقولهم: (ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت)، تشير إلى شدة الموقف، وهذا لا يمنع من صعقهم كذلك بسبب طلبهم الرؤية، والذي يقرأ تاريخ بني إسرائيل لا يستغرب طلبا منهم كهذا.

قال آخر: ويشهد لهذا ما ذكره (أتسلم تورميدا) الذي أسلم بعد أن كان نصرانيا في القرن التاسع وسمى نفسه أبا

---

1 () قصص الأنبياء ص 293.

2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /356.

3 () سفر الخروج الإصحاح 2/18 ـ 20.

محمد عبد الله الترجمان الميورقي، فقد ذكر في كتابه: (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب) مؤكدا ما جاء في القرآن الكريم حيث قال: (وإن قلتم أن عيسى إله لأجل الآيات الخارقة التي ظهرت على يديه فعلماؤكم يعلمون أن اليسع النبي عليه السلام أحيا ميتا في حياته وميتا بعد وفاته والتصرف بمعجزة الإحياء في البرزخ بعد الموت أعجب منها قبل الموت، وإلياس النبي عليه السلام أحيا أيضا ميتا)[1]

قال آخر: ومن قصص الإحياء بعد الإماتة عندهم، أن مات اليشع وأوتي بميت ووضع في نفس القبر مع اليشع فعادت الحياة إلى جسم ذلك الميت حالما مس جثمانه عظام النبي[2].

قال آخر[3]: ولذلك؛ فلا داعي لاستغراب (تسدال) لمثل هذه الواقعة واستنكارها وعدها من باب الخرافة مع أن أمثالها مذكور في كتبهم، ومع أن كثيرا من المستشرقين يعتمدون كتاب (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب)، منهم (أمسين بلانيوس) و(مايكل ابيلزا)[4].

الأحكام:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن الشبه التي أثارها المستشرقون وغيرهم حول التشابه الموجود بين بعض العبادات المذكورة في القرآن الكريم كالصلاة والصوم وبعض المناسك مع نظيراتها عند اليهود.

قال آخر[5]: ومثل ذلك ما ورد من الدعوة للتوحيد، أو أن لجهنم خازنا سماه القرآن الكريم (مالك).. وقصة استراق الشيطان للسمع وطردهم بالشهب.. ومخاطبة الله تعالى لجهنم بسؤالها: هل امتلأت؟.. والإخبار أن الأرض يرثها الصالحون.. والتشابه كذلك في الحث على مكارم الأخلاق كالنهي عن الكذب، والإحسان للفقراء والمساكين، وعدم مضايقة وإيذاء الآخرين، وعدم الحقد، وأن تحب الآخرين كحب ذلك لنفسك، وعدم الانتقام والإحسان للوالدين.

قال آخر: ومثل ذلك التشابه في بعض التشريعات كحرمة السرقة والقتل، وعدم الاعتداء، والجور في القضاء، وحرمة

---

1 () تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ص 153 ـ 154.

2 () انظر قاموس الكتاب المقدس ص 111 ـ 112 نقلا عن تحفة الأريب ص 154.

3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /357.

4 () انظر مجلة الحوادث ص 62 عدد 1274 عام 1981 نقلا عن حاشية تحفة الأريب ص 23.

5 () مصادر الإسلام ص 13 وما بعدها.

الزنـا، وحرمـة شـهادة الـزور، وحرمـة التطفيـف في الكيـل والميزان.

قـال أحـد المشـككين[1]: أمـا بخصـوص الصـلاة والصـيام والحج، فهي عبـادات في كـل الـديانات السـماوية، أو الـتي لهـا شبهة كتاب سماوي سـواء سـبقت الإسـلام أو سـبقت اليهوديـة والمسـيحية كالمجوسـية والصـابئة والزرادشـتية وغيرهـا من الديانات.

قال آخر[2]: أما ما زعمه (تسدال) من أن صلاة المسلمين في غـير المسـاجد كـانت تـأثرا بفعـل اليهـود ذلـك في زوايـا الشوارع، فهو مردود عليه من الناحية التاريخية حيث لم يعـرف عن اليهـود والنصـارى الصـلاة إلا في الأمـاكن المخصصـة لهـا كالكنائس، والبيع، والأديرة، وغيرها.

قال آخر[3]: أما ما استدل به (تسـدال) على أخـذ الإسـلام من اليهودية التشابه في الوصايا العشر، وزعم أن هذه الوصـايا قد أخـذها الإسـلام من كتـاب (جيمـارا)[4].. فهـو دليـل على أن هؤلاء المستشـرقين إذا أرادوا إثبـات أخـذ الإسـلام من التـوراة استشهدوا بما يحكمون عليـه في مـواطن أخـرى ببطلانـه، وإذا أرادوا إثبات أخذ الإسلام من مصـادر غـير موثوقـة أسـقطوا مـا كانوا قد اعتبروه مصدرا أصيلا.

قال آخر[5]: ومن الأمثلـة على ذلـك أن (تسـدال) لمـا أراد إثبات أن سفر التكوين لا يعتـد بـه رده مثبتـا أنـه قـد كتب سـنة 220 م مع أن هذا يخـالف إجمـاع اليهـود والنصـارى، وهـو يـدل على أن هذا الكتاب ليس كلمة الله، لأنـه يحتمـل دخـول النقص والزيـادة عليـه ولا يـؤمن تغيـيره وتبديلـه، وكـل هـذا ليـدلل أن محمدا ﷺ كان يعتمد على مصادر غير أصـلية في اليهوديـة، مـع العلم أن الإسـلام دين إلهي لم يعتمـد على أي مصـادر لأي دين سواء كانت أصلية أو غير أصلية.

قـال آخـر: بالإضـافة إلى ذلـك؛ فـإن تلـك الوصـايا الإلهيـة جاءت بها كـل الشـرائع، فعن ابن عبـاس أنـه قـال في الوصـايا العشر في القرآن الكريم: (هذه الآيـات محكمـات لم ينسـخهن

---

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /358.

2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /358.

3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /359.

4 () مصادر الإسلام ص 13 وما بعدها (فصل اليهودية كمصدر)

5 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /359.

شيء من جميع الكتب من عمل بهن دخل الجنة ومن كفــر بهن دخل النار)[1]

قال آخر[2]: وقد وردت هذه الوصايا أو بعضها في الإسلام، واليهوديــة، والمســيحية، والبوذيــة، لكن بالمقارنــة بينهــا يظهــر أســلوب القــرآن الفريــد، وتمــيز معانيــه على غــيره من الكتب الأخرى.

قال آخر[3]: فمن الأمثلة على ما ورد في الوصـايا البوذيـة: (لا تزهـق روحـا.. لا تأخـذ مـا لا تسـتحق.. لا تـزن.. لا تكـذب أو تغش أحدا.. لا تسكر.. كل باعتدال ولا تأكل شيئا بعد الظهر.. لا تشهد رقصا ولا تسمع غنـاء أو تمـثيلا.. لا تلبس حليـا ولا تتعطـر ولا تتخذ زينة.. لا تنم في فرش باذخة.. لا تقبل ذهبـا ولا فضـة)، والوصايا الخمس الأولى واجبة على كل بوذي على الـدوام، أمـا الخمس الأخيرة فهي واجبة الاتباع في أيام الصـوم، إلا الرهبـان فإن عليهم اتباع الوصايا كافة في سائر الأوقات.

قـال آخر[4]: وهكـذا نجـد أمثـال هـذه الوصـايا في أسـفار العهد القديم كسفر الخروج، وسفر اللاويين، والتثنيـة، ومنهـا (لا يكن لك آلهة أخـرى أمـامي.. لا تضـع لنفسـك آلهـة مسـبوكة لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا.. أكـرم أبـاك وأمـك.. لا تقتـل.. لا تزن.. لا تسرق.. لا تشهد على قريبك شهادة زور.. لا تشته بيت قريبــك ولا شــيئا ممــا لقريبــك.. لا تقبــل خــبرا كاذبــا.. لا تتبــع الكثيرين إلى فعل الشــر.. لا تحـاب مـع المسـكين في دعـواه.. افتح يــدك لأخيــك المســكين والفقــير في أرضــك.. لا تضــطهد القريب وتضايقه.. لا تسيء إلى أرملة ولا يتيم.. لا ترتكبوا جورا في القضاء.. ابتعد عن كلام الكــذب.. لا تنتقم.. لا تركبــوا لا في القياس ولا في الوزن ولا في الكيل.. لا تحقد على أبناء شعبك.. كن قديسا طاهرا.. تحب قريبك كنفسك)

قال آخر[5]: وهكذا نجـد أمثـال هـذه الوصـايا في الإنجيـل، ففي إنجيل متى هـذه الوصـايا: (طـوبى للمسـاكين بـالروح لأن لهم ملكوت السموات.. طوبى للحزانى لأنهم يتعــزون.. طــوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض.. طوبى للجياع والعطـاش إلى الـبر

---

1 () انظر تفسير الطبري 8/64، مطبعة دار المعرفة.

2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /360.

3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /360.

4 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /361.

5 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /362.

لأنهم يعيشون.. طوبى لأتقياء القلب.. طوبى لصانعي السـلام.. طـوبى للمطـرودين من أجـل الـبر.. طـوبى للرحمـاء لأنهم يرحمـون.. ليس فحسـب (لا تقتـل) وإنمـا لا تغضـب من أخيـك وتقول له: (رقا) أو يا (أحمق).. فإذا قدمت قربانك إلى المذبح، وهناك تذكرت أن لأخيك شيئا عليك فاترك هناك قربانك واذهب أولا اصطلح مع أخيك.. قد سـمعتم أنـه قيـل للقـدماء (لا تـزن) وأما أنا فأقول لكم أن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنا بها في قلبه.. قد سمعتم لا تحنث وأما أنا فـأقول لكم لا تحلفـوا البتة.. سـمعتم أنـه قيـل تحب قريبـك وتبغض عـدوك، وأمـا أنـا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم، أحسنوا إلى مبغضكم.. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم)[1]

قال آخر: وهكذا نجد أمثال هذه الوصـايا كثـيرا في القـرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْـلُ مَـا حَـرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُـوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُـوا النَّفْسَ الَّتِي حَـرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِـالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّـاكُمْ بِـهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَلَا تَقْرَبُـوا مَـالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِـالَّتِي هِيَ أَحْسَـنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُـدَّهُ وَأَوْفُـوا الْكَيْـلَ وَالْمِـيزَانَ بِالْقِسْـطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًـا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْـدِلُوا وَلَـوْ كَـانَ ذَا قُـرْبَى وَبِعَهْـدِ اللَّهِ أَوْفُـوا ذَلِكُمْ وَصَّـاكُمْ بِـهِ لَعَلَّكُمْ تَـذَكَّرُونَ وَأَنَّ هَـذَا صِـرَاطِي مُسْـتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 151 ـ 153]

قال آخر: ومثل ذلك قوله تعـالى: ﴿وَقَضَـى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُـدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِـدَيْنِ إِحْسَـانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْـدَكَ الْكِبَـرَ أَحَـدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَـا فَلَا تَقُـلْ لَهُمَـا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَـا وَقُـلْ لَهُمَـا قَـوْلًا كَرِيمًـا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَـاحَ الـذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَـةِ وَقُـلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَـا كَمَـا رَبَّيَانِي صَغِيرًا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَـا فِي نُفُوسِـكُمْ إِنْ تَكُونُـوا صَـالِحِينَ فَإِنَّهُ كَـانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُـورًا وَآتِ ذَا الْقُـرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْـكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا وَإِمَّا تُعْرِضَـنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَـاءَ رَحْمَـةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِـكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْـطِ فَتَقْعُـدَ مَلُومًـا مَحْسُـورًا إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُـطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَـادِهِ خَبِـيرًا بَصِـيرًا وَلَا تَقْتُلُـوا

[1] () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /362.

أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاق نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا [الإسراء: 23 ـ 38]

قال آخر: وغيرها من الوصايا الكثيرة التي لا تساويها أي وصايا أخرى، وفي جميع الكتب المقدسة.

د. القرآن والمسيحية:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن الشبه التي أثارها المستشرقون وغيرهم حول القرآن الكريم والمسيحية.

قال أحد المشككين: لقد زعم (تسدال) أن المسيحية كانت أحد المصادر التي أخذ منها رسول الله ﷺ، مع أن المصادر التي ذكرها ليست محل اتفاق بين المسيحيين، بل أكثرهم على رفضها.. ومن الأمثلة على ذلك قصة مريم عليها السلام.. وقصة طفولة المسيح عليه السلام وما جاء به من معجزات ذكرها القرآن وأنكرها (تسدال) مثل كلام عيسى عليه السلام في المهد.. وصنعه من الطين طيرا بإذن الله.. وقصة المائدة.. وصلب عيسى عليه السلام حيث نفاه القرآن الكريم في حين قد أثبته الكتاب المقدس.. ونزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان.. بالإضافة إلى التبشير برسول الله ﷺ، وقصة خلق آدم من تراب الأرض، والميزان، والأعراف، وزعمه أن الرسول ﷺ أخذ من الإنجيل بعض الآيات والأحاديث[1].

قال آخر: والجواب على ذلك جميعا[2] هو ما ذكرناه سابقا من أن القرآن الكريم لم يتنزل ليلغي الكتب المقدسة، وإنما ليصححها، ويبين التحريف الذي وقع فيها، والتحريف لا يلغي

1 () انظر مصادر الإسلام تسدال، الفصل الرابع ص 101، وما بعدها، وتاريخ القرآن نولدكه ج 1، ص 7 وما بعدها.. ومذاهب التفسير الإسلامي، جولد تسيهر ص 171 الذي اعتبر الإسلام مزيجا من مذهبي الانتخاب والمزج (من اليهودية والنصرانية وديانة الفرس وما بعدها)

2 () سنكتفي هنا بالإجابة العامة، أما التفصيلات المرتبطة بها؛ فسنذكرها في محالها الخاصة من هذه السلسلة.

الصحيح.
قال آخر[1]: ومن هذا الباب ما ورد في قصة مريم عليها السلام، والتي أنكر (تسدال) أن تكون وردت بهذا الشكل في كتب المسيحية المعتمدة، واعتبرها خرافية وهمية لا تصح، وحجته في ذلك أن ولادتها لعيسى عليه السلام، كما وردت في القرآن الكريم تشبه أسطورة (ميلاد بده) عند الهنود حيث ولد (بده) من عذراء لم يمسها رجال.. ومثل ذلك ما ورد في القرآن الكريم من ذكر خدمتها للهيكل مع أن هذا لا يجوز في حق النساء على حد زعمه.. ومنها ذكر القرآن الكريم أنها أخت هارون أخي موسى عليه السلام ـ على حد فهمه ـ واعتبر هذا من الخطأ التاريخي في القرآن الكريم للفارق الكبير بينهما.

قال آخر: وما ذكره من ذلك غير صحيح، لأنه اعتمد على ما أقرته المجامع الكنسية من الكتب المقدسة، وحكمها ليس ملزما للمسلمين أو الباحثين، ولذلك فإن تلك القصص كانت تنتشر في الوسط المسيحي، حتى إن فرقة البربرانية منهم ألهوها وابنها عيسى عليهما السلام نظرا لولادتها لابنها بطريقة خارقة للعادة[2]، كما أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: 116]

قال آخر[3]: أما زعم (تسدال) أن قصة مريم عليها السلام غير موجودة في الكتاب المقدس ورده لها بناء على ذلك، فيرده ما ورد في إنجيل لوقا ونصه: (وبعد تلك الأيام حبلت اليصابات امرأته (أي زكريا عليه السلام) وأخفت نفسها خمسة أشهر قائلة: هكذا قد فعل بي الرب في الأيام التي فيها نظر إلى لينزع عاري بين الناس، وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة الجليل اسمها (ناصرة) إلى عذراء محظوية لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم فدخل إليها الملاك، وقال: سلام لك أيتها المنعم عليها، الرب معك، مباركة أنت في النساء. فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية، فقال لها الملاك: لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله وها

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /295.
2 () انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل 1/47.
3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /295.

أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسميه يسوع هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية)[1]

قال آخر[2]: وهذا النص يؤيد ما جاء في القرآن الكريم مما أنكره (تسدال) واستغربه، وعده من قبيل الأسطورة والخرافة، وذلك لعدم تصوره لقدرة الله سبحانه وتعالى، مع أن عقيدة المسيحيين قائمة على هذه المعجزة حيث يعتقدون أن أقنوم الابن التحم بعيسى في بطن أمه.

قال آخر: وأما زعمه بطلان ما ورد في القرآن الكريم من ذكر خدمة مريم عليها السلام للهيكل، فالجواب عليه هو أن أصل الخدمة في أماكن العبادة في الديانات الثلاث هي للرجال، ولكن هذا لا يمنع إذا قامت بعض النساء بمثل هذا العمل، فقد حصل في الإسلام أن امرأة كانت تعتني بمسجد رسول الله ﷺ تقمه وتقوم بخدمته، فلما ماتت دعا لها رسول الله ﷺ بالرحمة[3].

قال آخر[4]: كما أن الإنجيل ذكر خدمة (حنة أم مريم) للهيكل، والنص ـ كما في إنجيل لوقا [2/36 ـ 37.] ـ هو (وكانت نبية حنة بنت فنوئيل من سبط أشير وهي متقدمة في أيام كثيرة قد عاشت مع زوج سبع سنين بعد بكوريتها وهي أرملة، وثمانين سنة لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام وطلبات ليلا ونهارا).. فالله سبحانه علم إخلاص حنة امراة عمران القوامة الصوامة في ندائها لربها بأن يتقبل نذرها الذي نذرته لربها طالبة بأن يرزقها ولدا ذكرا ليقوم على خدمة الهيكل بيت الله المقدس فلما قدر الله سبحانه الوليدة أنثى تحسرت (حنة) على ذلك، لكن الله سبحانه بسابق علمه وتقديره علم أن هذه الأنثى سيكون لها شأن أعظم من شأن الكثير من الذكور.

قال آخر[5]: أما الأمر الثالث الذي دعا (تسدال) إلى الحكم على القصة بالخرافة وإعتبارها خطأ قرآنيا تاريخيا، فذلك لأن القرآن الكريم سماها بأخت هارون، ظنا منه أنه هارون أخو موسى بن عمران عليه السلام، والفترة الزمنية الطويلة بينهما

---

1 () انجيل لوقا الإصحاح 1، فقرة 26 ـ 38.

2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /296.

3 () مسند الإمام أحمد 2/353، 388، وغيره من كتب السنن.

4 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /299.

5 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /300.

لا تسمح بذلك لأنها تقدر بخمسة عشر قرنا، مع أن ذلك له محامل كثيرة يمكن أن يحمل عليها.

قال آخر[1]: وهو ما فعله المفسرون من المسلمين حيث ذكر بعضهم أن هارون المذكور رجل صالح من بني إسرائيل ينسب إليه كل من عرف بالصلاح، والمراد (أنك يا مريم كنت في الزهد كهارون؛ فما الذي صيرك لهذا)[2].. ومنها أن هارون هو أخو موسى بن عمران عليه السلام، إذ كانت من أعقابه، وإنما قيل (أخت هارون) كما يقال: يا أخا همدان، ويا أخا العرب أي يا واحدا منهم.. ومنها أنه كان رجلا مشهورا بالفسق، فنسبت إليه بمعنى التشبيه لا بمعنى النسبة.. ومنها أنه كان لها أخ يسمى هارون، من صلحاء بني إسرائيل فذكرت به.. وكلها وجوه محتملة.

قال آخر: أما إشكالاتهم وتشكيكاتهم المرتبطة بما ذكره القرآن الكريم ولم ترد عندهم في الكتاب المقدس، والتي أنكروها من أجل ذلك ككلام المسيح عليه السلام في المهد، وصنعه من الطين طيرا فيكون طيرا بإذن الله تعالى.. وقصة المائدة.. وعدم صلب المسيح عليه السلام.. ورجوع المسيح عليه السلام آخر الزمان.. والتبشير برسول الله ﷺ.. وقصة خلق آدم عليه السلام من تراب.. وبعض شؤون المعاد كالميزان، والأعراف وغيرها.. فهو دليل على عدم إنصافهم؛ فهم يتهمون رسول الله ﷺ إن وافقهم بالسرقة، وإن خالفهم بالكذب.. وهو دليل على أنهم ليسوا باحثين عن الحقيقة، وإنما مجرد مشككين فيها، وحاقدين عليها.

قال آخر: بالإضافة إلى هذا فإننا لو رجعنا لكتبهم المقدسة لوجدنا الكثير من الاختلافات والتناقضات، فهل يتهمونها بالكذب لأجل ذلك.

قال آخر[3]: لذا أصبح بين أيديهم أكثر من توراة وأكثر من إنجيل.. فتوراة السامريين مثلا تختلف عن العهد القديم.. كما أنه يوجد من الأناجيل المئات، وتناقضها واضح وبين لكل من اطلع عليها.

قال آخر[4]: كما أنه قد اختفى كثير منها كإنجيل الطفولة

---

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /300.

2 () التفسير الكبير للإمام الرازي 21/207 ـ 208.

3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /302.

4 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /302.

والـولادة ومـريم، وإنجيـل السـبعين وإنجيـل مرقيـون، وإنجيـل ريصان، وإنجيل التذكرة، وإنجيل سيرين.. وأنكر بعضـها ونسـب صنعه للمسلمين كما هو الحال مع (إنجيل برنابا)

قـال آخر[1]: ولم يبـق من هـذه الأناجيـل جميعـا إلا أربعـة، وهي إنجيل متى، ويوحنا، ومرقص، وإنجيل لوقا.. ولكنها كغيرها لم تسـلم، حيث سـجل كاتبوهـا كـل مـا سـمعوه من روايـات ومسموعات ونقولات وتوهمات سببتها الظروف التي مرت فيها المسيحية.

قـال آخـر: وقـد أشـار إلى هـذا بـولس في رسـالته لأهـل غلاطية، حيث قال: (إني أتعجب أنكم تنتقلون هكـذا سـريعا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر ليس هو آخر غير أنـه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح)[2]

قال آخر[3]: ولذلك فإن الباحث الموضوعي يرى أن ما ورد في القرآن مما أثاره (تسدال) وغيره من المستشـرقين كقصـة كلام عيسـى عليـه السـلام في المهـد وغـيره ممـا لم يـرد في الأناجيل المتداولة اليوم، أو مما لم يرد فيها بصراحة قطعية قـد ورد في النسـخة الأصـلية من الإنجيـل من قـراطيس وأناجيـل كانت متداولة في أيدي المسـيحيين أو بعض فـرقهم، وضـاعت، أو أبيدت فيما ضاع أو أبيد.

قال آخر[4]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن الآيات القرآنيـة كـانت تتلى جهـرة على النـاس، ويسـمعها كثـير من المسـيحيين كمـا حصـل مـع النجاشـي وبطارقتـه حين سـمعوها من المسـلمين المهاجرين لديارهم؛ فبكى النجاشي حتى أخضـلت لحيتـه وبكى أساقفته حتى بللوا مصـاحفهم، حين سـمعوا مـا تلي عليهم من الحق الموافق لما عندهم.. وأكـد هـذا النجاشـي حين قـال لمن حوله: (إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحــدة)[5]

قال آخر[6]: فإذا خلت الأناجيل اليوم من مثل هـذه الأمـور الـتي ذكرهـا القـرآن فقـد ذكرتهـا أناجيـل أخـرى لم يعتمـدها

---

1 () القرآن والمبشرون ص 59.

2 () رسالة بولس لأهل غلاطية، الإصحاح الأول: (6 ـ 7.

3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /303.

4 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /303.

5 () انظر سيرة ابن هشام 1/360.

6 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /303.

المسـيحيون اليـوم أو كتب سـير وتـواريخ صـحيحة، ومن تلـك الأناجيل التي اندثرت وذكرتها، إنجيل الطفولة العربي الذي نص عليها بقوله: (تكلم في المهد صبيا، وحين كـان لـه سـنة واحـدة قال لأمه: يا مريم أنا يسوع ابن الله الـذي ولـدتني كمـا بشـرك جبريل الملك، وإني أرسلني لخلاص العالم)

قال آخر[1]: أما زعم (تسدال) وغيره من المستشرقين أن القصة مكذوبة مأخوذة من الأقباط وحصل عليها رسول الله ﷺ عن طريق مارية القبطية[2].. فهـو جهـل منـه، ذلـك لأن سـورة مريم قد نزلت قبـل قـدومها، حيث قـرئت على النجاشـي أثنـاء هجـرة المسـلمين للحبشـة، ولم يعلم تاريخيـا أن ماريـة كـانت عالمة بالمسيحية ولا عندها اهتمام بنشر تعاليم المسـيحية، بـل إن الله سبحانه شرح صدرها للإسـلام وأسـلمت من أول أمرهـا [3].

هـ. القرآن والزرادشتية:

قال أحد الحضـور: وعينـا هـذا.. فحـدثونا عن الشـبه الـتي أثارها المستشرقون وغيرهم حول القرآن الكـريم والزرادشـتية والديانات الهندية القديمة.

قـال أحـد المشـككين: بمـا أن غـرض المستشـرقين هـو البحث عن إيجاد أي شبه بين الإسـلام وبين أي دين آخـر، حـتى يتهموه بكونه اقتبس منـه، لا أنـه توافـق معـه؛ فقـد وجـدوا في الزرادشتية والديانات الهندية القديمـة مـا يلـبي بعض أغراضـهم في ذلك.

قال آخر: وكيف لا يجدون فيها ما يريدون من التشـكيكات، وهم قد وجدوا في الوثنية نفسها ما يلبي أحقادهم الـتي لبسـت ثوب العلم.

قال آخر[4]: ومن خلال ما كتبه بعضهم،وهو (تسـدال) نجـد أنهم يسـتندون في دعـواهم إلى التشـابه الموجـود بين الزرادشتية وبعض ما ورد في القرآن الكريم كـالمعراج، والجنـة والنار، وملك الموت، والصراط، والشيطان، والافتتاح بالبسملة، والصلوات الخمس، وشهادة كل نبي لمن يأتي بعده.

---

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /305.
2 () انظر مصادر الإسلام لتسدال ص 124.
3 () انظر الإصابة في تمييز الصحابة 4/391.
4 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /282.

قال آخر(5): والإجابة على كل ذلـك بينـة واضـحة؛ ذلـك أن جميع الديانات السماوية لم تخل من ذكـر هـذه الأمـور الغيبيـة، ومن تكريم بعض الأنبياء بـالمعجزات الـتي فيهـا خـرق العـادات على أيديهم، كمـا ألزمـوا ببعض الفـرائض؛ فـإذا اشـتملت بعض الديانات السـماوية على مثـل هـذه الأمـور ووافقت مـا ورد في القرآن الكريم فتكون هذه القضايا من الأمـور الـتي لم تتناولهـا أيدي التحريف والتبديل في الديانات السابقة المنسوخة.

قال آخر: وقد أشار لهذا المعنى بعض الباحثين، فقال: (إن بقايـا الأخلاق والفضـائل والمثـل العليـا الباقيـة في هـذا العـالم اليـوم لا بـد من إرجاعهـا بصـورة أو بـأخرى إلى ديانـة سـماوية موحى بها)(2)

قال آخر(3): والأدلة الكثـيرة تشـير إلى أن الزرادشـتية من الملل التي كـان أصـلها وحيـا سـماويا، ثم حرفهـا أصـحابها كمـا حـرفت التـوراة والإنجيـل، وقـد أثبتت أبحـاث العـالم الألمـاني الدكتور (ميللر) الذي كانت له اليد الطولى في حل رموز اللغــة السنسكريتية بالهنـد (أن النـاس كـانوا في أقـدم عهـودهم على التوحيـد الخـالص، وأن الوثنيـة عرضـت عليهم بفعـل رؤسـائهم الوثنيين)(4)

قال آخر: وقد أشار ابن حزم إلى ذلك بالنسبة للزرادشتية، فقال: (وبالجملة فكل كتاب وشريعة كانا مقصورين على رجـال من أهلها، وكانا محظرين على من سواهما: فالتبديل والتحريف مضمون فيهما، وكتاب المجوس وشريعتهم إنما كان طول مـدة دولتهم عند (المؤبذ) وعند ثلاثة وعشرين هربذا لكل هربذ سـفر قـد أفـرد بـه وحـده لا يشـاركه فيـه غـيره من الهرابـذة ولا من غـيرهم ولا يبـاح بشـيء من ذلـك لأحـد سـواهم، ثم دخـل فيـه الخرم بإحراق الإسكندر لكتابهم أيـام غلبتـه لـدارا بن دارا، وهم مقـرون بلا خلاف بينهم أنـه ذهب منـه مقـدار الثلث ذكـر ذلـك بشير الناسك وغيره من علمائهم)(5)

قـال آخـر: وقـد ذكـر ابن حـزم أن كثـيرا من المسـلمين اعتبروا زرداشت نبيـا، ثم قـال: (ليسـت النبـوة بمدفوعـة قبـل

---

5 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /282.

2 () كتاب النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، ص 42.

3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /282.

4 () النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلامية، ص 10 ـ 11.

5 () الفصل في الملل والأهواء 1/92.

رسول الله ﷺ لمن صحت عنه معجزة، قال الله عزوجل: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: 24])(1)

قال آخر(2): وحتى لو فرضنا أنها لم تكن ديانة سماوية فلا بد أن تكون قد تأثرت بأكثر من دين، فقد تأثرت بالمجوسية لأنها جاءت لتنقيتها مما دخلها من فساد، كما تأثرت بعقيدة الطورانيين لأن زرادشت عاش بينهم زمنا بشرهم فيه بدينه، كما تأثروا باليهودية لأن الزرادشتية عاصرت بعثة نبي الله موسى عليه السلام(3).. كما تأثرت بالهندية للحوار واجتماعهما في عبادة الإله (مترا)، كما تأثرت بالمسيحية وببعض الفرق الإسلامية وذلك لطول تواصلها معها.

قال آخر(4): أما ما ذكره (تسدال) من تشابه قصة المعراج في القرآن مع ما عند الزرادشتية؛ فهذه القصة لم تذكر عندهم في كتب يصح الاعتماد عليها، وإن وجد مثل ذلك فعلى اعتبار أن أصل هذه الديانة سماوي أو تأثرت بما هو سماوي ولا مانع أن تتكرر مثل هذه الحادثة في عدة ديانات لوحدة المصدر.. وهذا شبيه بما توافق وقوعه في التوراة والإنجيل والقرآن كالجنة والنار والميزان وغير ذلك، فلا ضرورة أن يكون بعضهم أخذ من بعض، وإنما ذلك بابتداء الوحي لكل نبي على حدة.

قال آخر: وقد أشار إلى ذلك قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: 75]؛ فهي تشير إلى أن الله تعالى يكرم أنبياءه عليهم السلام بكل الكرامات التي تؤهلهم للوظائف التي كلفوا بها.

قال آخر: وأما الاتفاق بين الإسلام والزرادشتية في الجنة والنار، وملك الموت، والشيطان، والصراط، ونحوها.. فهذا أمر مذكور في كل الديانات السماوية لوحدة المصدر، ولهذا يدعونا الله تعالى إلى التصديق بكل ما في الكتب المقدسة من الحق، كما قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ

---

1 () انظر الفصل في الملل والنحل 1/91.

2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /284.

3 () انظر كتاب النبوة والأنبياء في ضوء القرآن ص 42.

4 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /285.

مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ [البقرة: 136]، وقال: آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ [البقرة: 285]

قال آخر: أما ما ذكره (تسدال) وغيره من المصادر المختلطة كقصص الأنبياء للثعلبي، وغيره، فهي ليست من مصادر الإسلام المعتمدة.. ولعلكم قد عرفتم ذلك في الحوار مع الحشوية، والذين خلطوا مصادر الإسلام ا لمعصومة بغيرها من المصادر المدنسة.

قال آخر[1]: أما بالنسبة للبسملة والتوافق بين الإسلام والزرادشتية في بعضها؛ فالبشر جميعا يتفقون على بدء المراسلات باسم السلطة أو الجهة الحاكمة، ولله المثل الأعلى فإذا ابتدأ الله تعالى كتابه بذلك وجاءت رسائل الأنبياء في الزرادشتية مفتتحة ببسملة فهذا لا غرابة فيه، كما أنه ليس من الضرورة أن يكون هذا دليلا على أخذ الإسلام من الزرادشتية لمثل هذه الشبهة.

قال آخر: والعجيب أن المستشرق رودول يذكر بأن البسملة يهودية الأصل، ويرى أن القرآن الكريم استعارها من الصابئين، إذ كان من عادة الصابئين دائما أن يكتبوا في صدر كتاباتهم العبارة التالية (باسم الإله المعطي الكريم)[2].. أما القسيس [سانت كلير تسدل]فيرى أن الجملة زردشتية الأصل حيث كتب: قد وردت في كتاب (الدساتير الزرادشتية) قبل صحيفة كل نبي من أنبيائهم العبارة الآتية: (باسم الإله المعطي الرؤوف الكريم)[3]

قال آخر: فهؤلاء الكتاب المسيحيون الثلاثة يذكرون ثلاثة مصادر متغايرة، فهي عند أحدهم يهودية، وعند الآخر زرادشتية، وعند الثالث صابئية.. ولو أنهم تأملوا قليلا لعرفوا عظمة البسملة وأنها محل اتفاق بين الأديان والأمم جميعا.

قال آخر[4]: أما شهادة الأنبياء لبعضهم بعضا وتبشير السابق باللاحق فهي محل اتفاق بين الأديان جميعا، حيث يأخذ

---

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /286.

2 () تفسير ويري للقرآن، ج 1 ص 289.

3 () ينابيع الإسلام، الطبعة الأردية ص 127.

4 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /286.

النبي الميثاق على أمته أن يؤمنوا بالأنبياء الذين سبقوه، ويناصروا النبي الذي سيأتي بعده، وقد ورد في ذلك الكثير من البشارات على لسان موسى وعيسى وغيرهما عليهم السلام بمحمد ﷺ، كما يصرح بذلك قوله تعالى عن المسيح عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: 6]

قال آخر: ومن هذا الباب ورد تبشير زرادشت برسول الله ﷺ، حيث قال: (تمسكوا به إلى أن يجيئكم صاحب الجمل الأحمر)[1].. وبذلك فإن هذا التبشير دلالة على صدق نبوة رسول الله ﷺ لا أنه اقتبس دينه منها.

و. القرآن والصابئة:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن الشبه التي أثارها المستشرقون وغيرهم حول القرآن الكريم والصابئة.

قال أحد المشككين: لقد نظر المستشرقون إلى بعض وجوه الشبه بين ما جاء في القرآن الكريم، وما في دين الصابئة من عقائد وعبادات ونسك؛ فاعتبروها مصدرا من مصادره، وقالوا: إن التأثير من الصابئة انتقل لمحمد ﷺ عبر الوسط الوثني الذي عاش فيه محمد ﷺ وأخذ منه كثيرا من شعائره[2].

قال آخر: ومن الأمثلة التي استغلوها لذلك التشابه بين الصابئة والإسلام في الصلاة.. والتشابه في الصوم وارتقاب انتهائه وارتقاب الأعياد ببعض الكواكب.. والتشابه في الحج والتلبية وتقديم القرابين[3].

قال آخر: والجواب على هذا هو ما ذكرناه سابقا من أن التشابه لا يعني التأثر أو التأثير، بل يعني موافقة القرآن الكريم للحق الذي لا يزال موجودا في الأديان؛ فهو لم يأت لينسخها بكل تفاصيلها، وإنما جاء ليصححها، لتتناسب مع الفطرة والقيم النبيلة.

قال آخر[4]: فالصلاة مثلا أمر فطري ومطلب شرعي في

---

1 () الأديان في القرآن ص 82.

2 () انظر مصادر الإسلام ص 11 ـ 12، وانظر المدخل إلى القرآن الكريم ص 132 ـ 133.

3 () انظر دائرة المعارف الإسلامية ج 14 /ص 89.

4 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /273.

كل الديانات السماوية، ووجود صلاة عند الطرفين أمـر طـبيعي لا غرابة فيه على اعتبار أنهم أهل الكتاب، أو لهم شبهة كتـاب.. بالإضـافة إلى أن صـلاتهم على خلاف صـلاة المسـلمين في أوقاتها وهيئاتها.. فصلاتنا خمس مـرات في اليـوم والليلـة وهي بقيـام وركـوع وسـجود وجلـوس وقـراءة قـرآن وبمجموعـة من الأذكار والأدعية، بعكس صلاتهم في كثير من هذه الأمور.

قـال آخر[1]: لـذا؛ فـإن مـا زعمـه (تسـدال) من مصـدرية الصابئة للإسلام استنادا لمثـل هـذه الشـبهة زعم باطـل ينقصـه الدليل، ويرده الواقع، وهو أمر تلبيسي لا أكثر ولم يخل دين من الأديان من وجود شعائر تعبدية وعلى رأسـها الصـلاة كاليهوديـة والمسيحية.

قال آخر[2]: أما الشبه بين مـا ورد في القـرآن الكـريم من أحكام الصـوم، وأحكـام الصـوم عنـدهم؛ فقـد أشـار إليـه قولـه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّـيَامُ كَمَـا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُـونَ﴾ [البقـرة: 183].. فالصـوم عبـادة عرفت من القدم فقد كـانت عنـد قـدماء البـابليين والآشـوريين والمصريين.

قال آخر[3]: والناظر بعين فاحصة مقارنـا بين الصـيام عنـد الصـابئة وعنـد المسـلمين يجـد أن الاجتمـاع والاتفـاق كـان في كلمة الصوم لا غـير أمـا في الحقيقـة والصـورة فهمـا مختلفـان تماما.. فصيامهم ليلا بينمـا صـيام المسـلمين نهـارا.. وصـيامهم متفرق بينما صيام المسلمين شهر كامـل.. وهـو ليس عنـد كـل فرقهم بـل عنـد الحورانـيين منهم، أمـا المنـدائيون فيحرمونـه.. وكـذلك عنـدهم صـيام يشـبه صـيام النصـارى لمـدة 36 يومـا يمتنعون فيها عن أكل اللحـوم المباحـة.. ثم هنـاك الاختلاف في وقت الصيام بين الفريقين.

قال آخر[4]: أبعد كل هذه الملاحظـات على وجـه المقارنـة بين صيام أهل الملتين يبقى دليل مع (تسدال) وغيره ليزعم أن الإسلام أخذ منهم عبادة الصيام، بل قـد أثبت التـاريخ أن الأيـام التي كـانوا يصـومونها، وفيهـا وجـه شـبه مـع وقت الصـيام عنـد المسلمين ما كـانت من الصـابئة إلا لمجـاراة المسـلمين الـذين

---

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1/ 273.

2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1/ 274.

3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1/ 274.

4 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1/ 275.

كانوا يملكون السلطة، والتي كان يفقدها الصابئون.

قال آخر[1]: أما استناد (تسدال) لكون الصابئة تثبت أعيادها بمراقبة خمسة نجوم في السماء وهي: (الجدي، والزهرة، وزحل، والقمر، والشمس)، وأنهم يشبهون في ذلك المسلمين الذين يثبتونها بأحد هذه الخمسة وهو القمر عند ما يكون هلالا، كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: 189]؛ فهو عجيب جدا، وهو دليل على أنهم يبحثون عن أي قشة ليستندوا إليها.

قال آخر[2]: ذلك أن التقويم لأمم الأرض قديم جدا، وهو إما شمسي وإما هلالي.. والبشر قد انقسمت عاداتهم في شهرهم وسنتهم بحسب هذه القسمة، ذلك أن كل واحد من الشهر والسنة إما أن يكونا عدديين، أو طبيعيين، والسنة عددية، أو بالعكس.. فالذين يعدونهما يجعلون الشهر ثلاثين يوما، والسنة اثنى عشر شهرا.. والذين يجعلونهما طبيعيين يجعلون الشهر قمريا، والسنة شمسية.. ومنهم الذين جعلوا السنة طبيعية، والشهر عدديا، وهذا حساب الروم، والسريانيين والقبط ونحوهم من الصابئين والمشركين ممن يعد شهر كانون ونحوه عددا ويعتبر السنة الشمسية بسير الشمس.. أما اعتبار الشهر طبيعيا، والسنة عددية فهو سنة المسلمين ومن وافقهم [3].

قال آخر[4]: وما جاءت به الشريعة الإسلامية من ذلك هو أكمل التقاويم وأحسنها وأبينها وأصحها وأبعدها من الاضطراب؛ لأن رؤية الهلال أمر مشهور مرئي يدرك بالأبصار، فلا يضل أحد عن دينه، ولا يشغله مراعاته عن شيء من مصالحه، ولا يدخل بسببه فيما لا يعنيه، ولا يكون طريقا إلى التلبيس في دين الله كما يفعل بعض علماء أهل الملل بمللهم.

قال آخر[5]: أما استناد (تسدال) وغيره للتشابه في الحج والتلبية، وتقديم القرابين بين المسلمين والصابئة؛ فعجيب أيضا، ذلك أن الحج عبادة موجودة في كل الأديان، وخاصة تلك المنتسبة لإبراهيم عليه السلام الذي أذن في الناس بالحج فلبى

---

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1/ 276.
2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1/ 276.
3 () كتاب الصابئين حرانيين ومندائيين، لرشدي عليان.
4 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1/ 277.
5 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1/ 278.

نداءه كل من حج لبيت الله الحرام، كما قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاس بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: 27]، وقد ذكرت دائرة معارف المستشرقين أن الحج لم يكن خاصا بالعرب دون غيرهم من الأمم، بل كان كذلك عند اليهود والنصارى وبعض الوثنيين(1).

قال آخر(2): بالإضافة إلى ذلك؛ فإن الحج عند المسلمين يتم في مكة المكرمة وطوافهم بالكعبة وما يقدمونه من قرابين (الهدي) هو لله سبحانه خالصا دون سواه، كما قال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: 37]، وقد رخص الأكل منها، كما قال تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحج: 36].. أما عند الصابئة فحجهم يتم بحران بالعراق، وليس حول الكعبة (3)، وقبلتهم الثابت بشأنها أنها قبل الشمال باتجاه النجم القطبي؛ وذلك لثبوته في محله وعدم تحركه (4).

قال آخر(5): أما بالنسبة لقرابينهم فكانت تذبح لآلهتهم المزعومة من الكواكب كذبحهم للزهرة ولزحل إلى غير ذلك.. وكانت سنّتهم في قرابينهم أن تحرق تماما، ولا يؤكل منها شيء.. وللقربان أربعة أوقات في الشهر: الاجتماع، والاستقبال، وسبعة عشر وثمانية وعشرون (6).. في حين أن القربان في الإسلام لا يقبل إلا إذا ذبح لله تعالى ويحرم أكله إذا ذكر عليه غير اسمه سبحانه، كما أنه يذبح في أي وقت من أوقات السنة، سواء كانت الذبائح ذكورا أم إناثا، ولا يمنع ذبح القربان من دخول أماكن العبادة في الإسلام بخلاف ما هو عندهم، والذبيحة عندنا لا تحرق بل تؤكل ولا حرج في ذلك ومن هنا يظهر الفرق في حج المسلمين، وفي قرابينهم عن الصابئة لا كما يزعم المستشرقون.

1 () انظر دائرة المعارف الإسلامية 7/305.
2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /279.
3 () انظر مدخل القرآن الكريم ص 133 نقلا عن كتاب ج. سال (ملاحظات تاريخية ونقدية عن الإسلام ص 30 ـ 31، ودائرة المعارف الإسلامية باللغة الفرنسية (مادة صبأ)
4 () انظر الموجز في تاريخ الصابئة ص 36، والفهرست لابن النديم ص 442.
5 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /279.
6 () انظر الفهرست لابن النديم ص 443.

قال آخر[1]: بالإضافة إلى ذلك كله؛ فإن الإسلام يخالف الصابئة في جوانب أخرى كثيرة، منها أن عليهم الغسل وتغيير الثياب بسبب الجنابة ومس الطامث ويعتزلها البتة، أما عندنا فيغتسل ولا تغير الثياب إذا كانت الملابس طاهرة، ولا غسل لمن مس طامثا فنجاستها ليست في يدها، وهكذا لا يعتزلها عندنا.

قال آخر[2]: كما أنهم لا يأكلون الجزور ويفرطون في كراهيتها، والمسلمون يأكلونها ولا يكرهونها.. ويتركون الختان وعندنا سنة ثابتة في حق كل مسلم.. وعندهم لا طلاق إلا ببينة عن فاحشة ظاهرة، ولا ترجع عندهم المطلقة، وعندنا جواز الطلاق لحاجته، وله مراجعة مطلقته.

3. التشكيك والوحي:

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فحدثونا عن الشبه التي أثارها المستشرقون وغيرهم حول القرآن الكريم والوحي.

قال أحد المشككين: لقد رأينا من خلال إحصائنا واستقرائنا لما في كتب المستشرقين ومن تتلمذ على أيديهم من المشككين أمرين يفسرون بهما الوحي الإلهي.

قال آخر: أولهما اعتبارهم له مجرد أمر شخصي يأتي بإرادته، أو بغير إرادته، وقد اختلفوا في تفسير ذلك.. فمنهم من يطلق عليه [الوحي النفسي]، أو [الإلهام السمعي].. ويقصدون بذلك أن منبع الوحي الإلهي ليس سوى إلهام من نفسه ﷺ، وليس من عالم الغيب الذي يؤمن به المؤمنون، والذي دلت عليه كل الدلائل.

قال آخر: ومنهم من يعتبره نتيجة لتأثير الانفعالات العاطفية.. حيث زعموا أن رسول الله ﷺ كان تحت تأثير النوبات الانفعالية الطاغية التي كانت تسيطر عليه مما كان يدعوه إلى الشعور بأنه يتلقى الوحي الإلهي، بينما لم يكن كذلك[3].

قال آخر: ومنهم من يعتبره نتيجة أسباب طبيعية عادية، كباعثة النوم، أو (التنويم الذاتي)[4]

---

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /280.

2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /280.

3 () تاريخ القرآن، نولديكه 1/5.

4 () وحي الله، د. حسن عتر ص 141.

قال آخر: ومنهم من يعتبره نتيجة تجربة ذهنية فكرية، وأن النبي ﷺ أدرك ما أدرك نتيجة قدرته على التركيز، واستدامته ذلك على مستوى تجريدي لا يطيقه غيره، لذا كان يختار له ساعات الليل لأنها أدعى للفكر وأصفى للروح، وأكثر استجابة لعواطفه[1].

قال آخر: ومنهم من يعتبره حالة كحالة الكهنة والمنجمين، وذلك بناء على كون القرآن الكريم ـ كما يزعمون ـ استعمل السجع الذي يستعمله الكهنة والمنجمون[2].

قال آخر: وثانيهما أنهم يعتبرون الوحي الإلهي مرضا عصبيا، وقد اختلفوا في ذلك أيضا؛ فمنهم من يعتبر مرضه حالة صرع يغيب فيها عن الناس وعما حوله، ويظل ملقى على إثرها بين الجبال لمدة طويلة، يسمع له على إثرها غطيط كغطيط النائم، ويتصبب عرقه، ويثقل جسمه.

قال آخر: ومنهم من يعتبره حالة هستيرية، وتهيجا عصبيا، يظهر عليه أثرها في مزاجه العصبي القلق، ونفسه كثيرة العواصف بشكل غامض، حتى كان يصل به الأمر أن لا يفرق بين تعاقب الليل والنهار، وقد هزل على إثرها جسمه، وشحب لونه، وخارت قواه[3].

أ. الوحي الشخصي:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فكيف تردون على الشبهة الأولى، والتي ذكرتم أنها تعتبر منبع الوحي الإلهي ليس سوى حالة شخصية تعتريه، وأنها اتخذت صورا متعددة.

الإلهام النفسي:

قال آخر: وأول تلك الصور اعتبارهم الوحي الإلهي إلهاما من نفسه ﷺ، وليس من عالم الغيب الذي يؤمن به المؤمنون، والذي دلت عليه كل الدلائل؟

قال أحد المشككين: ظاهر هذه الشبهة ثناء على رسول الله ﷺ، لكن باطنها تكذيب واتهام له بأعظم تزوير، وهو التزوير على الله.

قال آخر[4]: ذلك أن هؤلاء المستشرقين قالوا: (نحن لا

---

1 () انظر مقدمة القرآن، واط ص 18.

2 () انظر قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، د. فضل عباس ص 42.

3 () انظر مقدمة القرآن، مونتجمري، واط ص 17 ـ 18، ومقدمة القرآن ل بل ص 29 ـ 30، وكتاب العقل المسلم ص 41، كتاب حياة محمد هيكل، ص 45.

4 () الوحي المحمدي (ص59)

نشك فى صدق محمد فى خبره عمـا رأى وسـمع وإنمـا نقـول: إن منبع ذلك من نفسه، وليس فيه شـىء جـاء من عـالم الغيب الذى يقال إنه رأى عالم المـادة والطبيعـة، الـذى يعرفـه جميـع الناس؛ فإن هذا (الغيب) شىء لم يثبت عندنا وجـوده، كمـا أنـه لم يثبت عندنا ما ينفيه ويلحقه بالمحال، وإنما تفسـير الظـواهر غير المعتادة بما عرفنا وثبت عندنا دون ما لم يثبت)

قال آخر[1]: وذكروا أن منـازع نفسـه ﷺ العاليـة وسـريرته الطاهرة، وقوة إيمانه، وخياله الواسع وإحساسه العميق، وعقله الكبير، وذكاؤه الوقاد، وذوقه السليم، كلها كان كـانت سـببا في أن يتجلى في ذهنه، ويحدث في عقله الباطن الـرؤى والأحـوال الروحية فيتصور أن ما يعتقده إلهيا نازلا عليه من السماء بـدون وساطة، أو عن طريق رجـل يتمثـل لـه يلقنـه ذلـك، أو يسـمعه يقول له شيئا في المنام.

قـال آخر[2]: واسـتدلوا على ذلـك بقصـة الفتـاة الفرنسـية (جان دارك) في القرن الخامس عشـر الميلادي الـتي اعتقـدت أنها مرسلة من عند الله لإنقـاذ وطنهـا، ودفـع العـدو الإنكلـيزي عنه، وادعت أنها تسـمع صـوت الـوحي، فأخلصـت في دعوتهـا، وتوصلت بصدق إرادتها وحسن سيرتها إلى رئاسـة جيش صـغير تغلبت بـه على العـدو ثم خـذلها قومهـا فـوقعت في يـد عـدوها فألقوها في النار حية فماتت عقب انتصارها، وقـد ذهبت تاركـة وراءها اسما يذكره التاريخ.

قال آخر[3]: وأول ما يرد على هذه الشبهة هو كونها مبنيـة على المصادر التي سلف ردنا عليها، والتي تعتبر الـوحي الإلهي نتيجة تشـبع العقـل البـاطن لرسـول اللـه ﷺ بمـا في بيئتـه من ثقافات وعقائد، مما جعـل نفسـه الصـافية تفيض بمـا فيهـا من ذخائر.

قال آخر[4]: بالإضـافة إلى ذلـك؛ فـإن النـاظر لهـذا الـدين وحقيقته يجده فريدا متميزا صـافيا بكـل مـا جـاء بـه من عقائـد وشرائع عما كان موجودا في وسطه الذي كـان يعيش فيـه ﷺ.. فقد جاء عاما شاملا لكل نواحي الحياة، سهلا في عبادته، دقيقـا

---

1 () الوحي المحمدي (ص59)

2 () انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شـهبة ص 90، والـوحي المحمـدي ص 89، وشـبهات مزعومـة حول القرآن الكريم للقمحاوي ص 41، ومقدمة القرآن، ص 20.

3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /383.

4 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /383.

في معاملاتــه، رادعــا في حــدوده، فــذا في نظمــه الاقتصــادية والسياسية وغيرها، عظيما في أخلاقه وآدابه، إلى غير ذلــك من المزايا والفضائل.. فهل يمكن أن تكون كل هذه العقائد والنظم والتشــريعات كــانت مــذكورة مــدخرة في نفس محمــد ﷺ ابن البيئة المختلفة العقائد، والفقــيرة المــوارد، المختلفــة الأنظمــة، المضطربة الأخلاق والآداب؟

قال آخر(1): ولذلك؛ فإن الإسلام بعظمته، والقرآن بربانيته يبطل كل هذه المزاعم، والعلم يكشف كل يــوم لنــا من أســرار آياته في الأنفس والآفاق مما يؤكد أنــه تنزيــل إلهي، وليس فيــه أدنى شيء لعقل بشري، لأنه أعجز من أن يؤلف شيئا من مثــل آياته فكيف تأتي هذه الفرية لتزعم أن هذا القرآن فيض بشــري ووحي نفسي لمحمد ﷺ؟

قال آخر(2): بالإضافة إلى هذا؛ فقد كان الــوحي يفــتر عنــه ﷺ فترات طويلــة، وهــو بأشــد الحاجــة إليــه ولا يجــد جوابــا لمــا سألوه، أو بما تحــدوه، ومن الأمثلــة على ذلــك مــا روي عن ابن عبــاس قــال: (بعثت قــريش النضــر بن الحــارث وعقبــة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة فقــالوا لهم ســلوهم عن محمــد وصفوا لهم صفته، وأخــبروهم بقولــه فــإنهم أهــل الكتــاب الأول وعنــدهم مــا ليس عنــدنا من علم الأنبيــاء، فخرجــا حــتى أتيــا المدينة، فسألوا أحبار اليهــود عن رســول اللــه ﷺ ووصــفوا لهم أمــره، فقــالوا لهم: ســلوه عن ثلاث إن أخــبركم بهــا فهــو نــبي مرسل وإن لم يفعل فالرجل متقول.. سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمــرهم فإنــه كــان لهم أمــر عجيب، وســلوه عن رجل طــواف بلــغ مشــارق الأرض ومغاربهــا مــا كــان نبــؤه، وسلوه عن الروح ما هو، فأقبلا حتى قدما على قريش فقالا قــد جئنــاكم بفصــل مــا بينكم وبين محمــد، فجــاءوا رســول اللــه ﷺ فســألوه: فقــال: أخــبركم غــدا بمــا ســألتم عنــه ولم يســتثن، فانصرفوا ومكث رســول اللــه ﷺ خمس عشــرة ليلــة لا يحــدث الله في ذلك إليه وحيا، ولا يأتيه جبريل حــتى أرجــف أهــل مكــة وحتى أحزن رسول اللــه ﷺ مكث الــوحي عنــه وشــق عليــه مــا تتكلم به أهــل مكــة ثم جــاءه جبريــل من اللــه بســورة أصــحاب الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما ســألوه عنــه

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /383.
2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /384.

من أمر الفتيـة والرجـل الطـواف وقـول اللـه: ﴿وَيَسْـأَلُونَكَ عَنِ الـرُّوحِ قُـلِ الـرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّي وَمَـا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85])(1)

قال آخر(2): فكيف إذن يعجز محمد ﷺ أن يـأتيهم بجـواب، وهو صاحب العقل الباطن المملوء بالمعارف، وصاحب الوجدان الملتهب، والنفس المتوثبـة، والقريحـة المتوقـدة، والبديهـة الحاضرة.. ما ذلك إلا لأن القرآن الكريم تنزيل من حكيم حميـد لا دخل لرسول الله ﷺ بشيء منه.

قال آخر(3): كما ينقض هذه الفرية كـون العقـل البـاطن ـ على ما يقول علماء النفس ـ إنما يفيض بمـا فيـه في غفلـة من العقل الظـاهر، ولـذلك لا يظهـر مـا فيـه إلا عن طريـق الـرؤى والأحلام، والأمراض كـالحمى مثلا، وفى الظـروف غـير العاديـة، والقرآن الكريم لم ينزل شيء منه في هذه الحالات، وإنما نزل على نبي الله ﷺ يقظة لا مناما، وفي اكتمـال من عقلـه وبدنـه، في تمام صحة نفسه.

قال آخر(4): أما ما استدلوا بـه من قصـة الفتـاة الفرنسـية (جان دارك) فباطلة، لأن (جان دارك) لم تـدع النبـوة، ولـو أنهـا ادعت لمـا صـدقت، لأن دعـوى النبـوة لا تثبت إلا بـدليل وهي المعجزة، ولم يظهـر من هـذا على يـدها.. والفتـاة لا شـك أنهـا كانت قوية القلب، مرهفـة الحس، أصـيبت بهيجـان عصـبي لمـا أصـاب قومهـا من اضـطهاد وظلم ممـا حـرك وجـدانها بسـبب شعورها الـديني، فاستنهضـت قومهـا للقتـال، وقـادتهم للخلاص من ذل الاستعباد.

قال آخر(5): وهذا أمر متكرر في كل البيئـات والأوقـات أن يوجد في مثل هذه الظروف مثل هذه الفتاة من رجال أو نساء، حيث تلاقي دعواتهم هـوى في نفـوس أقـوامهم فيهبـوا وراءهم لنصرة صاحب فكرة الخلاص.

قـال آخـر: وشـبيه بهـذا أصـحاب دعـوى البـاب الإيـراني، والبهاء والقاديـاني وغـيرهم ممن زعمـوا أنـه يـوحى إليهم حيث

1 () كتاب النقول في أسباب النزول حاشية على تفسـير الجلالين، طبعـة عبـد الحميـد حنفي مصـر ص 229 ـ 230.

2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /385.

3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /385.

4 () انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم ص 103، انظر الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا ص 89 ـ 94.

5 () انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم ص 103، انظر الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا ص 89 ـ 94.

وجدوا من يغتر بدعواتهم الكاذبة، فأين دعـوة هـؤلاء جميعـا من دعوة المصطفى ﷺ التي غيرت تـاريخ أمـة فجعلتهـا فريـدة في عقيدتها وشريعتها وهدايتها الربانية قامت على كل ذلك حضـارة لها طابعها الخاص بمدة قياسية.. أما (جان دارك) فإنها لم تصنع بدعوتها أمة ولم تقم بها حضارة فأين الثرى من الثريا؟

الانفعالات العاطفية:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فكيـف تـردون على الشـبهة التي تعتبر منبع الوحي الإلهي لا يخرج عن كونه نتيجة انفعــالات عاطفية، وأنها كانت تسيطر عليه مما كـان يـدعوه إلى الشـعور بأنه يتلقى الوحي الإلهي، بينما لم يكن كذلك[1].

قـال أحـد المشـككين: لقـد عـبر عن هـذه الشـبهة أحـد المستشـرقين، فقـال: (كـانت نبـوة محمـد نابعـة من الخيـالات المتهيجة، والإلهامـات المباشـرة للحس، أكـثر من أن تـأتي من التفكـير النـابع من العقـل الناضـج، فلـو لا ذكـاؤه الكبـير لمـا استطاع الارتقاء على خصومه، مع هذا كان يعتقـد أن مشـاعره الداخلية قادمة من الله بدون مناقشة)[2]

قال آخر: وهذه الشبهة مثـل الشـبهة السـابقة، وهي تـدل على تجن، وسوء فهم واضح للنبـوة ولرسـول اللـه ﷺ، وأدواره العظيمة التي قام بهـا، والـتي لا يمكن أن تكـون وليـدة فكـر أو عاطفة بشرية مهما كان سموها.

قال آخر[3]: بالإضـافة إلى ذلـك؛ فـإن الاطلاع على سـيرته ﷺ وعلى كيفية نزول الوحي عليه يجد أن الوحي كـان يأتيـه في أوقـات عـدة، وبأشـكال مختلفـة، فقـد كـان يأتيـه في ظـروف اعتيادية، ويقاطعه في ظروف عصيبة وهو بأشـد الحاجـة إليـه.. وكل ذلك يدل على أن الوحي خارج عن ذاته وليس له فيه أدنى تدخل.

قال آخر[4]: ومن الأمثلـة على ذلـك أن المنـافقين خاضـوا في عرضه الشريف في قصة الإفك الـتي افـتريت ضـد زوجتـه، واشتد الأمر عليه، وتمنى لو يجـد شـيئا يقولـه ليـبرئ زوجتـه أو يثبت ما يقولونه فيرتاح مما هو فيـه، لكن لم يسـتطع أن يقـول شيئا حتى نزل عليه الوحي يبرئ زوجته، ويرد كيد المنافقين.

---

1 () تاريخ القرآن، نولديكه 1/5.

2 () تاريخ القرآن، نولديكه 1/5.

3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /387.

4 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /387.

قال آخر[1]: ومثل ذلك ما حصل معه في سؤال المشركين له عن الأسئلة المذكورة في قصة أهل الكهف، ولم يستطع رسول الله ﷺ أن يأتيهم بجواب حتى خاض المشركون في أمر رسول الله ﷺ ما طاب لهم من قول حتى نزلت الإجابة الإلهية عليه.

التنويم الذاتي:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فكيف تردون على الشبهة التي تعتبر منبع الوحي الإلهي لا يخرج عن كونه نتيجة أسباب طبيعية عادية، كباعثة النوم، أو (التنويم الذاتي)[2].

قال أحد المشككين[3]: وهذه شبهة واضحة البطلان؛ فالبعد شاسع بين الوحي وبين عارض السبات الطبيعي الذي يعتري المرء، حيث إن الوحي كان يتنزل على رسول الله ﷺ في أحواله المختلفة، قائما أو قاعدا، أو سائرا أو راكبا، وبكرة أو عشيا، ليلا أو نهارا، وفي أثناء حديثه مع أصحابه أو مع أعدائه، وكان يتنزل فجأة ويزول عنه فجأة، وتنقضي عنه أحيانا في لحظات يسيرة، لا بالتدريج الذي يعرض للوسنان.

قال آخر: وقد ورد في الحديث ما يبين كيفية ذلك، واختلافها التام عن النوم، ومنها ما روي عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ أنه قال: بينما النبي ﷺ بالجعرانة ومعه نفر من أصحابه جاءه رجل فقال: يا رسول الله كيف ترى في رجل أحرم بعمرة وهو متضمخ بطيب؟ فسكت النبي ﷺ ساعة فجاءه الوحي، وعلى رسول الله ﷺ ثوب قد أظل به، فإذا رسول الله ﷺ محمر الوجه، وهو يغط، ثم سري عنه، فقال: أين الذي سأل عن العمرة؟ فأتي برجل فقال: اغسل الطيب الذي بك ثلاث مرات، وانزع عنك الجبة، واصنع في عمرتك كما تصنع في حجتك [4].

قال آخر[5]: فهذا يبين أن الوحى لا يتنزل قبل تحضير مسبق من قبل رسول الله ﷺ ـ كما زعم ذلك (واط) ــ بل هو ظاهرة خارجة عن ذاته الشريفة، وبغير إرادته وأعراضها لا تستجلب ولا تدفع.

---

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /387.
2 () وحي الله، د. حسن عتر ص 141.
3 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /389.
4 () إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري 3/104 ـ 105.
5 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /390.

قال آخر[1]: والذي يزيد هذه الحقيقة وضوحا سماع صوت دوي كدوي النحل عند وجه الرسول ﷺ يسمعه من حوله كما ورد في الحديث: (كان رسول الله ﷺ إذا نزل الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل)[2].. فهل هناك من يسمع عند وجهه مثل هذا الدوي عند النوم؟

التجربة الذهنية:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فكيف تردون على الشبهة التي تعتبر منبع الوحي الإلهي لا يخرج عن كونه نتيجة تجربة ذهنية فكرية، وأن النبي ﷺ أدرك ما أدرك نتيجة قدرته على التركيز، واستدامته ذلك على مستوى تجريدي لا يطيقه غيره [3].

قال أحد المشككين[4]: من أكبر الأدلة على عدم علمية هذه الشبهة عدم واقعيتها؛ فالإنسان مهما جرب وركز بكامل قواه العقلية ليصبح نبيا لا يمكن أن يصبح نبيا، ولا يصل لرتبتها، وأبرز ظواهر النبوة الوحي، وهذا الوحي لا يمكن تحضيره ولا استحضاره وإنما يأتي فجأة وبإذن من صاحبه فقط، وهو الله سبحانه، وبلحظات خاطفة.. فهو إذا ليس نتيجة فيضان نفسي، أو كبت لمجموعة من التأملات احتشدت وتفجرت في نفس النبي ﷺ لأن النبوة اصطفاء رباني علوي مسبوق ببعض الإرهاصات، لا يعرف التدرج إلى ما يسمى النضج في النهاية.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن هذه الظاهرة ليست أمرا بدعيا، وإنما هي حلقة في سلسلة النبوة، ولبنة في صرحها العظيم يعرفه كل أصحاب الديانات، لذا عند ما سمع ورقة بن نوفل من رسول الله ﷺ خبر الوحي قال له: هذا هو الناموس الذي أنزله الله على موسى عليه السلام [5].

قال آخر: ولهذا يدعو الله تعالى إلى مراجعة تواريخ الأنبياء عليهم السلام لمعرفة ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ

1 () وحي الله د. حسن عتر ص 142 ـ 145.
2 () الترمذي (5/327)
3 () انظر مقدمة القرآن، واط ص 18.
4 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /391.
5 () إرشاد الساري لشرح البخاري، 1/65.

مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 163 ـ 164]، وقال: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الأحقاف: 9]

قال آخر[1]: وقد أكد هذه الآيات الكريمة ما ورد في العهد القديم عن الأنبياء والمرسلين الذين ظهروا في بني إسرائيل، والذين قد تلقوا وحي الله بطرق مختلفة، تتمثل في الوحي بالكلام شبه المباشر بين الله والإنسان، أي من وراء حجاب، في صور بشرية تارة، أو في صورتها الطبيعية النوارنية تارة أخرى، وقد تسمع أصوات الملائكة من بعد في خفاء، وهي تلقي الوحي إلى الموحى إليه.

قال آخر[2]: كما تقرر أسفار العهد الجديد أن طرق الوحي إلى الأنبياء متنوعة، وكلها تهدف إلى تعليم الناس دين الله عن طريق رسله الذين كانوا أئمة البشر، وبذلك تعترف المسيحية بجميع طرق الوحي المشار إليها في أسفار العهد القديم[3]، مما يؤكد أن تاريخ الوحي ومظاهره وحالاته ووسائله عند أهل الكتاب في أسفار العهدين لا تختلف عن بعضها فهي تؤكده وتؤمن به وتقره.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن الواقع التاريخي وسيرته ﷺ تكذب وتبطل هذه الفرية.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما نقلته لنا كتب السير عن قدوم عبد الله بن أم مكتوم يطلب من رسول الله ﷺ أن يعلمه مما علمه الله في الوقت الذي كان جالسا يخاطب فيه زعماء قريش ويناجيهم طمعا في إسلامهم، فانصرف عنه وعبس في وجهه، فعاتبه الله عزوجل على ذلك بصدر سورة عبس[4].

1 () آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي (ص 9)

2 () آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي (ص 9)

3 () الوحي والملائكة، حمد عبد الوهاب ص61.

4 () اختلف المفسرون فيمَن هو المعاتب في الآيات الكريمة على رأيين:
الأول: ما ذكرناه هنا، وهو المشهور بين عامّة المفسّرين وخاصتهم، وهو أنها نزلت في عبداللّه بن اُم مكتوم، إنّه أتى رسول اللّه ﷺ وهو يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأُبي وأُميّة بن خلف يدعوهم إلى اللّه ويرجو إسلامهم (فإنّ في إسلامهم إسلام جمع من أتباعم، وكذلك توقف عدائهم ومحاربتهم للإسلام والمسلمين)، فقال: يا رسول اللّه، أقرئني وعلمني ممّا علمك اللّه، فجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدري أنّه مشتغل مقبل على غيره، حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول اللّه ﷺ لقطعه كلامه، وقال في نفسه: يقول هؤلاء الصناديد، إنّما أتباعه العميان والعبيد، فأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم، فنزلت الآية. وكان رسول اللّه ﷺ بعد ذلك يكرمه، وإذا رآه قال: مرحباً بمن عاتبني فيه ربّي، ويقول له: هل لك من حاجة.استخلفه على المدينة مرّتين في غزوتين)
الثاني: ما روي عن الإمام الصادق: إنّها نزلت في رجل من بني اُميّة، كان عند النّبي ﷺ، فجاء ابن اُم مكتوم،

قال آخر: ومثل ذلك حادثة أخذه ﷺ الفدية في عقب غزوة بدر، فنزل عتابه بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: 67 ـ 68]

قال آخر: ومثل ذلك حادثة مجادلة خولة بنت ثعلبة وشكواها زوجها لرسول الله ﷺ فنزل صدر سورة المجادلة قبل مفارقتها المجلس[1].

قال آخر[2]: فما نزل من هذه الوقائع كان في حينه، وقبل أن ينهض رسول الله ﷺ من مجلسه أحيانا مما يؤكد أنه ليس نتيجة إجهاد ذهن أو طول تفكير بساعات الليل لصفائها على حد زعم بعض المستشرقين.

قال آخر: فلو كان رسول الله ﷺ يأتي بهذا القرآن من بنات فكره، وبلمسة فكرية سحرية منه أو بإطالة تأمل فما الذي كان يمنعه من أن يأتي بشيء منه للإجابة على أسئلتهم مع أنه في أشد الحاجة إليه وخاصة في مثل هذه الظروف.

قال آخر[3]: ولكنه ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله، وصدق ربنا إذ قال: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: 44 ـ 47]

فلما رآه تقذر منه وجمع نفسه عبس وأعرض بوجهه عنه، فحكى اللّه سبحانه ذلك، وأنكره عليه (تفسير مجمع البيان، ج 10، ص 437) وقد أيّد المحقق الإسلامي الكبير الشريف المرتضى الرأي الثّاني.

وقد قال ناصر مكارم الشيرازي عن الرأي الأول: وعلى فرض صحة الرأي الأوّل في شأن النزول، فإنّ فعل النّبي ﷺ والحال هذه لا يخرج من كونه (تركاً للأولى)، وهذا ما لا ينافي العصمة، وللأسباب التالية:

أوّلاً: على فرض صحة ما نسب إلى النّبي ﷺ في إعراضه عن الأعمى وإقباله على شخصيات قريش، فإنّه بفعله ذلك لم يقصد سوى الإسراع في نشر الإسلام عن هذا الطريق، وتحطيم صف أعدائه.

ثانياً: إنّ العبوس أو الإنبساط مع الأعمى سواء، لأنّه لا يدرك ذلك، وبالإضافة إلى ذلك فإنّ عبد اللّه بن أُم مكتوم لم يراع آداب المجلس حينها، حيث أنّه قاطع النّبي (مراراً في مجلسه وهو يسمعه يتكلم مع الآخرين، ولكن بما أنّ اللّه تعالى يهتم بشكل كبير بأمر المؤمنين المستضعفين وضرورة اللطف معهم واحترامهم فإنّه لم يقبل من رسوله هذا المقدار القليل من الجفاء وعاتبه من خلال تنبيهه على ضرورة الإعتناء بالمستضعفين ومعاملتهم بكل لطف ومحبّة.

ويمثل هذا السياق دليلاً على عظمة شأن النّبي ﷺ، فالقرآن المعجز قد حدد لنبيّ الإسلام الصادق الأمين أرفع مستويات المسؤولية، حتى عاتبه على أقل ترك للأولى (عدم اعتنائه اليسير برجل أعمى)، وهو ما يدلل على أنّ القرآن الكريم كتاب إلهي وأنّ النّبي ﷺ صادق فيه، حيث لو كان الكتاب من عنده (فرضاً) فلا داعي لإستعتاب نفسه.

ومن مكارم خلقه (كما ورد في الرواية المذكورة، إنّه ﷺ كان يحترم عبد اللّه بن أُم مكتوم، وكلما رآه تذكر العتاب الرّباني له.

وقد ساقت لنا الآيات حقيقة أساسية في الحياة للعبرة والتربية والإستهداء بها في صياغة مفاهيمنا وممارستنا، فالرجل الأعمى الفقير المؤمن أفضل من الغني المتنفذ المشرك، وأنّ الإسلام يحمي المستضعفين ولا يعبأ بالمستكبرين (الأمثل: ج 19، ص 412)

1 () أسباب النزول للواحدي ص 304.

2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /393.

3 () النبأ العظيم، دراز ص 23 ـ 24.

قال آخر: ومثل ذلك الآيات الكثيرة التي عاتب الله تعالى فيها رسول الله ﷺ على إثر تصرف معين منه ﷺ كقوله تعالى على إثر تحريم رسول الله ﷺ شيئا على نفسه دون تحريم الله له: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التحريم: 1]

قال آخر: وكقوله تعالى على إثر موقفه ﷺ من زينب بنت جحش أم المؤمنين، والتي كانت زوجا لمتبناه زيد بن حارثة: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: 37]

قال آخر[1]: أرأيتم لو كانت هذه التقريعات المؤلمة صادرة عن وجدانه ﷺ!؟ ومعبرة عن ندمه، ووخز ضميره، حين بدا له خلاف رأيه الأول أكان يعلنها عن نفسه بهذا التهويل والتشنيع والعتاب المر والتأنيب الشديد؟.. أليس في سكوته ستر على نفسه، واستبقاء لحرمة آرائه، فلو كان القرآن صادرا عن نفسه لكان أولى شيء بالكتمان مثل هذه الآيات؟

قال آخر[2]: بالإضافة إلى ذلك كله؛ لقد كان يجيئه الأمر أحيانا بالقول المجمل أو الأمر المشكل الذي لا يستبين هو ولا أصحابه تأويله حتى ينزل الله عليه بيانه، فأي عاقل يا ترى توحي إليه نفسه كلاما لا يفهم هو معناه، وتأمره أمرا لا يعقل هو حكمته، أليس ذلك من الأدلة الواضحة على أنه ناقل لا قائل، وأنه مأمور لا آمرا، وأن القرآن ليس من تأملات فكره، ولا من صنيع خياله، بل تنزيل من حكيم حميد.

الكهانة والتنجيم:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فكيف تردون على الشبهة التي تعتبر منبع الوحي الإلهي لا يخرج عن كونه حالة كحالة الكهنة والمنجمين، وذلك بناء على كون القرآن الكريم ـ كما يزعمون ـ استعمل السجع الذي يستعمله الكهنة والمنجمون[3].

قال أحد المشككين: إن أول ما يجاب به على هذه الشبهة

1 () النبأ العظيم ص 25.
2 () النبأ العظيم ص 28.
3 () انظر قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، د. فضل عباس ص 42.

هو مخالفتها للواقع الذي نزل فيه القرآن الكـريم، ذلـك أنـه لـو كان أسلوب القرآن الكريم مشابها لأسـاليب الكهنـة والمنجمين والسحرة لأجابوا للتحدي؛ فقومـه ﷺ لم يكونـوا أقـل حقـدا، ولا أقل كراهية للإسلام ممن جاء بعدهم.

قال آخر[1]: وها هو الوليد وعتبة بن ربيعة وغيرهما يـردون بكـل حـزم ويرفضـون بكـل إنصـاف أن يكـون أسـلوب القـرآن الكريم مشابها لأسلوب الكهان وسجعهم أو المنجمين وكلامهم، أو السـحرة ونفثهم، ولم يقولـوا إن حالـة صـدور الـوحي عنـه كحالـة هـؤلاء مـع أنهم معاصـرون لـه، ومن أكـثر النـاس خـبرة بذلك.

قـال آخر[2]: وقـد روت لنـا كتب الأدب والتـاريخ شـيئا من سـجع الكهـان والمنجمين، وأفعـال السـحرة وكلامهم، وعن أحـوالهم حين صـدور ذلـك عنهم، فالمنصـف لا يرتـاب في أن أسلوب القرآن ونظمه، والحالة التي يكون فيها ناقله للنـاس ﷺ يختلف كلية عن أولئك المـذكورين، لـذا نفى سـبحانه أن تكـون حالته كحـالتهم أو كلامـه ككلامهم قـال تعـالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحاقة: 38 ـ 43]

قال آخـر: وقـد روي في سـبب نـزول الآيـات الكريمـة أن الوليد قال: إن محمدا ﷺ ساحر، وقال أبو جهـل: شـاعر، وقـال عتبة: كاهن، فرد الله تعـالى عليهم بهـذه الآيـات هـذه المـزاعم والأكاذيب؛ لأن عدم مشابهة القرآن الشعر أمر بين لا ينكـره إلا معاند، بخلاف مباينته للكهانة فإنها تتوقف على تـذكر أحوالـه ﷺ ومعاني القرآن المنافية لطريق الكهانـة ومعـاني أقـوالهم وكـل ذلك كان واضحا جليا ومعروفا لدى معاصريهم[3].

ب. المرض العصبي:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فكيـف تـردون على الشـبهة الثانية التي تعتبر الـوحي الإلهي لا يخـرج عن كونـه نتيجـة حالـة صرع يغيب فيها عن الناس وعما حوله، ويظل ملقى على إثرها بين الجبال لمدة طويلة، يسمع لـه على إثرهـا غطيـط كغطيـط

[1] () آراء المستشرقين حول القرآن: 1/ 394.
[2] () آراء المستشرقين حول القرآن: 1/ 394.
[3] () معاني القرآن، للآلوسي 29/53 ـ 54.

النائم، ويتصبب عرقه، ويثقل جسمه.

قال آخر: ومثل ذلك اعتباره حالة هستيرية، وتهيجا عصبيا، يظهر عليه أثرها في مزاجه العصبي القلق، ونفسه كثيرة العواصف بشكل غامض، حتى كان يصل به الأمر أن لا يفرق بين تعاقب الليل والنهار، وقد هزل على إثرها جسمه، وشحب لونه، وخارت قواه(1).

قال آخر(2): كل هذه مزاعم ومفتريات ليس لها سند من الواقع التاريخي، فرسول الله ﷺ عاش ومات وهو بكامل صحته وعافيته، ولم يظهر عليه أي عارض نفسي أو عصبي على ما يزعمون.. بل على العكس من ذلك كان عاقلا ذكيا فطنا، يمتاز بسرعة البديهة، وحصافة الرأي وسداد التفكير، واستقرار النفس، قويا في جسمه وذاكرته، سليما في كل أعضائه، ويشهد لذلك جهاده الطويل، وسياسته الحكيمة، وتخطيطاته الحربية الناجحة، وتنظيماته الاجتماعية الكاملة، وكمال الدين الذي دعا له.

قال آخر: وهذه الشبهة تلقاها هؤلاء المستشرقون من أسلافهم من أهل مكة الحاقدين على رسول الله ﷺ، كما ذكر الله تعالى ذلك، فقال: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: 22]، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: 184]

قال آخر: وقد ذكر بعض العلماء سبب قولهم ذلك، فقال: (واعلم أن بعض الجهال من أهل مكة كانوا ينسبون إليه الجنون لأن فعله ﷺ كان مخالفا لفعلهم؛ وذلك لأنه ﷺ كان معرضا عن الدنيا مقبلا على الآخرة، مشتغلا بالدعوة إلى الله، فكان العمل مخالفا لطريقتهم، فاعتقدوا فيه أنه مجنون)(3)

قال آخر: ثم نقل عن بعض السلف قوله: (إن النبي ﷺ قام ليلا على الصفا يدعو فخذا فخذا من قريش، فقال يا بني فلان يا بني فلان، وكان يحذرهم بأس الله وعقابه، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون، واظب على الصياح طول هذه الليلة، فأنزل الله تعالى هذه الآية وحثهم على التفكر في أمر الرسول ﷺ، ليعلموا أنه إنما دعا للإنذار لا لما نسبه إليه

---

1 () انظر مقدمة القرآن، مونتجمري، واط ص 17 ـ 18، ومقدمة القرآن ل بل ص 29 ـ 30، وكتاب العقل المسلم ص 41، كتاب حياة محمد هيكل، ص 45.

2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /398.

3 () التفسير الكبير (15/420)

الجهال[1].

قال آخر: وذكر سببا آخر لقولهم ذلك، فقال: (كان ﷺ يغشاه حالة عجيبة عند نزول الوحي فيتغير وجه ويصفر لونه، وتعرض له حالة شبيهة بالغشي، فالجهال كانوا يقولون إنه جنون فالله تعالى بين في هذه الآية أنه ليس به نوع من أنواع الجنون، وذلك لأنه ﷺ كان يدعوهم إلى الله، ويقيم الدلائل القاطعة والبينات الباهرة، بألفاظ فصيحة بلغت في الفصاحة إلى حيث عجز الأولون والآخرون عن معارضتها، وكان حسن الخلق، طيب العشرة، مرضي الطريقة نقي السيرة، مواظبا على أعمال حسنة صار بسببها قدوة للعقلاء العالمين، ومن المعلوم بالضرورة أن مثل هذا الإنسان لا يمكن وصفه بالجنون، وإذا ثبت هذا ظهر أن اجتهاده على الدعوة إلى الدين إنما كان لأنه نذير مبين، أرسله رب العالمين لترهيب الكافرين، وترغيب المؤمنين)[2]

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فقد كان رسول الله ﷺ أكمل الرجال عقلا، وأشدهم فطنة، وأصوبهم قولا، وأحكمهم فعلا، وقد تحدى الله المشركين الذين عرفوه وعايشوه وخبروا حاله أن يثبتوا عليه جنونا أو اختلال عقل، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: 46] ففي قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ أي جنون، تنبيه لهم على أن ما عرفوه من رجاحة عقله كاف في ترجيح صدقه؛ والتعبير عنه ﷺ بـ (صاحبهم) للإيماء، أن حاله معروف مشهور بينهم؛ لأنه نشأ بين أظهرهم معروفا بقوة العقل، ورزانة الحلم، وسداد القول والفعل[3].

قال آخر: وبذلك؛ فإن الآية الكريمة تقول لهم: (ها هو ذا تاريخ محمد ﷺ وأحاديثه، وسننه، وآدابه، وأخلاقه، وشريعته، تحت أنظاركم فانظروا وتفكروا من غير هوى ولا عصبية في جوانب ذلك كله، واستخرجوا منه ــ ولن تستطيعوا ــ ما يقيم عوج دعواكم، وإفك أباطيلكم، ولكنكم علمتم أن محمدا ﷺ معصوم بعصمة الله عز وجل الذي أرسله ليقوض بنيان الكفر

---

1 () التفسير الكبير (15/420)

2 () التفسير الكبير (15/420)

3 () محاسن التأويل للقاسمي ١٤/٣٤.

والنفاق)[1]

قال آخر[2]: بالإضافة إلى هذا؛ فإن ثمـة فرقـا واضـحا بين صـور الـوحي الـذي كـان يتلقـاه النـبي ﷺ وبين أعـراض مـرض الصرع الذي زعمه هـؤلاء المستشـرقون، فمن أعـراض مـرض الصرع، (أن يرى المريض شبحا، ويسمع صوتا، أو يشـم رائحـة، ويعقب ذلك وقوع المريض صارخا على الأرض، وفاقدا وعيه ثم تتملكه رعدة تشنجية، تتصلب فيها العضلات، وقـد يتوقـف فيهـا التنفس مؤقتا، ويعقب النوبـة خـور في القـوى، واسـتغراق في النوم يصحو منه المريض خالي الذهن من تذكر ما حدث له)[3]

قال آخر[4]: والثـابت علميـا أن المصـروع يتعطـل تفكـيره وإدراكـه تعطلا تامـا، فلا يـدري أثنـاء نوبتـه مـا يـدور حولـه، ولا يجيش في نفسه ويغيب عن صـوابه، وتعتريـه تشـنجات تتوقـف فيها حركة الشعور عنده، ويصـبح المـريض بلا إحسـاس، وأبـرز سمة عنده تكون النسيان، ولكن الرسول ﷺ لم يكن يظهر عليه شيء من ذلك، حيث كان يبقى في تمام وعيه قبل وخلال وبعـد حالة الوحي، فكان يفصم عنه وقد وعى كل ما قالـه لـه جبريـل عليـه السـلام من آيـات بينـات وتشـريعات محكمـات وعظـات بليغات وأخلاق عظيمة، وكلام بلغ الغاية القصـوى في الفصـاحة والبلاغـة والإعجـاز حـتى طأطـأ لإعجـازه أقـدر النـاس فصـاحة وبلاغة فرادا أو مجتمعين وفي كل الأزمان.

قال آخر[5]: بالإضافة إلى ذلـك؛ فقـد أثبتت وسـائل الطب الحـديث والأجهـزة المتقدمـة في التشـخيص والعلاج أن نوبـات الصـرع ناتجـة عن تغـيرات فسـولوجية عضـوية في المخ، حيث أمكن تسجيل تغيرات كهربائية في المخ أثناء النوبـات الصـرعية مهما كان مظهرها الخارجي، كما أثبت الطب الحديث أن هنـاك مظاهر عديدة ومختلفة لنوبات الصرع وذلـك تبعـا لمراكـز المخ الـتي تبـدأ فيهـا التغـيرات الكهربائيـة، وتبعـا لطريقـة انتشـارها وسرعته.

قـــال آخر[6]: وأهم نوبـــات الصـــرع، النوبـــات الصـــرعية

---

1 () الرد على شبهات عصمة النبي ﷺ (١/٤٣٦)

2 () محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام: 4/190.

3 () الموسوعة العربيـة الميسـرة ليوسـف إليـاس سـركيس (حـرف الصـاد)، مـادة صـرع؛ نقلا من الـرد على شبهات عصمة النبي ﷺ.

4 () المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص103.

5 () المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص103.

6 () المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص104.

النفسية، وفي هذه الحالة من نوبات الصرع تمر بذهن المـريض ذكريات قديمة، وأحلام مرئية أو سمعية أو الاثنان معا، وتسـمى (بالهلاوس)وهذه الذكريات يكون قد عاشها المـريض نفسـه، ثم احتفظ بهـا في مخـه في ثنايـاه، استدعتها للخـروج من مكانهـا الحالة الصرعية التي انتابته، وقد أمكن طبيا إجراء عملية التنبيه لها بواسطة تيار كهربـائي صـناعي سـلط على جـزء خـاص في المخ فشعر المريض بنفس (الهلاوس)التي تنتابه في أثنـاء نوبـة الصرع.

قال آخر[1]: وبتطبيق ما قـرره الطب الحـديث في حقـائق الصـرع على مـا كـان يعـتري النـبي ﷺ، نجـده يـردد آيـات لم يسمعها من قبل في حياته أخبره بها الله عز وجل، ولمـا كـانت هذه الأحاديث والآيات والأحوال لم تمر به ﷺ من قبـل، فهي إذا لم تخـتزن بالتـالي في مخـه لتثيرهـا وتخرجهـا نوبـات صـرعية فيتذكرها وينطق بها، فيظهر جليا أن ما كان يعـزي رسـول اللـه ﷺ هي حالة نفسية وجسدية لتلقي وحي الله سبحانه.

قال آخر[2]: ولذلك؛ فإن هناك فرقا شاسـعا بين الحـالتين: حالة الصرع التي تنتاب المصروعين، وحالة الـوحي الـتي تعـزي الأنبياء عليهم السلام، ولا شك أن الطعن في الوحي الذي نــزل على محمد ﷺ طعن في كل ما نزل على أنبياء الله من قبل.

قال آخر[3]: ونفس الأمر يقال في شبهة كون الوحي ناتجا عن مـرض الهسـتريا الـذي يعتـبر مرضـا عصـبيا عضـالا، ومن أعراضه شذوذ في الخلق، وضيق في التنفس إلى حد الاختناق، ويظهـر عليـه ضـيق في الصـدر واضـطراب في الهضـم، وقـد تصـحب هـذه الأعـراض كـذلك بحركـة واضـطراب في اليـدين والرجلين إلى حد الشلل في بعض الأعضـاء؛ فـإذا تـابع المـرض تقدمـه جـاء دور التشـنج فيسـبقه بكـاء وعويـل، وكـرب عظيم وهذيان، ينتهي إلى حد الإغماء، فـإذا تجـاوز هـذه المرحلـة فـإن المريض يرى أشباحا تهدده وتسخر منه، وأعداء تحاربه، ويسمع أصـواتا لا وجـود لهـا في الحس والواقـع.. وفي هـذا الـدور يقـع المريض بحركة مضطربة، وقفز من مكـان لمكـان على صـورة تلقي الذعر في قلب كـل من يـراه.. قـال آخـر: وهـذا الوصـف

1 () المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص105.

2 () المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص106.

3 () انظر القرآن والمستشرقون، رابح جمعة (٢٧)، ومناهل العرفان للزرقاني (١/٧٤)

لأعراض هذا المرض لم يكن يظهر منه شيء على رسـول اللـه ﷺ الذي كان يتمتع بشهادة الأعداء قبل الأصدقاء بصـحة جيـدة، وعقـل رصـين، ونفس هادئـة، وخلـق كـريم، وحركـات متزنـة، ويشهد لصحته وقوته صرعه ركانة بن عبد يزيد، الذي كان أقوى عصره [1]، ويشهد لرجاحـة عقلـه وسـلامته فصـله في خصـومة قريش في شرف وضع الحجر الأسود في مكانه [2]، والطب لم يخرج لنا مريضا واحـدا مصـابا بمثـل هـذا المـرض وقـال كلامـا معقولا وآراء راجحة.

قال آخر: فإذا كان هذا هـو الثـابت علميـا فهـو بخلاف أمـر رسول الله ﷺ، فلا يظهر عليه شيء مما ذكـر من أعـراض هـذا المرض عند نزول الوحي عليه، بل يظل في تمام وعيه، وكامـل قوته العقلية، قبل وأثناء وبعد الوحي، كمـا قـال ﷺ، لمـا سـئل: كيف يأتيك الوحي؟ قال: (أحيانا يـأتيني مثـل صلصـلة الجـرس، وهو أشدّه علي، فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال)[3]

قال آخر[4]: بالإضافة إلى ذلك؛ فقد عـاش رسـول اللـه ﷺ طيلة حياته في صحة نفسية وعصـبية وعقليـة دائمـة، لم يطـرأ عليه أي خلل في عقله أو أعصابه في يوم من الأيـام، بـل كـان ﷺ بشهادة القرآن والسنة والتاريخ، وديعا صبورا حليما، بل كـان عظيم الصـبر، واسـع الحلم والصـدر حـتى أنـه ﷺ وسـع النـاس جميعا ببسطه وخلقه.. فهل يتفق هذا المرض ومـا هـو معـروف عن النبي ﷺ من أنه كان أمة وحده، في أخلاقه، وثباته، وحلمه، وسلامة جسمه وقوة بنائه؟.

قال آخر[5]: ثم ما رأي هؤلاء الطاعنين ــ وفيهم من ينتمي إلى بعض الأديان ـ في أنهم لا ينالون من نبـوة وعصـمة رسـول الله ﷺ وحده؛ وإنما ينالون من جميع أنبيـاء اللـه ورسـله الـذين كانت لهم كتب أو صحف، أوحي بها من عند الله سبحانه.. فهـل تطيب نفوس المقرين بالأديان منهم أن يخربوا بيـوتهم قبـل أن يخربوا بيوت غيرهم؟

قـال آخر[6]: فمـا رأيهم فيمـا جـاء في كتب العهـد القـديم

1 () الاستيعاب في تمييز الأصحاب (١/٥١٥، ٥١٦)
2 () السيرة النبوية للذهبي (٣٣: ٣٢)
3 () البخاري (٢)
4 () محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام: 4/191.
5 () محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام: 4/191.
6 () محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام: 4/191.

والجديد، من إيحاءات ونبـوءات؟.. وهـل يقولـون في وحى نـبي الله موسى وعيسى ـ عليهما السلام ـ ما يقولون في وحى نبينا محمد رسول الله ﷺ؟

قال آخر: بالإضافة إلى هذا؛ فإن الصرع كان مرضا معروفا لعـرب الجاهليـة، ولم يكن ليغيب عنهم كـون رسـول اللـه ﷺ مصابا به لو كان حقا، إذ لـو كـان مصـابا بمثـل هـذا لأخـذ عليـه المشركون مثل هذا، والدليل على هـذا روايـة المـرأة السـوداء الشهيرة؛ فعن عطاء قال: قال لي ابن عبّـاس: ألا أريـك امـرأة من أهل الجنّة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السّوداء أتت النّبيّ ﷺ فقالت: إنّي أصـرع وإنّي أتكشّـف فـادع اللـه لي، قـال: (إن شئت صبرت ولـك الجنّـة وإن شـئت دعـوت اللـه أن يعافيـك)، فقالت: أصبر فقالت: إنّي أتكشّف فادع الله لي أن لا أتكشّــف، فدعا لها[1].

قال آخر: فهذا وغيره دليل على كـون الصـرع كـان مرضـا معروفا للعرب الجاهليين، ولم يكن يخفي عليهم إصابة الرسول ﷺ به لو كان كذلك خاصة مع وجود العديـد من الصـحابة ثـاقبي النظر المعروفين بالفراسة، ودقة النظر.

قال آخر: فلو كان النـبي ﷺ مصـابا بمـرض الصـرع، لـذكر ذلك أصحابه الذين لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة إلا نقلوها عنه، أو ذكره أعداؤه في ذلك العصر، وهم الذين كانوا يتربصون بـالنبي ﷺ الدوائر، ويودون أن يظفروا منه ولو بشيء يسير يعيرونه به.

4. التشكيك والحفظ:

قال أحـد الحضـور: وعينـا هـذا؛ فحـدثونا عن الشـبه الـتي أثارها المستشرقون وغيرهم حول حفظ القرآن الكريم.

قال أحد المشـككين: هي كثـيرة جـدا، ولا يسـعنا في هـذا المقام ذكرها، ولا الرد على تفاصيلها[2]، ذلك أن كل بنيانها ينهد بما نراه في الواقع من كون مصاحف المسـلمين مهمـا اختلفت ديارهم ومذاهبهم وطوائفهم واحدة، وهو الدليل الـواقعي الـذي لا يمكن لأحد جحوده.

قـال آخـر: وهكـذا عنـدما يسـمعون قـراء القـرآن الكـريم

---

1 () البخاري (٥٣٢٨)، مسلم (٢٥٧٦)

2 () اكتفينا هنا بالإشارة للموضوع، بذكر بعض النماذج، لأنه سبق ذكره بتفصـيل في الجـزء الأول والثـالث من هذه السلسلة.

وحفظته، ومن جميع الأقطار الإسلامية، يجدون قرآنا واحدا، لا يزيد في أي محل أو ينقص.

قال آخر: وهكذا لو راجعوا كل المصاحف القديمة، أو التفاسير التي فسرت القرآن الكريم، ومن كل المذاهب؛ فلن يجدوا إلا مصحفا واحدا هو هذا الذي لا يزال بين المسلمين.

قال آخر: وبخلاف ذلك نرى الكتب المقدسة للمسيحيين واليهود، وكيف حصل الخلاف الشديد بين طوائفها، بل وجد فيها ما يدل على تحريفها وتبديلها، وهو ما لم يستطيعوا إثباته في القرآن الكريم.

قال آخر: ولذلك تركوا كل هذه الأدلة، وراحوا إلى أحاديث آحاد، يؤولونها كما يشتهون، ليخدموا بذلك غرضهم الذي انطلقوا منه، لا الحقيقة التي كان عليهم أن يصرحوا بها.

قال أحد الحضور: فهلا ذكرتم لنا أمثلة على تلك الشبهات، لنرى حقيقتها، ونرى كذلك وجه الرد عليها.

قال أحد المشككين: سنذكر لكم مثلين عنها، لتروا مدى تهافتها وضعفها، وعدم قدرتها على المس بالقرآن الكريم، ذلك الذي تعهد الله بحفظه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، وهي الآية التي لا نجد لها نظيرا في كل الكتب المقدسة، والتي وكل الحفظ فيها لأهلها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: 44]

المثال الأول:

قال أحد الحضور: فاذكروا لنا المثال الأول.

قال أحد المشككين[1]: المثال الأول دعواهم أن القرآن الكريم قد زيد فيه ما ليس منه، واستدلوا على ذلك بما ورد أن عبد الله ابن مسعود أنه كان لا يكتب الفاتحة والمعوذتين في مصحفه.. وفي رواية كان يحك المعوذتين من مصحفه ويقول: إنما أمر النبي ﷺ أن يتعوذ بهما، ويقول: (إنهما ليست من كتاب الله)[2].

---

1 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /408.

2 () انظر مقدمة القرآن، واط ص 46.

قال آخر: والرد على هذه الشبهة من وجـوه كثـيرة.. أولهـا أن هاتين السورتين مما نقل من القرآن الكريم بالتواتر، وهو ما لا يمكن رده بالآحاد، بالإضـافة إلى أن الكثـير من القـراء الـذين يسـندون في قـراءتهم لابن مسـعود، يعتبرونهـا من القـرآن الكريم، ولو كان ابن مسعود لا يراها كذلك، لما رووها عنه.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك القارئ المعـروف صـاحب أكـثر القـراءت القرآنيـة انتشـارا، عاصـم بن أبي النجـود، فمن جملـة أسـانيده في قراءتـه روايتـه عن زر بن حـبيش عن ابن مسـعود عن رسـول اللـه ﷺ، ومن ضـمن مـا تلقـوه عنـه، المعوذتان والفاتحة [1].

قـال آخـر: ومثلـه حمـزة بن حـبيب الزيـات، أحـد القـراء السبعة الـذي أخـذ القـراءة عرضـا عن سـليمان الأعمش الـذي كان يجود حرف ابن مسعود، والذي أخـذه عن رسـول اللـه ﷺ، وفيه المعوذتان والفاتحة [2].

قال آخر: ومثله أبو الحسن علي بن حمزة الكسـائي الـذي تلقى قـراءة القـرآن عن حمـزة بسـنده إلى ابن مسـعود عن رسول الله ﷺ وفيه المعوذتان والفاتحة [3].

قـال آخـر: ومثلـه أبـو محمـد خلـف بن هشـام أبـو محمـد الأسـدي الـبزار البغـدادي أحـد القـراء العشـرة والروايـات عن سليم بن حمزة الذي تنتهي قراءته إلى ابن مسعود إلى رسـول الله ﷺ وفيه المعوذتان والفاتحة [4].

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فقد ثبت عن النـبي ﷺ أنهمـا من القرآن الكريم الذي نزل عليه، وكان يقرأ بهمـا في الصـلاة؛ فعن عقبة بن عامر، قال: قال لي رسـول اللـه ﷺ: (أنـزل علي آيات لم ير مثلهن قط المعوذتين)[5]

قال آخر: ومثله ما روي عنه، قال: بينا أقـود برسـول اللـه ﷺ في نقب من تلـك النقـاب، إذ قـال: ألا تـركب يـا عقبـة؟ فـأجللت رسـول اللـه ﷺ أن أركب مـركب رسـول اللـه ﷺ، ثم قـال: ألا تـركب يـا عقبـة؟ فأشـفقت أن يكـون معصـية، فـنزل وركبت هنيهة، ونزلت وركب رسول الله ﷺ، ثم قال: ألا أعلمـك

1 () غاية النهاية في طبقات القراء 1/347 ـ 348.

2 () غاية النهاية في طبقات القراء 1/261 ـ 262.

3 () غاية النهاية في طبقات القراء 1/535 ـ 540.

4 () غاية النهاية في طبقات القراء 1/273.

5 () مسلم (٨١٤)

سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس فأقرأني ﷺ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، فأقيمت الصلاة، فتقدم فقرأ بهما، ثم مر بي فقال: كيف رأيت يا عقبة بن عامر؟ اقرأ بهما كلما نمت وقمت [1].. وفي رواية: أنه سأل رسول الله ﷺ عن المعوذتين، قال: فأمنا بهما رسول الله ﷺ في صلاة الفجر.

قال آخر: ومثل ذلك ما روي عن أبى العلاء قال: قال رجل: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، والناس يعتقبون، وفى الظهر قلة فحانت نزلة رسول الله ﷺ ونزلتي فلحقني من بعدي فضرب منكبي فقال: قل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ فقلت: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ فقرأها رسول الله ﷺ وقرأتها معه ثمّ قال: قل ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ فقرأها رسول الله ﷺ وقرأتها معه قال: (إذا أنت صلّيت فاقرأ بهما)[2]

قال آخر: ومثل ذلك ما روي عن زر قال: سألت أبيّ بن كعب قلت: يا أبا المنذر؛ إنّ أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال أبيٌّ: سألت رسول الله ﷺ فقال لي: قيل لي فقلت قال: فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ [3].. وفي لفظ عن زرّ بن حبيش قال: قلت لأبىّ بن كعب: إنّ ابن مسعود كان لا يكتب المعوّذتين في مصحفه، فقال: أشهد أنّ رسول الله ﷺ أخبرني أنّ جبريل ـ عليه السلام ـ قال له: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ فقلتها، فقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ فقلتها، فنحن نقول ما قال النبي ﷺ [4].

قال آخر: ومثل ذلك ما روي عن إبراهيم النخعي قال: قلت للأسود: من القرآن هما؟ قال: نعم، يعني المعوذتين [5].

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإنه إن صح ما روي عن ابن مسعود من عدم كتابتهما في المصحف؛ فإن ذلك لا يعني عدم اعتبارهما من القرآن الكريم، وقد قال ابن حجر في ذلك: وقد تأول القاضي أبو بكر الباقلاني في كتاب (الانتصار)وتبعه عياض وغيره ما حكي عن ابن مسعود فقال: لم ينكر ابن مسعود كونهما من القرآن، وإنما أنكر إثباتهما في المصحف، فإنه كان

---

1 ()النسائي ٨/٢٥٢، وابن خزيمة في صحيحه (٥٣٥) والحاكم في مستدركه ١/٣٦٦.

2 () أحمد ٥/٢٤، والنسائي في الكبرى (٧٨٥٩)

3 () البخاري (٤٩٧٧)

4 () أحمد ٥/١٢٩.

5 () ابن أبي شيبة في مصنفه ٦/١٤٦.

يـرى أن لا يكتب في المصـحف شـيئا إلا إن كـان النـبي ﷺ أذن في كتابته فيه، وكأنه لم يبلغه الإذن في ذلك، قال: فهـذا تأويـل منه، وليس جحدا لكونهما قرآنا)[1]

قال آخر: ومثله قال ابن قتيبة: (وأما إسقاطه الفاتحـة من مصحفه، فليس لظنه أنها ليست من القرآن ـ معاذ الله ـ ولكنـه ذهب إلى أن القرآن إنما كتب وجمع بين اللوحين مخافة الشـك والنسيان والزيادة والنقصـان.. ومعـنى هـذا أن عـدم كتابـة ابن مسعود للفاتحة في مصحفه كان سببه وضـوح أنهـا من القـرآن وعدم الخوف عليها من الشك والنسيان والزيادة والنقصان)[2]

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن جميع المسلمين يـرددون ما قال الزرقاني في هذا: (إننـا إن سـلمنا أن ابن مسـعود أنكـر المعوذتين وأنكر الفاتحة؛ بل أنكر القرآن كله فإن إنكاره هـذا لا يضرنا في شيء؛ لأن هذا الإنكار لا ينقض تواتر القرآن، ولا يرفع العلم القاطع بثبوته القائم على التواتر، ولم يقل أحد في الـدنيا إن من شرط التواتر والعلم اليقيني المبني عليه ألا يخالف فيـه مخالف وإلا لأمكن من هـدم كـل تـواتر، وإبطـال كـل علم قـام عليه بمجرد أن يخالف فيه مخالف ولو لم يكن في العير ولا في النفير، [3]

قال آخر: وقال البزار: (وهذا الكلام لم يتابع عبد الله عليـه أحدٌ من أصحاب النّبيّ ﷺ، وقد صحّ عن النّبيّ ﷺ أنّـه قـرأ بهمـا في الصّلاة وأثبتتا في المصحف)[4]

قال آخر: ولا شكّ أن إجماع الصحابة على قرآنيتهما كـاف في الردّ على هـذا الطعن، ولا يضـرّ ذلـك الإجمـاع مخالفـة ابن مسعود في حال صحته، فإنه لا يعقل تصـويب رأي ابن مسـعود وتخطئة الصحابة كلهم؛ بل الأمة كلها [5].

المثال الثاني:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فاذكروا لنا المثال الثاني.

قـال أحـد المشـككين: المثـال الثـاني دعـواهم أن القـرآن نقص منه بعض السور مستدلين على ذلك بكتابة بعض الصحابة

---

1 () فتح الباري لابن حجر ٨/٦١٥.

2 () مناهل العرفان ١/١٩٢.

3 () مناهل العرفان في علوم القرآن ١/١٩٢، وانظر روح المعاني ٣٠/٢٧٩، التنكيل بما في تأنيب الكـوثري من الأباطيل ٣/٣٣.

4 () مسند البزار ١/٢٦٨.

5 () كتاب جمع القرآن ١/١٧٦.

كــأبي بن كعب بعض الســور، ولم تكتب في القــرآن الحــالي، ويقصدون بذلك ما يطلقون عليه [سورتي الخلع والحفد] (1)

قال آخـر: وهم يريـدون بسـورة الخلـع الـدعاء المعـروف: (اللهم إنا نستعينك، ونستغفرك، ونثـني عليـك الخـير.. نشـكرك ولا نكفـرك.. ونـؤمن بـك ونخضـع لـك.. ونتوكـل عليـك، ونخلـع ونـترك من يفجـرك).. ويقصـدون بسـورة الحفـد هـذا الـدعاء: (اللهم إياك نعبـد، ولـك نصـلي ونسـجد، وإليـك نسـعى ونحفـد، نرجو رحمتك، ونخاف عذابك، إن عذابك الجد بالكفار ملحق)(2)

قال آخر: وأول الردود الواضحة على هذا الادعاء هـو كـون هذا الدعاء مع ترديد المؤمنين بفـرقهم المختلفـة لـه، لم يوضـع في المصــاحف، ولم يــزعم أحــد أنــه قــرآن نــزل مثلمــا يــنزل القرآن.

قـال آخـر: أمـا كونـه وحيـا أوحي بـه إلى رسـول اللـه ﷺ؛ فالقرآن الكريم يذكر أن كل أقوال رسول الله ﷺ بل كل أفعاله أيضـا مبنيـة على الـوحي الإلهي، كمـا قـال تعـالى: ﴿مَـا ضَـلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُـوحَى﴾ [النجم: 2 ـ 4].. لكن لا يعتـبر من القـرآن الكـريم منـه إلا مـا نـزل بتلك الهيئة الخاصة، والتي تواتر نقلها.

قال آخـر: وقـد قـال بعض العلمـاء في ذلـك في ذلـك: (لا خلاف أن كـل مـا هـو من القـرآن يجب أن يكـون متـواترا في أصله، وأجزائه، وأما محل وضعه وترتيبه فكذلك عند المحققين، للقطع بأن العـادة تقضـي بـالتواتر في تفاصـيل مثلـه؛ لأن هـذا المعجــز العظيم الــذي هــو أصــل الــدين القــويم، والصــراط المستقيم مما تتـوفر الـدواعي على نقـل جملـه وتفاصـيله، في نقل آحادا ولم يتواتر يقطع بأنه ليس من القرآن قطعــا.. وذهب كثير من الأصوليين إلى أن التواتر شـرط في ثبـوت مـا هـو من القرآن بحسب أصله، وليس بشـرط في محـل وضـعه وترتيبـه؛ بل يكثر فيها نقل الآحاد)(3)

قال آخر: وقال آخر يذكر ذينك الدعائين: (إن كلام القنـوت المروي أن أبي بن كعب أثبته في مصـحفه لم تقم الحجـة بأنـه قرآن منزل؛ بل هو ضرب من الدعاء، وأنه لو كـان قرآنـا لنقـل

1 () انظر مذاهب التفسير الإسلامي، جولد تسيهر ص 2.

2 () تحفة الوفد بما ورد في سورتي الخلع والحفد ١/٢ بحث لأبي يعلى البيضاوي.

3 () الإتقان للسيوطي ١/٢٠٨ ـ ٢٠٩.

إلينا نقل القرآن وحصل العلم بصحته.. ولم يصح ذلك عنه؛ إنما روي عنه أنه أثبته في مصحفه، وقد أثبت في مصحفه ما ليس بقرآن من دعاء أو تأويل، وهذا الدعاء هو القنوت الذي أخذ به السادة الحنفية، وبعضهم ذكر أن أبيا كتبه في مصحفه وسماه سورة الخلع والحفد؛ لورود مادة هاتين الكلمتين فيه، وقد عرفت توجيه ذلك)(1)

قال آخر: وقال آخر: (والخلاصة أن بعض الصحابة الذين كانوا يكتبون القرآن لأنفسهم في مصحف أو مصاحف خاصة بهم ربما كتبوا فيها ما ليس بقرآن مما يكون تأويلا لبعض ما غمض عليهم من معاني القرآن، أو مما يكون دعاء يجري مجرى أدعية القرآن في أنه يصح الإتيان به في الصلاة عند القنوت أو نحو ذلك، وهم يعلمون أن ذلك كله ليس بقرآن ولكن ندرة أدوات الكتابة وكونهم يكتبون القرآن لأنفسهم وحدهم دون غيرهم هون عليهم ذلك؛ لأنهم أمنوا على أنفسهم اللبس واشتباه القرآن بغيره؛ فظن بعض قصار النظر أن كل ما كتبوه فيها إنما كتبوه على أنه قرآن مع أن الحقيقة ليست كذلك؛ إنما هي ما علمت، أضف إلى ذلك أن النبي ﷺ أتى عليه حين من الدهر نهى عن كتابة غير القرآن؛ إذ يقول فيما يرويه مسلم: لا تكتبوا عني ومن كتب عني شيئا غير القرآن فليمحه، وذلك كله مخافة اللبس والخلط والاشتباه في القرآن الكريم)(2)

قال آخر: وما ورد من الأحاديث عن الصحابة باعتبارها سورا؛ فهم لا يريدون بها السور القرآنية المعروفة، بدليل الأحاديث التي تفسر ذلك، ومنها ما روي عن خالد بن أبي عمران قال: بينا رسول الله ﷺ يدعو على مضر، إذ جاءه جبريل، فأومأ إليه أن اسكت، فسكت، فقال: يا محمد، إن الله لم يبعثك سبابا، ولا لعّانا، وإنما بعثك رحمة، ولم يبعثك عذابا، ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: 128]، ثم علمه هذا القنوت: (اللهم إنا نستعينك، ونستغفرك، ونؤمن بك، ونخضع لك، ونخلع ونترك من يكفرك، اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد)(3)

1 () مناهل العرفان في علوم القرآن ١/١٨٨، المدخل على دراسة القرآن الكريم (٢٦٠)
2 () مناهل العرفان في علوم القرآن ١/١٨٨.
3 () أبو داود في كتاب المراسيل ١/٨٢، السنن الكبرى ٢/٢١٠.

قال آخر: ويدل لذلك أيضا الروايات الصحيحة المنسوبة إلى أبي بن كعب كما ذكر ذلك عنه أبو الحسن الأشعري حيث قال: (قد رأيت أنا مصحف أنس بالبصرة عند قوم من ولده، فوجدته مساويا لمصحف الجماعة، وكان ولد أنس يروي أنه خط أنس وإملاء أبي)(1)

قال آخر: ويؤكد هذا كله ما بلغنا من القراء الذين أخذوا القرآن بسندهم إليه، فلم يكن من بين ما تلقوه عنه هاتان السورتان المزعومتان.. فمن هؤلاء القراء نافع بن أبي نعيم المدني من طريق الأعرج عن أبي هريرة عن أبي ابن كعب عن النبي ﷺ ولم يكن فيما تلقاه هاتان السورتان(2).

قال آخر: ومنها رواية عاصم بن أبي النجود التي أخذها عن زر بن حبيش عن أبي عبد الرحمن السلمي والتي أخذها عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ، ولم يكن فيها هاتان السورتان(3).

قال آخر: ومنها رواية أبي الحسن علي بن حمزة الذي تلقى القراءة عن طريق إسماعيل ويعقوب ابني جعفر قراءة نافع والذي بدوره أخذ قراءة أبي بالسند السابق، ولم يكن فيها هاتان السورتان (4).

قال آخر: ومنها رواية خلاد أبو عيسى خالد الشيباني بالولاء الذي تلقى قراءة عاصم والتي سندها يتصل إلى أبي بن كعب بالسند السابق، ولم يكن فيها هاتان السورتان(5).

قال آخر: فهؤلاء القراء كلهم وغيرهم قد تلقوا القراءة عن أبي بن كعب ولم يكن فيما تلقوه هاتان السورتان المزعومتان مما يدل على عدم ثبوت ذلك عنه.

قال آخر: ويؤكد هذا أن القرآن الكريم قد انتشر واشتهر وثبت تدوينه وحددت سوره، ولم تكن هاتان السورتان المزعومتان فيه(6).

5. التشكيك والتناقض:

1 () نكت الأنصار لنقل القرآن الباقلاني ص 81.
2 () غاية النهاية في طبقات القراء 1/31.
3 () غاية النهاية في طبقات القراء 1/535 ـ 540.
4 () غاية النهاية في طبقات القراء 1/535.
5 () غاية النهاية في طبقات القراء 1/274.
6 () انظر حاشية كتاب تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص 47، ونكت الأنصار لنقل القرآن ص 80.

قال أحـد الحضـور: وعينـا هـذا؛ فحـدثونا عن الشـبه الـتي أثارها المستشرقون وغيرهم حول ما يزعمونه من التناقض بين آيات القرآن الكريم.

قال أحد المشككين: لقد ردد المستشرقون نفس ما ردده من قبلهم كل المنكرين والحاقدين على القرآن الكريم، والـذين لم ينطلقوا من البحث العلمي، وإنما من الهوى المجرد، وأولهم قوم رسول اللـه ﷺ من المشـركين، أو اليهـود، أو النصـارى، أو غيرهم من الذين لم يتدبروا بصدق قوله تعـالى: ﴿أَفَلَا يَتَـدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْـدِ غَيْـرِ اللَّهِ لَوَجَـدُوا فِيـهِ اخْتِلَافًـا كَثِـيرًا﴾ [النساء: 82]

قال آخـر: ولـذلك توهمـوا أن في القـرآن الكـريم تعارضـا وتناقضا واختلافا كثيرا، وبدل أن يسألوا الراسخين في العلم، أو يبحثوا في أسرار ما تعارض في أذهانهم راحوا يتهمـون القـرآن الكريم بذلك.

قال آخر: بل إنهم لو أعملوا عقولهم، لوجدوا أنه ليس كـل ما بدا متناقضا أو متعارضا هـو كـذلك، وقـد سـئل بعض العلمـاء عن معنى قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَـوْ كَـانَ مِنْ عِنْـدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيـهِ اخْتِلَافًـا كَثِـيرًا﴾ [النسـاء: 82] فأجـاب بقولـه: (الاختلاف لفظ مشـترك بين معـان، وليس المـراد نفي اختلاف الناس فيه، بـل نفي الاختلاف عن ذات القـرآن؛ يقـال هـذا كلام مختلف.. أي لا يشبه أوله آخره في الفصاحة إذ هو مختلـف؛ أي بعضه يدعو إلى الدين وبعضـه يـدعو إلى الـدنيا، أو هـو مختلـف النظم؛ فبعضه على وزن الشعر وبعضـه مـنزحف، وبعضـه على أسـلوب مخصـوص في الجزالـة وبعضـه على أسـلوب يخالفـه وكلام الله تعـالى مـنزه عن هـذه الاختلافـات؛ فإنـه على منهـاج واحد في النظم، مناسـب أولـه آخـره، وعلى مرتبـة واحـدة في غايـة الفصـاحة، فليس يشـتمل على الغث والسـمين، ومسـوق لمعنى واحـد وهـو دعـوة الخلـق إلى اللـه تعـالى وصـرفهم عن الدنيا إلى الدين، وكلام الآدميين يتطرق إليه هذه الاختلافـات؛ إذ كلام الشعراء والمترسلين إذا قيس عليه وجـد فيـه اختلاف في منهـاج النظم، ثم اختلاف في درجـات الفصـاحة، بـل في أصـل الفصــاحة حــتى يشــتمل على الغث والســمين، فلا تتســاوى رسالتان ولا قصيدتان، بل تشـتمل قصـيدة على أبيـات فصـيحة وأبيات سخيفة، وكذلك تشتمل القصائد والأشـعار على أغـراض

مختلفــة؛ لأن الشــعراء والفصــحاء ﴿أَلَمْ تَــرَ أَنَّهُمْ فِي كُــلِّ وَادٍ يَهِيمُــونَ﴾ [الشــعراء: 225]، فتــارة يمــدحون الــدنيا وتــارة يــذمونها، وتارة يمدحون الجبن فيسـمونه حزمـا وتـارة يذمونـه ويسـمونه ضعفا، وتارة يمدحون الشجاعة ويسمونها صراحة وتارة يذمونها ويسمونها تهورا، ولا ينفـك كلام آدمي عن هـذه الاختلافـات؛ لأن منشــأ هــذه الاختلافــات اختلاف الأغــراض واختلاف الأحــوال، والإنسان تختلف أحواله، فتساعده الفصاحة عند انبساط الطبـع وفرحـه ويتعـذر عليـه عنـد الانقبـاض، ولـذلك تختلـف أغراضـه، فيميـل إلى الشـيء مـرة ويميـل عنـه أخـرى، فيـوجب اختلاف الأحـوال والأغـراض اختلافـا في كلامـه بالضـرورة فلا تصـادف اللسان يتكلم في ثلاث وعشرين سنة وهي مدة نـزول القـرآن، فيتكلم على غرض واحـد، وعلى منهج واحـد ولقـد كـان رسـول الله ﷺ بشرا تختلف أحواله، فلو كـان هـذا كلامـه أو كلام غـيره من البشر لوجد فيه اختلاف كثير، فأما اختلاف الناس فهو تباين في آراء الناس لا في نفس القرآن، وكيف يكون هذا المراد وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَـا بَعُوضَـةً فَمَـا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُـونَ أَنَّهُ الْحَـقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْـدِي بِـهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: 26]، فقد ذكر في القرآن أنه في نفسه غير مختلف وهو مع هذا سبب لاختلاف الخلق في الضلال والهدى، فلو لم يختلـف فيـه لكـانت أمثـال هـذه الآيـات خلفا، وهي أشد أنواع الاختلاف)(1)

قــال آخــر: وبنــاء على هــذا ســنحدثكم عن نمــاذج من الإشكالات والتشكيكات المتعلقة بالتناقض والتعارض والاختلاف بين آيات القرآن الكريم، والتي عبر عنهـا جولـد تسـيهر بقولـه: (من العسير أن نستخلص من القرآن نفسه مذهبا عقديا موحدا متجانسا وخاليا من المتناقضات، ولم يصلنا من المعارف الدينية الأكثر أهمية وخطرا، إلا آثـار عامـة نجـد فيهـا ــ إذا بحثناهـا في تفاصيلها ـ أحيانا تعاليما متناقضة)(2).. وهو يردد بـذلك نفس مـا ذكره المشركون واليهود وكل المعارضـين للنبـوة بسـبب عـدم إعمـال عقـولهم في التـدبر والتأمـل لرؤيـة الحقـائق بوضـوح

---

1 () البرهان للزركشي (٢/٥٤ ـ ٥٦).

2 () نمو العقيدة الإسلامية وتطورها، لجولدتسيهر، عن كتاب الإسـقاط في منـاهج المستشـرقين والمبشـرين، لشوقي أبوخليل (ص٦٤).

وصفاء.

قال آخر: وسنذكر لكم ثلاثة نماذج مختصرة عن تلك الشبهات مع الردود المختصرة عليها، لتعرفوا المنهج الذي يفكر به المشككون، وتعرفوا كذلك المنهج الذي تستعملونه في الرد على أشباهها ونظائرها.

النموذج الأول:

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فحدثونا عن النموذج الأول من الشبهات والتشكيكات، والردود عليها.

قال أحد المشككين: النموذج الأول ما ورد في رسالتين تطعنان في القرآن الكريم.. الأولى في ست ورقات منسوبة إلى المجلس القبطي بالإسكندرية، وموقعة باسم الأسقف العام، ورئيس المجلس، والنائب العام البابوي تيموثاوس.. والرسالة الثانية جاءت بالبريد من استراليا في إحدى وعشرين صفحة، وموقعه باسم [المدعون العامون في محكمة الحقيقة]، وقد رد عليهما بعض العلماء، وهو عبد الجليل شلبي في كتابه [رد مفتريات على الإسلام][1]، كما رد عليها غيره من السابقين واللاحقين، لأن أكثر تلك الشبهات مكررة ومقتبسة من غيرها.

قال آخر: ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: 15]، وقوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 101].. فقد توهموا أن في الآية الأولى طلب من رسول الله ﷺ التبديل فرفض، وأن الآية الثانية تذكر أنه قد تم التبديل فعلا [2].

قال آخر[3]: وقد أجيب على ذلك بأن التبديل في الآية الأولى كان بطلب من الكفار لرسوله ﷺ أن يأتي بقرآن جديد، أو يبدل القرآن، ولهذا أمر الله تعالى رسوله أن يخبرهم عن عدم قدرته على ذلك؛ لأن القرآن الكريم كلام الله، ورسول الله ﷺ يتبع ما أوحي إليه.. أما الآية الثانية؛ فتذكر إشكالات

---

1 () رد مفتريات على الإسلام، ص٦٧ ـ ٧٧.

2 () رد مفتريات على الإسلام، ص٣٧.

3 () رد مفتريات على الإسلام، ص٦٧.

الكفـار المرتبطـة بـالاختلاف بين الأديـان في الشـرائع؛ حيث استغربوا ذلك؛ فالله تعالى رد عليهم بأن ذلـك من اللـه تعـالى، لأنه يشرع لعباده بحسب ظروفهم وأحـوالهم وحاجـاتهم، والـتي تختلـف من عصـر إلى عصـر.. فـأي تنـاقض بين الآيـتين؟.. فكلتاهمـا تثبت أن القـرآن من عنـد اللـه، وأن محمـدا ﷺ لا يستطيع أن يغير منه شيئا.

قال آخر: ومن تلك التشـكيكات تـوهم التعـارض بين قولـه تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْـرٍ مِنْهَـا أَوْ مِثْلِهَـا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 106]، وقوله: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَـدِّلَ لِكَلِمَاتِـهِ وَلَنْ تَجِـدَ مِنْ دُونِـهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: 27].. فالآية الثانية تخبر أن كلمات اللـه لا تبـدل، والأولى تخبر أنها تنسخ وتنسى، والنسخ نوع تبديل[1].

قال آخر: وقـد أجيب على ذلـك، بـأن الآيـة الأولى تتحـدث عن نسخ الأحكام وتغيير الشرائع بحسب الأديان، وهذا أمر لا بد منه، لأن ظـروف وأحـوال كـل أمـة تختلـف عن غيرهـا.. والآيـة الثانية تذكر أنه لا أحد غير الله يستطيع أن يبدل كلماتـه، أو يـرد حكمـا أنزلـه سـبحانه.. والطـاعنون لم يفهمـوا النص فظنـوه تناقضا، وكلتا الآيتين توضح أن الله وحده يمحو ما يشـاء ويثبت، تماما كالآية السابقة.

قال آخر: ومن تلك التشـكيكات تـوهم التعـارض بين قـولـه تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، وقوله: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْـدَهُ أُمُّ الْكِتَـابِ﴾ [الرعـد: 39]، فقـد تعجبوا من كيفية جمع الحفظ مع المحو[2]؟

قال آخر[3]: وقد أجيب على ذلك، بـأن الآيـة الأولى تصـف القرآن أنه تنزيل من الله تعـالى، وأن اللـه حافظـه من الـزوال والتحريف، وصدق الله وصـدق قرآنـه، فالمسـلمون بعـد أربعـة عشر قرنا يقرؤون القرآن غضا طريا صريحا صحيحا كمـا أنزلـه الله تعالى، وكما قرأه رسول الله ﷺ.. وأما الآية الثانيـة، فتـذكر أن اللـه يمحـو أحكامـا ويثبت أخـرى، ويمحـو مقـادير ويثبت غيرها..وليس في هذا أي تعارض.

قال آخر: ومن تلك التشـكيكات تـوهم التعـارض بين قولـه

1 () رد مفتريات على الإسلام، ص٣٧.
2 () رد مفتريات على الإسلام، ص٣٧.
3 () رد مفتريات على الإسلام، ص٦٨.

تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: 5]، وقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: 4]، فألف سنة في الآية الأولى ـ كما توهموا ـ تناقض خمسين ألف سنة في الآية الأخرى[1].

قال آخر[2]: وقد أجيب على ذلك، بأن الآية الأولى تصف يوم القيامة بالطول، وأنه في طوله يعدل ألف سنة مما يعدل الناس، ولا يراد منها إفادة التكثير، كما تقول لصاحبك كتبت لك خمسين خطابا، وترددت على بيتك عشرين مرة، واللغويون يقولون دائما: العدد لا مفهوم له.. ولذلك؛ فإنه إذا وصفت الآية الثانية هذا اليوم بأن مقداره خمسين ألف سنة فلا تناقض لأن كلا منهما تصفه بالطول.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن اليوم يختلف مع الناس باختلاف مواقفهم وما يعانيه كل منهم، فقد يطول اليوم على شخص لشدة مشقته، ويقصر على آخر لعدم المشقة.

قال آخر[3]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن الآيتين ليستا على مورد واحد، بل الأولى تتحدث عن أمر لا تتحدث عنه الأخرى.. فالآية الأولى تتحدث عن مدة يوم معراج الأوامر ومدته ألف سنة، والثانية تتحدث عن يوم القيامة ومدته خمسين ألف سنة، كما هو ظاهر من السياق، قال تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: 1 ـ 10]

قال آخر: ويؤكد ذلك قول رسول الله ﷺ: (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار)[4]

---

1 () رد مفتريات على الإسلام، ص٣٧.
2 () رد مفتريات على الإسلام، ص٦٩.
3 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص290.
4 () مسلم، رقم:٩٨٧.

قال آخر: ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: 1 ـ 2]، وقوله: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: 1 ـ 3]؛ فقد توهموا التناقض بين ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ ثم أقسم به(1).

قال آخر(2): وقد أجيب على ذلك، بأن (لا) في (لا أقسم) ليست نافية، وإنما أتت توكيدا وهذا شائع في اللغة، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65]، أي أقسم بربك أنهم كذلك.

قال آخر(3): وقد جاء الشعر العربي القديم بذلك، ومن أمثلته قول النابغة:

فلا وحق الذي ... وما هريق على الأنصاب

وقول الآخر:

فلا والله لا ... ولا لما بهم

وقول طرفه:

فلا وأبيك ابنة ... لا يدعي القوم

قال آخر: وقد قال علماء اللغة في ذلك: (إن هذا القسم يفيد تعظيم المقسوم به، كما في سورة البلد، وكما في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: 75 ـ 76]، وقوله: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: 1 ـ 2]، فهذه كلها أقسام، وليس هذا من دقائق اللغة وإنما هو من أولياتها، ولكنهم للأسف لا يبحثون ولا يعلمون.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإنه إذا اعتبرت (لا) نافيه والجملة خبرية فهي مقيدة؛ أي لا أقسم به وأنت حل به، ولكن أقسم به وأنت غير حل به، وبذلك لا يحصل التناقض أيضا.

قال آخر: ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: 44]، وقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

---

1 () رد مفتريات على الإسلام، ص٣٧.
2 () رد مفتريات على الإسلام، ص٦٩.
3 () رد مفتريات على الإسلام، ص٦٩.

وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ [السجدة: 4] وقوله: يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ [يونس: 3](1)

قال آخر(2): وقد أجيب على ذلك بأن الآيات الثلاث تذكر أن الله وحده هو المتصرف في خلقه، ولا يشفع عنده إلا من أذن له، فله وحده الشفاعة، لا شفيع من دونه، ولا بغير إذنه.. فأي تناقض بين هذه الآيات؟.. أليست الشفاعة في هذا كله لله وحده؟

قال آخر(3): بالإضافة إلى ذلك؛ فقد نفى الله تعالى الشفاعة الشركية التي يعتقدها المشركون في معبوداتهم، وأثبتها له وحد، ولمن يأذن له فيها، فهو سبحانه ينفيها في حال ويثبتها في حال آخر.

قال آخر: ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ [الواقعة: 13 ـ 14]، وقوله: ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ [الواقعة: 39 ـ 40](4)

قال آخر: وقد أجيب على ذلك ـ كما هو واضح ـ بأن الآية الأولى تتحدث عن السابقين المقربين، والثانية تتحدث عن أصحاب اليمين، قال تعالى في الأولين: وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ [الواقعة: 10 ـ 14]، وقال في الآخرين: لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ [الواقعة: 38 ـ 40]

قال آخر: ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ [الحجر: 85 ـ 86]، وقوله: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ [التوبة: 73]، لأن الآية الأولى أمرت بالصفح، والثانية أمرت بالغلظة (5).

قال آخر: وقد أجيب على ذلك بأن الصفح لا يتناقض مع العنف والشدة، لأن لكليهما أهله.. بالإضافة إلى أن لكل منهما محله الخاص به؛ فالأولى مرتبطة بالمستضعفين، الذين لا

---
1 () رد مفتريات على الإسلام، ص٣٧.
2 () رد مفتريات على الإسلام، ص٧١.
3 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص293.
4 () رد مفتريات على الإسلام، ص٣٧.
5 () رد مفتريات على الإسلام، ص٣٧.

يطيقون القتال، ويمثلهم المؤمنون في مكة المكرمة، لأن تلك الآيات نزلت فيها، فالآية الكريمة تقول لهم: (إن الله لم يخلق هذا الكون عبثا يفسد فيه من يفسد ويصلح من يصلح، بل الله جامع الناس بعد ذلك وجاز كلا بما فعل، فلا تحزن يا محمد لمخالفة القوم إياك ومعارضتهم دعوتك، وغدا تقوم الساعة فيجزون بسوئهم وتجزى بإحسانك، فأعرض عنهم حتى يأتي أمر الله)[1]

قال آخر: وأما الثانية؛ فهي في سورة التوبة، وهي مدنية، وتسمى الفاضحة؛ لأنها فضحت المنافقين والمعتدين، ولذلك دعت إلى جهادهم، لأنه لا يتحقق السلام من دون ذلك.

قال آخر [2]: فأين التناقض في ذلك، والناس جميعا يفعلونه، حيث يقول القائد لجيشه: لا تضربوا.. وبعد مدة يقول: اضربوا.. ويقول المهندس الزراعي لفلاحيه: لا تزرعوا الآن.. وبعد شهر يقول: ازرعوا.. ولكل حكمته الخاصة به.

قال آخر [3]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن محل الآية الأولى هو الدعوة، ومحل الثانية الجهاد، فاختلف مورد كل آية، كما أن الوالد في حال نجاح ابنه يفرح ويحسن إليه بهدية، وفي حال رسوبه يغضب ويعاقبه، ولا يقال: إن هذا الوالد متناقض؛ لأنه مرة يفرح ومرة يغضب، ففرحه في مجال وغضبه في مجال آخر.

قال آخر: ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 38]، وقوله تعالى حكاية عن قول الشيطان: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: 16 ـ 17] ؛ فقد زعموا أن الآية الأولى تنسب التضليل للبشر، والثانية تنسبه للشيطان.

قال آخر: وقد أجيب على ذلك بأنه ليس من التناقض أن

---

1 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص294.
2 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص294.
3 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص294.

يحصل التضليل من كثيرين، ذلك لأن لكل جهة دورها أو حظها في التضليل.

قال آخر: ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: 65]، وقوله: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: 48]؛ فقد زعموا أن الآية الأولى تطلب من النبي ﷺ تحريض المؤمنين وحثهم على القتال، بل والتجلد لقتالهم فإن العشرين الصابرين منهم يقتلون مائتين، والمائة الصابرة يقتلون ألفا من الذين كفروا، بينما الآية الثانية تطلب من النبي ﷺ ألا يطيع الكافرين والمنافقين، وأن يدع أذاهم لا يقابلهم مثله ويكفيه التوكل على الله، فهو حسبه وكفى بالله وكيلا، فكيف يأمره في الأولى لتحريض على قتالهم بهذا الجلد، ويأمره في الثانية بترك آذاهم[1].

قال آخر[2]: وقد أجيب على ذلك بأنه ليس هناك أي تعارض، فالكافرون والمنافقون كانوا يؤذون رسول الله ﷺ بألسنتهم وباختلاق أقوال عليه، فأمره الله بأن يدع أذاهم له، فهو سبحانه وتعالى يتولى رد كيدهم في نحرهم، ودحض افتراءاتهم على رسوله، فكفى بالله وكيلا، فأمره في آية الأحزاب أن لا يقابل اللسان بالسنان، بينما أمره في شأن الكفار المحاربين أن يحرض المؤمنين على قتالهم، والتجلد لهم.. فأمره الله سبحانه في آية الأنفال بمقابلة السنان بالسنان، فالحكمة تقتضي وضع السيف في موضعه واللين في موضعه، فلا تعارض إذن بين الآيتين.

قال آخر: ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 20]، وقوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا

[1] () رد مفتريات على الإسلام، ص٣٧.
[2] () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص297.

نَصِيرًا﴾ [النساء: 89] ؛ فقد توهموا ما دعت إليه الآية الأولى التي ذكرت أنه ليس على الرسول إلا البلاغ، والآية الثانية التي أمرته بقتال المنافقين وجهادهم[1].

قال آخر[2]: وقد أجيب على ذلك بأنه ليس هناك أي تعارض؛ فالآية الأولى ـ ومثلها كثير جدا ـ تقول لرسول الله ﷺ: (إنك لست مطالبا بإحلال الهداية في نفوسهم، ولكن الله يهدي من يشاء، وإنما عليك أن تبلغ رسالة الله، فمن آمن بها وأسلم فقد اهتدى، ومن تولى فحسابه على الله، وحسبك أنك بلغت الرسالة، ولست مكلفا بإحلال الهداية)

قال آخر[3]: والآية الثانية تتحدث عن الذين يتمنون أن يكفر المسلمون ككفرهم، وقد نهي المسلمون أن يتخذوا منهم أصدقاء حتى يهاجروا في سبيل الله، ولا تعني الهجرة في هذا المقام الانتقال من مكة إلى المدينة؛ إذ السورة مدنية والمنافقين كانوا بالمدينة، ولكن المراد بالهجرة طاعة الله تعالى وترك المحرمات، وهذا من معاني الهجرة، ومن معانيها أيضا الجهاد، وكان جماعة من المنافقين بقيادة عبد الله بن أبي رجعوا قبل المعركة يوم أحد.. والقرآن ينهى المسلمين عن اتخاذهم أصدقاء؛ لأن ذلك تكريم لهم وإطلاع لهم على أسرار المسلمين، ادعوا الإسلام وأعرضوا عن الدفاع عنه، وعاونوا أعداءه.. وليس في هذا إحلال هداية في أنفسهم، وإنما التخلص منهم ومن شرورهم، والناس في كل أمة وفي كل عصر يقتلون الخونة.. فهل هذا تناقض؟

قال آخر[4]: ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 108]، وقوله: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد: 4 ـ 5].. ووجه التناقض ـ فيما يزعمون ـ أن الآية الأولى نهت

1 () رد مفتريات على الإسلام، ص٣٧.
2 () رد مفتريات على الإسلام، ص٧٥.
3 () رد مفتريات على الإسلام، ص٧٥.
4 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص299.

المسلمين عن سب الأصنام التي يعبدها المشركين، والآية الثانية حثتهم على الجهاد.

قال آخر[1]: وقد أجيب على ذلك بأن الآية الأولى سنت للمسلمين أدبا خلقيا، فنهتهم عن شتم الأصنام، وهم يعلمون أنها لا تضر ولا تنفع، ولكن لو سبوها لسب الكفار الله تعالى عدوانا وجهلا؛ لأنهم لم يعرفوه ولم يعرفوا صفاته، وهذا أدب أخلاقي رفيع، بالإضافة إلى أن الشتائم لا جدوى من ورائها، وأن الشتام يحط دائما من قدر نفسه، ولا ينال من قدر من شتمه شيئا.. أما الآية الثانية؛ فهي تبين جانبا من تعاليم الحرب، فتعلم المسلمين أنهم إذا قابلوا الكفار في المعركة فعليهم أن يشتدوا عليهم، فإذا أثخنوهم قتالا وهزموهم كان لهم بعد ذلك أن يمنوا على من يستحق المن، وأن يأخذوا الفدية ممن يستحق أن يفدى.. فليس في الآية إباحة لسب الأصنام، ولكل من الآيتين حكمها.

قال آخر[2]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن من توهم ذلك تصور أنه طالما جاء النهي في سورة الأنعام عن سب الأصنام، فمن باب أولى يجب الكف عن قتالهم؛ إذ القتال وضرب الرقاب أعظم من السب، وذلك غير صحيح؛ فعلة النهي عن سب أصنام الكفار في نفس الآية، وهي أن سب آلهتهم يفضى إلى حمل المشركين على سب الله تعالى، فهم أجهل الناس بقدر الله، وليس للنهي في الآية أي علاقة بمراعاة مشاعر المشركين، لكن مشكلتهم هي أنهم نظروا إلى صدر الآية فقط، وتركوا باقيها، فزعموا أن في القرآن آية تنهي عن سب أصنام المشركين لحفظ مشاعرهم، وآية أخرى تأمر بضرب رقابهم، ومن خلال هذا الزعم رموا القرآن بالتناقض.

قال آخر[3]: ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: 127]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: 39 ـ 40].. فقد توهموا التعارض بين الآية الأولى التي تأمر بالصبر على الذي

1 () رد مفتريات على الإسلام، ص٧٥.
2 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص300.
3 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص299.

يصيب المؤمن من أعدائه، والآية الثانية التي تأمر بالانتصار من الذي يصبيه [1].

قال آخر[2]: وقد أجيب على ذلك بأن الآية الأولى مسبوقة بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: 126]، وقد روي في سبب نزولها أن المسلمين أرادوا التمثيل بعدد من المشركين، جزاء ما مثلوا بحمزة في يوم أحد، فنهتهم الآية الكريمة عن ذلك، وبينت أن العفو أفضل.. بينما آيات سورة الشورى، تصف المؤمنين بأنهم إذا بغى عليهم أحد انتصروا لأنفسهم، وبينت ـ كما بينت الآية الأولى ـ أن جزاء السيئة يكون بقصاص مماثل، وأن من عفا وأصلح فإن الله تعالى يثيبه.. فالآيتان في مجرى واحد، كلتاهما تفضل العفو، وتقيد العقوبة بالمماثلة.

قال آخر[3]: ذلك أنه لا يتأتى للمسلمين أن يعتدى عليهم، ويقفوا مكتوفي الأيدي، بل عليهم أن ينتصروا لأنفسهم ممن بغى عليهم، ولكنهم مع هذا الانتصار لا يظلمون.

قال آخر[4]: وهو نفس ما نجده في الأناجيل؛ فالمسيح عليه السلام يقول لتلاميذه: (أحسنوا إلى أعدائكم وباركوا لاعنيكم)، ومع هذا تجده يقول لليهود: (يا أولاد الأفاعي، ترون القذاة في أعين الناس ولا ترون الخشبة في أعينكم!)، ويقول: (لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما على الأرض، ما جئت لألقي سلاما بل سيفا، فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه، والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها)

قال آخر[5]: ومن تلك التشكيكات سوء فهمهم لقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ [الضحى: 7]، وتوهمهم أنها تدل على أن رسول الله ﷺ كان على دين قومه ووثنيتهم وأخلاقهم.

قال آخر[6]: والجواب على ذلك أن الأمر ليس كذلك؛ بل المقصود من الضلالة في كلمة ﴿ضالا﴾ في الآية ليس نفي الإيمان والتوحيد والطهر والتقوى عن النبي ﷺ، بل بقرينة ما ورد في القرآن الكريم هي تعني نفي العلم بأسرار النبوة،

---

1 () رد مفتريات على الإسلام، ص٣٧.
2 () رد مفتريات على الإسلام، ص٧٦.
3 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص301.
4 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص301.
5 ()رد مفتريات على الإسلام، ص٣٨.
6 () الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، (20/279)

وبأحكام الإسلام، وغيرها من شؤون النبوة، لكنه ﷺ بعد البعثة اهتدى إلى هذه الامور بعون الله تعالى وتوفيقه؛ وبذلك؛ فإن الآية الكريمة تخاطب رسول الله ﷺ، وتقول له: (لم تكن أيها النبي على علم بالنبوة والرسالة، ونحن أنزلنا هذا النور على قلبك لتهدي به الإنسانية)

قال آخر[1]: وهو المعنى الذي ورد في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52]، وواضح أن النبي ﷺ كان فاقدا لهذا الفيض الإلهي قبل وصوله مقام النبوة، فالله سبحانه أخذ بيده وهداه وبلغ به هذا المقام.

قال آخر: وهو المعنى الذي يشير إليه قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: 3]؛ فلولا الهداية الإلهية والإمداد الغيبي ما استطاع رسول الله ﷺ أن يهتدي إلى ما أراد الله هدايته إليه.

قال آخر: ويشير إلى هذا المعنى أيضا قوله تعالى ـ عند ذكر الشهادة وسبب استشهاد أكثر من شاهدة واحدة في كتابة عقود الدين ـ: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [البقرة: 282]؛ فالضلالة في هذه الآية تعني (النسيان) بقرينة قوله ﴿فَتُذَكِّرَ﴾

قال آخر: ومن المعاني التي قد تفسر بها الآية الكريمة كذلك: (إنك كنت خامل الذكر غير معروف، والله أنعم عليك من المواهب الفريدة مما جعلك معروفا في كل مكان)[2]

قال آخر: ومن تلك المعاني: (إنك تهت وضللت الطريق مرات في عهد الطفولة.. مرة في شعاب مكة حين كنت في حماية عبد المطلب.. ومرة حين كانت حليمة السعدية تأتي بك إلى مكة لتسلمك إلى عبد المطلب فتهت في الطريق.. ومرة حين كنت برفقة عمك أبي طالب ضمن قافلة متجهة إلى الشام؛ فضللت الطريق في ليلة ظلماء.. والله سبحانه هداك

1 () الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، (20/279)
2 () الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، (20/280)

في كل هذه المرات وأعادك إلى حضن جدك أو عمك)[1]

قال آخر[2]: ذلك أن كلمة (ضال) تعني (المفقود) وتعني (التائه).. ولذلك نقول: (الحكمة ضالة المؤمن)، والضالة تعني الشيء المفقود.. وهكذا تأتي بمعنى المخفي والغائب، ويدل لذلك قوله تعالى على لسان منكري المعاد: ﴿أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ [السجدة: 10]، أي إئذا غبنا، واختفينا في بطن الأرض.

قال آخر: وقد قال الراغب في ذلك: (الضلال ترك الطريق المستقيم؛ عمدا كان أو سهوا، قليلا كان أو كثيرا، ويصح أن يستعمل لفظ الضلال ممن يكون منه خطأ ما، ولذلك نسب إلى الأنبياء، وإلى الكفار، وإن كان بين الضلالين بون بعيد، ألا ترى أنه قال في النبي ﷺ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ [الضحى: 7]، أي غير مهتد لما سبق إليك من النبوة، وقال في يعقوب عليه السلام: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف: 95]، وقال أولاده: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يوسف: 8] إشارة إلى شغفه بيوسف عليه السلام وشوقه إليه، وكذلك ﴿قَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يوسف: 30]، وقال عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء: 20]، وهو تنبيه أن ذلك منه سهو)[3]

قال آخر[4]: ذلك أن الضلال ضربان؛ ضلال في العلوم النظرية، كالضلال في معرفة الله ووحدانيته، ومعرفة النبوة ونحوهما، المشار إليهما بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: 116]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: 136].. وضلال في العلوم العملية، كمعرفة الأحكام الشرعية التي هي العبادات، وهذا النوع يعذر فيه الإنسان إذا لم يبلغه.

النموذج الثاني:

---

1 () الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، (20/280)

2 () الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، (20/280)

3 () المفردات، ص٥١٠.

4 () المفردات، ص٥١٠.

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فحدثونا عن النموذج الثاني من الشبهات والتشكيكات، والردود عليها.

قال أحد المشككين: النموذج الثاني هو رسالة وزعت على المراكز الإسلامية في أمريكا، موقعة باسم (توني بولدروجوفاك)، وقد أجاب عليها بعض العلماء، وهي مثل غيرها من الشبهات مكررة ومقتبسة من غيرها[1].

قال آخر: ومن تلك التشكيكات قولهم: (كيف يمكن اعتبار القرآن قد أوحي إلى محمد، وفي نفس الوقت نجده هو المتكلم في آيات عديدة كما في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: 5 ـ 7]، وقوله: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: 105]، وقوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: 117].. وغيرها من الآيات)

قال آخر [2]: والجواب على ذلك أن القرآن الكريم ما دام قد نزل باللغة العربية، فإنه يستعمل كل أساليبهم التي يعرفونها.. ومنها أن يتحدث المتكلم عن نفسه تارة بضمير المتكلم، وتارة بضمير الغائب، كأن يقول المتكلم: (فعلت كذا وكذا، وذهبت، وآمرك يا فلان أن تفعل كذا)، وتارة يقول عن نفسه أيضا: (إن فلانا ـ يعني نفسه ـ يأمركم بكذا وكذا، وينهاكم عن كذا، ويحب منكم أن تفعلوا كذا، كأن يقول أمير أو ملك لشعبه وقومه وهو المتكلم: (إن الأمير يطلب منكم كذا وكذا)، وهو يشير بذلك أن أمره لهم من واقع أنه أمير أو ملك، وهذا أبلغ وأكمل من أن يقول لهم: إنني الملك وآمركم بكذا وكذا، فقوله: إن الملك يأمركم، أكثر بلاغة من قوله: إنني الملك وآمركم.

قال آخر[3]: ومن هذا الباب الالتفات في الخطاب من الحضور إلى الغيبة والعكس[4]، كأن يخاطب المخاطب بضميره فيقول: إنك فعلت كذا وكذا، ثم تخاطبه تارة أخرى بضمير

---

1 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص303.

2 ()معرفة تأويل المتشابه، د. عبد الله أبو السعود، ص٩٣.

3 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص305.

4 ()المعجم المفصل في علوم البلاغة، د. أحمد عكاوي (ص٢٠٨)

الغائب، فتقول له: فعل فلان كذا وكذا وأنت تعنيه، فهـذا كـذلك أسـلوب من أسـاليب البلاغـة.. ومـا نظن إلا أن معظم اللغـات تعرف هذا اللون من التعبير، لمقاصد كثـيرة؛ كتخفيـف العتـاب، أو توجيه النظر إلى البعيد، أو استحضار المشهد، أو التعظيم، أو التحقير، ونحو ذلك من مقاصد البلغاء.

قال آخر[1]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن القـرآن الكـريم كتـاب تعليم وتوجيـه، فقـد جـاء ليعلم المسـلمين مـاذا يقولـون في صلاتهم، وبماذا يدعون ربهم، فقـد أنـزل اللـه سـورة (الفاتحـة) لتكون دعـاء وصـلاة للمسـلمين يتلونهـا في كـل ركعـة، وفيهـا: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الـرَّحْمَنِ الـرَّحِيمِ الْحَمْـدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَـالَمِينَ الـرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 1 ـ 4]، وهذا كلام الله عن نفسه سبحانه، يصف نفسه بهذه الصـفات الجليلـة العظيمـة، ثم يعلم المسلمين أن يقولـوا في صـلاتهم ودعـائهم هـذا الـدعاء: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُـدُ وَإِيَّاكَ نَسْـتَعِينُ اهْـدِنَا الصِّـرَاطَ الْمُسْـتَقِيمَ صِـرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحـة: 5 ـ 7].. فهذه السورة تعليم وتوجيـه من الـرب سـبحانه وتعـالى لعبـاده المؤمنين؛ ليصلوا ويدعوا بها في كل ركعة من ركعات صلاتهم.

قال آخر[2]:ومن تلك التشكيكات توهم التعـارض في قولـه تعـالى: ﴿قُـلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُـرُونَ بِالَّذِي خَلَـقَ الْأَرْضَ فِي يَـوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِـكَ رَبُّ الْعَـالَمِينَ وَجَعَـلَ فِيهَـا رَوَاسِـيَ مِنْ فَوْقِهَـا وَبَـارَكَ فِيهَـا وَقَـدَّرَ فِيهَـا أَقْوَاتَهَـا فِي أَرْبَعَـةِ أَيَّام سَـوَاءً لِلسَّائِلِينَ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَـانٌ فَقَـالَ لَهَـا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَـا طَـائِعِينَ فَقَضَـاهُنَّ سَـبْعَ سَـمَاوَاتٍ فِي يَـوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُـلِّ سَـمَاءٍ أَمْرَهَـا وَزَيَّنَّا السَّـمَاءَ الـدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيـزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصـلت: 9 ـ 12]؛ فقـد توهمـوا أن نـاتج الجمـع هـو (2+4+2=8أيـام).. وهـو من التشكيكات القديمة؛ فقد ذكره ابن النغريلة اليهـودي ورد عليـه ابن حزم[3].

قال آخر[4]: والجواب على ذلك هو أن الأربعـة أيـام الأولى

---

1 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص305.

2 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص307.

3 () الرد على ابن النغريلة اليهودي (ص٥٢.

4 () انظر: درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشـابهات في كتـاب اللـه العزيـز، الخطيب الإسـكافي (ص٢٨٤)، وفتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، لأبي يحيى الأنصاري (ص٥٠٤)، والـرد على ابن النغريلـة اليهودي لابن حزم (ص٥٣)، والانتصارات الإسلامية للطوفي (١/٥٠٤.

هي حصيلة جمع اثنين واثنين؛ فقد خلق الله الأرض خلقا أوليا في يومين، ثم جعل فيها الرواسي، وهي الجبال ووضع فيها بركتها من الماء، والزرع، وما ذخره فيها من الأرزاق في يومين آخرين، فكانت أربعة أيام، فقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ [فصلت: 10]، هذه الأيام الأربعة هي حصيلة اليومين الأولين ويومين آخرين، فيكون المجموع أربعة، وليست هذه الأربعة هي أربعة أيام مستقلة أخرى زيادة على اليومين الأولين.. ومن هنا تسرب الوهم للسائل.. ثم إن الله خلق السماوات في يومين، فيكون المجموع ستة أيام بجمع أربعة واثنين.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن رسول الله ﷺ لم يكن ليجهل مثلا أن اثنين وأربعة واثنين تساوي ثمانية، وأنه قال في محل آخر من القرآن الكريم: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: 3]، فهل يتصور عاقل أن من يقدم على تزييف رسالة بهذا الحجم، يمكن أن يخطئ مثل هذا الخطأ، الذي لا يخطئه طفل في السنة الأولى الابتدائية!؟

قال آخر(1): وسبب هذا الوهم هو أن السائل لا يفهم اللغة العربية، ذلك أن العربي الفصيح يمكن أن يقول: (زرت أمريكا فتجولت في ولاية جورجيا في يومين، وأنهيت جولتي في ولاية فلوريدا في أربعة أيام، ثم عدت إلى لندن، لا شك أن هذا لم يمكث في أمريكا إلا أربعة أيام فقط، وليس ستة أيام؛ أي يومين في جورجيا ويومين في فلوريدا، فقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ [فصلت: 10]، أي بزيادة يومين عن اليومين الأولين.

قال آخر(2):ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنبياء: 76] وقوله: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا

---

1 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص309.

2 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص310.

تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ [هود: 42]، حيث ورد فيها أن أحد أولاد نوح عليه السلام قد غرق.

قال آخر[1]: والجواب على ذلك هو أن الاستثناء أسلوب معروف في اللغة العربية، بل غيرها من اللغات أيضا؛ حيث يذكر المتكلم المستثنى منه على وجه العموم، ثم يخرج منهم من أراد إخراجه، ويمكن أن يأتي الاستثناء منفصلا، ويمكن أن يأتي متصلا.

قال آخر: ففي سورة الأنبياء قال الله تعالى عن نوح عليه السلام: وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ [الأنبياء: 76]، وقد بين تعالى المراد بأهله في آيات أخرى، وهو من آمن منهم فقط، حيث أخبر تعالى في سورة هود أنه قال لنوح عليه السلام: حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ [هود: 40]، فقد أمره الله تعالى أن يحمل أهله معه إلا من سبق القول من الله بهلاكهم، وقد كان قد سبق في علم الله أن يهلك ابنه مع الهالكين؛ لأنه لم يكن مؤمنا، ولم يكتب الله لأحد النجاة مع نوح عليه السلام إلا أهل الإيمان فقط، وابنه لم يكن مؤمنا.

النموذج الثالث:

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فحدثونا عن النموذج الثالث من الشبهات والتشكيكات، والردود عليها.

قال أحد المشككين[2]: النموذج الثالث هو محاضرة عن تناقض القرآن الكريم ألقاها محاضر، ولم يذكر اسمه ولا مكان إلقائها وسجلت على شريط صوتي وكتب عليه: (تهادوا تحابوا)، و(الدال على الخير كفاعله)، و(الكلمة الطيبة صدقة) تلبيسا على عوام المسلمين حتى يروج بينهم، ولم يذكر فيه اسمه ولا مكان إلقائها.. وقد ذكر فيه سبعة عشر شبهة، وكلها مقتبسة مما قاله السابقون.

قال آخر: ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [البقرة: 62]، وقوله: وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ

---

1 () معرفة تأويل المتشابه، (ص٧٩)، وتفسير ابن كثير، ٣/١٨٥.

2 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص320.

الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ [آل عمران: 85]

قال آخر[1]: وقد أجيب على ذلك بأن الآية الأولى تتحدث عن اليهود والنصارى والصابئين قبل بعثة النبي ﷺ، فكل من آمن بنبيه وأطاعه فله الجنة، وأما بعد بعثة النبي ﷺ فقد نسخت شريعته الشرائع ونسخ دينه الأديان، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، وهذا معنى الآية الثانية.

قال آخر: ويؤيد ذلك ما روي عن مجاهد، قال: قال سلمان: سألت النبي ﷺ عن أهل دين كنت معهم، فذكرت من صلاتهم وعبادتهم، فنزلت: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [البقرة: 62] [2]

قال آخر: وقال السدي: إن الآية نزلت في أصحاب سلمان الفارسي، بينا هو يحدث النبي ﷺ إذ ذكر أصحابه، فأخبره خبرهم، فقال: كانوا يصومون ويصلون ويؤمنون بك، ويشهدون أنك ستبعث نبيا، فأنزل الله هذه الآية، فكان إيمان اليهود: أنه من تمسك بالتوراة وسنة موسى، عليه السلام؛ حتى جاء عيسى؛ فلما جاء عيسى كان من تمسك بالتوراة وأخذ بسنة موسى، فلم يدعها ولم يتبع عيسى، كان هالكا.. وإيمان النصارى أن من تمسك بالإنجيل منهم وشرائع عيسى كان مؤمنا مقبولا منه حتى جاء محمد ﷺ، فمن لم يتبع محمدا ﷺ منهم ويدع ما كان عليه من سنة عيسى والإنجيل كان هالكا[3].

قال آخر: ومن الأحاديث الصريحة في هذا الباب قول رسول الله ﷺ: (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)[4]

قال آخر: ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ

1 () الرد على النصراني في مطاعن على القرآن، (ص٤٦)
2 () تفسير ابن كثير (1/284)
3 () تفسير ابن كثير (1/284)
4 () مسلم، رقم: ١٥٣.

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: 28 ـ 29]، وقوله: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: 16]

قال آخر(1): والجواب على ذلك يحتمل وجوها كثيرة غير التي فهمها المشككون، وكلها تحتملها اللغة العربية، ومنها أن معنى الآية: (أمرنا مترفيها بالطاعة ففسقوا فيها)، يعنى (فخرجوا عن طاعة الله).. أو أن (أمرنا) بمعنى (جعلناهم أمراء)، فأضلوا قومهم.

قال آخر: ومنها أن [أمر] في اللغة تأتي بمعنى كثر وظهر، وقد ورد في الحديث عن عبد الله بن مسعود قال: (كنا نقول للحي إذا كثروا في الجاهلية أمر بنو فلان)(2)، ومنه حديث أبي سفيان الطويل مع هرقل وفيه قال أبو سفيان: (لقد أمر أمر ابن أبي كبشة؛ إنه يخافه ملك بني الأصفر)(3).. وبذلك يكون معنى الآية: (إن كثرة المترفين الفاسقين في بلد وظهورهم نذير عذاب.

قال آخر(4): ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: 138 ـ 139]، وقوله: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: 106]، وقد فهم المشكك من الآية الثانية ما عبر عنه بقوله: (إن الذي ينكر الله وينافق الكافرين، وهو تحت الإكراه محلل له وليس عليه أي ذنب أو عقوبة، حاشا لله أن ينكر الإنسان إيمانه تحت الضغط والإكراه)

قال آخر(5): والجواب على ذلك هو أن الآيتين مختلفتان تماما؛ فكل واحدة منهما تتكلم عن أمر مستقل؛ فالآية الأولى تتكلم عن النفاق، وهو إبطان الكفر وإظهار الإسلام، والآية الثانية تتكلم عن المكره على الكفر، أي إبطان الإسلام وإظهار الكفر، وشتان بين المعنيين، فإبطان الكفر وإظهار الإيمان لا

---

1 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص324.

2 () البخاري، رقم:٤٧١١.

3 ()البخاري، رقم:٩٦٢، ومسلم، رقم:٢٧٩٨.

4 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص325.

5 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص326.

يجوز في ملة من الملل؛ لأنه كذب وتزوير وغش وهذا كله محرم عقلا، وأما إبطان الإيمان وإظهار الكفر في حال الإكراه الملجئ، من باب الحفظ على نفس المسلم، فهذا من الرخص التي أباحها الله تيسيرا على عباده.

قال آخر(1): ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 90]، وقوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: 15]

قال آخر(2): والجواب على ذلك هو أن خمر الآخرة تختلف عن خمر الدنيا، فهي خالية من المنغصات والآفات التي في خمر الدنيا، قال تعالى: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾ [الواقعة: 18 ـ 19]،وقال: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور: 22 ـ 23].. فخمر الدنيا طعمه غير لذيذ، وتحدث لمن شربها الصداع، وتذهب بعقله، ويكثر عندها اللغو واللغط، بل لا تحلو عند شاربيها إلا بكثرة اللغو، وتوقع الإنسان في الآثام العظام من دخول تحت اللعنة وارتكاب للمحظورات، فلا يمتنع عن شيء منها، وكيف يمتنع وهو لا عقل له.. فهذه خمسة منغصات لخمر الدنيا نفاها الله عن خمر الآخرة، فالطعم لذة للشاربين، وهم لا يصدعون عنها ولاينزفون؛ أي لا تذهب عقولهم، ولا لغو عندها ولا أثم فيها.

قال آخر(3): ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى عن فرعون: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: 92]، وقوله: ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ [الإسراء: 103]

قال آخر(4): والجواب على ذلك أن هذا ليس تناقضا كما

---

1 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص325.
2 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص327.
3 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص325.
4 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص328.

هو واضح، بل فرعون مات غرقـا، لكن اللـه تعـالى أخـرج جثتـه للناس لتكون لهم آية، وقد قال ابن عبـاس في ذلـك: (إن بعض بني إسرائيل شكوا في موت فرعون، فأمر الله تعالى البحر أن يلقيه بجسده سويا بلا روح، وعليه درعـه المعروفـة على نجـوة من الأرض ـ وهو المكان المرتفع ـ ليتحققوا موته وهلاكه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَـالْيَوْمَ نُنَجِّيـكَ بِبَـدَنِكَ﴾ أي نرفعـك على نشـز من الأرض ببدنك)[1]

قال آخر[2]: بالإضافة إلى ذلك؛ فـإن التنـاقض موجـود فى التوراة عن فرعون، ففيها أنه لم يغرق، وموجـود فيهـا مـا يـدل على غرقـه، وهـذا هـو التنـاقض الـذى نسـبوه زورا وبهتانـا إلى القرآن، ففي الإصحاح الرابع عشـر من سـفر الخـروج: (فرجـع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الـذى دخـل وراءهم فى البحــر، لم يبــق منهم ولا واحــد)، وفى الإصــحاح الخامس عشر من نفس السفر: (تغطيهم اللجج، قد هبطوا فى الأعماق كحجر)، وفى تفسير التوراة ما نصه: (ولا سبيل لنا هنـا إلى الحكم بغرق فرعون، إذ لا دلالة عليه فى هـذا النبـأ، ولا من قول المرنِّم [مزمور 78:ـ 53 و106:ـ 11] وسـاق المفسـرون أربع حجج على عدم غرقه، ومعـنى قـولهم: إن قـول المـرنِّم لا يـدل على غرقـه هـو: أن داود عليـه السـلام فى المزمـور 78 والمزمـور 106 قـال كلامـاً عن فرعـون لا يـدل صـراحة على غرقه.. ونص 78:ـ 3 هـو (أمـا أعـداؤهم فغمـرهم البحـر) ونص 106: 11 هو (وغطّت المياه مضايقيهم، واحد منهم لم يبق)

قال آخر: هذا عن عدم غرق فرعون، وأما عن غرقــه ففى [المزمور 136ـ 15]: (ودفع فرعون وقوته فى بحر يوسف؛ لأنه إلى الأبد رحمته)، وفى ترجمة أخـرى: (أغـرق فرعـون وجيشـه فى البحر الأحمر إلى الأبد رحمته)، ومفسرو الزبور ـ وهم أنفســهم الذين صرحوا بعدم غرق فرعون ـ كتبوا عن فرعون: (فإن هــذا الأخـير قـد حـاول جهـد المسـتطاع أن يرجـع الإسـرائيليين إلى عبوديتهم؛ فما تم له ما أراد، بل اندحر شر اندحار)

قال آخر[3]: ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْـتَوَى إِلَى

1 () تفسير ابن كثير (4/294)
2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص462.
3 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص325.

السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [البقرة: 29]، وقوله: أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا [النازعات: 27 ـ 30]؛ فقد توهموا أن الآية تذكر أن خلق الأرض قبل خلق السماء، بخلاف الآية الثانية.

قال آخر: والجواب على ذلك هو أن الآيات الكريمة التي تحدثت عن خلق السموات والأرض يأتي ذكر السموات ثم الأرض غالباً؛ فالله تعالى يقول: إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ [يونس: 6]، ويقول: وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ [هود: 7]، ويقول: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ [النحل: 3].. حتى عندما يتحدث عن بداية خلق السموات والأرض نجد القاعدة ذاتها تتكرر، كما قال تعالى: قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [الأنعام: 14]، ويقول: الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [فاطر: 1]، ويقول: فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [الشورى: 11]

قال آخر: إلا آية واحدة، وهي قوله تعالى: تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى [طه: 4]، فقد ذكرت الأرض قبل السماء، ولكن واو العطف هنا لا تدل على الترتيب أو التسلسل، على عكس كلمة (ثم) التي تدل على الترتيب والتسلسل.

قال آخر: أما الآيات في سورة فصلت، فقد ذكرت خلق الأرض في قوله تعالى في الحديث عن خلق الأرض: قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ [فصلت: 9 ـ 10]، ثم قوله بعدها: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ [فصلت: 11]، والذي يدقق النظر يجد أن الآية الأخيرة لا تتحدث عن خلق السماء، بل عن الحالة الدخانية للسماء، أي أن السماء موجودة أصلاً أثناء فترة خلق الأرض، ولكنها كانت في الحالة الدخانية، وهذا نفس ما يقوله العلماء المعاصرون.

قال آخر[1]: فالعلم يؤكد أن الكون ظل لفترة طويلــة في حالة من الغـاز والغبـار والـدخان.. وأثنـاء هـذه الحالـة تشـكلت الأرض، هذا بالضبط ما جاء في القرآن الكريم ﴿ثُمَّ اسْـتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾، حيث أن الله تعالى ذكــر أن الأرض خلقت بينمـا كـانت السـماء دخانـاً، أي أن السـماء خلقت قبـل الأرض وليس العكس.

قـال آخر[2]: ومن تلـك التشـكيكات سـوء فهمهم لقولـه تعـالى: ﴿فَـإِنْ كُنْتَ فِي شَـكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَـا إِلَيْـكَ فَاسْـأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَـدْ جَـاءَكَ الْحَـقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُـونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [يـونس: 94]؛ فقد توهموا أن رسـول اللـه ﷺ كـان شاكا في الوحي الذي كان يأتيـه وكـان مرتابـا، ولـذلك دعي أن يرجع إلى الكتاب المقدس.

قـال آخـر: والجـواب على ذلـك أن أسـلوب الشـرط من أسـاليب اللغـة العربيـة، ولـه أدوات كثـيرة منهـا (إن)[3]، وهي حرف وجود لوجود، فمثلا لو قلت لك: إن كنت في البيت اتصـل بي، أو إن كان عندك كتـاب الألفيـة لابن مالـك فأعطنيـه، فهـذا الأسلوب لا يستلزم أني في البيت أو أن الكتاب عندي.. فكذلك هنا، لا يستلزم من هذا الأسلوب أن الرسول ﷺ شاك، كما فهم المشـككون، لـذلك ورد عن النـبي ﷺ أنـه قـال: (لا أشـك ولا أسأل)[4]

قال آخر[5]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن الخطاب لرسـول اللـه ﷺ في القرآن الكريم قد يكون المراد منه أمتـه، كمـا في قولـه تعـالى: ﴿يَـا أَيُّهَـا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَـاءَ فَطَلِّقُـوهُنَّ لِعِـدَّتِهِنَّ وَأَحْصُـوا الْعِـدَّةَ وَاتَّقُـوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُـوهُنَّ مِنْ بُيُـوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَـةٍ مُبَيِّنَـةٍ وَتِلْـكَ حُـدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَـدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَـهُ لَا تَـدْرِي لَعَـلَّ اللَّهَ يُحْـدِثُ بَعْـدَ ذَلِـكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: 1]، وغيره كثير.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلـك؛ فقـد ذهب ابن حـزم إلى أن (إن) هنا بمعنى (ما) أي: (فما كنت في شك ممـا أنزلنـا إليـك)، ومثله قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الشـعراء: 115]، وقولـه:

---

1 () موقع الإعجاز العلمي في القرآن عبد الدائم الكحيل.

2 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص331.

3 () مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام (١/٢٩)

4 () عبد الرزاق وابن جرير عن قتادة، فتح القدير، ٢/٤٨٩.

5 () فتح القدير (٢/٤٨٧.

﴿قَـالَتْ لَهُمْ رُسُـلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَـرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [إبـراهيم: 11]، ثم استدل على ذلك بقوله: (لأن من المحال العظيم الذي لا يتمثل في فهم من له مسكة، أن يكـون إنسـان يـدعو إلى دين يقاتـل عليه، وينازع فيه أهل الأرض، ويدين به أهـل البلاد العظيمـة، ثم يقـول لهم: إني في شـك ممـا أقـاتلكم عليـه أيهـا المخـالفون، ولست على يقين مما أدعوكم إليه وأحققـه لكم أيهـا التـابعون، إلى مثل هذا السخف الذي لا يتصور إلا في دماغ هـذا المجنـون الجاهل [1])[2]

قال آخر[3]: وبذلك؛ فإن معـنى الآيـة: (إن من أدلـة صـدق نبوتك يا محمد أن أهـل الكتـاب يعرفـون ذلـك، فاسـألهم حـتى يطمأن قلبك، وليس معناها اترك دينك واتبـع أهـل الكتـاب كمـا زعم النصراني)

قال آخر[4]: ومن تلك التشكيكات قولهم: (كيـف يُـذكر في القرآن الكريم أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم عليـه السـلام مع أن الإسلام اشـتهر بالتشـدد في إنكـار الشـرك وتكفـير كـل ساجد لغير الله؟)

قـال آخـر: والجـواب على ذلـك هـو أن السـجود نوعـان؛ سجود تحية وإكرام، وسجود عبادة وإعظام، فسـجود العبـادة لا يجوز في جميع الملل وعند جميع الرسل، بل لا يسـجد الإنسـان إلا لله وحده وأما سجود التحية فهـذا كـان جـائزا في شـرع من قبلنا، كما حصل ليوسف عليه السلام عندما خر له أبواه وأخوته سجدا، فلم ينكر عليهم.

قـال آخـر: ومن هـذا البـاب سـجود الملائكـة لآدم عليهم السلام، وأما في شـرعنا فقـد نسـخ سـجود التحيـة، درأ للفتنـة وسدا لأبواب الشرك وطرائقه، وقد قال بعض العلماء في ذلـك عند تفسير قوله تعـالى: ﴿وَرَفَـعَ أَبَوَيْـهِ عَلَى الْعَـرْشِ وَخَـرُّوا لَـهُ سُجَّدًا﴾ [يوسف: 100]: (وقد نسخ الله ذلك كله في شرعنا، وجعـل الكلام بـدلا عن الانحنـاء، وأجمـع المفسـرون أن ذلـك السـجود على أي وجه كان، فإنما كـان تحيـة لا عبـادة، قـال قتـادة: هـذه كانت تحية الملوك عندهم، وأعطى الله هذه الأمة السلام تحيـة

---

1 () يعني ابن النغريلة اليهودي.

2 () الرد على ابن النغريلة اليهودي، ص٦٠.

3 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص332.

4 () حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، (ص٢٧٦)

أهل الجنة)[1]

6. التشكيك والتعارض:

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فحدثونا عن الشبهات المرتبطة بتوهم التعارض بين القرآن الكريم والحقائق العلمية وغيرها.

قال أحد المشككين: يمكن تقسيم الشبهات المرتبطة بالحقائق العلمية إلى قسمين: أولهما يرتبط بالحقائق التاريخية، والثاني يرتبط بالحقائق الكونية، والتي دل عليها العلم الحديث.

أ. الحقائق التاريخية:

قال أحد الحضور: فحدثونا عن الشبهات المرتبطة بتوهم التعارض بين القرآن الكريم والحقائق التاريخية.

قال أحد المشككين: يمكننا تقسيم تلك التشكيكات إلى نوعين: التشكيك في الحقائق الواردة في القصص القرآني، واعتبارها مجرد قصص موضوعة للعبرة، أو مجرد أساطير لا حقيقة واقعية لها.. والثاني: التشكيك في بعض الأحداث أو الشخصيات الواردة في القرآن الكريم بحجة عدم ورود الأدلة عليها من المصادر التاريخية الأخرى.

القصص القرآني:

قال أحد الحضور: فحدثونا عن النوع الأول.. أي التشكيك في الحقائق الواردة في القصص القرآني، واعتبارها مجرد قصص موضوعة للعبرة، أو مجرد أساطير لا حقيقة واقعية لها.

قال أحد المشككين[2]: لقد كان من أوائل من اهتم بطرح هذه التشكيكات ــ بعد قوم رسول الله ﷺ ـ المستشرق الألماني هوروفيتش[3] الذي تحتوى بحوثه القرآنية على طائفة كبيرة من التشكيكات المرتبطة بهذا الجانب؛ فهو يقسم النصوص القصصية في القرآن الكريم إلى عموميات وشكليات، وأساطير رادعة.

قال آخر[4]: ومثله بعض المستشرقين الذين ذكر كارل بروكلمان اهتمامهم بهذه التشكيكات، وألفوا كتبا منها: الهجادة

---

1 () الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٩/١٧٤).

2 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص345.

3 () هورفيس [١٨٧٤ ـ ١٩٣١] مستشرق ألماني يهودي، وهو صاحب كتاب [مباحث قرآنية] وغيرها من المؤلفات. انظر: موسوعة المستشرقين للدكتور عبد الرحمن بدوي (ص ٦٢١)

4 () المستشرقون والدراسات الإسلامية، ص٧٤.

في قصـص القـرآن، لسـجبار، بقلم ليـبزيج 1907م.. ومنهـا مصـادر القصـص الإسـلامية في القـرآن وقصـص الأنبيـاء، بقلم سايدر سـكاي، بـاريس، 1932م.. ومنهـا القصـص الكتـابي في القرآن، بقلم سباير وجريفنا ينخن، 1939م.

قال آخر(1): ومنهـا مـا كتبـه المستشـرق المجـري بـيرانت هيللر (1857 ـ 1943م) المتخصص تقريبا في قصـص القـرآن، حيث نشر بحوثا في مجلة الفصول بعنوان: قصـة أهـل الكهـف، عام 1907.. وعناصـر يهوديـة في مصـطلحات القـرآن الدينيـة، 1928م.. وقصص القرآن، عالم الإسلام، 1934م.

قـال آخـر: ثم اهتم بهـذه التشـكيكات ونشـرها بعض المسـلمين المتتلمـذين على أيـديهم، ومن أمثلتهم طـه حسـين الذي قال: (للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسـماعيل، وللقـرآن أن يحدثنا أيضا، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة وبالقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي)(2)

قـال آخر(3): ثم قـام محمـد خلـف اللـه بجمـع كـل تلـك المغالطات، ومـا أوردوه من شـبه، موافقـا لهم فيهـا في كتـاب سـماه [الفن القصصـي في القـرآن الكـريم]، وقـد ذكـر في مقدمتـه أن الفن القصصـي يعتمـد فيـه على جمـال الأسـلوب، وترابط الفكرة مع الهدف النبيل من القصة، ولا يضير هـذا الفن كـون القصـة ملفقـة أو خياليـة مـادام أن الهـدف نبيـل والغايـة نافعة.

قال آخر(4): ثم بنى على هذه المقدمـة أن قصـص القـرآن هي نوع من أنواع هذا الفن في جميع صفاته، لذلك فلا يلـزم أن تكون كل قصة يذكرها القرآن قصة واقعية.

قـال آخـر: ثم أخـذ يقـرر هـذه الـدعوى بـأن الكثـير من القصص القرآنية ليست صـحيحة تاريخـا، بـل التـاريخ يخالفهـا.. وقد طرح كلامه هذا بكل جرأة، حتى إنه لم يجد ضيرا أن يقـول ما قال الكفـار: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْـتَمِعُ إِلَيْـكَ وَجَعَلْنَـا عَلَى قُلُـوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُـوا بِهَـا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَـاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: 25]، فقد قال خلف الله: (إنا لا نتحرج من القول

---

1 () المستشرقون والدراسات الإسلامية، ص٧5.

2 () في الشعر الجاهلي لطه حسين (ص٢٦)

3 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص346.

4 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص347.

بأن القرآن أساطير)[1]

قال آخر: وقال مؤكدا ذلك: (أصبح العقل الإسلامي غير ملزم بالإيمان برأي معين في هذه الأخبار الواردة في القصص القرآني؛ وذلك لأنها لم تبلغ على أنها دين يتبع.. ومن هنا يصبح من حق العقل البشري أن يهمل هذه الأخبار، أو يجهلها، أو يخالف فيها، أو ينكرها)[2]

قال آخر: ولم يقتصر على ذلك، بل قال: (ومن هنا يصبح من حقنا، أو من حق القرآن علينا، أن نفسح المجال أمام العقل ليبحث ويدقق، وليس عليه من بأس في أن ينتهي من هذه البحوث إلى ما يخالف هذه المسائل، ولن تكون مخالفة لما أراده الله أو لما قصد إليه القرآن؛ لأن الله لم يرد تعليمنا التاريخ، ولأن القصص القرآني لم يقصد إلا إلى الموعظة والعبرة، وما شابهها من مقاصد وأغراض، إن المخالفة هنا لن تكون إلا مخالفة لما تتصوره البيئة ولما تعرفه عن التاريخ، ولم يقل قائل بأن ما تعرفه البيئة العربية عن التاريخ هو الحق والصدق، ولم يقل بأن المخالفة لما في أدمغة العرب من صور عن التاريخ هي الكفر والإلحاد، بل لعل هذه المخالفة واجبة حتى يكون تصحيح التاريخ وخلوه من الخيالات والأوهام)[3]

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فكيف تردون على هذه الشبهات والتشكيكات؟

قال أحد المشككين: أول الردود على تلك الدعوى مخالفة إجماع المسلمين، بل إجماع غيرهم من أهل الأديان أن القصص القرآني إنما تحكي واقعا حقيقيا[4].. ولهذا نجد تفاصيلها في كتب التاريخ.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك، وهو الأهم؛ فإن القرآن الكريم يذكر ذلك، ويؤكده، فقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: 111]، وقال: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 62]، وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

1 () الفن القصصي في القرآن الكريم، لمحمد خلف الله، ص٢٠٩.
2 () الفن القصصي في القرآن الكريم، ص:٧٤.
3 () الفن القصصي ص:٢٥٥.
4 ()منهج المدرسة العقلية في التفسير،للرومي، ص:٤٤٢.

[الأنعام: 115]، أي صدقا في الأخبار وعدلا في الأحكام (1).. فكل ما في القرآن الكريم إما أخبار أو أحكام، فكل أخباره صدق وكل أحكامه عدل، ومن الأخبار قصص الأمم السابقة مع أنبيائها.

قال آخر(2): بالإضافة إلى ذلك؛ فإن كون القصة تهدف إلى العبرة، لا يعني أن يختلق القاص القصة وينسخها من وحي خياله، لأن هذا ليس من الكمال؛ ذلك أن أخذ العبرة من القصة الواقعية هو الأكمل، والقرآن لا يأتي إلا بالكمال، كما قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: 3]، وما كان لأحسن القصص أن تكون كذبا.

قال آخر(3): بالإضافة إلى ذلك؛ فإن الله تعالى ـ وهو القادر الحق ـ أعظم من أن يلجأ في كتابه المنزل ـ الذي أنزله لهداية الخلق جميعا ـ لاستخدام الباطل والأكاذيب ليجتذب بها العرب من معاصري نزوله إلى الإيمان، وهو يعلم أن هذا الكتاب سيؤمن به غيرهم في أزمنة وأمكنة أخرى، فما هي نسبة العرب الذين عاصروا نزول القرآن ـ وأتى بما عندهم من أساطير وأوهام كما زعموا ـ إلى من أسلم ويسلم في كل عصر ومكان حتى يرث الله الأرض ومن عليها؟

قال آخر(4): وهل يصح مثل هذا القول إلا بناء على عقيدة ترى أن الإسلام دين محلي، نزل إلى شبه الجزيرة في القرن السابع الميلادي، واجتذبهم إلى الإيمان بموافقته لما كان عندهم من أوهام وخيالات وأباطيل تخالف التاريخ الحق؟

قال آخر(5): ألا يقودنا القول بذلك إلى سؤال بالغ الأهمية، وهو: كيف يلجأ الخالق ـ جل وعلا عما يقولون ـ إلى موافقة خيالات وأوهام العرب الجاهلين وقت نزوله، وهو القادر ـ بطريق القطع ـ على أن يصوغ كتابه المنزل من الحقائق المتفقة مع الواقع والتاريخ، التي تحدث أثرها من الموعظة والعبرة في نفس الوقت؟

قال آخر: ألا يشبه هذا الزعم الذي تتضمنه هذه النظرية

---

1 () تفسير ابن كثير (٢/١٦٧).
2 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص349.
3 () مدخل إلى علم التفسير، د. بلتاجي، ص١٨٨.
4 () مدخل إلى علم التفسير، د. بلتاجي، ص١٨٨.
5 () مدخل إلى علم التفسير، د. بلتاجي، ص١٨٨.

أن يكـون حيلـة بشـرية يلجـأ إليهـا البشـر الضـعاف المحـدودو القدرة والعلم في سبيل اجتذاب الناس إلى دعواتهم؟.. أمـا أن يكون هذا أسلوبا إلهيا في تنزيل آخر الكتب المنزلة، فهذا مـا لا يمكن أن تتصوره العقول من كل وجه.

قال آخر(1): ويلزم من هذا القول أن الله تعالى لبس على الناس بذكر هذه القصص المكذوبة في كتابـه، الـذي يـذكر فيـه أنه محفوظ من الخطأ والريب والكذب.. ويلزم منـه أن القـرآن صد الكثير من الناس عن الإسلام بسبب عـدم مطابقـة قصصـه للواقع، بل هذا ما ادعاه خلف، حيث زعم أن (التمسك بمقياس الصـدق التـاريخي في القصـص القـرآني خطـر أي خطـر على النبي ﷺ وعلى القرآن، بل هو جدير بأن يدفع الناس إلى الكفـر بالقرآن كما كفروا من قبل بالتوراة)(2)

قال آخر(3): بل يلزم من هذا القول عكس ما قصده؛ فهذه الآراء ـ فضلا عما لها من نتائج سيئة ـ تذهب بقدسية القرآن من النفوس، وتزيل عنه روعة الحـق، وتزلـزل قضـاياه في كـل مـا تناوله من عقائد وتشريع وأخبار ماضية وأحوال مستقبلة.

قال آخر(4): بالإضافة إلى كل ذلك؛ فإنه إذا كان المضمون التاريخي في القصص القرآني ـ كما يزعم خلف الله وأصـحابه ـ باطل في الحقيقـة، ونفس الأمـر مطابقـا لمـا كـان في نفـوس المشركين أو غيرهم، ألا يكـون هـذا معارضـا معارضـة صـريحة لمضمون قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالـذِّكْرِ لَمَّا جَـاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيـدٍ﴾ [فصـلت: 41 ـ 42]، والـتي تنفي إمكـان أن يقتحم الباطل إليه من بين يديه ولا من خلفه؟

قال آخر: فإذا أضفنا إلى هـذا قولـه تعـالى: ﴿وَقَـالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِـيلًا قُـلْ أَنْزَلَـهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّـرَّ فِي السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقـان: 4 ـ 6]، فهل يبقى هناك أي وجـه لمـا ذكره خلف الله وغيره من المشككين، وخصوصا من المسلمين الذين يؤمنون بالقرآن الكريم؟

---

1 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص351.

2 () الفن القصصي، ص٤٢.

3 () تفسير القرآن الكريم، محمود شلتوت، ص٢٧٣.

4 () مدخل إلى علم التفسير، ص١٩٥.

قال آخر[1]: بالإضافة إلى هذا؛ فإن ما يذكره خلف الله من أن نفي الافتراء في القرآن الكريم يتعلق بمصدر القرآن كله، لا بجزئياته.. لا يصح في منطق العقول، ذلك أن ما ينطبق على الكل المجموع ينطبق على جزئيات هذا الكل.

قال آخر[2]: وهذا ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]؛ فهي تعني: لوجدوا فيه اختلافا كثيرا مع حقائق الأمور التاريخية والكونية.. ولوجدوا فيه اختلافا كثيرا مع الفطرة البشرية.. لكنه لما كان من عند الله فقد تجرد عن ذلك كله، فليس فيه أي اختلاف مع شيء من ذلك.

قال آخر[3]: ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة: 2 ـ 3]، فقد رد على دعوى الافتراء بإثبات أنه هو الحق من الله، فهل يجوز في منطق العقل أو أساليب البيان أن يكون حقا قد احتوى باطلا؟ وهل يصدق عليه وصف الحق حينئذ؟.

قال آخر: وهكذا؛ فإن كل الآيات الواردة في وصف القرآن ـ بما فيه من قصص ـ بأنه الحق، تدل على هذا، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة: 119]، وقوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة: 252]، وقوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: 6]، وقوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: 2 ـ 3]، وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 62]، وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: 57]، وغيرها من الآيات الكريمة.

قال آخر[4]: فقد أثبتت هذه الآيات كلها ــ وأمثالها في القرآن كثير ـ أن القرآن كله حق نزل من عند الله، وآياته كلها حق؛ وقصصه كلها حق؛ لأن الله تعالى لا يقص إلا الحق، وهو

---

1 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص352.
2 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص352.
3 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص353.
4 () مدخل إلى علم التفسير، ص١٩٦.

يقص علينا نبأ أهل الكهف بالحق، ونبأ موسى وفرعـون بـالحق، وكل ما قصه وأوحى به فهو الحـق، لأن اللـه تعـالى لا يقـول إلا الحق وهو يهدي السبيل، ووحيه كلـه حـق، وكتابـه كلـه حـق، لا يصل إليه الباطل والافتراء والكذب بأي وجـه من الوجـوه، كمـا قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَـرَى مِنْ دُون اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْـدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْـهِ وَتَفْصِـيلَ الْكِتَـابِ لَا رَيْبَ فِيـهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: 37]

قال آخر[1]: فأين في هذا كله ما يتيح لخلف الله وأصـحابه الزعم بأن نفي الافتراء في هذه الآيات لا يلحـق المـواد الأدبيـة القصصـية، ولا بمـا في هـذه القصـص من صـور للأحـداث والأشخاص؟.. وهل إذا لحق الافتراء هذه الأمور ـ كمـا يزعمـون ـ يصـح إطلاق وصـف الحـق في الآيـات السـابقة؟.. وهـل استخلاص عبرة ينافي أن يكون القصص المستخلص منه حقا؟

قال آخر[2]: وقد أجاب عن هذا الزعم الباطل قوله تعـالى في آخر سورة يوسف بعد عرض قصته: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْـدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَـيْءٍ وَهُـدًى وَرَحْمَـةً لِقَـوْمٍ يُؤْمِنُـونَ﴾ [يوسـف: 111]، فالعبرة المستخلصة من القصص القرآني، إنما تسـتخلص من قصص حق لا افتراء فيه ولا أسطورة.

قال آخر[3]: وأجاب على ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: 32]، فإذا كان كل ما في القـرآن قـد وصـف بأنـه هـو الحـق، فهـل يسـتقيم بعـد هـذا أن يتضـمن شـيئا ينسـب إلى باطـل أو ضـلال، بمخالفتـه لحقيقـة التاريخ أو الحقائق الكونية.

قال آخر[4]: بالإضافة إلى كل ذلك؛ فإن عـدم مطابقـة مـا في القرآن من وقائع تاريخيـة مـع أحـداث التـاريخ، إمـا منشـؤه عدم وجود هذه القصـص في التـاريخ أصـلا، وإمـا أن يكـون في التاريخ شيء يعارضه؛ فإن كان الأول فإن عدم عثورنا عليه في التاريخ ليس دليلا على عـدم وقوعـه حقيقـة، فعـدم العلم ليس علما بالعدم، وأما إن كان الثاني فلا بـد أن تكـون هـذه الحادثـة حصل لها من النقل والتواتر والتثبت مثل ما حصل للقرآن حـتى

1 () مدخل إلى علم التفسير، ص١٩٧.
2 () مدخل إلى علم التفسير، ص١٩٧.
3 () مدخل إلى علم التفسير، ص١٩٧.
4 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص355.

تعارضه، وهذا لا وجود له، وإلا فإننا نقدم ما في القرآن؛ لأنه أصح بشهادة الجميع.

أشخاص وأحداث:

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فحدثونا عن النوع الثاني.. أي التشكيك في بعض الأحداث أو الشخصيات الواردة في القرآن الكريم بحجة عدم ورود الأدلة عليها من المصادر التاريخية الأخرى.

قال أحد المشككين: من أمثلتها التشكيك في بعض ما ذكره الله تعالى عن معجزات المسيح عليه السلام ككلامه في المهد.. أو ما حصل على يديه من الخوارق التي سجلها القرآن الكريم.. حيث يحتجون بأن هذا لو حدث لكان من الوقائع العجيبة التي تنقل بالتواتر.. وكالتشكيك في قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: 157]، وكونه المسيح عليه السلام لم يصلب.

قال آخر: ومنها التشكيك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ [غافر: 36]، حيث ينقلون قول اليهود: (أطبق الباحثون عن تواريخ بني إسرائيل وفرعون، أن هامان ما كان موجودا البتة في زمان موسى وفرعون، وإنما جاء بعدهما بزمن مديد).. وأمثال هذه التشكيكات.

قال أحد الحضور: فكيف تردون على هذه التشكيكات؟

قال أحد المشككين[1]: أول الردود هو أن هذا الآيات الكريمة تليت على اليهود في زمن النبي ﷺ، وكان فيهم العلماء والأحبار، فلم ينكر أحد منهم هذا الأمر، مع حرصهم الشديد على مخالفته في ما هو أقل من ذلك.

قال آخر[2]: ثم كيف يحاكم القرآن المحفوظ بحفظ الله له بكتب أهل الكتاب، التي ملئت تحريفا وزيفا، بل طال التحريف عندهم كتبهم المقدسة، فهذا ما لا يقبله عقل، ومثل هذا كمثل عالم كبير السن والقدر والاطلاع، تكلم في قضية، فقال له الناس: نحن نخالفك بهذا؛ لأن عندنا كتابا محرفا لا

---

1 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص356.

2 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص356.

ندري من ألفه ملئ بالأخطاء يخالف ما تقول؟.. فإن كان هذا لا يجوز في حق البشر فكيف بخالق البشر.

قال آخر[1]: لو أن المشككين يحاكمون آيات القرآن الكريم إلى شيء يقيني لكان لهم وجه فيما يذكره، لكنهم يحاكمونها إلى التواريخ القديمة، وما عند اليهود والنصارى عنها.. فما قولهم فيما في هذه التواريخ القديمة من خرافات وأساطير وأوهام آمنت بها البشرية أجيال طويلة، ثم تبين ضلالها وكذبها؟

قصة إبراهيم:

قال أحد الحضور[2]: وعينا هذا؛ فكيف تردون على التشكيك الوارد حول عبادة إبراهيم عليه السلام للنجوم، ومع ذلك غفر له، مع أن الله لا يغفر أن يشرك به.

قال أحد المشككين[3]: الآيات الكريمة التي يشير إليها المشككون، ليس فيها دليل على أن إبراهيم عليه السلام قد مر بمرحلة شرك، وحاشا لله أن يقع فى ذلك، وإنما هى تحكي كيف آتى الله إبراهيم عليه السلام الحجة على قومه، حجة التوحيد، ودحض الشرك.. فهى حجاج وحوار يسلم فيه إبراهيم عليه السلام جدلاً ـ كشأن الحوار ــ بما يشركون، لينقض هذا الشرك، ويقيم الحجة على تهاوى ما به يحتجون، وعلى صدق التوحيد المركوز فى فطرته، ليخلص من هذا الحوار والحجاج والاحتجاج إلى أن الخيار الوحيد المتبقى ــ بعد هذه الخيارات التى سقطت ـ هو التوحيد.

قال آخر[4]: ولذلك؛ فإن من يقرأ الآيات الكريمة بتدبر؛ يرى أن الحوار المذكور ليس سوى دعوة للتدرج من توحيد الفطرة إلى التوحيد القائم على المنطق والبرهان والاستدلال، الذى فند دعاوى وحجج الخصوم.

قال آخر[5]: أما الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: 75]، فهي لا تدل على كون إبراهيم عليه السلام لم يكن مؤمنا، بل تدل على أنه كان موقنا يقينا استدلاليا وفطريا

---

1 () مدخل إلى علم التفسير، ص٢١٦.

2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص244.

3 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص245.

4 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص245.

5 () الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، (4/348)

بواحدانية الله، ولكنه بدراسة أسرار الخلق بلغ يقينه حد الكمال، كما أنه كان مؤمنا بالمعاد ويوم القيامة، ولكنه بمشاهدة الطيور المذبوحة التي عادت إليها الحياة بلغ إيمانه مرحلة عين اليقين، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 260]

قال آخر: ومن أحسن ما قيل فى هذا ما صح عن ابن عباس أنه قال فى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: 35]: (كذلك قلب المؤمن يعرف الله عز وجل ويستدل عليه بقلبه، فإذا عرفه ازداد نورًا على نور)، وكذلك إبراهيم عليه السلام، عرف الله عز وجل بقلبه واستدل عليه بدلائله، فعلم أن له ربًّا وخالقًا، فلما عرَّفه الله عز وجل بنفسه ازداد معرفة فقال: ﴿أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ [الأنعام: 80]

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإنه يجوز أن يكون استفهامه على معنى التوبيخ، منكرًا لفعلهم، والمعنى: أهذا ربى، أو مثل هذا يكون ربًّا!؟ فحذف الهمزة، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: 34]، أى (أفهم الخالدون؟)[1]

قال آخر: وقد أشار إلى ذلك كبير علماء البيان الزمخشرى، صاحب تفسير [الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل]، فقال: (أراد إبراهيم عليه السلام أن ينبههم إلى الخطأ في دينهم، وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال، ويعرِّفهم أن النظر الصحيح مؤدٍّ إلى أن شيئًا منها لا يصح أن يكون إلها، لقيام دليل الحدوث فيها، وأن وراءها مُحْدِثًا أحدثها وصانعًا صنعها ومدبرًا دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها.. فقال: ﴿هذا ربى﴾،

1 () [الجامع لأحكام القرآن] ج7 ص 25ـ 26، طبعة دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة 1387هـ 1967م.

وهو قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل، فيحكى قوله كما هو غير متعصب لمذهبه، لأن ذلك أدعى إلى الحق وأنجى من الشَّغَب، ثم يكرُّ عليه بعد حكايته فيبطله بالحُجة.. وقوله لئن لم يهدنى ربى: تنبيه لقومه على أن من اتخذ القمر إلها وهو نظير الكواكب فى الأفول فهو ضال، وأن الهداية إلى الحق بتوفيق الله ولطفه)(1)

قال أحد الحضور(2): فما تقولون فيما يذكره المشككون من أن نمروذ الذي ألقى إبراهيم عليه السلام فى النار لا يمكن أن يكون حيا في ذلك الزمن، كما ورد التنصيص على ذلك في الكتاب المقدس [سفر التكوين 8: 10، 11، 10: 22ـ25، 11: 13ـ26]؟

قال أحد المشككين(3): القرآن الكريم لم يسم الملك الذى حاج إبراهيم عليه السلام في ربه؛ لأن القصد من القصص هو مضمون المحاجّة، والعبرة منها، واسم الملك لا يقدم ولا يؤخر فى المضمون والعِبرة، أما تسمية هذا الملك ـ الذى حاجّه إبراهيم عليه السلام ـ بـ [النّمروذ] والاختلاف فى نطق اسمه، ومدة ملكه، فجميعها قصص تاريخى، أورده المفسرون.. فهو غير ملزم للقرآن الكريم، ولذلك لا يصح أن يورد ذلك كشبهة تثار ضد القرآن الكريم.

قال آخر(4): بالإضافة إلى ذلك؛ فعند مراجعة العهد القديم، فى المواضع التى جاء ذكرها فى التشكيك، وهي [سفر التكوين الإصحاح 8:ـ 10،ـ 11 والإصحاح 10:ـ 22ـ25 والإصحاح 11:ـ 13ــ26] وهى تحكى عن قبائل نوح، ومواليد ابنه سام، فليس فيها ذكر الملك [النّمروذ].. وفى [دائرة المعارف الإسلامية] التى كتبها المستشرقون ـ وقد حرر مادة [إبراهيم] فيها [ج، إيزبرغ] ـ يأتى ذكر الملك نمروز فى قصة إبراهيم دون اعتراض.. وفى أثنائها إشارات إلى مصادر عبرية أشارت إلى النمروز ــ منها [دلالة الحائرين لموسي بن ميمون الفصل 29].. منها [سفر هياشار] فصل نوح، وتأتى الإشارة إلى [نمرود] الملك فى سفر التكوين ـ بالعهد القديم ـ الإصحاح 10:ـ 8ــ11 باعتباره (الذى ابتدأ يكون جبارًا فى الأرض)

---

1 () [الكشاف] ج2 ص 30،ـ 31 طبعة دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ، وهى طبعة مصورة عن طبعة طهران انتشارات أفتاب، تهران وهى الأخرى بدون تاريخ للطبع.

2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص268.

3 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص268.

4 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص269.

قال آخر[1]: بالإضافة إلى ذلك؛ فليس هناك ما يمنع تكـرار لاسم [نمروذ] لأكثر من ملك فى أكثر من عصر وتـاريخ.. ويبقى أن الشبهة خاصـة بالقصـص التـاريخى.. ولا علاقـة لهـا بـالقرآن الكريم.

قصة موسى:

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فكيف تـردون على التشـكيك الوارد حـول قولـه تعـالى: ﴿وَقَـالَ الْمَلَأُ مِنْ قَـوْمِ فِرْعَـوْنَ أَتَـذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَـكَ قَـالَ سَـنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَـوْقَهُمْ قَـاهِرُونَ﴾ [الأعـراف: 127]، واحتجاجهم على ذلك بأن الملأ من قوم فرعون قالوا ذلـك عنـد ولادة موسى عليه السلام وظهور نبوته.

قال أحد المشككين: لقد ورد في القـرآن الكـريم مـا يـدل على أن هذا ديدن فرعون، وأنـه ليس خاصـا بمـا ذكـر في تلـك الحادثـة، كمـا قـال تعـالى: ﴿إِنَّ فِرْعَـوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَـلَ أَهْلَهَـا شِـيَعًا يَسْتَضْـعِفُ طَائِفَـةً مِنْهُمْ يُـذَبِّحُ أَبْنَـاءَهُمْ وَيَسْـتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 4]

قال أحد الحضور: فكيف تردون على التشكيك الوارد حول قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَـكَ إِحْـدَى ابْنَتَيَّ هَـاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيـدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَـاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّـالِحِينَ قَـالَ ذَلِـكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَـا الْأَجَلَيْنِ قَضَـيْتُ فَلَا عُـدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَـا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: 27 ـ 28]، بينما ذكر في التوراة أنـه كـان لـه سبع بنات لا اثنتين، وأنه لم يصـدق المـرأة، لا بالخدمـة ولا بمـا يقوم مقامها.

قال أحد المشككين[2]: حتى لو كان عنـده سـبع بنـات، ثم قـدم لـه اثنـتين لائقـتين بحالـه لينتقى واحـدة منهمـا، فمـا هـو الإشكال فى ذلك؟

قال آخر: ويدل لذلك ما ورد في التـوراة من حـال يعقـوب مع خاله [لابان]، فقد خدم يعقوب عليه السلام خاله سبع سنين صداقاً لابنته الأولى [ليئة]، وخدم سبع سنين أخرى صداقاً لابنته الأخرى [راحيل]

---

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص269.

2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص493.

قال آخر[3]: وفي نص التوراة ما يدل على ما اتفقا عليه، وهو (فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل، فأعطى موسى صفورة ابنته)، وهذا يستدعي التساؤل عن الشيء الذي ارتضاه، ولماذا قال بعد الارتضاء: (فأعطى موسى صفورة ابنته؟).. والنص كله هو: (وكان لكاهن مديان سبع بنات، فأتين واستقين وملأن الأجران ليسقين غنم أبيهن، فأتى الرعاة فطردوهن، فنهض موسى وأنجدهن وسقى غنمهن، فلما أتين إلى رعوئيل أبيهن قال: ما بالكن أسرعتن فى المجئ اليوم؟ فقلن: رجل مصرى أنقذنا من أيدى الرعاة، وإنه استقى لنا أيضاً وسقى الغنم، فقال لبناته: وأين هو؟ لماذا تركتن الرجل؟ ادعونه ليأكل طعاماً، فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل، فأعطى موسى صفورة ابنته) [خروج 2: 16]، وفي النص السامرى: (فلما أمعن موسى فى السكنى مع الرجل؛ أعطاه صفورة ابنته لموسى زوجة)

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فكيف تردون على التشكيك في شخصية هامان، ووجودها الواقعي؟

قال أحد المشككين[2]: إن فرعون موسى ــ من بين فراعنة مصر ـ ليس معروفا للمؤرخين بصورة قطعية متفق عليها، فإذا كان الأمر كذلك، فإن تحديد وزرائه ومعاونيه بالاستقصاء والحصر، أمر لا يمكن أن يدعيه على سبيل القطع مؤرخ يحترم عقله وعقول الناس.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فقد ذكر بعض الباحثين أنه خلال ترجمة نقش من النقوش المصرية القديمة تم الكشف عن اسم (هامان)، وهذا الاسم أشير إليه في لوح أثري في متحف هوف في فينا، وفي مجموعة من النقوش كشفت أن هامان كان في زمن تواجد موسى عليه السلام في مصر، وقد سجل كتاب (Pharaoh Triumphant the life and times of Ramesses II K.A. Kitchen)، الكثير من المعلومات عن هامان: منها: (كان الشاب آمن (هامن، وهامان) في مثل سن الأمير (رمسيس 2) ورفيق صباه، فلما أصبح رمسيس نائبا للملك ووريثا للعرش أصبح الفتى بالتبعية رفيقه وتابعه ففتح له الطريق لمستقبل زاهر وهي ما تحقق فعلا.. وكان لآمن ام اينت (هامان) أقارب

---

3 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص496.

2 () مدخل إلى علم التفسير، ص٢١٧.

ذوو نفوذ منهم عمه كبير كهنة الإله مين والإلهـة ايـزيس بقفـط (شـمال طيبـة) وقائـد فيـالق النوبـة، أي السـاعد الأيمن لنـائب الملك في النوبة)[1]

قـال أحـد الحضـور[2]: وعينـا هـذا؛ فكيـف تـردون على التشكيك في كون هامان كان وزيـراً لفرعـون، لأن هامـان كـان وزيراً لأحشويرش ملك الفـرس فى مدينـة بابـل، وبين فرعـون وأحشويرش زهاء ألف سنة؟

قال أحد المشككين: للإجابة على ذلك وجـوه كثـيرة أولهـا وأبسطها هو أن هذا التشكيك مؤسـس على كـون هامـان اسـم شخص، وليس في القرآن الكـريم مـا يـدل على ذلـك، بـل هـو قول الرواة، ويدل لذلك أن فرعون ليس اسم شـخص، بـل هـو لقب لحاكم مصر حينها.

قال آخر[3]: فإذا صح أن هامان لقب لكل نائب عن الملك، لا اسم شخص، فإنه يصح أن يُطلق على النائب عن فرعــون أو عن أى ملك من الملوك، وعلى ذلك يكون معـنى: ﴿إِنَّ فِرْعَـوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: 8] هو إن رئيس مصــر الملقب بفرعــون، ونائبــه الملقب بهامــان ﴿وَجُنُودَهُمَــا كَـانُوا خَاطِئِينَ﴾، ومثل ذلك مثل لقب الملك الذى يُطلـق على رؤسـاء البلاد؛ فإنه يطلـق على رؤسـاء فـارس واليونـان ومصـر واليمن وسائر البلاد، ولا يتوجه على إطلاقه خطأ من أخطاء التاريخ.

قال آخر[4]: ويدل لذلك ما ورد في الإنجيـل من أن اليهـود كانوا يطلقون لقب [المضلّ] على من يخالفهم في الــرأى، وإذا أطلقه العبرانيون على رجل منهم يقولون له: يـا سـامرى، بـدل قولهم يـا مضـل، وذلـك لأنهم يعتـبرون السـامريين كفـاراً، وإذا أطلقه السامريون على رجل منهم يقولون له: يا عـبراني، بـدل قولهم يا مضل، وذلك لأنهم يعتبرون العبرانيين كفاراً، وإذا سمع العبراني عنهم كلمة [سامري] لا يفهم منهـا أنهـا اسـم شـخص، وإنما يفهم منها أنها لقب للذم، وعن هذا المعنى جاء فى إنجيل يوحنا أن علماء اليهود قالوا لعيسى عليه السلام: (إنك سامرى، وبك شيطان)، ورد عليهم بقولـه: (أنـا ليس بي شـيطان، لكـني أكـرم أبي وأنتم تهينونـني، أنـا لسـت أطلب مجـدي، يُوجـد من

1 () رمسيس الثاني، فرعون المجد والانتصار، ترجمة د. أحمد زهير أمين، ص 55.
2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص451.
3 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص451.
4 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص451.

يطلب ويدين) [يوحنا 8: 48ـ50]

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فكيف تـردون على التشـكيك حول كون الله تعالى كتب لموسى عليه السلام في الألـواح من كل شيء، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَـهُ فِي الْأَلْـوَاحِ مِنْ كُـلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُـلِّ شَـيْءٍ فَخُـذْهَا بِقُـوَّةٍ وَأْمُـرْ قَوْمَـكَ يَأْخُـذُوا بِأَحْسَـنِهَا سَـأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِـقِينَ﴾ [الأعـراف: 145]، بينمـا ذكـرت التـوراة أنـه كتب لـوحين اثـنين، وكتب عليهمـا الوصـايا العشر فقط.

قال أحد المشككين[1]: لقـد ورد في الكتـاب المقـدس مـا يـدل على أن الألـواح الأولى قـد كسـرت، وحـل محلهـا ألـواح جديدة، وأن الألواح الأولى كـانت مكونـة من لـوحين للعهـد، أي للعمل بـالتوراة.. بالإضـافة إلى عـدة ألـواح مكتـوب عليها كـل أحكام التوراة، ففى الإصـحاح التاسـع عشـر من سـفر الخـروج ومـا بعـده إلى الإصـحاح الرابـع والعشـرين كـل أحكـام التـوراة وبعـدها: (فجـاء موسـى، وحـدث الشـعب بجميـع أقـوال الـرب وجميع الأحكام)

قال آخر: وفيها أنه لما صعد إلى جبـل الطـور أعطـاه اللـه لوحى الحجارة، والشريعة والوصية.. ومن قبـل نزولـه من على الجبل؛ عبدوا العجل من دون اللـه، ولمـا سـمع موسـى بـالخبر كسر لوحى العهد فى أسـفل الجبـل، ولكن كـاتب سـفر التثنيـة يقـول: (إنـه كسـر لـوحين كـان عليهمـا كـل أحكـام الشـريعة، وعليهما مثل جميع الكلمات الـتى كلمكم بهـا الـرب فى الجبـل من وسـط النـار فى يـوم الاجتمـاع) [تثنيـة 9:ـ 10]، ولا يمكن لـ [لوحي العهد] أن يحملا مع العهد كل أحكام الشريعة التى نزلت فى يوم الاجتماع)

قال آخر: وفيها أنه لما كسر الألواح، أعطى الله لـه بـدلهم ألواح جديـدة، كمـا في سـفر الخـروج [32:ـ 29] والمكتـوب على الألواح الجديدة أحكام الشريعة الموجـودة فى الإصـحاح الرابـع والثلاثين من سفر التثنية.

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فكيف تـردون على التشـكيك فيما ذكره القرآن الكـريم من كـون بـني إسـرائيل طلبـوا رؤيـة الله، كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَـزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًـا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَـأَلُوا مُوسَـى أَكْبَـرَ مِنْ ذَلِـكَ فَقَـالُوا أَرِنَـا اللَّهَ

[1] () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص497.

جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا [النساء: 153 ـ 154] بينما في التوراة أنهم قالوا لموسى عليه السلام: (تكلم أنت معنا، ولا يتكلم معنا الله؛ لئلا نموت) [خروج 20: 19]؟

قال أحد المشككين(1): إن الذين أوردوا هذه الشبهة جاهلين بما في الكتاب المقدس؛ ففيه أن موسى عليه السلام لما أخذ العهد على اليهود أن يعملوا بالتوراة، بكّر فى الصباح وبنى مذبحاً فى أسفل الجبل، وأخذ العهد، ثم قال الكاتب: (ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرئيل ورأوا إله إسرائيل، وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء فى النقاوة، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بنى إسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا) [خروج 24: 9ـ11]

قال آخر: وفيها طلب موسى رؤية الله، ففي سفر [خروج 33: ـ18]: (فقال: أرنى مجدك) ورد الله عليه بقوله: (لا تقدر أن ترى وجهي، لأن الإنسان لا يرانى ويعيش)

قال آخر: وفيها أن الله تعالى لما تجلى للجبل؛ حدث من هيبته حال التجلى نار ودخان وارتجف كل الجبل جداً، فارتعب بنو إسرائيل من هذا المنظر، وقالوا لموسى: (إذا أراد الله أن يكلمنا مرة أخرى؛ فليكن عن طريقك يا موسى ونحن لك نسمع ونطيع، فرد الله بقوله: أحسنوا فيما قالوا، وسوف أكلمهم فى مستقبل الزمان عن طريق نبى مماثل لك يا موسى من بين إخوتهم وأجعل كلامى فى فمه؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به) [تثنية 18: 15ـ22]

قال أحد الحضور(2): فما وعينا هذا؛ فكيف تردون على التشكيك في واقعية قوله تعالى: فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ [الشعراء: 53 ـ 59]، وقوله: كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ [الدخان: 25 ـ 28]، حيث يذكر

---

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص505.

2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص517.

المشـككون أن بـنى إسـرائيل لم يرثـوا أرض مصـر بعـد هلاك فرعون، بل ورثوا أرض كنعان فقط؟

قال أحد المشـككين[1]: من وجـوه الـرد على ذلـك هـو أن المقصود بالأرض التي ورثهـا بنـو إسـرائيل هي بلاد الشـام ذات الجنات الكثيرة، والعيون الجارية، ومعنى إخراج المصريين منهـا إزالة سيادتهم وسلطانهم عنها، وحرمـانهم من التفكـه بنعيمهـا، فقد كانت بلاد فلسطين إلى الشام تابعة لمصر، وكان من عادة فراعنة مصر كغيرهم من الأمم المستعمرة أن يقيموا في البلاد الـتي يسـتولون عليهـا حكامـا وجنـودا لئلا تنتقض عليهم، وأن يسكنها كثيرون منهم يتمتعون بخيراتهـا، ويشـير إلى ذلـك قولـه تعالى على لسان موسى عليه السـلام: ﴿عَسَـى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِـكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُـرَ كَيْـفَ تَعْمَلُـونَ﴾ [الأعـراف: 129]

قــال آخر[2]: فــالمرجح عنــد المتــأخرين من المــؤرخين الواقفين على العاديات المصرية أن فرعون موسى هـو الملـك (منفتاح) وكان يلقب بسليل الإله (رع)، وقد جـاء في آخـر الأثـر المصري الوحيد الـذي ذكـر فيـه بنـو إسـرائيل (وهـو المعـروف برقم 34025 المحفوظ في متحف مصر) أن مصر هي السليلة الوحيـدة للمعبـود (رع) منـذ وجـود الآلهـة وأن [منفتـاح] سـليلة أيضا، وهـو الجـالس على سـدة المعبـود [شـو] وأن الإلـه [رع] التفت إلى مصر فولد منفتاح ملك مصـر، وشـيء لـه أن يكـون مناضلا عنها فتخنـع لـه الـولاة، ولا يرفـع أحـد من البـدو رأسـه، فخضع له القيروانيون والحيثيون والكنعانيون وعسـقلان وجـزال وينعمام.

قــال آخر[3]: بالإضــافة إلى ذلــك، فقــد وجــد في بعض التواريخ القديمة ما يـدل على صـحة مـا قالـه بعض المفسـرين من أن موسـى عليـه السـلام اسـتولى على مصـر، وتمتـع هـو وقومه بالسيادة فيها طائفة من الزمن، وهو ما جاء في حاشــية لأحــد مبــاحث الــدكتور محمــد توفيــق صــدقي في كتب العهـد الجديد، وعقائد النصرانية، وهذا نصه: (جـاء في كتـاب (الأصـول البشرية) لمؤلفه لينج أن يوسـيفوس المـؤرخ اليهـودي الشـهير

1 () تفسير المنار (9/85)
2 () تفسير المنار (9/70)
3 () تفسير المنار (9/86)

نقل عن (مانيثون) هذه الرواية المصرية القديمة التي ملخصها أن موسى بعد أن هزم فرعون مصر ـ الذي فر إلى بلاد الحبشة ـ حكم مصر 13 سنة، وبعد ذلك عاد إلى فرعون هو وابنه، ومعهما جيش عظيم فقهروه وأخرجوه منها إلى بلاد الشام)[1]

قال آخر[2]: ومثل ذلك ورد في قاموس الكتاب المقدس أن هيرودوتس المؤرخ اليوناني في القرن الخامس قبل الميلاد قال: (إن ابن سيسوسترس ضرب بالعمى مدة عشر سنين؛ لأنه رمى رمحه في النهر، وقد ارتفعت أمواجه وقت فيضه؛ بسبب نوء شديد إلى علو غير اعتيادي)، ويقول المؤرخون: (إن ابن سيسوسترس هذا (وهو منفتاح الثاني) هو فرعون الخروج، ويتخذون هذه العبارة إشارة إلى غرقه في زمن موسى، لكن يرى القارئ منها أنها لو كانت إشارة إلى الغرق لكان الغرق في النيل، ومن الرواية الأولى يعلم أن موسى حكم بعد فرعون 13 سنة في مصر، وهاتان الروايتان هما من أقدم الروايات المصرية وأصحها، وربما كانتا الوحيدتين في هذه المسألة، ولعل المصريين استغاثوا بمملكة الحبشة فأرسلت إليهم جيشا فأوحى الله إلى موسى بالخروج حينئذ من مصر، وتركها لأهلها، وعليه يجوز أن المصريين كتموا خبر غرق ملكهم، واستبدلوا به دعوى تقهقره إلى الحبشة، وقالوا: إنه هو الذي عاد بعد ذلك، وأخرج موسى بالقوة؛ سترا لخزيهم وخذلانهم، وإرضاء لملوكهم وأسر هؤلاء الملوك، وربما أنه لولا عظم هذه الحادثة وشهرتها بينهم لأنكروها بالمرة)[3]

قال آخر[4]: وأما مسألة حكم موسى في مصر، والتمتع بها هو وقومه مدة من الزمن بعد الغرق فهو أيضا المتبادر من نحو قوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: 103 ـ 104]، ويجوز أن الشريعة أعطيت لموسى في الطور قبل تركه حكم مصر.

قال آخر[5]: وفي زمن موسى عليه السلام أعطى الله بني إسرائيل ـ بدلا عن مصر التي أمرهم بتركها ـ الممالك التي

---

1 () مجلة المنار: 16/446، 447.
2 () تفسير المنار (9/87)
3 () الكتاب المقدس لبوست 1/410.
4 () تفسير المنار (9/87)
5 () تفسير المنار (9/87)

في شرق الأردن كما في كتبهم، وفي زمن يشوع أعطاهم كل أرض كنعان إلا بعض أجزاء منها [يشوع 13: 1] وهذه الأرض التي أعطيت لهم هي من أخصب أراضي العالم وأحسنها، وهي المسماة عندهم بأرض الموعد؛ لأنهم كانوا وعدوا بها من قبل.

قال آخر(1): بالإضافة إلى ذلك كله؛ فإن المراد من الإرث ليس استغلال خيرات الأرض وتسخير أهلها فى مصالح اليهود فحسب، ولكنه إرث شريعة؛ فإن الله تعالى قال لإبراهيم عليه السلام: (سر أمامى وكن كاملاً) [تكوين 17: 1] أي امش أمامي فى جميع البلاد لدعوة الناس إلى عبادتي وترك عبادة الأوثان.

قال أحد الحضور(2): وعينا هذا؛ فكيف تردون على التشكيك الوارد حول قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: 101]، وقوله: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [النمل: 12] بينما تذكر التوراة أن الآيات البينات عشر، وهو يخالف ما ورد في القرآن الكريم من كونها تسعا.

قال أحد المشككين: الرد على ذلك بسيط، وهو أن مفسري التوراة صرحوا بالاختلاف فى عدد هذه الآيات، فالآية الثانية وهي الضفادع؛ يوجد من يقول إنها التماسيح.. والآية الثالثة قال بعضهم إنها ضربة القمل، وقال بعضهم إنها ضربة البعوض.. والآية الرابعة قال بعضهم إنها ذباب الكلب خاصة، وقيل مطلق ذباب.

قال أحد الحضور(3): وعينا هذا؛ فكيف تردون على التشكيك الوارد في قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: 8 ـ 9]، حيث أن التوراة تذكر أن الملتقطة له هى ابنة فرعون وليست امرأته؟

قال أحد المشككين: إن كلمات التوراة مشكوك فيها، والدليل على ذلك أن اسم الرجل فى موضع، يأتى فى موضع

(1) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص498.
(2) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص499.
(3) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص502.

آخر باسم آخر، وكذلك المرأة، وهذا يتكرر كثيراً، فإسماعيل عليه السلام كانت له ابنة اسمها [محلث] وتزوجت [العيس] بن إسحاق عليه السلام كما في [تكوين 28: 9] وفى ترجمة لبنان [محلة] وفى نفس الترجمة [وبسمة] وفى ترجمة البروتستانت [بسمة] [تكوين 36: 3]

قال آخر: وهكذا نجد في كتب تفسير التوراة تصريح بكلمات ملتبسة مثل (ثم يذبحه كل جماعة إسرائيل فى العشية) [خروج 12: 6] حيث يقولون: [العشية] هذه اللفظة ملتبسة.. ومثلها ما ورد في الشيخ الكبير فى أرض مدين حيث اختلف فى اسمه، ففى الخروج [2: 18] [رعوئيل] وفى الخروج [4: 18] [ثيرون] والابن الأول لموسى فى ترجمة [جرشوم] وعند يوسيفوس [جرشام] وفى ترجمة السبعين [جرسام] [خروج 2: 22]

قال أحد الحضور[1]: وعينا هذا؛ فكيف تردون على التشكيك في قوله تعالى يحكي عن فرعون طلبه من هامان أن يبنى له برجاً: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [غافر: 36 ـ 37]، بحجة أن البرج من بناء الناس فى بابل من بعد نوح عليه السلام.

قال أحد المشككين[2]: القرآن الكريم يذكر أن فرعون طلب من وزيره الملقب بهامان أن يوقد له على الطين ليجعل له صرحًا، ولم يرد فيه أنه أوقد له على الطين، وجعل له صرحًا، ولو أنه أوقد وجعل، فما هو الدليل على أن صرح مصر هو برج بابل؟

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإنه من المحتمل أنه أراد ببناء الصرح؛ التهكم على موسى عليه السلام، أو أن (بناء (الصرح العظيم) حدث بعد ما جرى لموسى عليه السلام من مواجهته السحرة ما جرى.. لأنه يستفاد من سورة (المؤمن) أن هذا العمل (بناء البرج) تم حين كان الفراعنة يخططون لقتل موسى عليه السلام، وكان مؤمن آل فرعون يدافع عنه..

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص494.
2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص494.

ونعرف أنه قبل أن يواجه موسى عليه السلام السـحرة لم يكن مثل هذا العمل ولا مثل هذا الحديث، وحيث أن القرآن ا لكـريم تحدث عن مواجهة موسى عليه السلام للسحرة في سورة طه، والأعراف، ويونس، والشعراء؛ فإنه لم يتطرق إليهـا هنـا، وإنمـا تحدث هنا وفي سورة المؤمن عن بناء البرج)[1]

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فكيف تـردون على التشـكيك في شخصـية السـامري، ووجودهـا الـواقعي، بحجـة أن مدينـة السامرة فى فلسطين لم يكن لها وجود لما خرج بنـو إسـرائيل من مصر مع موسى عليه السلام، وسكنوا أرض سـيناء، فكيـف يمكن أن يكون هناك سـامري يضـع لهم العجـل قبـل أن يكـون للسامريين وجود؟

قال أحد المشككين[2]: مع أنـا رددنـا على ذلـك سـابقا، إلا أن هناك رد آخر يمكن أن يُرد به على هذا التشكيك، ذكره بعض البـاحثين، وهـو أنـه ليس فى فلسـطين مدينـة تسـمى بمدينـة السامرة، وإنما كان للسامريين مملكة فى فلسطين، عاصـمتها نابلس المسماة قديماً [شكيم] وكانت هذه المملكة مكونــة من عشرة أسباط، وكان للسبطين مملكـة فى فلسـطين عاصـمتها القـدس المسـماة قـديماً أورشـليم.. ولمـا صـعد موسـى عليـه السلام إلى جبل الطور وتلقى التوراة، نزل فوجد اليهود يعبدون عجلاً جسداً له خوار، فسـأل عن ذلـك فـدلوه على من أغـراهم بعبادتهم، فأمسك به وسأله: ﴿مَا خَطْبُكَ يَـا سَـامِرِيُّ﴾ [طـه: 95]، أى ما هذا الذى فعلته أيها المضل؟ لأن كلمـة (سـامري) تطلـق على المضل، ولا تطلق على شخص كاسم من الأسـماء، وبهـذا المعنى لا يكـون الـذى أضـلهم رجـل مسـمي بالسـامري، حـتي يتوجــه الإشــكال، وإلا يلــزم أن يكــون الســامري من أســماء المسيح عيسى عليه السلام فإن اليهود قالوا له: (إنك سـامري، وبك شيطان) [يوحنا 8: 48]

قصة سليمان:

قال أحد الحضور: فحدثونا عن التشكيكات المرتبطة بقصة سليمان عليه السلام في القرآن الكريم[3].

قــال أحــد المشــككين: هي تشــكيكات قديمــة، لكن

---

1 () الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، (12/234)

2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص453.

3 () الفن القصصي، ص١٨٠ ـ ١٨١.

المعاصرين لا زالوا يرددونها مع كونها لا تحمل أي طـابع علمي، وقد ذكرها الرازي، فقال: (إن الملاحدة طعنت في هذه القصـة من وجـود: أحـدها: أن هـذه الآيـات اشـتملت على أن النملـة والهـدد تكلمـا بكلام لا يصـدر ذلـك الكلام إلا من العقلاء، وذلـك يجر إلي السفسطة، فإنا لو جوزنا ذلك لما أمنا في النملة الـتي نشاهدها في زماننا هـذا أن تكـون أعلم بالهندسـة من إقليـدس وبالنحو من سيبويه، وكذلك القول في القملة والصئبان، ويجـوز أن يكون فيهم الأنبيـاء والتكـاليف والمعجـزات، ومعلـوم أن من جوز ذلك كـان إلى الجنـون أقـرب.. وثانيهـا: أن سـليمان عليـه السلام كان بالشام، فكيف طار الهدد في تلك اللحظة اللطيفـة من الشـام إلى اليمن، ثم رجـع إليـه.. وثالثهـا: كيـف خفي على سليمان عليه السلام حال مثـل تلـك المملكـة العظيمـة مـع مـا يقـال إن الجن والإنس كـانوا في طاعـة سـليمان، وأنـه عليـه السلام كان ملـك الـدنيا بالكليـة، وكـان تحت رايـة بلقيس حـال طيران الهدهد إلا مسيرة ثلاثـة أيـام؟.. ورابعهـا: من أين حصـل للهدهد معرفة الله تعالى ووجوب السجود لـه وإنكـار سـجودهم للشمس وإضافة إلي الشيطان وتزينه؟)[1]

قال آخر: وأول الردود على هذه الشبهة ما يـذكره القـرآن الكريم في مثل هذه المحال، وهـو قولـه تعـالى مخاطبـا زكريـا عليه السلام: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مـريم: 9]، ولـذلك فـإن الإيمـان باللـه وبقدرته على كل شيء يزيل هذه الشكوك.. أما الـذي لا يـؤمن بهذا؛ فهو مدعو لتصحيح إيمانه بالله أولا، وإلا فإنه سـيظل ينكـر كل شيء.

قال آخـر: بالإضـافة إلى ذلـك؛ فـإن اللـه تعـالى أخـبر عن العلوم التي كـانت في عهـد سـليمان عليـه السـلام، والـتي تتم بواسطتها المعجزات، كما قال تعـالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: 38 ـ 40]، وأخبر قبل ذلـك أنـه أوتي من كـل شـيء،

---

1 () مفاتيح الغيب ٢٤/١٩٠ ـ ١٩١.

قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: 16]

قال آخر[1]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن كلام الهدهد والنملة ليس مستغربا، فقد أصبح من المقطوع به الآن عند العلماء الذين يدرسون سلوك أنواع الطير والحيوان والحشرات، أن لكل منها لغة تقوم مقام اللغة المعهودة عند البشر، في التعبير ونقل الأحاسيس والمعارف، على نحو ما ماتزال تفاصيله مجهولة من البشر، لكن المقطوع به من شواهد كثيرة جدا أن لكل منها نوعا من اللغة يتم به الاتصال بين أفراده، وقد سجل بعض العلماء تسجيلات صوتية لأنواع من الطيور في حالة الفزع نقلت إليهم ـ في غاية من الوضوح ـ هذه المشاعر والمعاني.

قال آخر[2]: ولذلك.. ما العجب بعد هذا أن تتكلم النملة، ويتكلم الهدهد، بكلام يفهمه سليمان عليه السلام لأنه ـ كما ورد في القرآن الكريم ـ عُلّم منطق الطير وأوتي من كل شيء؟

قال آخر[3]: أما أنهم تكلموا بكلام يدل على شيء من العقل فإن من يراقب سلوك الطير والحشرات فسوف يدرك بغاية من الوضوح أن سلوكهم يجرى على نظم من الوعى والتدبير والعمل من أجل غايات تهديهم إليها غرائزهم وفطرهم، وعلى المعاند في هذا أن يقرأ عن سلوك الحشرات والطيور في كتب العلم التجريبي، وسوف يذهله ما يقرأ، وعليه أن يراقب العمل والنطام في (مملكة النحل) أو في (عالم النمل وقراه التي ينشئها)

قال آخر[4]: وقد أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: 50]، وقوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْض وَلَا طَائِر يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: 38]، وهو الذي تدل عليه كافة مشاهدات العلماء المحققين.. فما العجب إذن في أن تتكلم نملة ويتكلم هدهد؟ وما العجب في أن يفهم عنهما من عرف لغة كل منهما؟

---

1 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص366.
2 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص367.
3 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص367.
4 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص367.

قال آخر(5): وذلك لا يجـر إلى شـيء من السفسـطة الـتي ذكروهـا، فلم يقـل القـرآن الكـريم بشـيء من اللـوازم الـتي ابتدعوها، إنما قال بما تدل عليه ملاحظة هـذه الأنـواع، وهـو أن لها منطقا، أما علم الهندسة، والنحـو، والتكـاليف، والمعجـزات؛ فإنمـا هـو من قـول الملاحـدة الـذي يـرد عليهم، لأننـا لا نحمـل القرآن الكريم إلا ما نطق به لا ما قام في أوهام الملاحدة.

قال آخر(2): أما طـيران الهدهـد من الشـام إلي اليمن، ثم الرجوع إلى الشـام، فالـذي وردٍ في القـرآن الكـريم عنـه قولـه تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَـا لَمْ تُحِـطْ بِـهِ وَجِئْتُـكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمـل: 22]، وليس في القرآن الكـريم تحديـد أن الهدهـد مكث لحظـة كمـا يقـول هـؤلاء، ولا يفهم من ﴿غـير بعيـد﴾ في سـياقها إلا مـدة تكفي للطـيران، وقـد قـرئت على صفحاء العرب من المشـركين في عصـر الرسـالة ـ وهم أعلم باللغة، وكانوا يعرفون اليمن والشام ـ فما أثاروا هذا الاعتراض، فعلم منه أن التعبير القـرآني يخلـوا عن دواعي اعـتراض هـؤلاء الملاحدة.

قال آخر(3): أما عـدم معرفـة سـليمان عليـه السـلام حـال مملكـة سـبأ؛ فـإن القـرآن الكـريم لم يصـفه بأنـه كـان يعـرف الغيب، وقـد كـان هـذا غيبـا بالنسـبة إليـه، وليس فيمـا وصـف القـرآن الكـريم بـه سـليمان عليـه السـلام إلا تسـخير الريـاح والشـياطين وتعليم منطـق الطـير وإيتـاء الملـك الـذي لا ينبغي لأحد بعده، لكن ليس فيه شيء من وصـفه بعلم غـير مـا علمـه الله له، فما العجب في أن تكون في الأرض أشياء وممالك كان سليمان عليه السلام ـ مع عظمة ما أعطاه الله له ـ يجهلها؟

قـال آخر(4): بالإضـافة إلى ذلـك؛ فـإن القـرآن الكـريم لم يذكر شيئا عن أن سليمان عليـه السـلام كـان ملـك الـدنيا كلهـا بأكملها ـ كما يزعم هؤلاء الطاعنون ـ ولعـل مسـتندهم في هـذا إنما هو بعض المبالغـات الإسـرائيلية الـتي لم يـرد لهـا ذكـر في الوحي القرآني.

قـال آخر(5): أمـا اسـتنادهم في ذلـك إلى قولـه تعـالى:

5 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص367.
2 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص368.
3 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص368.
4 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص368.
5 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص368.

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: 17]، فلا يصح، لأن (من) هنا للتبعيض، وليس المعنى أن كل الأنس ـ دون استثناء ـ كانوا تحت ملكه.

قال آخر(1): أما إن كان استنادهم لما ذكره الحشوية في تفاسيرهم، وهو أنه كان تحت راية ملكة سبأ اثنا عشر الف ملك تحت راية كل منهم مائة ألف؛ فليس في القرآن الكريم شيء من هذا مطلقا، والعدد الذي ذكروه يجاوز بكثير جدا ما يمكن أن يكون موجودا عندئذ من عدد السكان، وهو يذكرنا بما نقده ابن خلدون من مبالغات المؤرخين القدماء، وما حذر منه (فيكو) من غرور الأمم حين تكتب تارخها ــ فكيف تحمل هذه المبالغات على نصوص القرآن الكريم التي لم تعرض لها إطلاقا؟

قال آخر(2): ولهذا، لا عجب أن يجهل سليمان عليه السلام أمر ملكة سبأ مع كل ما أعطاه الله له، لأنه لم يعطه علم كل ما في الأرض، ولم تكن هناك اتصالات منتظمة بين المالك بحيث تعرف كل منها الأخرى، وتتصل بها على النحو الذي نعهده في عصرنا والذي حدث بعد ذلك بحكم التطور العمراني، ولم تكن الجن التي سخرت لسليمان عليه السلام أيضا تعرف الغيب كما صرح بذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: 14]

قال آخر(3): أما التشكيك في معرفة الهدهد لله تعالى ووجوب السجود له وإنكار سجودهم للشمس وإضافته إلي الشيطان وتزيينه؛ فإنما كان الهدهد من جند سليمان عليه السلام، والآيات تتكلم عن أمر غيبي لا يقاس على معرفة البشر الآن بأحوال الطير، وما المانع من أن تكون فطرة كافة المخلوقات عارفة بوجوب السجود لله تعالى وحده؟

قال آخر: وقد صرح القرآن الكريم بذلك، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ

1 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص369.
2 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص369.
3 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص369.

رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: 48ـ 50]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: 41].. فما العجب بعد هذا كله أن يكون الهدهد من جند سليمان عليه السلام عارفا لوجوب السجود لله تعالى وحده منكرا السجود لغيره؟

قال آخر[1]: وبذلك؛ فإن القضية ترتبط بإخبار عن غيب لا تصل معرفة البشر التجريبية أو العقلية إلى شيء منه، فالمؤمنون بالغيب وبصدق الوحي القرآني يؤمنون به، والمكذبون ينكرون بكل ما لا يقع منهم تحت حس مباشر أو تجربة مادية، لكنهم في مثل هذه القضايا الغيبية لا مستند لهم في إنكارهم إلا محض الشك والتكذيب وقياس الغائب على الشاهد وتحكيم عقولهم القاصرة فيما هو من علم الغيب.

قصة المسيح:

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فكيف تردون على التشكيك في كلام المسيح عليه السلام في المهد؟

قال أحد المشككين: إن الرازي الذي ذكر هذه الشبهة، ونقلها عن المشككين، لم يتركها دون رد، بل رد عليها بعد أن نقل أدلتهم بكل أمانة؛ فقال: (أنكرت النصارى كلام المسيح عليه السلام في المهد، واحتجوا على صحة قولهم بأن كلامه في المهد من أعجب الأمور وأغربها، ولا شك أن هذه الواقعة لو وقعت لوجب أن يكون وقوعها في حضور الجمع العظيم الذي يحصل القطع واليقين بقولهم، لأن تخصيص مثل هذا المعجز بالواحد والاثنين لا يجوز، ومتى حدثت الواقعة العجيبة جدا عند حضور الجمع العظيم فلا بد وأن تتوفر الدواعي على النقل فيصير ذلك بالغا حد التواتر، وإخفاء ما يكون بالغا إلى حد التواتر ممتنع، وأيضا فلو كان ذلك لكان ذلك الإخفاء هاهنا ممتنعا لأن النصارى بالغوا في إفراط محبته إلى حيث قالوا إنه كان إلها، ومن كان كذلك يمتنع أن يسعى في إخفاء مناقبه وفضائله بل ربما يجعل الواحد ألفا فثبت أن لو كانت هذه الواقعة موجودة لكان أولى الناس بمعرفتها النصارى، ولما أطبقوا على إنكارها علمنا أنه ما كان موجودا البتة)[2]

1 () مدخل إلى علم التفسير، ص٢٣٦.

2 () التفسير الكبير (8/225)

قال آخــر: ثم نقــل وجوهــا في الــرد عليهــا عن المتكلمين، منها (أن كلام عيسى عليه السلام في المهــد إنمــا كــان للدلالــة على بــراءة حــال مــريم عليهــا الســلام من الفاحشــة، وكــان الحاضرون جمعا قليلين، فالســامعون لــذلك الكلام، كــان جمعــا قليلا، ولا يبعــد في مثلــه التواطــؤ على الإخفــاء، وبتقــدير: أن يذكروا ذلك إلا أن اليهــود كــانوا يكــذبونهم في ذلــك وينســبونهم إلى البهت، فهم أيضــا قــد ســكتوا لهــذه العلــة؛ فلأجــل هــذه الأســباب بقي الأمــر مكتومــا مخفيــا إلى أن أخــبر اللــه ســبحانه وتعالى محمدا ﷺ بذلك)[1]

قال آخر: ومن الوجوه التي ذكرهــا للــرد على الشــبهة أنــه (ليس كل النصارى ينكرون ذلــك، فإنــه نُقــل عن جعفــر بن أبي طالب أنه لما قرأ على النجاشي سورة مريم، قال النجاشي: لا تفاوت بين واقعة عيسى، وبين المذكور في هذا الكلام بذرة)[2]

قال آخر[3]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن عــدم تســجيل التــاريخ البشري لهذا لا يعتبر دليلا قاطعا لعدم حدوث ذلك، حتى يــدعي أحد تكذيب القرآن في الإخبار به، ويصــح ادعــاؤه، لأن التــواريخ البشرية، أهملت تسجيل كثير من الأحداث الفردية ــ مهمــا تكن أهميتها في ذاتهــا ــ حيث لم يتــوفر لهــا من الشــهادة الصــادقة، وتوفر سبل الإذاعة، والنقل، والبقاء على مر العصــور مــا يكفــل لها ذلك.

قــال آخــر[4]: إذ يكفي أن تنقطــع حلقــة في هــذه السلســة لتصــبح الواقعــة في حكم المجهــول من الأجيــال التاليــة، وعلى العكس من ذلك، فإن بعض الأوهام الكاذبة في ذاتها، قد يتــوفر لهــا من ظــروف إيمــان بعض النــاس بصــحتها ــ بنــاء على بعض الشــواهد والظــواهر الخادعــة ــ وتســجيلهم لهــا، ثم رعايتهــا بظروف تضمن إذاعتها وانتقالها عبر الأجيال ـ ما يجعلهــا تــدخل التــاريخ من أوســع أبوابــه، وهي في أصــلها أســطورة كاذبــة لا نصيب لها من الحق، وقد تلعب يد التحريف والتجهيــل والتعميــة ببعض جوانب واقعة صحيحة في أصلها، فإذا بها قــد جمعت في نهاية الأمر بين الحق والباطــل في قصــة واحــدة، هــذا معــروف

---

1 () التفسير الكبير (8/225)

2 () التفسير الكبير (8/225)

3 () مدخل إلى علم التفسير، ص٢١٤.

4 () مدخل إلى علم التفسير، ص٢١٤.

مسـجل عن أوهـام التـواريخ وأخطائهـا، فهي تهمـل، وتنسـى، وتحرف، وتخدع، وتتوهم، وكل هذا يتضمنه ما يسمى بـ [التـاريخ البشـري]، وخاصـة في عصـور مـا قبـل التـدوين المنظم، ذي الأساليب والإمكانـات المنضـبطة شـيئا مـا، وإذا كـان هـذا ثابتـا لاشك فيـه، فهـل يقبـل منطـق البحث العلمي النزيـه، أن يتخـذ إغفـال التـواريخ القديمـة لحادثـة فرديـة، مثـل كلام طفـل في المهد، دليلا قاطعا على كذب الوحي في إخباره بها؟

قال آخر(1): بالإضافة إلى ذلك؛ فإن مريم عليها السلام لم تكن مخطوبة ولا متزوجة، وقد أحصنت فرجها، أى منعت نفسها عن الزواج طيلة حياتها، وسلكت فى سلك الرهبنة، ثم إنها ابنـة كاهن من نسل هارون عليه السلام، وابنة الكاهن إذا زنت فإنهـا تحرق بالنار، لما جاء فى سفر الأخبار [21: 9]: (وإذا تدنست ابنة كـاهن بالزنـا؛ فقـد دنسـت أباهـا، بالنـار تحـرق)، ومـريم عليهـا السلام قد أتت بولد وهى غير متزوجـة، وهـذا هـو دليـل الاتهـام فلماذا لم تحرق؟.. إن عدم حرقها يـدل على أن ابنهـا تكلم فى المهد.

قال آخر: ويدل لذلكما جـاء فى بعض الأناجيـل المرفوضـة أنه تكلم فى المهد، ففيه: (وبينمـا كـانوا نيامـاً؛ حـذرهم الطفـل من الذهاب إلى هيرودس) [برنابا 7: 10]

قال أحد الحضور: فما تردون على الشـبهة الـتي تـذكر أن القرآن الكريم يصرح بأن المسيح عليه السلام خلــق من الطين كهيئة الطير، وليس فى الأناجيل المعتمدة هذه المعجزة.

قال أحـد المشـككين(2): لقـد ورد ذكـر هـذه المعجـزة فى إنجيل توما، فقد ذكر فيه أنه صـنع من الطين هيئـة اثـنى عشـر عصفوراً، وأمرهم أن يطيروا؛ فطـاروا والنـاس ينظـرون إليهم.. وذلــك يكفي للاحتجــاج عليهم؛ فقبــولهم ببعض الكتب ورفض بعضها لا يلزم غيرهم.

قال أحد الحضور: فمـا تـردون على إنكـار القـرآن الكـريم للصَّلب، في نفس الوقت الذي يثبته المسيحيون، وكتبهم؟

قال أحد المشككين(3): أول ما ينفي مـا ذكـروه هـو العلّـة التي ذكروها لصلب المسيح عليـه السـلام، وهى غفـران خطايـا

---

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص521.

2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص521.

3 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص523.

من يؤمن به ربًّا مصلوباً، والغفران لكل من كان فى المـدة من آدم عليـه السـلام إلى المسـيح إذا قـدّر أنهم لـو كـانوا لـه مشاهدين، لكانوا به مؤمنين، وهذه العلة غير صحيحة، ذلـك لأن آدم عليه السلام لما أخطأ هدته الحكمة أن يعـترف بخطئـه وأن يتوب، فتاب الله عليه، وإذ هو قد تاب، فـأى فائـدة من سـريان خطيئة آدم عليه السلام فى بنيه؟ ففى سفر الحكمة [10: 1ـ 2]: (والحكمة هى التى حمت الإنسان الأول أب العـالم الـذى خلـق وحـده لمـا سـقط فى الخطيئـة؛ رفعتـه من سـقوطه، ومنحتـه سلطة على كل شيء)

قال آخر: وتذكر التوراة كـذلك أن نجـاة المـرء من غضـب الله يكون بالعمل الصالح حسبما أمر الله، ومن لا يعمل بما أمر الله؛ فإنه لا يكون له نجاة، ففى سفر الحكمـة [10: 5] عن نـوح عليه السلام وولده: (وعندما غاصت الأمم فى شرورها؛ تعرفت الحكمـة برجـل صـالح، وحفظتـه من كـل عيب فى نظـر اللـه، وجعلته قويًّا يفضل العمل بأمر الله على الاستجابة إلى عاطفته تُجاه ولده).. ومثل ذلك ورد في [تثنية: 24: 16]: (لا يُقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيئته يُقتل)

قال آخر: وهكذا ورد عن المسـيح عليـه السـلام قولـه في [متى 12: 36ـ37]: (كل كلمة فارغة يقولها الناس؛ يُحاسبون عليهـا يوم الدين، لأنك بكلامك تُبرّر، وبكلامك تُدان)

قـال آخـر: بالإضـافة إلى ذلـك؛ فقـد ورد في الأناجيـل أن المسيح عليه السلام بعد حادثة القتل والصلب المزعومة؛ ظهـر أربعين يوماً للحواريين، وتكلم عن ملكوت الله معهم، ففي بـدء سفر أعمال الرسل [1: 3]: (الذين أراهم أيضاً نفسه حيًّا ببراهين كثيرة بعدما تألم، وهو يظهر لهم أربعين يوماً، ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله)، وظهوره وكلامـه عن الملكـوت؛ يـدلان على استمراره فى الدعوة.

قال أحد الحضور: فما تردون على إنكار المشككين لطلب الحـواريين مائـدة من السـماء، وقـول اللـه تعـالى: ﴿إِذْ قَـالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَـزِّلَ عَلَيْنَـا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا نُرِيـدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَـا مِنَ الشَّاهِدِينَ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْـرُ

الرَّازِقِينَ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ [المائدة: 112 ـ 115]، ويحتجون لذلك بأن الإنجيل لا يقول ذلك؟

قال أحد المشككين[1]: إن المعترض على هذا، والمشكك فيه، غير دارس للإنجيل، بل ولا التوراة، ذلك لأن فى إنجيل يوحنا أن الحواريين أنهم طلبوا آية من السماء، ففيه: (فقالوا له: فأية آية تصنع؛ لنرى ونؤمن بك؟ ماذا تعمل؟ آباؤنا أكلوا المنّ فى البرية، كما هو مكتوب: أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا) [يوحنا 6: 30ـ31]، ففي قولهم: (آباؤنا أكلوا المن فى البرية) بعد قولهم: (فأية آية تصنع لنرى ونؤمن بك؟) ما يدل على ذلك.

قال آخر: ومما يقوي ذلك ما ذكروا من أكل آبائهم للمن، وهو مسجل فى التوراة، حيث ذكرت أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا، وهذا يدل على أن آباءهم أكلوا المن والسلوى فى سيناء، والنص هو: (وأمطر عليهم منّا للأكل وبرّ السماء أعطاهم) [مزمور 78: 24]

قال آخر: ومثل ذلك ما ورد في [مزمور 78: 19]، فقد ذكر داود عليه السلام المائدة فى قوله عنهم: (قالو: هل يقدر الله أن يرتب مائدة فى البرية؟)

قصة ذي القرنين:

قال أحد الحضور[2]: وعينا هذا؛ فكيف تردون على التشكيك في مدح الله تعالى لذي القرنين، واعتباره عبدا صالحا مع أن جميع مؤرخى الإغريق يجمعون على أن الإسكندر الأكبر، كان من عبدة الأوثان.

قال أحد المشككين: هذا إشكال عجيب جدا، ذلك أن اعتبار ذي القرنين هو الإسكندر الأكبر المقدوني قصص مجرد عن التحقيق التاريخي.. ولذلك لا عبرة به، ما دام القرآن الكريم لم يصرح باسمه.

قال آخر[3]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن المفسرين الذين أوردوا هذا القصص قد شككوا فى صدقه وصحته، فابن إسحاق مثلاً يروى عن (من يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا

---

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص509.
2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص271.
3 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص272.

من علم ذى القــرنين أنــه كــان من أهــل مصــر، وأن اســمه [مرزبان بن مردية اليوناني]، أما الـذى سـماه [الإسـكندر] فهـو ابن هشام الذى لخص وحفظ السيرة لابن إسـحاق، وهـو يحـدد أنه الإسكندر الذى بنى مدينة الإسكندرية، فنسبت إليه.

قــال آخر(1): بالإضــافة إلى ذلــك؛ فقــد جــاءت الروايــات القائلة إن ذا القرنين هو الإسكندر المقــدونى عن وهب بن مُنبِّه وهو مصدر لرواية الكثير من الإسرائيليات والقصص الخــرافى.. وقد شـكك ابن إسـحاق فيمـا روي من هـذا القصـص الـذى دار حــول تسـمية ذى القــرنين بالإسـكندر، أو غـيره من الأسـماء.. وشــكك أيضًــا فى صــدق مــا نســب للرســول ﷺ حــول هــذا الموضوع، فقد قال: (فالله أعلم أى ذلـك كـان؟.. أقـال رسـول الله ﷺ ذلك أم لا؟)

قال آخر(2): وقـد أثـنى القرطـبي على شـك وتشـكيك ابن إسحاق هذا، عنـدما أورده، ثم قـال: (والحـق مـا قـال).. أى أن الحق هو شك وتشكيك ابن إسحاق فى هذا القصـص، الـذى لم يخضـع للتحقيـق والتمحيص وإن يكن موقـف ابن إسـحاق هـذا، وكــذلك القرطــبى، هــو لــون من التحقيــق والتمحيص.. فليس هناك، إذًا ما يشهد على أن الإسكندر الأكبر المقـدونى ــ الملـك الوثنى ـ هو ذو القرنين، العادل، والموحد لله.

قال أحد الحضور(3): فمـا تقولـون في التشـكيك في قولـه تعالى عن ذي القــرنين: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَـغَ مَغْـرِبَ الشَّـمْسِ وَجَـدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْـنًا﴾ [الكهـف: 86]، وأن هـذا مخـالف للعلم الثابت.

قال أحد المشككين(4): ليس هناك أدنى تعارض ـ ولا حــتى شبهة تعارض ـ بين النص القرآنى وبين الحقائق العلميــة.. ذلـك أن حديث القرآن هنا هو عن الرؤية البصرية للقـوم الـذين ذهب إليهم ذو القرنين، فمنتهى أفق بصرهم قد جعلهم يــرون اختفـاء الشمس ـ غروبها ـ فى هذه البحيرة ـ العين الحمئة ـ وذلك مثل من يجلس أحدنا على شاطئ البحر عند غـروب الشـمس، فـإن أفق بصره يجعله يرى قرص الشمس يغوص ـ رويدًا رويدًا ـ فى

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص272.
2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص272.
3 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص273.
4 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص274.

قلب ماء البحر.

قال آخر[1]: فالحكاية هنا عما يحسبه الرائى غروبًا فى العين الحمئة، أو فى البحر المحيط.. وليست الحكاية عن إخبار القرآن بالحقيقة العلمية الخاصة بدوران الأرض حول الشمس، وعن ماذا يعنيه العلم فى مسألة الغروب.

قال آخر: وقد نقل القفال، أبو بكر الشاشى محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر [توفي 507هـ] عن بعض العلماء تفسيرًا لهذه الرؤية، متسقًا مع الحقيقة العلمية، فقال: (ليس المراد أنه [أى ذو القرنين] انتهى إلى الشمس مشرقًا ومغربًا حتى وصل إلى جِرْمها ومسَّها.. فهى أعظم من أن تدخل فى عين من عيون الأرض، بل هى أكبر من الأرض أضعافًا مضاعفة، وإنما المراد أنه انتهى إلى آخر العمارة [أى البقاع المعمورة والمأهولة] من جهة المغرب ومن جهة المشرق، فوجدها فى رأي العين تغرب فى عين حمئة، كما أنا نشاهدها فى الأرض الملساء كأنها تدخل فى الأرض، ولهذا قال: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: 90]، ولم يرد أنها تطلع عليهم بأن تماسّهم وتلاصقهم، بل أراد أنهم أول من تطلع عليهم)[2]

ب. الحقائق الكونية:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن الشبهات المرتبطة بتوهم التعارض بين القرآن الكريم والحقائق الكونية.

قال أحد المشككين: توهم التعارض بين القرآن الكريم والحقائق الكونية من التشكيكات التي تبرز كل يوم، ولكنها لا تزيد القرآن الكريم إلا قداسة في نفوس الصادقين من الباحثين، ذلك أنها تكشف لهم عن خبايا فيه لم يكونوا يعرفونها لولا ذلك التشكيك.

قال آخر[3]: ذلك أن العلم والقرآن لا يمكن أن يتعارضا؛ لأن مصدرهما واحد، وغايتهما واحدة، فمصدرها هو الله سبحانه وتعالى، فالله هو الذي خلق هذا الكون وما فيه من معارف وعلوم، وهو الذي شرع هذا الدين وما فيه من أخبار وأحكام، وما كان من الله فإنه لا يتناقض، فالقرآن والكون ـ وهما مصدر

---

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص274.

2 () الجامع لأحكام القرآن، ج11 ص 49، 50.

3 () اتجاهات التجديد في تفسير القرآن في مصر، ص ٦٣٩.

الحقائق الدينية والعلمية ـ كلاهمـا من عنـد اللـه وصـنعه، أنـزل القرآن بالحق كما خلق الكون بـالحق، فلا ينبغي للإنسـان طلب الحق إلا فيهما، ومن ثم لا يتصور تصادم الحق مع نفسه.

قال آخر[1]: وهما يتفقـان أيضـا في الغايـة والهـدف، وهـو إسعاد البشرية وتذليل صعوبات الحياة، فمـا اتفـق في المصـدر والغاية لا يمكن أن يتعارضـا فيمـا بين ذلـك، فـالعلم الصـحيح لا يعارض القرآن، بل هما أخوان متعاونان.

قال آخر: ويـدل لـذلك أن المنصـفين من البـاحثين شـهدوا بأن القرآن الكريم لا يتعارض مع العلم أبـدا، وقـد قـال بعضـهم في ذلك: (عندما أكملت قراءة القـرآن الكـريم، غمـرني شـعور بأن هذا هو الحق، الـذي يشـتمل على الإجابـات الشـافية حـول مسائل الخلق وغيرها، وإنه يقدم لنا الأحداث بطريقـة منطقيـة، نجـدها متناقضـة مـع بعضـها في غـيره من الكتب الدينيـة، أمـا القرآن فيتحدث عنها في نسق رائع وأسلوب قاطع لا يدع مجالا للشك بأن هذه هي الحقيقة، وأن هذا الكلام هو من عند اللــه لا محالـة)[2]..وقـال متسـائلا: (كيـف اسـتطاع محمـد ﷺ، الرجـل الأمي الذي نشـأ في بيئـة جاهليـة، أن يعـرف معجـزات الكـون التي وصفها القرآن الكريم، والتي لا يـزال العلم الحـديث حـتى يومنا هذا يسعى لاكتشافها؟ لابـد إذن أن يكـون هـذا الكلام هـو كلام الله عز وجل)[3]

قال آخر: ومن الباحثين المنصفين الـذين وصـلوا إلى هـذه النتيجة الدكتور موريس بوكاي، الطبيب والباحث المشهور، فقد قال: (قرأت القرآن بإمعان، ووجدته الكتاب الوحيد الذي يضطر المثقف بالعلوم العصرية أن يؤمن بأنـه من اللـه، لا يزيـد حرفـا ولا ينقص، وأمـا التـوراة والأناجيـل الأربعـة ففيهـا كـذب كثـير لا يستطيع عالم عصري أن يصدقها)[4]

قال آخر: وقد قام بدراسة علمية في هـذا الجـانب بعنـوان [التوراة والإنجيل والقرآن بمقياس العلم الحـديث]، وممـا قالـه فيها: (لقد قمت أولا بدراسة القرآن الكريم، وذلك دون أي فكر مسـبق، وبموضـوعية تامـة بحثـا عن درجـة اتفـاق نص القـرآن ومعطيـات العلم الحـديث، وكنت أعـرف ــ قبـل هـذه الدراسـة

1 () اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، ص ٦٢٨.
2 () قالوا عن الإسلام، ص٥٥.
3 () قالوا عن الإسلام، ص٥٥)
4 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص376.

وعن طريق الترجمات ــ أن القرآن يذكر أنواعا كثيرة من الظاهرات الطبيعية، لكن معرفتي كانت وجيزة، وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث، وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والأناجيل، أما بالنسبة للعهد القديم، فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول، أي سفر التكوين فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخا في عصرنا، وأما بالنسبة للأناجيل، فإننا نجد نص إنجيل متى يناقض بشكل جلي إنجيل لوقا، وأن هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمرا لا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بقدم الإنسان على الأرض)[1]

قال أحد الحضور: ما دام الأمر كذلك؛ فما سر تلك التشكيكات إذن؟

قال أحد المشككين: عند بحثنا في تلك التشكيكات وجدنا أنها لا تعدو ثلاث جهات.. أولاها أولئك المتسرعون الذين ينطلقون من مسائل ظنية لم تصل إلى مرحلة الحقيقة العلمية المستقرة المتفق عليها[2]، مثل نظرية التطور التي تنص على أن أصل الإنسان مر بمراحل حتى وصل إلى هذا المستوى[3]، التي تتعارض مع كون ابتداء خلق الناس كان من آدم عليه السلام الذي خلقه الله تعالى مرة واحدة من غير تدرج، والعلماء المتخصصون أنفسهم ينكرون هذه النظرية، ويردون عليها بقوة[4].

قال آخر[5]: والثانية أولئك الذين لا يعرفون بيان العربي، وأساليبه في التعبير، ولذلك يحملون ألفاظه على ما يشتهون من المعاني، ومنها تلك التي تخالف العلم، مثل دعوى مخالفة القرآن الكريم لكون الأرض تدور حول الشمس، استنادا لقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [الكهف: 17]، حيث نسب فعل الدوران للشمس، وهذا غير صحيح؛ فإن اللفظ ليس قاطعا في

---

1 () قالوا عن الإسلام، ص٥٦.

2 () التفسير والمفسرون، للذهبي (٢/٤٧٠)، والمدخل إلى علم التفسير، د. بلتاجي ص ٢٠٨.

3 ()مدخل إلى علم التفسير، ص ٢٠٣، حيث نقلها عن ميلر بروز رئيس قسم لغات الشرق الأدنى.

4 () انظر الردود المفصلة على هذه النظرية في كتاب [الحياة تصميم لا صدفة]، سلسلة [الإلحاد والدجل]

5 () التفسير والمفسرون (٢/٤٨٠)

هذا المعنى، بل إنه ابتدأ بقول: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ﴾، أي أن هذا الأمر بالنسبة لرؤية الإنسان، وسياق الآية كما هو ظاهر ليس مقصودا في إثبات دوران الأرض حول الشمس أو العكس، فلا ينبغي تحميل النص ما لا يحتمل.

قال آخر[1]: والثالثة.. تلك التي تخلط بين ما ورد في القرآن الكريم، وما ذكره الحشويون والكشفيون، ومن الأمثلة على ذلك الشبهات التي يثيرونها حول قوله تعالى في أول سورة (ق): ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: 1]، حيث قد بنوا على تلك التفاسير أن هذا خطأ؛ لأن العلم يبين أن أعلى قمة هي (إفرست)، مع أن هذه خرافة مصدرها كتاب اليهود الذي يتحدث عن جبل قاف الخرافي؛ أما القرآن الكريم فلم يذكر جبالا ولا قمما، والحرف (ق) أحد الحروف الكثيرة التي بدئت بها سور من القرآن مثل: ص، ن، حم، الر.. وهكذا.. وإذا كانت هذه خرافة منشؤها كتاب يهودي، فكيف يؤاخذ بها القرآن!؟

العسل والشفاء:

قال أحد الحضور: فهلا ذكرتم لنا نماذج عن تلك التشكيكات، لنحذر منها، ونحذّر.

قال أحد المشككين: لعل من أقدم الطعون في دعوى تعارض القرآن مع العلم، ما ادعاه بعضهم من معارضة قوله تعالى عن العسل: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 69]، وما روي من الحديث الذي يفسرها، وهو أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: أخي يشتكي بطنه فقال: (اسقه عسلا)، ثم أتى الثانية فقال: (اسقه عسلا)، ثم أتاه الثالثة فقال: (اسقه عسلا)، ثم أتاه فقال: قد فعلت.. فقال: (صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا) فسقاه فبرأ[2].

قال آخر: فقد قال القرطبي تعليقا على الحديث والآية: (اعترض بعض زنادقة الأطباء على هذا الحديث، فقال: قد أجمعت الأطباء على أن العسل يسهل فكيف يوصف لمن به الإسهال؟ فالجواب أن ذلك القول حق في نفسه لمن حصل له التصديق بنبيه عليه ﷺ، فيستعمله على الوجه الذي عينه وفي المحل الذي أمره بعقد نية وحسن طوية، فإنه يرى منفعته

---

1 () رد مفتريات على الإسلام، ص ١٤٢.

2 () رواه البخاري، رقم: ٥٦٨٤، ومسلم، رقم: ٢٢١٧.

ويدرك بركته، كما قد اتفق لصاحب هذا العسل وغيره كما تقدم، وأما ما حكي من الإجماع فدليل على جهله بالنقل؛ حيث لم يقيد وأطلق، قال الإمام أبو عبد الله المازري: ينبغي أن يعلم أن الإسهال يعرض من ضروب كثيرة، منها الإسهال الحادث عن التخم والهيضات؛ والأطباء مجمعون في مثل هذا على أن علاجه بأن يترك للطبيعة وفعلها، وإن احتاجت إلى معين على الإسهال أعينت ما دامت القوة باقية، فأما حبسها فضرر، فإذا وضح هذا قلنا: فيمكن أن يكون ذلك الرجل أصابه الإسهال عن امتلاء وهيضة، فأمره النبي ﷺ بشرب العسل، فزاده إلى أن فنيت المادة فوقف الإسهال، فوافقه شرب العسل، فإذا خرج هذا عن صناعة الطب أذن ذلك بجهل المعترض بتلك الصناعة، قال: ولسنا نستظهر على قول نبينا بأن يصدقه الأطباء، بل لو كذبوه لكذبناهم ولكفرناهم وصدقناه؛ فإن أوجدونا بالمشاهدة صحة ما قالوه، فنفتقر حينئذ إلى تأويل كلام رسول الله ﷺ وتخريجه على ما يصح، إذ قامت الدلالة على أنه لا يكذب)[1]

قال آخر: ومثل ذلك أجاب ابن حزم ابن النغريلة اليهودي بأن كلمة ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: 69]) نكرة فلا تلزم العموم[2]، ومثل ذلك قال الداني[3] أن (ال) في كلمة (للناس) ليست للعموم بل للجنس.

خلق الإنسان:

قال آخر: ومن التشكيكات الناتجة عن التسرع ما عبر عنه المستشرق ميلر بقوله: (الإنسان نفسه لم يخلقه الله دفعة واحدة منفصلا عن خلق الحيوان، ولكه جاء نتيجة لتطور طويل من الأشكال الدنيا للحياة، فكيف إذن نتغلب على هذا الإشكال)[4].. وهو يشكك بهذا الإشكال في علمية ما ورد في القرآن الكريم من هيئة خلق الإنسان، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: 7 ـ 9]، وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ

---

1 () الجامع لأحكام القرآن (١٠/٩١)

2 () الرد على ابن النغريلة اليهودي، ص ٦٢.

3 () رد مفتريات على الإسلام ص: ٦٦.

4 () المدخل إلى علم التفسير، ص ٢٠٣.

حَمَـإٍ مَسْـنُونٍ فَـإِذَا سَـوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيـهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُـوا لَـهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: 28 ـ 29]

قـال آخر(1): والجـواب على ذلـك هـو أن ميلـر وغـيره يشيرون بهذا إلى نظرية لم تكن في وقت من الأوقـات حقيقـة علمية قطعية يمكن أن تقاس عليهـا النصـوص الدينيـة، فهي لم تزد في وقت ما ـ منذ قيل بها ـ عن أن تكـون مجـرد فـرض لم يقم عليه أبدا دليل قـاطع، أو قـريب من القطـع واليقين، ومنـذ أعلنها داروين وجد لها معارضون من رجال العلم التجريبي؛ لأنه لم يقم أبـدا دليـل محسـوس على صـحتها، وإنمـا هي مجـرد فرضية فسر بهـا داروين بعض الظـواهر والمشـاهدات، لكن لم يرصد أحد من المؤمنين بها إطلاقا تطورا ماديا يقطع بصحتها.

قال آخر: ومن تلك التشكيكات تـوهم التنـاقض بين الآيـات الكريمة التي وصفت مادة خلق الإنسان، مثل قوله تعـالى: ﴿ثُمَّ جَعَـلَ نَسْـلَهُ مِنْ سُـلَالَةٍ مِنْ مَـاءٍ مَهِينٍ﴾ [السـجدة: 8]، وقولـه: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِـقَ مِنْ مَـاءٍ دَافِـقٍ﴾ [الطـارق: 5 ـ 6]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَـةٍ فَـإِذَا هُـوَ خَصِـيمٌ مُبِينٌ﴾ [يس: 77]، وقوله: ﴿هُـوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ [الأنعـام: 2]، وقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: 2]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَـا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجـر: 26]، وقوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: 67]

قال آخر(2): والجواب على هذه الشبهة هو أنـه ليس هنـاك أدنى تناقض بل ولا حتى شبهة تنـاقض بين مـا جـاء فى القـرآن الكريم من معلومات عن خلق الإنسان، وحتى يتضح ذلك، يلـزم أن يكـون هنـاك منهج علمي فى رؤيـة هـذه المعلومـات، الـتى جاءت فى عديد من آيات القرآن الكريم.

قال آخر(3):وهذا المنهج العلمى يستلزم جمع هذه الآيات.. والنظـر إليهـا فى تكاملهـا.. مـع التميـيز بين مرحلـة خلـق اللـه للإنسان الأول آدم عليه السلام ومرحلة الخلق لسلالة آدم، التى توالت وتكاثرت بعد خلق حواء، واقترانها بآدم، وحدوث التناسل عن طريق هذا الاقتران والزواج.

قال آخر(4): لقد خلق الله تعالى الإنسان الأول ـ آدم عليـه

1 () المدخل إلى علم التفسير، ص ٢٠٣.
2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص239.
3 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص239.
4 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص239.

السلام ـ فأوجده بعد أن لم يكن موجودًا.. أى أنه قد أصبح شيئًا بعد أن لم يكن شيئًا موجودًا، وإنما كان وجـوده فقـط فى العلم الإلهى.. وهذا هو معـني الآيـة الكريمـة: ﴿أَوَلَا يَـذْكُرُ الْإِنْسَـانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: 67]، وقوله: ﴿هَـلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإنسان: 1]

قال آخر[1]: أما مراحل خلق الله تعالى لآدم عليه السـلام؛ فلقد بدأت بـ [التراب] الذى أضيف إليه [الماء] فصار [طينًا] ثم تحول هذا الطين إلى [حمأ] أى أسود منتنًا، لأنـه تغـير والمتغـير هو [المسنون].. فلما يبس هذا الطين من غـير أن تمسـه النـار سمى [صلصـالاً] لأن الصلصـال هـو الطين اليـابس من غـير أن تمسه نار، وسمى صلصالاً لأنه يصلّ، أى يُصـوِّت، من يبسـه أى له صوت ورنين.

قال آخر[2]: وبعد مراحـل الخلـق هـذه: الـتراب.. فالمـاء.. فالطين.. فالحمـأ المسـنون.. فالصلصـال، نفخ اللـه تعـالى فى مادة الخلق هذه من روحه، فغدا هـذا المخلـوق إنسـانًا هـو آدم عليه السلام.. وعن هذه المراحل تعبر الآيـات القرآنيـة، فتصـور تكامل المراحل ـ وليس التعارض المتوهم والموهـوم ــ فتقـول هذه الآية الكريمة: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَـى عِنْـدَ اللَّهِ كَمَثَـلِ آدَمَ خَلَقَـهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمـران: 59]، فبالتراب كـانت البداية ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَـيْءٍ خَلَقَـهُ وَبَـدَأَ خَلْـقَ الْإِنْسَـانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السـجدة: 7]، وذلـك عنـدما أضـيف المـاء إلى الـتراب ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَـدُّ خَلْقًـا أَمْ مَنْ خَلَقْنَـا إِنَّا خَلَقْنَـاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ [الصـافات: 11]، وذلـك عنـدما زالت قـوة المـاء عن الطين، فأصبح لازبًا، أى جامدًا.

قال آخر[3]: وفى مرحلة تغير الطين، واسـوداد لونـه، ونتن رائحتـه، سـمى [حمـأ مسـنونًا]، لأن الحمـأ هـو الطين الأسـود المنتن.. والمسنون هـو المتغـير.. بينمـا الـذى ﴿لم يَتَسَـنَّه﴾ هـو الذى لم يتغير.. وعن هذه المرحلة عبرت الآيات: ﴿وَلَقَـدْ خَلَقْنَـا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَال مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ وَالْجَـانَّ خَلَقْنَـاهُ مِنْ قَبْـلُ مِنْ نَـار السَّـمُوم وَإِذْ قَـالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَـةِ إِنِّي خَـالِقٌ بَشَـرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَـإٍ مَسْـنُونٍ فَـإِذَا سَـوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيـهِ مِنْ رُوحِي

---

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص239.
2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص239.
3 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص240.

فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُــونَ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُــونَ مَــعَ السَّــاجِدِينَ قَــالَ يَــا إِبْلِيسُ مَــا لَــكَ أَلَّا تَكُــونَ مَــعَ السَّاجِدِينَ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَــةَ إِلَى يَــوْمِ الدِّينِ [الحجر: 26 ـ 35]

قال آخر(1): تلك هى مراحــل خلــق الإنســان الأول، تــوالت فيها وتتابعت وتكاملت معانى المصـطلحات: الــتراب.. والمــاء.. والطين.. والحمــأ المســنون.. والصلصــال.. دونمــا أيــة شــبهة للتعارض أو التناقض.

قال آخر(2): وكذلك الحال مع المصطلحات التى وردت في الآيات القرآنية التى تحدثت عن خلق ســلالة آدم عليــه الســلام؛ فكما تدرج خلق الإنسان الأول آدم من التراب إلى الطين.. إلى الحمأ المسنون.. إلى الصلصال.. حتى نفخ الله فيه من روحــه.. كذلك تدرج خلق السلالة والذرية بدءاً من [النطفة] ــ الــتى هى الماء الصافى ـ ويُعَبَّرُ بها عن ماء الرجل [المنىّ].. إلى [العَلَقَة] التى هى الدم الجامد، الذى يكون منه الولد، لأنه يعلــق ويتعلــق بجدار الرحم إلى [المضغة] وهى قطعــة اللحم الــتى لم تنضــج، والمماثلة لما يمضغ بــالفم.. إلى [العظــام].. إلى [اللحم] الــذى يكسو العظام.. إلى [الخلق الآخر] الذى أصــبح بقــدرة اللــه فى أحسن تقويم(3).

قال آخر(4): ومن الآيات الــتى تحــدثت عن تــوالى وتكامــل هذه المراحل فى خلق وتكــوين نســل الإنســان الأول وســلالته، قول الله سبحانه وتعالى: يَــا أَيُّهَــا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَــةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَــاءُ إِلَى أَجَــلٍ مُسَــمًّى ثُمَّ نُخْــرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُــوا أَشُــدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَــوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُــرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُــرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْــدِ عِلْمٍ شَيْئًا [الحج: 5]، وقوله: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُــلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَــةً فِي قَــرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَــا النُّطْفَــةَ عَلَقَــةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَــا الْمُضْــغَةَ عِظَامًــا فَكَسَــوْنَا الْعِظَــامَ لَحْمًــا ثُمَّ أَنْشَــأْنَاهُ خَلْقًــا آخَــرَ فَتَبَــارَكَ اللَّهُ أَحْسَــنُ الْخَــالِقِينَ

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص240.
2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص240.
3 () انظر فى معانى هذه المصطلحات [المفردات فى غريب القرآن].
4 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص241.

[المؤمنون: 12 ـ 14]

قـال آخر(1): وإذا كـانت [النطفـة] هي مـاء الرجـل؛ فإنهـا عنـدما تختلـط ببويضـة المـرأة، توصـف بأنهـا [أمشـاج] ــ أي مختلطـة ــ كمـا جـاء في قولـه تعـالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَـانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: 2]

قال آخر(2): كما توصـف هـذه [النطفـة] بأنهـا [مـاء مهين] لقلته وضعفه، وإلى ذلك يشير قوله تعـالى: ﴿الَّذِي أَحْسَـنَ كُـلَّ شَـيْءٍ خَلَقَهُ وَبَـدَأَ خَلْـقَ الْإِنْسَـانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَـلَ نَسْـلَهُ مِنْ سُـلَالَةٍ مِنْ مَـاءٍ مَهِينٍ﴾ [السـجدة: 7 ـ 8]، وقولـه: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ فَقَـدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات: 20 ـ 23]

قال آخر(3): كما توصف هـذه [النطفـة] بأنها [مـاء دافـق] لتدفقه واندفاعه.. كما قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُـرِ الْإِنْسَـانُ مِمَّ خُلِـقَ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ يَخْـرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّـلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطـارق: 5 ـ 7]

قال آخر(4): هكذا عبر القرآن الكريم عن مراحـل الخلـق.. خلـق الإنسـان الأول.. وخلـق سـلالات وذريـات هـذا الإنسـان.. وهكذا قامت مراحل الخلق، ومصطلحات هذه المراحل، شواهد على الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، عنـدما جـاء العلم الحـديث ليصدق على هذه المراحـل ومصطلحاتها.. فكيـف يجـوز ــ بعـد ذلك ومعـه ــ أن يتحـدث إنسـان عن وجـود تناقضـات بين هـذه المصطلحات.

الأرض والحركة:

قال آخر: ومن تلك الشكيكات، سوء الفهم المرتبط بقولـه تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيـدَ بِكُمْ وَأَنْهَـارًا وَسُـبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل: 15]، فقد توهم المشـككون أن هـذه الآيـة تفيد أن الأرض راسية وثابتة(5).

قـال آخر(6): والجـواب على ذلـك هـو أن معـنى ﴿تميـد﴾ تضـطرب وتـتزلزل، ولا يـراد بالميـدان مجـرد حركـة متزنـة، والمصدر الثلاثي (فعلان) يأتي لإفادة هـذا المعـنى، مثـل ميـدان

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص242.
2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص242.
3 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص242.
4 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص242.
5 () رد مفتريات على الإسلام، ص ١٣٠)
6 () رد مفتريات على الإسلام، ص ١٣٠)

وغليان وثوران وجولان.. وهكذا، والآية تذكر أن الله ثبت الأرض حتى يستطيع البشر أن يستقروا عليها في نومهم، ويزرعوا ويرعوا ماشيتهم، ولو كانت مضطربة ما استطاع الناس أن يطمئنوا عليها وأن يعملوا هذه الأعمال.

قال آخر[1]: والدليل على ذلك أننا ننام في الطائرة وفي القطار وفي السفينة، فإذا اضطرب واحد منها استيقظنا وشعرنا بالتعب، وقد نطلب من السائق أن يعمل شيئا يسكنها لتثبت، ولا يعني تثبيته أنه يقف ولا يتحرك، بل أن ينقطع اضطرابه.

قال آخر[2]: بالإضافة إلى ذلك؛ فقد ذكر القرآن الكريم حركة كل الكواكب والنجوم، فقال: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: 40]، و﴿كل﴾ كلمة تشمل الشمس وتوابعها من القمر والأرض والكواكب الأخرى، فالقرآن إذن يقرر حركة كل هذه الكواكب.

السماء والشهب:

قال آخر: ومن تلك الشكيكات، سوء الفهم المرتبط بقوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: 6 ـ 10]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: 5]، وقد قال المشككون في ذلك: (إن القرآن جعل النجوم والكواكب في حجم الحجارة، ترمي بها الملائكة الشياطين، والعلم الحديث يثبت أن كل كوكب عالم ضخم)

قال آخر[3]: وهذا ناتج عن التسرع وعدم التدبر، ذلك أن الآيات الكريمة ذكرت أن هناك أجساما نارية تصيب الشياطين، ولم تذكر أن الشيطان يسقط عليه نجم أو أن الملائكة ترميه به.

قال آخر[4]: والعلم الحديث، ورواد الفضاء يتحدثون عن النيازك التي ترى في الفضاء الواسع مذنبات مضيئة، ومنها الناري الذي ينطفئ ويتفتت في سيره، وبعضها يصل إلى

---

1 () رد مفتريات على الإسلام، ص ١٣٠)
2 () رد مفتريات على الإسلام، ص ١٣٠)
3 () رد مفتريات على الإسلام، ص ١٣٢.
4 () رد مفتريات على الإسلام، ص ١٣٢.

الأرض، وهي تشـبه المقـذوفات البركانيـة، والـذين درسـوا جغرافية فلكية يعرفون هذا، فهذه المقذوفات قطع تنفصـل من الكـواكب وتتحـرك في الفضـاء، خصوصـا إذا كـان النجم أو الكـوكب قريبـا من الأرض، واللـه تعـالى يصـيب بهـا من يشـاء ويحفظ بهـا من يشـاء، وقـد تكـون قطعـا بـاردة ولكنهـا مضـيئة كالقمر.

قال آخر[1]: أما التشكيك في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُـونَ﴾ [الأنبيـاء: 32]، وتـوهمهم أن (السماء سقف قابل للسقوط)، فـالجواب عليـه هـو أن كـل لغة فيها الحقيقة وفيها المجاز، والتعبير الوارد في الآية الكريمة على المجـاز، ذلـك أن السـماء شـبه سـقف الـبيت، والمـانع للسقف من السقوط على الحقيقة هو الأعمـدة، وعلى المجـاز هو الله؛ لأن كل شىء بقدرته.

قـال آخر[2]: ولـذلك نظـير فى الكتب المقـدس.. ففيـه: (بالكسل يهبط السقف)، وفى ترجمة أخرى: (من جراء الكسل ينهار السقف، وبتراخى اليدين يسقط البيت) [جامعـة 10:ـ 18]، أي أنه يريد أن يقول: إن الكسـل يـؤدى إلى الفقـر، والفقـر يـؤدى إلى خراب البيوت، وعبر عن الخراب بانهيار السقف، والسـقف لا ينهار بالكسل، وإنما بهدّ الأعمدة التى تحمله.

السموات السبع:

قال آخر[3]: ومن تلك التشكيكات سوء الفهم لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَـزَّلُ الْأَمْـرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَـيْءٍ قَـدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَـدْ أَحَـاطَ بِكُلِّ شَـيْءٍ عِلْمًـا﴾ [الطلاق: 12]، وقولـه: ﴿وَاللَّهُ جَعَـلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًـا﴾ [نـوح: 19 ـ 20]، وقولـه: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّـمَاءَ بِنَـاءً وَأَنْـزَلَ مِنَ السَّـمَاءِ مَـاءً فَـأَخْرَجَ بِـهِ مِنَ الثَّمَـرَاتِ رِزْقًـا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُـوا لِلَّهِ أَنْـدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُـونَ﴾ [البقـرة: 22]، وقولـه: ﴿الَّذِي جَعَـلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًـا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقـرة: 22]، فقد ذكـروا أن الأرض كوكب واحد وليس سبعة، وكذلك السماء.

---

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص440.

2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص440.

3 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص381.

قـال آخر[1]: والجـواب على ذلـك هـو أن هـذا نـاتج عن التسرع، ذلك أن ما ذكروه غيب لم يصل العلم إلى كشفه بعـد، فقد تكون السـماء الـتي توصـل علمنـا إليهـا بكـل مـا فيهـا من كواكب ونجوم وأفلاك إحدى السماوات السبع، والكرة الأرضـية التي نعيش عليها هي أيضـا كـذلك.. فعلم الفلـك الحـديث يؤيـد هذا، ويذكر أن المجموعة الشمسية التي يتعلق بهـا عالمنـا هـذا ليست إلا واحدة من مجموعـات أخـرى لا يعلمهـا إلا اللـه الـذي خلقها.

قـال آخر[2]: بالإضـافة إلى ذلـك؛ فـإن العـدد في اللغـة العربية يذكر لإرادة التكثير، ويعبرون عنه بأنه عدد لا مفهوم له، وهذا كما تقول لصديقك: زرتك ألف مـرة ولم تـزرني، فـأنت لا تريد ألفا بعدده، وإنما تريد زرتك مرات كثيرة، فإذا حملنا العـدد في الآية هذا المحمل، فـالمعنى أن اللـه خلـق سـماوات كثـيرة وأرضين كثيرة، وهذا حق وواضح.

قال آخر[3]: بالإضافة إلى ذلك؛ فقد يكـون المـراد بالسـبع الأرضين أنواعا مختلفة من تربة الأرض، ويسمى كل نوع أرضـا، وهذا كمـا نقـول: أصـبح فلان ثريـا يملـك أراض كثـيرة، والأرض أنواع بحسـب تربتهـا ومـا بكـل تربـة من عناصـر تكـونت منهـا، بعضها رملي وبعضها جيري، وببعضها معـادن حديديـة وبـالأخرى عناصر نحاسية وهكذا، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُـدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: 27]

قال آخر[4]: بالإضافة إلى ذلك؛ فقد يكون المراد من أنواع الأرض ما تصلح لإنباته، فأرض بها غابات وأرض بها زهور، وثالثة قاحلة لا تنبت شيئا.

قـال آخر[5]: أمـا التشـكيك في قولـه تعـالى: ﴿الَّذِي جَعَـلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ [البقـرة: 22]، فمعنى ﴿فراشـا﴾ أي مبسـوطة تحت أقدامنا، منبسطة كـالفراش، ننـام عليهـا ونمشـي ونـزرع، ونستقر أيضا أنعامنـا ومسـاكننا، ولـو جعلهـا اللـه تعـالى كثـيرة التعاريج شديدة التحدب، ما استطعنا أن نسـتريح عليهـا، ولا أن نجري كل هذه الأعمال، فالآيـة تـذكر نعمـة من نعم اللـه علينـا،

---

1 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص381.
2 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص381.
3 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص381.
4 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص381.
5 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص382.

وليس في هذا ما يفيد أن الأرض قابلة للسقوط.

الأيام الستة:

قال آخر: ومن تلك التشكيكات الناتجة عن سوء الفهم ما ورد قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: 54] حول الأيام الستة للخلق، ومن الذين طرحوا هذه الشبهة من المستشرقين الأستاذ ميلر بروز ـ رئيس قسم لغات الشرق الأدنى وآدابه، وأستاذ الفقه الديني الإنجيلي في جامعة ييل ـ في بحث له بعنوان: (مقترحات في موضوع العلاقة بين الدين والعلم في الإسلام)، حيث قال: (من الذائع المشهور أن النتائج التي وصل إليها العلم الحديث عن أصول العلم، تخالف كل المخالفة ما هو مقرر في الكتاب المقدس، وفي القرآن من أن الله خلق العالم في ستة أيام، صحيح أن القرآن يقرر أن يوما عند الله كألف سنة مما يعد الإنسان، ولكن هذا لا يحل المعضلة؛ فإن فترة الزمان المتطاولة التي مر بها الكون في وجوده، لا يمكن أن تضغط في ستة آلاف أو ستة ملايين سنة)[1]

قال آخر[2]: والجواب على ذلك هو أن الآيات التي أشار إليها ميلر بروز تقرر أن الله تعالى خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، لكنها لا تعرض لعمر الكون المخلوق منذ خلقه الله تعالى حتى يومنا هذا.

قال آخر: وميلر بروز وغيره من الذين طرحوا هذه الشبهة يخلطون بين الأمرين، مشيرين إلى (معضلة) لا وجود لها، حيث يتكلمون عن (فترة الزمان المتطاولة التي مر بها الكون في وجوده، والتي لا يمكن أن تضغط في ستة آلاف أوستة ملايين سنة)، فما للآيات القرآنية التي يشير إليها وعمر الكون!؟.. إنها تقرر فحسب الزمن الذي خلق الله تعالى فيه الكون، دون أن تعرض لما بعد الخلق من الزمن الذي مر على الكون المخلوق حتى يومنا هذا.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن ميلر بروز أو غيره لا يستطيع أن يعرض بشيء من التكذيب لما قررته هذه الآيات، من أن الله تعالى خلق السماوات والأرض في ستة أيام، لأن فعل الخلق وزمانه سبقا الوجود البشري، فلا يستطيع أحد

---

1 () انظر: المدخل إلى علم التفسير، ص ٢٠٣.

2 () انظر: المدخل إلى علم التفسير، ص ٢٠٣.

إطلاقا أن يزعم أنه شهد ــ بأي وسيلة ــ أو رصد كيفية خلق السماوات والأرض وزمانه، وعلم البشر المادي ـ بكافة فروعه ـ نشأ بعد أن تم الخلق، وليس هناك أمامه سبيل ما لمعرفة تفصيلات خلق السماوات والأرض وما بينهما ـ من حيث الزمان ـ إلا ما أخبر به الوحي الصادق عن الله تعالى في هذه الآيات، ولا يملك الإنسان ـ في علمه البشري وسيلة أخرى يسترجع بها كيفية الخلق أو زمانه ليقيس عليها ما ورد في الوحي، ومن هنا لا يستطيع العلم البشري بحال أن يصل في هذه القضية إلى شيء يستند عليه في تكذيب ما ورد في الوحي؛ لأن الوحي يحكي هنا عن أمر غيبي لم يشهد البشر ولا يصل إليه علمهم المادي بحال، كما قال تعالى: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: 51]

قال آخر[1]: وهكذا؛ فإن كل زعم من هذا القبيل زعم باطل، يستوي في بطلانه مع دعوى الكفار القدماء، بأن الملائكة ـ الذين لم يشهدوا خلقهم أو يحيطوا بهم علما ـ إناث، وقد رد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ [الصافات: 150]، وقوله: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: 19]

7. التشكيك واللغة:

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فحدثونا عن الشبه التي أثارها المستشرقون وغيرهم حول القرآن الكريم وقواعد اللغة.

قال أحد المشككين: إن منشأ تلك التشكيكات هو الجهل باللغة العربية وسعتها، أو توهم أن القرآن الكريم خاضع للقواعد التي وضعت بناء على ما كتبه الباحثون انطلاقا من الشعر الذي يكاد يكون أكثره ملحونا، مع أن القرآن الكريم هو الحاكم على اللغة، وليست هي الحاكمة عليه.

قال آخر: ومن الأمثلة على النوع الأول من الشبهات ما روي عن بعضهم قال: بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة، قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن، فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر: قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على

1 () دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص388.

تفسير القرآن بما لا علم له بـه، فقامـا إليـه فقـالا: إنـا نريـد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله، فتفسرها لنا، وتأتينـا بمصـادقة من كلام العرب؛ فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عـربي مبين، فقال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما.. وقـد سـئل حينهـا مسائل كثـيرة جـدا.. استشـهد فيهـا بأبيـات كثـيرة من الشـعر، لتبين الأصول اللغوية لما أشكل من الألفاظ القرآنية(1).

قال آخر: ومن تلك المسائل أنه سئل عن قول الله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِـزِينَ﴾ [المعـارج: 37]، فقـال: العـزون الحلق الرقاق، قال السائل: وهل تعرف العرب ذلك؟ قـال: نعم أما سمعت عبيد بن الأبرص، وهو يقول:

فجاؤوا يهرعون يكونوا حول

قال آخر: فسأله عن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِـيلَةَ وَجَاهِـدُوا فِي سَـبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُـونَ﴾ [المائدة: 35]، فقال: الوسيلة الحاجـة.. قـال: وهـل تعـرف العـرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عنترة وهو يقول:

إن الرجال لهم إن يأخذوك تكحلي

قال آخر: فسأله عن قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48]، فقال: الشرعة الدين، والمنهاج الطريــق.. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال نعم، أما سمعت أبـا سـفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو يقول:

لقد نطق المأمون وبين للإسلام دين

قال آخر: فسأله عن قولـه تعـالى: ﴿انْظُـرُوا إِلَى ثَمَـرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ [الأنعام: 99]، فقال: نضجه وبلاغه.. قال: وهـل تعـرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

إذا ما مشت وسط كما اهتز غصن ناعم

قال آخر: فسأله عن قولـه تعـالى: ﴿وَرِيشًـا﴾ [الأعـراف: 26]، فقال: الريش المال.. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قـال: نعم، أما سمعت الشاعر يقول:

فرشني بخير طالما وخير الموالي من

قال آخر: فسأله عن قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾

1 () وقد وردت في كتاب الإتقان للسيوطي في أكثر من ثلاثين صفحة، الإتقان للسيوطي (٢/٥٥ ـ ٨٨)

[البلد: 4]، فقال: في اعتدال واستقامة.. قال: وهل تعرف العـرب ذلك؟ قال نعم، أما سمعت لبيد بن ربيعة وهو يقول:

يا عين هلا بكيت قمنا وقام

قـال آخـر: فسـأله عن قولـه تعـالى: ﴿يَكَـادُ سَـنَا بَرْقِـهِ يَـذْهَبُ بِالْأَبْصَـارِ﴾ [النـور: 43] فقـال: السـنا الضـوء.. قـال: وهـل تعـرف العـرب ذلـك؟ قـال: نعم، أمـا سـمعت أبـا سـفيان بن الحـارث يقول:

يدعو إلى الحق لا يجلو بوء سناه

قال آخر: فسأله عن قوله تعـالى: ﴿وَحَفَـدَةً﴾ [النحـل: 72] فقـال: ولد الولد، وهم الأعوان.. قال: وهل تعرف العـرب ذلـك؟ قـال: نعم، أما سمعت الشاعر يقول:

حفد الولائد حولهن بأكفهن أزمة

قال آخر: فسأله عن قوله تعـالى: ﴿وَحَنَانًـا مِنْ لَـدُنَّا﴾ [مـريم: 13] فقال: رحمة من عندنا.. قال: وهل تعـرف العـرب ذلـك؟ قـال: نعم، أما سمعت طرفة بن العبد يقول:

أبا منذر أفنيت حنانيك بعض الشر أهون

قال آخر: فسأله عن قوله تعـالى: ﴿أَفَلَمْ يَيْـأَسِ الَّذِينَ آمَنُـوا أَنْ لَوْ يَشَـاءُ اللَّهُ لَهَـدَى النَّاسَ جَمِيعًـا﴾ [الرعـد: 31] فقـال: أفلم يعلم بلغة بني مالك.. قال: وهل تعرف العرب ذلـك؟ قـال: نعم، أمـا سمعت مالك بن عوف يقول:

لقد يئس الأقوام وإن كنت عن أرض

قال آخر: فسأله عن قولـه تعـالى: ﴿قَـالَ لَقَـدْ عَلِمْتَ مَـا أَنْـزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَـائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَـا فِرْعَـوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسـراء: 102] فقال: ملعونـا محبوسـا من الخـير، فقـال: وهل تعرف العـرب ذلـك؟ قـال نعم، أمـا سـمعت عبـد اللـه بن الزبعري يقول:

إذ أتاني الشيطان م ومن مال

قال آخر: فسأله عن قوله تعالى: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَـاضُ إِلَى جِـذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾ [مـريم: 23] فقال: ألجأها، قـال: وهـل تعـرف العـرب ذلـك؟ قـال: نعم، أمـا

سمعت حسان بن ثابت يقول:

إذ شددنا شـدة صـ[illegible]ـادقة   فأجأنـــــاكم إلى سفح الجبـ[illegible]

أ. القواعد العربية:

قال أحد الحضور: وعينا هـذا.. فحـدثونا عن النـوع الثـاني، المرتبط بالتشكيكات المرتبطة بلغة القرآن الكريم وقواعدها.

قال أحد المشككين: يمكن تقسيمها إلى نوعين: تشكيكات مرتبطة بقواعد النحو، وتشكيكات مرتبطة بقواعد الصرف.

قواعد النحو:

قـال أحـد الحضـور: فحـدثونا عن التشـكيكات المرتبطـة بقواعد النحو.

قـال أحـد المشـككين[1]: هي كلهـا تشـكيكات ناشـئة عن الجهل بقواعد اللغة العربية وسعتها، ومن أمثلتهـا التشـكيك في إعـراب كلمـة ﴿الصَّـابِئُونَ﴾ في قولـه تعـالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُـوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَـارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَـوْمِ الْآخِـرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: 69]، حيث أن المشككين نظروا فيما بعد [الواو] فى ﴿الصـابئون﴾ وقـارنوا بينـه وبين ﴿الـذين آمنـوا﴾ الواقـع بعـد (إن) وهى حـرف ناسـخ ينصب المبتدأ ويرفع الخبر، واسم إن هنا هو ﴿الذين﴾ وهو مبنى لأنـه اسـم موصـول.. وقـد عطـف عليـه ﴿الـذين هـادوا﴾ أمـا ﴿الصابئون﴾ فجاءت مرفوعة ب﴿الواو﴾ لأنها جمع مـذكر سـالم وجاء بعدها ﴿النصارى﴾

قال آخر[2]: وكـل من ﴿الـذين﴾ فى الموضـعين السـابقين على ﴿الصابئون﴾ وكذلك ﴿النصارى﴾ إعرابها تقـديرى لا يظهـر، لا فى الخـــط ولا فى النطـــق، وذلـــك لأن الاســـم الموصـــول ﴿الذين﴾ من المبنيات على حالة واحـدة، أمـا ﴿النصـارى﴾ فهـو اسـم مقصـور، يتعـذر ظهـور حركـة الإعـراب عليـه، وهى هنـا الفتحة، و﴿الراء﴾ مفتوحة أصالة، ومحال أن تظهر فتحتـان على موضع واحد، سواء كـانت الحركتـان مختلفـتين، كفتحٍ وضـمٍ، أو متجانستين، كفتحتين وضمتين.

قـال آخر[3]: فالمشــككون نظــروا فى نظم هــذه الآيــة الحكيمة وقالوا إن فيهـا خطـأً لغويـاً (نحويـاً) ؛ لأن ﴿الصـابئون﴾

---

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص144.

2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص144.

3 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص144.

معطوفــة على منصــوب ﴿إن الــذين آمنــوا﴾، فكــان حقهــا أن تنصب، فيقال ﴿والصابئين﴾ لكنها جـاءت مرفوعـة بـالواو هكـذا ﴿والصابئون﴾

قال آخر[1]: أما التشكيك في رفع ﴿الصابئون﴾ فهو ناشــئ عن الجهل بقواعد اللغة العربية وسعتها.. ولذلك ذكـر النحويـون لتوجيه ذلك تسعة توجهات كاملة تكفي لتفنيد هـذه الشـبهة من كـل وجوههـا.. وأولهـا مـا قالـه جمهـور نحـاة البصـرة، الخليـل وسيبويه وأتباعهما، حيث قالوا: إن ﴿الصابئون﴾ مرفوع على أنه ﴿مبتدأ﴾ وخـبره محـذوف يـدل عليـه خـبر مـا قبلـه ﴿إن الـذين آمنوا﴾ قالوا: والنية فيه التأخير، أى تأخير ﴿والصابئون﴾ إلى مــا بعد ﴿والنصـارى﴾، وتقـدير النظم والمعـنى عنـدهم: (إن الـذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن منهم باللـه واليـوم الآخـر فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك)[2]

قال آخر[3]: ومن شواهد هذا الحذف قول الشاعر:

نحن بما عندنا عندك راض والرأى

فقـد حـذف الخـبر من المبتـدأ الأول، وتقـديره (راضـون) لدلالة الثاني عليه (راض).. والمعـنى: نحن بمـا عنـدنا راضـون، وأنت بما عندك راض.

قال آخر: ومثله قول الشاعر:

ومن بك أمسى فإنى وقيَّار بها

والتقدير: فإنى لغريب وقيار كذلك.

قال آخر: ومثله قول الشاعر:

وإلا فاعلموا أنَّا بغاة ما بقينا

فالشــاعر يصــف الفــريقين أنهم (بغــاة) إن اســتمروا فى الشقاق، والتقدير: اعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك.

قـال آخر[4]: ومن التوجيهـات المرتبطـة بهـذا، أن الجملـة الاسمية المؤكدة ب (إن) يجـوز أن يـذكر فيهـا مبتـدأ آخـر غـير اسم (إن) وأن يذكر خبر واحـد يكـون لاسـم (إن) ويحـذف خـبر المبتدأ الثانى لدلالة خبر اسم (إن) عليـه، أو يحـذف خـبر اسـم

---

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص144.

2 () انظر: الدر المصون للسمين الحلبى (4/354).

3 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص145.

4 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص145.

(إن) ويكون الخبر المذكور للمبتدأ الثانى دليلاً على خبر اسم (إن) المحذوف.. ونظم الآية التى كانت منشأ الشبهة عندهم لا يخرج عن هذه الأساليب الفصيحة، التى عرفناها فى الأبيات الشعرية الثلاثة، وهى لشعراء فصحاء يستشهد بكلامهم.

قال آخر(1): ومن التوجيهات المرتبطة بهذا، أن (إن) فى قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا﴾ ليست هى (إن) الناسخة، التى تنصب المبتدأ وترفع الخبر، بل هى بمعنى: نعم، يعنى حرف جواب، فلا تعمل فى الجملة الاسمية لا نصباً، ولا رفعاً، وعلى هذا فالذى بعدها مرفوع المحل، لأن ﴿الذين﴾ اسم موصول، وهو مبنى فى محل رفع، وكذلك ﴿الصابئون﴾ فإنه مرفوع لفظاً، وعلامة رفعه (الواو) لأنه جمع مذكر سالم، مفرده (صابئ)

قال آخر(2): وقد استعملها العرب كذلك، فقد قال قيس بن الرقيات(3):

برز الغوانى من الشباب يلمننى، وألومهنَّهْ
ويقلن شيبٌ قد علاك وقد كبرتَ، فقلت إنَّهْ

أى فقلت: نعم.. وعلى هذا فإن كلا من ﴿الذين﴾ و﴿الصابئون﴾ والنصارى، أسماء مرفوعة إما محلاً، وإما لفظاً.. وعليه كما كان فى المذهب الأول فلا خطأ فى الآية كما زعم المشككون.

قال آخر(4): وقد اختار الكثير من المفسرين التوجيه الأول، ومنهم الشوكانى الذي قال: (الصابئون مرتفع على الابتداء، وخبره محذوف والتقدير: (إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون والنصارى كذلك)(5)

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين(6): أجل.. فمنها التشكيك في إعراب

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص146.
2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص146.
3 () البيتان فى ديوانه (66) والكتاب لسيبويه (1/475).
4 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص147.
5 () فتح القدير (2/71).
6 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص152.

كلمة ﴿الْمُقِيمِينَ﴾ من قوله تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 162]، حيث نظروا فى هذه الآية، فوقعت أعينهم على كلمة ﴿الْمُقِيمِينَ﴾ فقارنوا بينها وبين ما قبلها: ﴿الراسخون﴾، و﴿المؤمنون﴾.. وبين ما بعدها ﴿المؤتون﴾، و﴿المؤمنون﴾، فوجدوا ما قبلها وما بعدها مرفوعاً بالواو لأنه جمع مذكر سالم؛ أما ﴿الْمُقِيمِينَ﴾ فوجدوها منصوبة بالياء، لأنها كذلك جمع مذكر سالم، حقه أن يرفع بالواو، وينصب ويجر بالياء، وهذا ما جعلهم يتوهمون أن في القرآن الكريم خطأً نحوياً من نوع جديد، هو [عطف المنصوب على المرفوع]، أو [نصب المعطوف على المرفوع]، ثم علقوا قائلين: (كان يجب أن يرفع المعطوف على المرفوع فيقول: (والمقيمون الصلاة)

قال آخر[1]: والجواب على هذا يحتمل وجوها كثيرة منها أن ﴿الْمُقِيمِينَ﴾ منصوبة على الاختصاص، والمراد منه المدح فى هذا الموضع بدلالة المقام؛ لأن المؤدين للصلاة بكامل ما يجب لها من طهارة ومبادرة وخشوع وتمكن، جديرون بأن يُمدحوا من الله والناس، وقد قال الزمخشرى في ذلك: (﴿المقيمين﴾ نُصِبَ على المدح، لبيان فضل الصلاة، وهو باب واسع، ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحناً فى خط المصحف، وربما التفت إليه من لم ينظر فى الكتاب، ولم يعرف مذاهب العرب، وما لهم فى النصب على الاختصاص من الافتنان)[2]

قال آخر: وقد سبق الزمخشرى فى هذا التوجيه شيخ النحاة سيبويه وأبو البقاء العكبرى[3].. وهو أسلوب شائع فى الاستعمال اللغوي العربي، وفيه من البلاغة أمر زائد على مجرد التوجيه النحوي، الذي لا يتجاوز بيان عامل النصب أو الجر.

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين [4]: أجل.. فمنها التشكيك في نصب

---

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص153.
2 () الكشاف (1/582)
3 () إملاء ما من به الرحمن (1/202)
4 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص157.

كلمــة الصَّــابِرِينَ في قولــه تعــالى: لَيْسَ الْبِــرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُــوهَكُمْ قِبَـلَ الْمَشْــرِقِ وَالْمَغْــرِبِ وَلَكِنَّ الْبِــرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَـةِ وَالْكِتَـابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَـالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّــائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَـدُوا وَالصَّــابِرِينَ فِي الْبَأْسَــاءِ وَالضَّــرَّاءِ وَحِينَ الْبَــأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ [البقرة: 177] لأنها جـاءت منصـوبة بـ الياء بعد قوله تعالى: وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا، وكان يجب ـ في زعمهم ـ أن ترفع، لأنها معطوفة على ما قبلها.

قال آخر(1): والجواب على هذه الشبهة هو أن فهم السياق الذي وردت فيه الكلمة يزيل عنها ذلك الفهم السيء.. ذلك أنـه يمكن تقسم الآية الكريمة إلى ست وحدات.. لكل وحدة مجالها الـدلالي الخـاص.. فأولهـا قولـه تعـالى: لَيْسَ الْبِـرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُــوهَكُمْ قِبَـلَ الْمَشْــرِقِ وَالْمَغْــرِبِ وَلَكِنَّ الْبِـرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَـةِ وَالْكِتَـابِ وَالنَّبِيِّينَ [البقـرة: 177].. وثانيهـا قوله: وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَـاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ [البقرة: 177].. وثالثها قوله: وَأَقَـامَ الصَّـلَاةَ وَآتَى الزَّكَـاةَ [البقــرة: 177].. ورابعهـا قولـه: وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا [البقــرة: 177].. وخامسـها قولـه: وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَـاءِ وَالضَّـرَّاءِ وَحِينَ الْبَـأْسِ [البقـرة: 177].. وسادسـها قولـه: أُولَئِكَ الَّذِينَ صَـدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُـونَ [البقرة: 177]

قال آخر: أما الوحدة الأولى؛ فتتضـمن قيمـا إيمانيـة تنتظم تحت مفهـوم العقيـدة، وهى: الإيمـان باللــه، وبـاليوم الآخــر، وبالملائكة، وبالوحى، ثم بالأنبياء والرسل عليهم السلام.

قـال آخــر: والوحــدة الثانيــة تنتظم عناصــرها تحت مبــدأ [الإنفاق المالى الحر] غير الزكاة، ويبين الله فيها الصفات الـتى تتحقــق فى المنفــق عليــه، وهم: ذوو القــربى من النســب.. واليتامى مهما تباعدت صلتهم عن المنفق.. والمسـاكين، الـذين ليس لهم مصدر رزق كسبى، إمـا لعـدم وجـود عمـل، أو لعجـز عنه.. والغرباء الذين تعـوزهم الحاجـة فى السـفر، وليس معهم مـال وإن كـانوا أغنيـاء فى بلادهم.. والمحتـاجون حقـا الـذين يستعطفون الناس لسد حاجتهم فى غير معصية.. وعتق الرقاب

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص157.

من الرق.
قـال آخـر: والوحـدة الثالثـة، ينـدرج عنصـراها [الصـلاة والزكاة] تحت ركنين عمليين من أركان الإسلام، والزكاة إنفـاق واجب، وليس حرا.
قال آخر: والوحدة الرابعة، هى حسن المعاملة مـع النـاس بوفاء الوعد العهد، وهي تشير إلى الأخلاق التي تحكم العلاقـات الاجتماعية.
قال آخـر: والوحـدة الخامسـة تنتظم عناصـرها تحت مبـدأ الصبر الجميل فى كل عمـل خـير يؤديـه المكلـف، وبخاصـة فى الشدائد والمحن وملاقاة العدو.
قال آخـر: أمـا الوحـدة السادسـة؛ فهى بيـان فضـل هـؤلاء المذكورين فى الآية، وبخاصـة مـا ذكـر قبـل الفاصـلة مباشـرة، ومنزلتهم عند الله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَـدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُـونَ﴾ [البقرة: 177]
قال آخر: وإذا تأملنا هـذه الوحـدات، وعناصـرها المندرجـة تحتها، وجـدنا أن أشـدها وقعـا على النفس، وأشـقها كلفـة، هي الصـبر فى المحن والشـدائد والأخطـار، وبخاصـة فى ملاقـاة العدو، والتعرض لزحفه وسلاحه، وقد يفضـى بالإنسـان إمـا إلى حدوث عاهات مؤلمة فى الجسـم، وإمـا إلى المـوت؛ فالمقاتـل فى ساحات الكر والفر إنما يصارع المـوت، ومقـدمات المـوت، ولهذا جاء إعراب ﴿الصابرين﴾ مخالفا لإعراب مـا قبلهـا، ليلفت الله أذهان العبـاد إلى أهميـة الصـبر فى هـذه المجـالات، وهـذا الإعراب المخالف لما قبله يفيد مع تركيز الانتباه، وتوفير العناية بتأمل هذا الخلق العظيم، يفيـد أمـرا آخـر مبهجـا للنفـوس، هـو مدح هؤلاء الصابرين شديدى العزيمة، قويى الاحتمال..
قال آخر: وهذا الإعراب المخـالف لإعـراب مـا قبلـه، ليس خارجا عن قواعـد اللغـة العربيـة، بـل هـو الـذى يسـميه النحـاة واللغويون بـ [القطع] و[الاختصـاص]، وهـو إمـا للمـدح كمـا فى هـذه الآيـة، والآيـة السـابقة ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّـلَاةَ﴾ [النسـاء: 162]..
وإمـا بقصـد الـذم، كمـا فى قولـه تعـالى فى سـورة المسـد: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسـد: 4]، لأن كلمة ﴿حمالـة﴾ جـاءت منصوبة بعد رفـع مـا قبلهـا، وهى ﴿امرأتـه﴾ فهـذا قطـع كـذلك، القصد منه الذم، أى: أذم أو ألعن حمالة الحطب.
قال آخر: وأيا كان القطـع للمـدح أو الـذم، فإنـه من أرقى

الأساليب البلاغية، يحتـوى على فضـيلة الإيجـاز، وهى أن تكـون المعانى أكثر وأوفر من الألفاظ التى تدل عليهـا، أو المسـتعملة فيها.

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين[1]: أجـل.. فمنهـا التشـكيك في نصـب كلمـــة ﴿الظَّالِمِينَ﴾ في قولـــه تعـــالى﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْـــرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُـكَ لِلنَّاسِ إِمَامًـا قَـالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 124]، حيث توهموا أن فيهـا خطأً نحوياً؛ لأنها عندهم فاعل، والفاعل حكمه الرفع لا النصـب، فكان حقه أن يكون هكذا: (لا ينال عهدى الظالمون)، لأنه جمـع مذكر سالم، وعلامة رفعه الواو.

قال آخر[2]: والجواب على ذلك هو أن الفعل ﴿يَنَالُ﴾ فعـل متعدٍ إلى مفعول واحد، كما قال تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَـرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَـالُوا خَيْـرًا﴾ [الأحــزاب: 25]، فالفاعــل واو الجماعــة، والمفعول ﴿خيراً﴾، أما في هذه الآية التى اتخـذوها منشـأ لهـذه الشبهة، فالفاعل هو ﴿عهدى﴾، وهو مرفوع بضمة مقـدرة، منـع من ظهورهـا اشـتغال المحـل بحركـة المناسـبة ليـاء المتكلم، والمفعول به هو ﴿الظَّالِمِينَ﴾، وعلامة نصبه هي الياء، لأنه جمـع مـذكر سـالم، ينصـب ويجـر باليـاء، والمعـنى: لا ينفـع عهـدى الظالمين.

قـــال آخـــر: وليس في كـــون﴿الظَّالِمِينَ﴾ منصـــوبة على المفعـول بـه خلاف بين العلمـاء، بـل إنهم نصـوا على أن من خواص الفعل [نال] أن فاعله يجوز أن يكون مفعـولاً، ومفعولـه يجوز أن يكون فـاعلاً، على التبـادل بينهمـا، حيث قـالوا: لأن مـا نالك فقد نلته أنت.

قال آخر: ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَـا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [الحج: 37] على خلاف نسق آية البقرة، التى هي محل الشبهة، حيث كان الوالى للفعل فيها هـو الفاعـل ﴿لا ينـال عهـدي﴾ والواقـع بعـد الفاعـل هـو المفعـول ﴿الظالمين﴾.

قال آخر: أما في آية الحج فإن الذي ولى الفعل ﴿لن ينـال

---

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص157.

2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص158.

الله﴾ هو المفعول، وما بعده هو الفاعل ﴿لحومُهـا﴾.. والمعـنى: لن يصـل اللـه لحومُها ولا دماؤهـا، وكـذلك قولـه ﴿ولكن ينالـه التقـوى منكم﴾ فالضـمير في ﴿ينالـه﴾ هـو المفعـول بـه، أمـا ﴿التقوى﴾ فهى الفاعل.

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين[1]: أجـل.. فمنهـا التشـكيك في كلمـة ﴿قَريبٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْض بَعْدَ إِصْـلَاحِهَا وَادْعُـوهُ خَوْفًـا وَطَمَعًـا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِـنِينَ﴾ [الأعـراف: 56]، حيث توهمـوا أن فيهـا خطـأً نحويـاً منشـؤه عـدم التطابق بين المبتدأ ﴿رحمة﴾ والخبر ﴿قريب﴾ في التـأنيث، لأن المبتدأ ﴿رحمة﴾ مؤنث، أما الخبر ﴿قريب﴾ فهو في الآية مـذكر، فقالوا: (كان يجب أن يتبع خبر (إن) اسمها في التـأنيث فيقـال: قريبة)

قـال آخـر: والجـواب على ذلـك هـو أن للتـذكير الحاصـل بحذف علامة التأنيث من الخـبر، عـدة وجـوه، منهـا أن ﴿رحمـة اللــه﴾ في معـنى الغفــران أو الرضــوان؛ فلــذلك جــاء الخــبر ﴿قــريب﴾ مـذكراً.. وقـد اختـار هـذا الـرأى النضـر بن شـميل والزجاج[2].

قال آخر[3]: ومنهم من جعل ﴿قريب﴾ صفة لخبر محـذوف مذكر تقديره: شيء أو أمر قريب، ودليل هذا الحذف هو تــذكير ﴿قـريب﴾.. ومنهم من جعلـه من بـاب النسـب، أى ذات قـرب، كقــولهم في حــائض: ذات حيض.. ومنهم من جعــل ﴿قــريب﴾ مصدراً مستعملاً استعمال الأسـماء مثـل النقيـق، وهـو صـوت الضـفادع، والضـغيب وهـو صـوت الأرنب، والمصـدر يُلـتزم فيـه الإفراد وإن جرى على جمع، والتذكير وإن جرى على مؤنث كما في هذه الآية الكريمة.

قال آخر[4]: ويرى آخرون أن تأنيث ﴿رحمة﴾ لما كان تأنيثـاً مجازياً لا حقيقياً جاز في الاستعمال اللغوى تأنيث خبره وصفته، وجاز تذكيرهما على حدٍ سواء، سواء كـان في ضـرورة الشـعر، أو في النثر.

---

[1] () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص159.
[2] () معانى القرآن للزجاج (2/380)
[3] () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص160.
[4] () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص160.

قال آخر: وقال الفراء: [قريبة وبعيدة] إما أن يراد بهما قرابة النسب أو عدمها، فيؤنثها العرب ليس إلا، كقولهم: فلانة قريبة مني، أى في النسب وبعيدة منى أى في النسب، أما إذا أريد بها القرب المكانى أو الزمانى فإنه يجوز الوجهان؛ لأن قريباً وبعيداً قائم مقام المكان أو الزمان، فتقول: فلانة قريبة وقريب، وبعيدة وبعيد، والتقدير هى في مكان قريب وبعيد، قال الشاعر:

عشية لا عفراء منك قريبة فتدنو ولا عفراء منك بعيد

يعنى أن الشاعر جمع بين الوجهين التأنيث والتذكير والموصوف مؤنث؛ لأن قريب وبعيد أريد بهما القرب في المكان والبعد فيه[1].. والآية الكريمة ليس القرب المذكور فيها مراداً به قرب النسب فيلزم تأنيثه، وإنما المراد قرب الزمان، والعرب تجيز فيه الوجهين: التأنيث والتذكير.

قال آخر[2]: ولامرئ القيس، وهو من شعراء الجاهلية، وشعرهم حُجة في إثبات اللغة، بيت نحا فيه هذا المنحى؛ فقال:

له الويل إن أمسى ولا أم سالم قريب ولا البسباسة ابنة يُشكرا

والشاهد في البيت تذكير [قريب] مع جريانه على مؤنث (أم سالم) وهو نظير قريب في الآية الكريمة[3].

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين[4]: أجل.. فمنها التشكيك في تأنيث اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا في قوله تعالى: وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ [الأعراف: 160]، والصواب الذي توهموه عبروا عنه بقولهم: (كان يجب أن يُذَكَّر العدد، ويأتى بمفرد المعدود فيقول: اثنى عشر سبطا)

قال آخر[5]: والجواب على ذلك هو أن سبب تأنيث العدد في الآية لأن السبط في بنى إسرائيل كالقبيلة عند العرب،

---

1 () معانى القرآن، (2/382)
2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص161.
3 () الدر المصون، الشاهد رقم (562)
4 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص163.
5 () الدر المصون (5/485)

يعـنى أنـه أراد بالأسـباط القبائـل، ولـذلك أنث جـزئى العـدد المركب، وهما: اثنتى، وعشرة.. بالإضـافة إلى أنـه يمكن تأويـل السبط بالجماعة أو الفرقة أو الطائفة.

قـال آخر(1): أمـا جمـع أسـباط، وكـان حقـه أن يفـرد فقـد روعى فيه المعنى دون اللفظ، ومراعاة المعنى دون اللفـظ، أو اللفظ دون المعنى كثير الـورود في النظم القـرآني، حيث كـان العرب النازل بلغتهم القرآن يذكّرون عدد المؤنث مراعاة للفظ فيقولـون: ثلاثـة أنفس، أي رجـال ويقولـون عشـر أبطن؛ ففي الأول (ثلاثـة أنفس) ذكَّروا العـدد نظـراً للمعـنى؛ لأن المعـدود مذكر (رجال) وفى الثانى أنثوا العدد (عشر أبطن) لأن المعـدود هو القبيلة أى عشر قبائل، وهذا باب واسع لا تحصر شواهده .

قـال آخر(2): أمـا جمـع المعـدود الـذي في الآيـة ﴿أسـباطاً أمماً﴾ فله نظائر في الاستعمال المأثور الوارد عن العرب ومنه قول الشاعر:

فيها اثنتان سُوداَ كخافية الغراب

وأربعون حلوبة الأسحم

فقد وصف الشاعر (حلوبة) وهى مفرد، بقوله (سُوداً) وهو جمع سوداء.

قال آخر(3): بالإضافة إلى هـذا؛ فلجمـع المعـدود ﴿أسـباطاً أمماً﴾ ملمح بلاغى دقيق، حيث بدأت الآية الكريمة بهـذا الفعـل ﴿قطّعناهم﴾ بتشديد الطـاء على وزن فَعَّل وهـذا التشـديد يفيـد التكثير، أى كثرة التقطيـع والتفريـق، وهـذا يناسـبه بلاغـة جمـع ﴿أسباطاً أمماً﴾ لا إفرادهمـا، والمعـانى البلاغيـة من هـذا النـوع تـزال من أجلهـا كـل الموانـع، فلغـة القـرآن وبلاغتـه أوسـع من قواعد اللغة وفنونها البلاغية.

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قـال أحـد المشـككين(4): أجـل.. فمنهـا التشـكيك في ﴿خَصْمَان اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿هَذَان خَصْـمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِـهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: 19]، حيث ذكـروا أنـه يجب أن

---

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص164.

2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص164.

3 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص165.

4 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص166.

يثنى الضمير العائد على المثنى، فيقول: (خصمان اختصما في ربهما)

قال آخر[1]: والجواب على هذه الشبهة هو أن المثنى نوعان: أولهما حقيقي، ومثاله من القرآن الكريم قوله تعالى: قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [المائدة: 23]، فـ رجلان مثنى حقيقى؛ لأن واحده فرد في الوجود؛ أو ذات واحدة؛ وإذا وُصِفَ أو استؤنف الحديث عنه وجب تثنية الضمير العائد عليه.. و(المثنى الحقيقى) يسمى مثنى لفظاً ومعنى.

قال آخر[2]: أما النوع الثانى من المثنى، فهو المثنى اللفظي، ومثاله من القرآن الكريم قوله تعالى: مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ [هود: 24]، وهذا النوع من المثنى ضابطه أن واحده جمع فرد من عدة أفراد، وليس فرداً واحداً.. ويطلق عليه (المثنى غير الحقيقى) لأنه مثنى في اللفظ، وجمعاً في المعنى، وفى وصفه أو استئناف الحديث عنه يجوز أن يراعى فيه جانب اللفظ، أو جانب المعنى.

قال آخر[3]: ويدخل في هذا النوع خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ، ذلك أن معناه جمعاً روعى فيه جانب المعنى، ذلك أن مفرد الخصمين خصم، وهو اسم جنس يندرج تحته ـ هنا ـ أفراد كثيرون، وبهذا نزل القرآن في هذه الآية، حيث تحدث عن الخصمين بضمير الجمع الذى هو واو الجماعة.

قال آخر[4]: ونظيره في القرآن قوله تعالى: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا [الحجرات: 9]، حيث أعاد الضمير جمعاً اقتتلوا هذا في جملة الخبر، مع أن المبتدأ مثنى طائفتان، وذلك لأن هذا اللفظ مثنى غير حقيقى، بل هو مثنى في اللفظ، جمع في المعنى.

قال آخر[5]: وكلا المنهجين فصيح صحيح بليغ.. والذى سوَّغ مراعاة المعنى فى اقتتلوا وقوعه بعد جمعٍ، هو المؤمنين،

---

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص167.
2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص167.
3 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص167.
4 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص167.
5 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص168.

وليس فوق ذلك درجة من الصحة والإصابة.

قال آخر[1]: بالإضافة إلي ذلك؛ فإن اختصـموا في ربهم أبلغ من (اختصما)، وربهم أبلغ من (ربهما)، لأن اختصـموا يفيد تبـادل الخصـومة بين جميـع أفـراد ال خصـمان من أول وهلة، وكذلك ربهم يفيد من أول وهلة ربوبية اللـه لكـل فـرد منهم.

قال آخر[2]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن الاختصـام هـو الحـدث الرئيسـى في هـذه الواقعـة، فعُبِّر عنـه بهـذا اللفـظ الفخم اختصموا، ومحال أن يستقيم لو قيل بعده فى ربهما

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قـال أحـد المشـككين[3]: أجـل.. فمنهـا التشـكيك في وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُـوا في قولـه تعـالى: كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَـدَّ مِنْكُمْ قُـوَّةً وَأَكْثَـرَ أَمْـوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْـتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْـتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَـا اسْـتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِـرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِـرُونَ [التوبـة: 69]، حيث توهمـوا أنـه يجب أن يجمع اسم الموصول العائد على ضمير الجمـع فيقـول: (خضـتم كالذين خاضوا)

قـال آخر[4]: والجـواب على هـذه الشـبهة هـو أن الآيـة الكريمة ـ بتمامها ـ وردت في سياق الحديث عن المنافقين؛ لأن ما قبلها هو قوله عـز وجـل: وَعَـدَ اللَّهُ الْمُنَـافِقِينَ وَالْمُنَافِقَـاتِ وَالْكُفَّارَ نَـارَ جَهَنَّمَ خَالِـدِينَ فِيهَـا هِيَ حَسْـبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَـذَابٌ مُقِيمٌ [التوبـة: 68]، والآيـة مسـوقة لتهديـد المنـافقين والكفار، لعلهم يقلعون عما هم فيه من نفاق وكفر.

قال آخر[5]: وقد أدير الحديث فيها على تشبيه المخـاطبين (المنافقين والكفار) بالأمم الغابرة، الذين كانوا أشد منهم قـوة، وأكـثر مـالاً وولـدا، وانغمسـوا في شـهواتهم الفانيـة، فسـار المنافقون والكفار سيرتهم فركنوا إلى متع الحياة الدنيا الفانية، ولم يبتغوا ما عنـد اللـه، وأن المنـافقين والكفـار فعلـوا كـل مـا

---

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص168.

2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص168.

3 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص169.

4 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص169.

5 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص169.

فعله من قبلهم من المعاصى والسيئات.

قال آخر[1]: ثم بين الله عز وجل أنهم الخاسرون في الدنيا والآخرة؛ وبذلك، فإن في الآية تتحدث عن فريقين: فريق سابق في الزمن، لم يكن موجوداً في عصر نزول القرآن.. وفريق كان حاضراً في عصر نزول القرآن، وهم الذين خاطبهم الله في هذه الآية الكريمة، وليس في هذه الآية فريق ثالث تحدثت عنه الآية.

قال آخر[2]: ولهذا؛ فإنه لو قيل: (خضتم كالذين خاضوا) لانفكت رابطة الكلام، ولبرز في النظم طرف ثالث لا وجود له في سياق الآية، ذلك أن المقارنة جرت في الآية بين الفريقين (المنافقين والكفار) من جهة، و(الأمم الغابرة) من جهة أخرى.

قال آخر[3]: فالذى في الآية اسم موصول مفرد، يعود على المصدر المفهوم من الفعل الماضي ﴿خضتم﴾ فشبه الله عز وجل خوض المنافقين بخوض الذين من قبلهم، وهذا هو النسق الذي دارت عليه المقارنة في الآية تشبيه سلوك اللاحقين بسلوك السابقين من الأمم الغابرة، التى عتت عن أمر ربها وعصت رسله.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فقد اختار الشوكانى أن يكون التقدير هكذا: (كالخوض الذي خاضوا)[4]، ومن قبله قدرها الزمخشرى هكذا: (وخاضوا فخضتم كالذى خاضوا)[5]

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين[6]: أجل.. فمنها التشكيك في ﴿أَكُنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: 10]، فقد ذكروا أن (﴿أَكُنْ﴾ فعل معتل الوسط بالواو (أجوف) ولا يحذف الواو منه إلا إذا سكن آخره، ولا يسكن آخره إلا إذا كان مجزوماً، ويجزم المضارع إذا دخل عليه جازم أو عطف على مجزوم، ولما لم يدخل على

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص169.
2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص170.
3 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص171.
4 () فتح القدير (2/433)
5 () الكشاف (2/201)
6 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص172.

الفعل ـ هنا ـ جازم، ولم يتقدم عليه مجزوم يصح جزمه بالعطف عليه، كان يجب أن ينصب الفعل المعطوف على المنصوب فيقال: (فأصدق وأكون)

قال آخر[1]: والجواب على ذلك هو ما ذكره الزمخشري من أن مجيء الفعل أكن مجزوماً مردوفاً على الفعل المنصوب فأصدق لأن قوله تعالى لولا أخرتني جاء في محل جزم لتضمنه معنى الشرط، فكأنه قيل: (إن أخرتنى أصدقْ وأكن من الصالحين)[2].. وكذلك قال ابن عطية [3]، وأبو على الفارسى [4].

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين[5]: أجل.. فمنها التشكيك في الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ في قوله تعالى: مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ [البقرة: 17]، حيث توهموا أنه (يجب أن يجعل الضمير العائد على المفرد مفرداً، فيقول: (استوقد ـ ذهب الله بنوره)

قال آخر[6]: والجواب على هذه الشبهة هو أن هذه الآية مضروبة مثلاً لبيان حال المنافقين في تذبذب أحوالهم وتقلبهم في مواقفهم، وانتهازهم الفرص السانحة لتحقيق أغراضهم الدنيوية، وعدم ثباتهم على مبدأ خلقى قويم، وقد تقدم على هذه الآية آية أخرى تصف سعيهم الضال، وإيثارهم منافع الدنيا العاجلة الفانية، على ما عند الله عز وجل مقضياً عليهم بالخسران المبين، وهى قوله تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ [البقرة: 16]، ثم استأنف الحديث عنهم في: مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ [البقرة: 17]

---

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص174.
2 () الكشاف (4/112).
3 () المحرر الوجيز (16/23).
4 () الحجة فى القراءات (4/386).
5 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص176.
6 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص176.

قال آخر[7]: والمَثل هو الشأن والقصة الغريبة الـتى يكـون عليها المتحدث عنه، وهو ــ هنـا ــ المنـافقون، مَثَّلَ اللـه حـالهم وشأنهم الذي هم عليه، وقصتهم الغريبة الراسـخة في طبـاعهم بمثل رجل، أو فريق من الناس طلب إيقاد نـارٍ للانتفـاع بهـا في تحقيق الرؤية، وإبصار الطريق للسير فيه، فلماً أضاءت النار مـا حوله وفرح بها سرعان ما أطفاهـا اللـه فـأظلمت عليـه الـدنيا، فوقع في حيرة وارتباك.

قال آخر[2]: ومن الوجوه التي يفسر بها جمع الضـمير بعـد الذي أن الـذي هنـا ليس بمعـنى المفـرد، بـل هـو بمعـنى الذين، ذلك أن لــ الـذي في الاسـتعمال اللغـوى معنيـان: الأول: أن يكـون بمعـنى المفـرد، وهـو الغـالب والكثـير فيـه.. والثاني: أن يكون بمعنى الجمـع، ويُفـرَّق بينهمـا بـالقرائن، ففي هذه الآية الذي بمعنى الفريق أو الفوج الـذي اسـتوقد النـار، ولذلك؛ فإن المقصود جنس المستوقد، لا فرداً معيناً.

قـال آخـر: ويـرى الزمخشـرى أن الـذي هـو ــ هنـا ـ الذين حذفت منه النـون لاسـتطالته، وهـو مثـل وَخُضْـتُمْ كَالَّذِي خَاضُـوا [التوبـة: 69]، وليس في الكلام تشـبيه الجماعـة بالواحد على هذا التأويل، وأن المشبه هو حال المنافقين، بحـال الذي استوقد ناراً، تشـبيه معـنى مـركب بمعـنى مـركب، وليس تشـبيه ذوات المنـافقين بـذات الـذي اسـتوقد نـاراً، فهـذا غـير مقصود، وإنما المقصود هو تشبيه قصة المنافقين المضروب لها المثل، بقصة المستوقد للنار، وأن وجه الشبه بين القصتين هـو: (فبقـوا خـابطين في ظلام، متحـيرين متحسـرين على فـوت الضوء، خائبين بعد الكدح في إحياء النار)[3]

قال آخر: وقال الشوكاني: (الذي موضوع موضع الذين، أي كمثل الذين استوقدوا، وذلك موجود في كلام العرب، كقـول الشاعر:

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم ... همُ القوم، كل القوم، يا أم خالد

ومنـه وَخُضْـتُمْ كَالَّذِي خَاضُـوا [التوبـة: 69] ووَالَّذِي جَـاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ [الزمر: 33][4]

---

7 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص177.

2 () أنوار التنزيل للإمام البيضاوى (1/30)

3 () الكشاف (1/199)

4 () فتح القدير (1/55)

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين[1]: أجل.. فمنها التشكيك في ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: 177]، فقد توهموا أن الصواب أن يقال: (ولكن البر أن تؤمنوا بالله، لأن البر هو الإيمان، لا المؤمن)، وقد قالوا في العنوان الذي وضعوه لهذه الشبهة العبارة التالية: (أتى باسم الفاعل بدل المصدر)

قال آخر[2]: والجواب على ذلك أولا أنه ليس في هذا النص أي اسم فاعل على الإطلاق: فلا ﴿البر﴾ اسم فاعل.. ولا ﴿من﴾ اسم فاعل.. ولا ﴿آمن﴾ اسم فاعل.. ولا ﴿الله﴾ اسم فاعل.. وهذا يدل على جهل واضعي الشبهات باللغة العربية، ذلك أن ﴿مَنْ﴾ هنا اسم موصول، وصلته ﴿آمن﴾ أى الذي آمن.. فمن أين أتوا باسم الفاعل الموضوع موضع المصدر في الآية؟

قال آخر[3]: والجواب على ذلك يحتمل وجوها متعددة كلها في قمة البلاغة، وأولها أن في الكلام مضافاً محذوفاً، والتقدير: (ولكن البر بر من آمن)، وهذا التوجيه اشتهر بين جمهور العلماء، وردده كثير منهم.

قال آخر[4]: والثاني تأويل ﴿البر﴾ بـ ﴿ذو البر﴾ يعنى أن في الكلام حذف مضاف، لكن تقديره قبل ﴿البر﴾، أما التوجيه الأول فكان تقدير المضاف المحذوف قبل ﴿من آمن﴾، وهذا المضاف خبر ﴿البر﴾ الذي هو اسم ﴿ليس﴾

قال آخر[5]: والثالث، هو أن يكون المصدر، وهو ﴿البر﴾ موضوعا موضع اسم الفاعل للمبالغة، كما في قول الخنساء تصف فرس أخيها صخر.

ترتع ما رتعت حتى   فإنما هى
إذا ادَّكرت   إقبال وإدبار

فإقبال وإدبار مصدران حلا محل اسم الفاعل، والتقدير؛ هى مقبلة مدبرة.

---

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص190.

2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص190.

3 () الكشاف (1/330)

4 () الكشاف (1/330)

5 () الكشاف (1/330)

قال آخر[1]: والرابع أن ﴿البر﴾ وقع موقع اسم الفاعل لإرادة المبالغة على وزان قول العرب ﴿رجل عدل﴾ حيث عدلوا عن رجل عادل، إلى الإخبار عنه بالمصدر، على اعتبار أن هذا الرجل لما كان كثير العدل صار كأنه العدل نفسه، لا فرق بينهما.

قال آخر[2]: والخامس اعتبار ﴿من آمن﴾ واقعاً موقع الإيمان؛ فالعرب تجعل الاسم خبراً للفعل، كما قال الشاعر:

لعمرك ما الفتيان أن تنبت اللحى ... ولكنما الفتيان كل فتى غَدا

حيث جعل الشاعر نبات اللحية خبراً عن الفتيان، والمعنى: لعمرك ما الفتوة أن تنبت اللحى.

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين[3]: أجل.. فمنها التشكيك في ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 59]، حيث توهموا أن الصواب أن يقال (قال له كُنْ فكان)

قال آخر[4]: والجواب على ذلك هو ما عبر عنه علماء النحو والبلاغة بأنه (حكاية حال ماضية)[5].. ويقصدون بها أن المضارع ﴿يكون﴾ دلالته في الآية أن الله عز وجل يصور للمخاطبين ترتيب الأحداث ساعة حدوثها في الزمن الذي خلق الله فيه آدم، وفائدته نقل أذهانهم إلى تلك اللحظة كأنهم يعاينونها بأبصارهم.. وهذه هى دلالة المضارع إذا وضع موضع الماضى عند علماء المعانى، هى بعث الماضى وتصويره في صورة الذي يحدث في الحال.

قال آخر[6]: ومن الأمثلة التي يذكرونها لهذا قول الشاعر يحكى صراعًا حدث بينه وبين الضَّبُع:

فأضربها بلا دهش فخرَّت.. صريعًا لليدين، وللجران

فالشاعر ضرب الضبع في الماضى، فلما حكى صراعه معها للناس عبَّر عن الماضي (فضربتها) بالمضارع (فأضربها)،

---

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص193.

2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص193.

3 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص195.

4 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص195.

5 () الكشاف (1/433)

6 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص196.

والدلالــة البلاغيــة للعــدول عن الماضــى إلى المضــارع هى استحضار صورة الحـدث الـذي وقـع في الماضـى، كأنـه يحـدث الآن في زمن التكلم.

قال آخر[1]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإنـه يجـوز أن يكـون على بابه من الاستقبال، والمعنى: (فيكـون كمـا يـأمر اللـه فيكـون)، حكاية للحال التى يكون عليها آدم عليه السلام حين خلقه الله.. ويجــوز أن يكــون فيكــون بمعــنى كــان، وعلى هــذا أكــثر النحويين، وبهذا فسره ابن عباس[2].

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين[3]: أجـل.. فمنهـا التشـكيك في حـذف جـواب فَلَمَّا في قولـه تعـالى: فَلَمَّا ذَهَبُـوا بِـهِ وَأَجْمَعُـوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِـأَمْرِهِمْ هَـذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ [يوسـف: 15]، فقد توهمـوا أن هـذا الحـذف يـؤثر في المعنى والبلاغة.

قال آخر: والجواب على ذلـك أن هـذه الشـبهة تتعلـق بفن الحذف، وهـو مبحث بلاغي[4] أكـثر منـه نحويًا.. وقـد قـال عبـد القاهر الجرجانى ـ شيخ البلاغـيين ــ يـذكر روائـع ثمـاره، وبـديع آثاره: (هو بحث دقيق المسـلك، لطيـف المأخـذ، عجيب الأمـر، شـبيه بالسـحر، فإنـك تـرى بـه تـرك الـذكر أفصح من الـذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبن)[5]

قال آخر[6]: هذه هى منزلة الحذف في البيان العربي، وقد شاع شيوعاً لا حصر له في القرآن الكريم، إذ لم تكد تخلـو منـه سورة من سوره، ولا آيـة من آياتـه والمعـانى الـتى يـدل عليهـا الحذف في القرآن تكاد تعادل ربع معانى القرآن كله، وهو منهج واسع وحكيم من مناهج اللغة العربيـة لا مثيـل لـه، ولـذلك نجـد العلامة اللغوى العظيم ابن جني يسـميه في كتابـه [الخصـائص] اسمًا طريفًا، هو: (شجاعة العربية)

---

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص196.
2 () الدر المصون (3/220 ـ 221)
3 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص200.
4 () ذكرنا الأمثلة الكثيرة عنه بتفصيل في كتاب: القرآن والبيان الشافي.
5 () دلائل الإعجاز (146)
6 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص201.

قال آخر[1]: وينتمي الحذف البلاغي إلى فن بلاغى حصر بعض العلماء البلاغة فيه، وهو [فن الإيجاز] أي قلة الألفاظ مع كثرة المعاني، وله مقامات يتألق فيها، ومقتضيات يوفي بأغراضها.. ومن مقاماته الحذف الوارد في آية سورة يوسف؛ حيث أن حذف جواب ﴿لما﴾ هنا المراد منه تهويل وتفظيع ما حدث من إخوة يوسف ليوسف، بعد أن أذن لهم أبوهم بالذهاب به إلى الصحراء، وقد روى عنهم أنهم أخذوا يؤذونه بالقول والفعل وهم في الطريق إلى المكان الذي قصدوه، حتى كادوا يقتلونه، والدليل على هذا قوله تعالى حكاية عن أحد إخوته: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [يوسف: 10]، فالنهي عن القتل لا يكون إلا عند العزم عليه ومباشرة أسبابه.

قال آخر[2]: لذلك فإن حذف جواب ﴿لما﴾ هنا هدفه أن تذهب النفس في تصوره كل مذهب، وفيه دلالة على طول ما حدث منهم، وعلى غرابته وبشاعته، لذلك قدره الزمخشرى فقال: (فعلوا به ما فعلوا من الأذى.. وأظهروا له العداوة وأخذوا يهينونه ويضربونه، وإذا استغاث بواحد منهم لم يغثه إلا بالإهانة والضرب)[3].. وذهب غيره في تقدير الجواب مذاهب أخرى، والذى أتاح لهم هذا الاختلاف في تقدير الجواب المحذوف هو الحذف نفسه [4].

قال آخر[5]: أما اقتراح مثيرى الشبهة أن يحذف ﴿الواو﴾ في ﴿وأوحينا﴾ ليستقيم المعنى فخطأ جسيم؛ لأن ﴿أوحينا﴾ ليس هو جواب ﴿لما﴾ وإنما هو معطوف على الجواب المقدر لأن جواب ﴿لمَّا﴾ هو ما حدث ليوسف من إخوته بمجرد خروجهم به من عند أبيهم وبعدهم عنه قليلاً، ودليل ذلك هو العطف بالفاء في ﴿فلما﴾ لأنها تفيد الفورية والترتيب.

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين[6]: أجل.. فمنها التشكيك في الضمائر

---

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص201.
2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص202.
3 () الكشاف (3/306 ـ 307).
4 () الدر المصون (6/453).
5 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص202.
6 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص203.

الثلاثة في ﴿تُعَزِّرُوهُ﴾ و﴿تُوَقِّرُوهُ﴾ و﴿تُسَبِّحُوهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: 8 ـ 9]، فقد توهموا أن هناك اضطراباً في المعنى، بسبب الالتفات من خطاب رسول الله ﷺ إلى خطاب غيره، ولأن الضمير المنصوب في قوله ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ عائد على الرسول ﷺ المذكور آخرًا.. و﴿تُسَبِّحُوهُ﴾ عائد على اسم الجلالة المذكور أولاً، وذكروا أن (هذا ما يقتضيه المعنى، وليس في اللفظ ما يعينه تعيينًا يزيل اللبس، فإن كان القول: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ عائدًا على الرسول ﷺ يكون كفرًا، لأن التسبيح لله فقط، وإن كان عائدًا على الله يكون كفرًا؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا يحتاج لمن يعزره ويقويه)

قال آخر: والجواب على ذلك هو أن ما ذكروه ليس عيبا في القرآن الكريم، بل هو سر من أسرار إيجازه وإعجازه، ولذلك دعي إلى تدبره، لاستنباط أنواع المعاني منها، ولو نزل أسلوبه إلى ما يتوهمون لأصبح كتابا عاديا كسائر الكتب، لا يحتاج قارئه لأي تدبر.. فالآية الكريمة التي تأمر بتعزير رسول الله ﷺ وتوقيره، تعقب في نفس الوقت بالدعوة إلى تسبيح الله وذكره، ليجمع القارئ بين الحسنيين، ولا ينشغل بأولاهما عن أخراهما.

قال آخر[1]: أما الضمير وعودته.. فالعبرة فيه بما تفهمه العقول، واللغة العربية تجيز ذلك، وقد ورد مثله في القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 232]، حيث نرى الخطاب في الآية واحداً ﴿طلقتم ـ تعضلوهن﴾ والنظرة العجلى تحسب أن المخاطب في الموضعين صنف واحد من الرجال، لكن العقل ــ بمعونة الشرع ــ سرعان ما يفرق بين الذين خوطبوا بـ ﴿طلقتم﴾ والذين خوطبوا بـ ﴿تعضلوهن﴾ فالمخاطب الأول هم الأزواج الذين يطلقون زوجاتهم، والمخاطب الثانى هم أولياء أمور المطلقات، يقول لهم الله تعالى: إذا أراد الزوج المطلق طلاقاً رجعياً في العدة أو بعد العدة أن يعيد زوجته إليه

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص206.

بالمراجعة أو العقد الجديد وكانت الزوجة راغبة في ذلـك، فعلى أولياء أمرها ألا يقفوا في طريقها.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإنه يجـوز أن تعـود الضـمائر جميعا لله تعالى، فلا مـانع عقلاً، ولا شـرعاً أن يعـود الضـير في ﴿وتوقروه﴾ على الله، لأن توقير الله هو إكباره وتعظيمـه، وقـد قال نوح عليه السلام لقومه موبخاً لهم: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُـونَ لِلَّهِ وَقَـارًا وَقَـدْ خَلَقَكُمْ أَطْـوَارًا﴾ [نـوح: 13 ـ 14]، والضـمير في ﴿وتسبحوه﴾ عائد على الله قطعاً دون أدنى شـك.. وأمـا ضـمير ﴿تُعَـزِّرُوهُ﴾ فلا حـرج في أن يعـود للـه تعـالى، ويكـون معـنى التعزير والتوقير حينها نصرة دين الله وتعظيمه وتكريمه دينه..

قال آخر[1]: وبذلك تعود جميع الضمائر في الآية على الله، وقـد ذهب إلى هـذا كبـار المفسـرين واللغـويين من أمثـال الزمخشـري في (الكشـاف) والآلوسـي في (روح المعـاني) والفيض الكاشـاني في (تفسـير الصـافي) والطباطبـائي في (الميزان)

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين[2]: أجـل.. فمنهـا التشـكيك في ﴿تِلْـكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَـإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِـالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: 196]، فقـد توهموا أن كلمة ﴿كاملة﴾ زائدة، لأنها من توضيح الواضح.

قال آخر[3]: والجواب على هذا هو أن إضـافتها لقصـد دفـع توهم من يحسب أن الواو بمعنى أو تفيـد الإباحـة، فليس ببعيـد أن يفهم بعض النـاس أن المتمتـع بـالعمرة إلى الحج كفارتـه الصيام؛ فإن صام في الحج يكفيه ثلاثة أيام، ومن لم يصم حـتى رجع إلى بلده فعليه صيام سبعة أيام، وأن يفهم الاكتفاء بالثلاثـة في الحج للتخفيف على المحرمين بالحج ويؤدون مناسـكه، أمـا بعد الرجوع إلى الوطن فلا داعى للتخفيـف، لأنـه غـير مشـغول بالمناسك، وليس غريباً عن بلده، ليس ببعيد أن يقـع هـذا الفهم في أذهان بعض الناس حتى الفقهاء المجتهدين، لذلك كان قوله

---

1 () الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، (16/440)

2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص209.

3 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص214.

تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ﴾ واصفاً لها بأنها كاملة دافعاً لـذلك الفهم.. وبـذكر ﴿كاملـة﴾ تحـوَّل قولـه تعـالى: ﴿تِلْـكَ عَشَـرَةٌ﴾ إلى نص محكم غير قابل للاحتمال أو التأويل.

قـال آخر[1]: أمـا من حيث البلاغـة والبيـان، فـإن كلمة﴿كاملة﴾ تفيد تعظيم هذه الأيام العشرة وكمال فضلها عند الله عز وجل، بـدليل أنـه أشـار إليهـا باسـم الإشـارة الموضـوع للبعيد، تنويهاً ببعـد منزلتهـا، وكـان يمكن أن يقـال هـذه عشـرة كاملة، وهذه اسم إشارة للقريب سواء كان قرباً حسياً أو قربـاً معنويًّا.. وهذه المعانى والدقائق ما كانت لتُفهَم لولا وجـود تلـك العبارة، التى عدَّها مثيرو الشبهات عيباً من عيوب الكلام.

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قـال أحـد المشـككين[2]: أجـل.. فمنهـا التشـكيك في ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ في قوله تعالى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُـوا هَـلْ هَـذَا إِلَّا بَشَـرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَـأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: 3]، فقد توهموا أنـه لمـا كـان كـل فعل لا يتطلب إلا فـاعلاً واحـداً، فـإن من الخطـأ جعـل فـاعلين للفعل الواحد.

قال آخر: والجواب على هـذه الشـبهة هـو مـا ذكـره شـيخ المفسرين البيانيين جار اللـه الزمخشـرى بقولـه: (أبـدل الـذين ظلموا من ﴿واو﴾ ﴿وأسروا﴾ إشعارًا بأنهم الموسومون بـالظلم الفاحش فيمـا أسـروا بـه.. أو جـاء على لغـة من قـال: أكلـونى البراغيث.. أو هو منصوب المحل على الذم.. أو هو مبتدأ خـبره ﴿وأسروا النجوى﴾ قُدِّم عليـه والمعـنى: هـؤلاء أسـروا النجـوى، فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلاً على فعلهم بأنه ظلم)[3]

قـال آخـر: وبـذلك؛ فـإن هـذه التوجيهـات كلهـا صـحيحة وفصـيحة وموافقـة للقواعـد العربيـة، بالإضـافة إلى جمالهـا البلاغي..

قال آخر[4]: بالإضافة إلى ذلك يمكن أن يكون قوله تعالى: ﴿إن الذين ظلموا﴾ فاعل لفعل محـذوف تقـديره: يقـول الـذين ظلموا.

---

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص214.

2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص219.

3 () الكشاف (2/562).

4 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص220.

قــال آخر(1): بالإضــافة إلى ذلــك؛ فــإن في أســاليب علم المعاني، وهو أحد علوم البلاغة الثلاثة (المعانى ـ البيان ـ البديع) أسلوباً يسميه البلاغيــون بــ (الاســتئناف البيــاني)، وضــابط هــذا الأســلوب أن تتقــدم جملــة من الكلام تثــير في ذهن الســامع تساؤلاً لطيفاً يــدب في نفســه، فتــأتي جملــة أخــرى تجيب على ذلك التساؤل، الذي ليس له صورة في الكلام.

قال آخر(2): ومن أمثلته في القــرآن الكــريم قولــه تعــالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ [الحجــر: 66]، فجملــة ﴿أَنَّ دَابِــرَ هَــؤُلَاءِ مَقْطُــوعٌ مُصْــبِحِينَ﴾ جــواب على سؤال تقديره: (ما هو ذلك الأمر الذي قضاه الله)(3)

قال آخر: ومثله قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَــا آدَمُ هَــلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَــجَرَةِ الْخُلْــدِ وَمُلْــكٍ لَا يَبْلَى﴾ [طــه: 120]، فجملة ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ تثير في النفس تساؤلاً لطيفاً (ماذا قال الشيطان لآدم؟) فكان الجواب: (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى)

قال آخر(4): وبهذا تفسر هذه الآية: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنبياء: 3]، فقد جرت على نسق الاستئناف البيــانى، لأن جملة ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ تثير في النفس التســاؤل نفســه: (مَنْ هم الذين أسروا النجوى؟)، فكان الجواب: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾

قال آخر(5): ولا يقــال: إن هــذا الســؤال لا يقتضــى المقــام إثارته لأن مرجع الضمير، وهو الواو في ﴿أســروا﴾ مــذكور قبلــه في قولــه تعــالى: ﴿اقْتَــرَبَ لِلنَّاسِ حِسَــابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَــةٍ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 1]، لأن الوقائع المذكورة في مطلــع الســورة، وقائع عامة، هى أحوال للناس جميعــاً، إلا من عصــمه اللــه، أمــا إسرار النجوى، فهي واقعة خاصة وقعت من المشركين، فليس الناس قبلها هم فاعليها، بل فاعلوها هم الذين قالوا: ﴿هَــلْ هَــذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: 3]

قال آخر(6): وعلى هذا فإن ﴿الذين ظلمــوا﴾ ليس فــاعلا لـ ﴿أسروا﴾ وإنمــا فاعــل ﴿أســروا﴾ الــواو.. أمــا ﴿الــذين ظلمــوا﴾

---

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص222.
2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص223.
3 () انظر: الإيضاح للخطيب القزوينى: مبحث الفصل والوصل.
4 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص224.
5 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص224.
6 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص224.

فواقعة في كلام جديد، هـو جـواب عن السـؤال: من هم الـذين أسروا النجوى؟

قـال آخر[1]: بالإضـافة إلى ذلـك، فهنـاك أسـلوب آخـر من أساليب البلاغة العربية، مرتبط بما استشكلوه، وقد ذكره شـيخ البلاغيين بلا منازع عبد القاهر الجرجانى، وأسماه [الإضمار على شـريطة التفسـير] [2].. وضـابط هـذا الأسـلوب هـو أن يـؤتى بالضمير أولاً، ثم يفسر بعد ذلك بذكر مرجعه، ومن أمثلته قـول الشاعر:

هى الدنيا تقول بماء فيها	حذار حذار من بطشى وفتكى
ولا يغرُركمُ منى ابتسام	فقولى مضحك والفعل مبكى

قال آخر[3]: وتخريج ﴿وأسروا النجوى الذين ظلمـوا﴾ على هذا الأسلوب سائغ رائـع؛ فقـد أتى بالضـمير أولاً ﴿وأسـروا﴾ ثم فسره ثانياً هكـذا ﴿الـذين ظلمـوا﴾.. وبلاغـة هـذا الأسـلوب هى تحريك الشعور، وتشويق النفس إلى عقبى الكلام كيـف تكـون، فيتمكن المعـنى المسـوق من أجلـه الكلام في النفـوس كـل التمكن؛ لأن النفس إذا ظفرت بالشىء بعد انتظاره استقر ذلك الشىء فيها.

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قـال أحـد المشـككين[4]: أجـل.. فمنهـا التشـكيك في ﴿يُرْضُوهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُـونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُـوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُـولُهُ أَحَـقُّ أَنْ يُرْضُـوهُ إِنْ كَـانُوا مُـؤْمِنِينَ﴾ [التوبـة: 62]، فقـد توهمـوا أن الضـمير مـا دام عائـدا على الاثـنين، اسـم الجلالـة ورسوله ﷺ، فلذلك كان الأصح أن يقال: (أن يُرضوهما)

قال آخر[5]: والجواب على هذه الشبهة هو أن هناك شرطاً موضوعيًّا في تثنية المعدود وجمعه، وهـو التجـانس بين الأفـراد في الواقع، فقَلَم يثنى فيقال: قلمان، ويجمع فيقال أقلام.. لكن الإنسـان ــ مثلاً ــ لا يثـنى مـع القلم ولا يجمـع.. وحـتى الرجـل والمرأة، وهما فردان بينهما تجانس من جهة، واختلاف من جهة

---

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص225.

2 () دلائل الإعجاز (163) تحقيق الشيخ العلامة محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجى، القاهرة.

3 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص225.

4 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص226.

5 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص227.

أخرى، فإننا لا نستطيع أن نثنيهما فنقول: رجلان، أو امرأتان.

قال آخر[1]: وبناء على هذا؛ فإنه ليس بين الله، وبين رسوله، ولا بين الله وبين أىِّ شىء في الوجود تجانس من أى نوع من الأنواع.. ومن أجل هذا؛ فإن الله لا يُجمَع ولا يُثنىَّ، لا في ذاته ولا مع أحدٍ من خلقه، وعلى هذا جرى بيان القرآن المعجز، فلم يقل كما يقترح هؤلاء: (والله ورسوله أحق أن يُرضوهما)، لأن الله ليس فرداً من جنس الأفراد الذين ينتمى إليهم رسوله ﷺ، بل هو فرد لا مثيل له في الوجود أبداً، فلا يكون مع غيره ثانى اثنين، أو ثالث ثلاثة، تعالى الله عما يقولون عُلُوًّا كبيرًا.

قال آخر: ولهذا نظائر كثيرة في القرآن الكريم، فالله تعالى يقول في سورة التوبة نفسها: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: 3]، فلم يقل: (إن الله ورسوله بريئان من المشركين)، لأن وصف الله بالبراءة من المشركين، وصف توحيدي، ولذلك قال: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ أى ورسوله بريء منهم، والذى دل على هذا، ما ذكره في جانب الله أولاً.

قال آخر[2]: وفى سورة التوبة نفسها ـ كذلك ـ ورد قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة: 59]، فقد روعي التوحيد في النظم القرآنى في هذه الآية في ثلاثة مواطن: الأول: ﴿مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ حيث عطف رسوله على اسم الجلالة، دون عود ضمير مثنى.. الثانى: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ دون عطف رسوله على اسم الجلالة، لأن الحسب لا يكون إلا لله.. والثالث: ﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ دون أن يُثَنِّى فيقول: من فضلهما، وإنما عُطِف ﴿رسوله﴾ بعد تمام الجملة الأولى، ثم حذف من جملة ﴿ورسوله﴾ ما دل عليه الكلام السابق، أي: وسيؤتينا رسوله من فضله.

قواعد الصرف:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن التشكيكات

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص228.

2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص229.

المرتبطة بقواعد الصرف.

قال أحد المشككين: هي كنظيراتها من التشكيكات المرتبطة بالقواعد النحوية، مجرد أوهام ناشئة عن الجهل بقواعد اللغة العربية.. ومن أمثلتها التشكيك في ﴿مَعْدُودَةً﴾ في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 80]، حيث توهموا أن القرآن الكريم أخطأ فيها؛ لأنها ـ عندهم ـ جمع كثرة، والمقام الذي استعملت فيه يتطلب جمع القلة، ثم علقوا قائلين: (كان يجب أن يجمعها جمع قلة، حيث إنهم أرادوا القلة، فيقول: أياماً معدودات)

قال آخر[1]: والجواب على هذه الشبهة هو أن هذه الآية نزلت تحكي قولاً قاله اليهود، يكشف عن الغرور الذي ملأ أنفسهم، فقد زعموا أنهم إذا دخلوا النار، فإنها لا تمسهم إلا مساً خفيفاً، وأنهم لن يُخلدوا فيها، بل يقضون عدة أيام، وهذا تطاول منهم، لأن شؤون الآخرة لا يعلمها إلا الله، لذلك كذَّبهم الله، وألزمهم الحُجة البالغة له عليهم وحصر مصدر هذا الذى ادعوه في أمرين: الأول: أن يكون عندهم من الله عهد بما قالوا، والله لا يخلف عهده، وهم في الواقع لا عهد عندهم من الله يحدد فيه مدة مكثهم في النار، ودرجة العذاب الذي سيصيبهم فيها.. والثانى: أو هُمْ يفترون على الله عز وجل، وماداموا ليس عندهم عهد من الله، فهم ـ إذاً ـ كاذبون والذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون.

قال آخر[2]: أما مسألة الكثرة والقلة فلا اعتبار لها هنا؛ لأن ﴿معدودة﴾ ليست جمعاً بل مفردًا، فليست جمع كثرة ولا جمع قلة.. بالإضافة إلى أن (معدودات) التى يقولون إنها الصواب وكان حق القرآن أن يعبر بها بدلاً من ﴿معدودة﴾ ظانين أن (معدودات) جمع قلة، وهى ليست جمع قلة كما توهموا، فهى على وزن (مفعولات) وهذا الوزن ليس من أوزان جموع القلة [3] بل من أوزان جموع الكثرة، ولا ينفعهم قولهم إن اليهود أرادوا القلة، لأن هذه القلة يدل عليها سياق الكلام لا المفردات المستعملة في التركيب.

---

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص180.

2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص181.

3 () أوزان جموع القلة هى: فِعْلَة، أَفْعَال، أفعُل، أفْعِلَة.

قال آخر[1]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن هذا التعبير يدخل في معاملة غير العاقل معاملة العاقل.. ووصف الأيام بـ ﴿معدودة﴾ فيما حكاه الله عن اليهود هو وصف لها بما هو لائق بها، لأن الأيام لا تعقل، فأجرى عليها الوصف الذي لغير العقلاء، وما جاء على الأصل فلا يسأل عنه.

قال آخر[2]: أما معاملة غير العاقل معاملة العاقل، فلها دواعٍ بلاغية، وهى في النظم القرآني كثيرة، ولا يعامل غير العاقل معاملة العاقل إلا بتنزيله منزلة العاقل لداع بلاغي يقتضي ذلك التنزيل.. وإذا كان القرآن الكريم قد عبَّر في وصف ﴿أياماً﴾ في آية البقرة هذه بـ ﴿معدودة﴾ وهو وصف غير العاقل جارٍ على الأصل، فإنه عبَّر عن وصفها بـ ﴿معدودات﴾ في موضعٍ آخر، هو قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: 24]

قال آخر[3]: فإذا قارنَّا بين الآيتين وجدنا آية البقرة مبنية على الإيجاز هكذا: ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة﴾، بينما آية آل عمران مبنية على الإطناب هكذا: ﴿ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات﴾.. وعند الموازنة بين صدر آية البقرة ﴿وقالوا﴾، وبين صدر آية آل عمران ﴿ذلك بأنهم قالوا﴾، نجد أن جملة ﴿ذلك بأنهم﴾ اشتملت على اسم الإشارة الموضوع للبعيد، الرابط بين الكلامين السابق عليه، واللاحق به.. ثم تجد ﴿الباء﴾ الداخلة على (إن) في ﴿بأنهم﴾.. ثم (إن) التى تفيد التوكيد، ثم ضمير الجماعة ﴿هم﴾..وهذه الأدوات لم يقابلها في آية البقرة، إلا واو العطف ﴿وقالوا﴾ إذاً المقامان مختلفان، أحدهما إيجاز، والثانى إطناب.

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين[4]: أجل.. فمنها التشكيك في ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: 183 ـ 184]، فقد توهموا أن ﴿معدودات﴾ جمع

---

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص182.

2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص183.

3 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص183.

4 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص185.

قلة، وأن معدودة جمع كثرة، وأيام الصيام في شهر رمضان ثلاثون يوماً، فهي أيام كثيرة يناسبها جمع الكثرة عندهم، وهو معدودة

قال آخر(1): مما يدل على تناقض المشككين أنهم في الآيات السابقة عدوا الأربعين يوما ـ تلك التي زعم اليهود أنهم سيمكثونها في جهنم ـ جمع قلة، وهنا جزموا بأن الثلاثين يوماً الرمضانية، أو التسعة والعشرين يوماً جمع كثرة، وأن القرآن أخطأ مرة أخرى حين عبَّر عنها بجمع القلة معدودات فكيف تكون الأربعون أقل من الثلاثين أو التسعة والعشرين؟ وهل يمكن أن يصدر هذا عن عاقل؟

قال آخر(2): والجواب على ذلك أن ما عدوه خطأً في هذه الآية، وهو قوله تعالى: معدودات هو عين الصواب لغة وبياناً، ذلك أن معاملة غير العاقل معاملة العاقل أسلوب بلاغى رفيع، وهو عند البلاغيين استعارة، شبه فيها غير العاقل بالعاقل لداعٍ بلاغى، يراعيه البليغ في كلامه.

قال آخر(3): فكلمة معدودات فى وصف أيام الصيام أتى بها القرآن الكريم لخصوصية بيانية، هى تعظيم شأن تلك الأيام، حتى لكأنها لرفعة منزلتها عند الله عز وجل صارت من ذوى العقول، وهى أوقات لا روح فيها كالأحياء العاقلين؛ فليس المدار فيها اعتبار قلة، أو كثرة، بل المراد التنويه بفضلها، وعلو منزلتها عند الله تعالى.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن القلة تفهم من سياق الكلام، الذي حدد أيام الصيام بالشهر الواحد، كما قال تعالى: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ [البقرة: 185]

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين(4): أجل.. فمنها التشكيك في كلمة إِلْ يَاسِينَ في قوله تعالى: وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص185.
2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص186.
3 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص186.
4 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص187.

الْمُخْلَصِـينَ وَتَرَكْنَـا عَلَيْـهِ فِي الْآخِـرِينَ سَـلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِـينَ [الصافات: 123 ـ 130]، فقد تصوروا أنهـا جمـع لكلمـة إليـاس، وأنهـا جمعت لأجل مراعاة الفاصلة والسجع.

قال آخر: ومثلها تشكيكهم فيمـا ورد في سـورة الـتين في قوله تعالى: وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِـينِينَ [الـتين: 1 ـ 2]؛ فقـد اعتبروا سينين جمعا لسيناء، واعتبروا من الخطأ لغوياً تغيـير اسم العَلَمَ حباً في السجع المتكلف.

قال آخر: والجواب على ذلك هو أن تعدد اسم العلم مما لا حرج فيه عند العـرب وغـيرهم، ولهـذا نجـد في القـرآن الكـريم أسـماء متعـددة لمكـة المكرمـة؛ فمن أسـمائها بكـة، كمـا قـال تعـالى: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِـعَ لِلنَّاس لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًـا وَهُـدًى لِلْعَـالَمِينَ [آل عمـران: 96]، ومن أسـمائها البلـد الأمين، كمـا قـال تعالى: وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ [التين: 3]، ومنها اسم مكة، كمـا قـال تعالى: وَهُوَ الَّذِي كَـفَّ أَيْـدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْـدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِـيرًا [الفتح: 24].. وغيرها.

قال آخر[1]: ومن هذا الباب، ذكر المفسـرون واللغويـون ـ كالزمخشري وغيره ـ أن زيادة الياء والنون لغة في إلياس، كمـا أن إدِريسين لغة في إدريس، وعلى هذا فإن إِلْ يَاسِـينَ ليس جمعاً[2].. ومثل ذلـك كلمـة سـينين، فهي ليسـت جمعـاً كمـا تـوهم مثـيرو هـذه الشـبهة، بـل هى لغـة في سـيناء بكسـر السين، كما أن سَيناء بفتح السين لغة فيها، وبهاتين اللغـتين: سِيناء، بالكسر، وسَـيناء بـالفتح وردت القـراءات، فهى إذن في القـرآن لهـا ثلاثـة لغـات: سِـيناء بكسـر السـين.. وسَـيناء بفتح السين.. وسِنيين، بكسر السين وياءين ونونين.

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين[3]: أجل.. فمنها التشكيك في تصـريف كلمـات سَلَاسِـلَ وقَـوَارِيرَا في قولـه تعـالى: إِنَّا أَعْتَـدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا [الإنسان: 4]، وقوله: وَيُطَـافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَـوَارِيرَا [الإنسـان: 15]، فقـد

---

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص188.
2 () الكشاف (3/352)
3 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص207.

توهموا أن تنوين الكلمات الثلاث خطأ.

قال آخر: والجواب على ذلك هو أن الكلمتين في القراءة المعتبرة المعتمدة عند عامة المسلمين، وهي المشهورة بقراءة حفص عن عاصم، لا تنونان، وإنما يوقف عليهما بالفتح لا غير، ولا يلتفت إلى الألف الذي في آخر كل منهما.. لأنه تابع للإملاء في ذلك الحين، والذي لم توضع قواعده بعد، والأصل في القرآن الكريم هو النقل الشفهي، لا الكتابة.

قال آخر[1]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن بعض العرب كانت تصرف كل الكلام، وليس في لهجتهم كلام مصروف وكلام غير مصروف، بل هو كله مصروف، وعلى هذا قرأ من قرأ بالتنوين، أمثال نافع وابن كثير والكسائى وأبو جعفر.

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين[2]: أجل.. فمنها التشكيك في ﴿قُلُوبُكُمَا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: 4]، حيث جاء المضاف (قلوب) جمعا، والمضاف إليه [كما] مثنى، والمتحدث عنه في قوله تعالى: ﴿تتوبا﴾ مثنى كذلك، وقد علقوا على هذا فقالوا: (لماذا لم يقل: (قلباكما) لأنه ليس للاثنين أكثر من قلبين؟

قال آخر[3]: والجواب على الشبهة، هو أن العرب كانوا يستثقلون اجتماع تثنيين في كلمة واحدة، ولذلك يعدلون عن التثنية إلى الجمع، لأن أول الجمع عندهم الاثنان، ولذلك يعتبر البلاغيون ما ورد في الآية الكريمة من الفصاحة والبلاغة، وقد قال بعضهم في ذلك: (و﴿قلوبكما﴾ من أفصح الكلام حيث أوقع الجمع موقع المثنى، استثقالاً لمجيء تثنيتين لوقيل (قلباكما))[4]

قال آخر[5]: ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: 38]، فقد أوقع الجمع ﴿أيدي﴾ موقع المثنى

---

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص208.

2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص232.

3 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص232.

4 () الدر المصون (10/366).

5 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص232.

(يدي)، جرياً على سُنة العرب في كلامهم، والقرآن بلغتهم نزل.
قال آخر(1): بالإضافة إلى إصلاح اللفظ، فإن لهذا علاقة بالمعنى أيضا، فجمع الأيدي في قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: 38] دلالة على الجمع فعلاً، ذلك أن المراد من السارق والسارقة ليس فردين، بل نوعين: الذي يسرق من الرجال، سواء كان واحداً أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة أو ألف وهكذا؛ لأن المراد النوع لا الفرد.. والتى تسرق من النساء، لا على سبيل الفردية (امرأة) واحدة ولكن كل من ينطبق عليها وصف السرقة، فالسارقون لا يحصرون في عدد معين، من عصر نزول القرآن إلى يوم القيامة.. والسارقات لا يحصرن في عدد محدد، بل هن جمع لا يعلمه إلا الله.. وبذلك؛ فإن اللفظ فى ﴿السارق والسارقة﴾ وإن كان مفرداً، فهو من حيث المعنى جمع لا حصر له في النوعين معاً: الذكور والإناث.
قال آخر(2): أما آية التحريم، فإن ﴿صغت﴾ بمعنى: زاغت وأثمت، وهذا تفسير ابن عباس(3).. وعلى هذا يكون مجىء القلبين جمعاً فيه تهويل وتفظيع لما حدث من زوجتى النبى ﷺ، من إفشاء سره، لأن في ذلك ما يؤذيه ﷺ.
قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟
قال أحد المشككين(4): أجل.. فمنها التشكيك في ﴿ضَرَّاءَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: 10]، فقد توهموا أن كلمة ﴿ضَرَّاءَ﴾، وهى مضاف إليه، والمضاف هو كلمة ﴿بعد﴾، ولذلك كان يجب ـ كما زعموا ـ أن يجر المضاف إليه فيقول: (بَعْدَ ضراءِ)
قال آخر(5): والجواب على الشبهة هو أن المضاف إليه في الآية ﴿ضراءَ﴾ مجرور فعلا لا منصوب، وهو ممنوع من الصرف، والمانع له من الصرف ألف التأنيث الممدودة، ذلك أن الممنوع من الصرف يُجر بالفتحة نيابة عن الكسرة، ولذلك

1 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص233.
2 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص234.
3 () فتح القدير للإمام الشوكانى (5/301).
4 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص236.
5 () حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص236.

وضعت الفتحة فوق الهمزة بعد الراء، فهذه الفتحة علامة جر لا علامة نصب.

ب. الشعر الجاهلي:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فما تقولون فيما ذكرتموه لنا عن بعض المستشرقين أمثال (تسدال) و(شيخو) و(شبرنجر) الذين ذكروا أن من مصادر القرآن الكريم الشعر الجاهلي، والذين استدلواعلى ذلك بمقاطع من شعر أمية بن أبي الصلت وامرئ القيس[1].

قال أحد المشككين[2]: عندما رجعنا إلى ما جمع من شعر ابن أبي الصلت في تاريخ الأدب العربي؛ لاحظنا أن المستشرقين مثل الأب (شيخو) و(كافنتسكي) قد عنوا بجمع هذا اللون من الشعر الديني أكثر من سواهم حتى إن (كافنتسكي) كتب رسالته للدكتوراة في جمع مثل هذا اللون من الشعر ليظهر العلاقة بين القرآن وبين شعر أمية، وقد أشار لأخذ القرآن من شعر أمية بن أبي الصلت كذلك (كلمنت هاوث) كما أشار تسدال لهذه الموافقة بين القرآن وشعر امرئ القيس في كتابه مصادر الإسلام واعتبره مصدرا من مصادر الإسلام وذلك لموافقة الأبيات لبعض التراكيب القرآنية في سورة القمر والملك وغيرهما[3].

قال آخر: وهذه هي أبيات أمية المقصودة بالتوافق:

ويوم موعدهم أن ... يوم التغابن إذ لا ينفع

مستوسقين مع ... رجل الجراد زفته

وأبرزوا بصعيد مستو ... وأنزل والميزان

فمنهم فرح راض ... وآخرون عصوا

يقول خزانها ما كان ... ألم يكن جاءكم من

قالوا: بلى فتبعنا فتية ... وعزنا طول هذا

قال آخر[4]: وأما أبيات امرئ القيس التي ذكرها (تسدال)

---

1 () انظر مصادر الإسلام ص 8 ـ 10، وتاريخ القرآن لنولدكة 1/19 ومعجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين ص 152.

2 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /255.

3 () انظر معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين ص 152، تاريخ القرآن لنولدكة 1/19.

4 () آراء المستشرقين حول القرآن: 1 /256.

متوافقة مع آيات من سورة القمر فهي ما نسب إليه من قوله[5]:

دنت الساعة وانشق القمر   عن غزال صاد قلبي ونفر

أحور قد حرت في أوصافه   ناعس الطرف بعينيه حور

مر يوم العيد في زينته   فرماني فتعاطى فعقر

بسهام من لحاظ فاتك   فتركني كهشيم المحتظر

وأضيف لها أبيات أخرى:

وأقبل والعشاق من خلفه   كأنهم من حدب ينسلون

وجاء يوم العيد في زينته   لمثل ذا فليعمل العاملون

قال آخر: وقد زعموا أن هذه الآيات تتوافق مع بعض الألفاظ والتراكيب في قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر: 6 ـ 7].. وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: 7 ـ 8]، وقوله: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى﴾ [الملك: 8 ـ 9]، وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء: 96]

قال آخر: والرد على هذه الفرية سهل وبسيط، ولا يحتاج سوى الرجوع لتلك المصادر التي ذكرت فيها تلك الأبيات، حيث نجد أنها أبيات مولدة في العصور الإسلامية، اقتبس أصحابها بعض الأساليب والكلمات من القرآن الكريم على ما درج عليه أهل الأدب قديما وحديثا.. فنحل الشعر ونسبته لقدماء الشعراء أمر معروف لا يستطيع أحد إنكاره.

قال آخر: وقد قال بعضهم في ذلك: (وفي الشعر مصنوع مفتعل موضوع كثير، لا خير فيه ولا حجة في عربية ولا أدب يستفاد، ولا معنى يستخرج، ولا مثل يضرب، ولا مديح رائع، ولا هجاء مقذع، ولا فخر معجب، ولا نسيب مستطرف، وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب لم يأخذوه عن أهل البادية ولم يعرضوه على العلماء، وليس لأحد إذا أجمع أهل العلم والرواية

5 () فيض القدير شرح الجامع الصغير 2/18.

الصحيحة على إبطال شيء منه أن يقبل من صـحيفة ولا يـروى عن صـحفي.. وقـد اختلـف العلمـاء بعـد في بعض الشـعر كمـا اختلفت في سائر الأشياء فأما مـا اتفقـوا عليـه فليس لأحـد أن يخرج منه)(1)

قال آخر: وقال يذكر سـبب انتحـال الشـعر وغـيره: (فلمـا راجعت العرب رواية الشّعر وذكر أيامهـا ومآثرهـا اسـتقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم، وكـان قـومٌ قلّت وقـائعهم وأشـعارهم فـأرادوا أن يلحقـوا بمن لـه الوقـائع والأشعار، فقـالوا على ألسـنة شـعرائهم، ثم كـانت الـرواة بعـد فزادوا في الأشـعار الـتي قيلت، وليس يشـكل على أهـل العلم زيادة الرواة ولا ما وضعوا ولا ما وضع المولدون)(2)

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك أن خلفا الأحمر كان أروى الناس للشّعر وأعلمهم بجيّده.. وكان مع روايتـه وحفظـه يقـول الشـعر فيحسـن، وينحلـه الشـعراء.. وكـذلك كـان يفعـل حمّـادٌ الرواية، يخلط الشعر القديم بأبيات له، قال حماد: ما من شاعر إلا قد زدت في شعره أبياتا فجـازت عليـه إلا الأعشـى، أعشـى بكـر، فـإني لم أزد في شـعره قـطّ غـير بيت فأفسـدت عليـه الشعر)(3)

قال آخر: ولم يكن ذلك منكرا عنـد النـاس، بـل ربمـا كـان مستحسنا، وقد قال بعضهم في ذلك: (كان خلف الأحمر يضرب بـه المثـل في عمـل الشـعر، وكـان يعمـل على ألسـنة النـاس فيشبه كلّ شعر يقوله بشعر الذي يضعه عليـه، ثم نسـك فكـان يختم القـرآن في كـلّ يـوم وليلـة، فلمـا نسـك خـرج إلى أهـل الكوفـة فعـرّفهم الأشـعار الـتي قـد أدخلهـا في أشـعار النـاس، فقالوا له: أنت كنت عندنا في ذلك الـوقت أوثـق منـك السـاعة فبقي ذلك في دواوينهم إلى اليوم)(4).

قال آخـر: وقـال آخـر يـذكر ذلـك: (خلـف الأحمـر الشـاعر صاحب البراعة في الآداب، حمل عنه ديوانه أبو نـواس، وتـوفي في حدود الثمانين ومائة، وكان راوية ثقة علّامة، لم يكن فيه ما يعاب به إلا أنه كان يعمل القصـيدة يسـلك فيهـا ألفـاظ العـرب القدماء، وينحلها أعيـان الشـعراء، كـأبي داود، والإيـادي، وتأبّـط

1 () طبقات فحول الشعراء ١/٥.
2 () طبقات فحول الشعراء ١/٤٦.
3 () العقد الفريد ٢/٣١٩.
4 () المزهر ١/١٤٠. ١٣٩.

شـرا، والشـنفرى وغـيرهم، فلا يفـرّق بين ألفاظـه وألفـاظهم، ويرويها جلّة العلماء لذلك الشاعر الذي نحله إيّاها)(1)

قـال آخـر: بنـاء على هـذا؛ فـإن أي عـارف باللغـة العربيـة وأشعارها يعرف أن تلـك الأبيـات مدلسـة منحولـة لا علاقـة لهـا بالشعر الجاهلي، وقد قـال بعضـهم عنـد تفسـير قولـه تعـالى: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَـانُ مَـا أَكْفَـرَهُ﴾ [عبس: 17]: (إن الجملـة الأولى تـدلى على استحقاقهم أعظم أنواع العقاب عرفـا، والثانيـة تنبيـه على أنهم اتصفوا بأعظم أنواع القبائح والمنكرات شرعا، ولم يسـمع ذلـك قبـل نـزول القـرآن، ومـا نسـب إلى امـرئ القيس (قتـل الإنسـان مـا أكفـره) فلا أصـل لـه، ومن لـه أدنى معرفـة بكلام العرب لا يجهل أن قائل ذلك مولد أراد الاقتباس لا جاهلي)(2)

قال آخر: وقد ذكر بعضهم سبب التدليس الكثير في شـعر امـرئ القيس، فقـال: (استفاضـت أخبـاره على ألسـنة الـرواة، وزخرت بها كتب الأدب والتراجم والتاريخ، ونسجت حول سيرته القصص، وصـيغت الأسـاطير، واختلـط فيهـا الصـحيح بـالزائف، وامتزج الحق بالباطل، وتناول المؤرخون والأدباء بالبحث والنقد والتحليل، وخاصة في العصر الحديث.. وفي جميع أطـوار حياتـه منذ حداثته وطـراءة سـنه، إلى آخـر أيامـه، قـال الشـعر وصـاغ القريض.. وأصبح عند الناس قدر وافر من قصيده، فنحلـوه كـل شعر جهل قائله، أو خمـل صـاحبه، من جيـد يعسـر تميـيزه عن شعره، ورديء سفساف مهلهل النسج، سقيم المعنى)(3)

قال آخر: بناء على هذا؛ فإنـه إذا نسـبت تلـك الأبيـات إلى امـرئ القيس أو إلى ديوانـه دون سـند أو برهـان، فلا شـك في أنها منحولة ومكذوبة عليه.

قال آخـر: لـذا فـإن اعتمـاد هـؤلاء المـرجفين على أشـعار [فيض القـدير] للمنـاوي مغالطـة كبـيرة؛ إذ إن المنـاوي كـان اهتمامـه في كتابـه شـرح أحـاديث [الجـامع الصـغير] فلم يعتن بجمـع الشـعر، أو تمحيص رواياتـه، وكتابـه (فيض القـدير) ليس كتابا معتمدا في نقل الشعر أو نسبته، هـذا فضـلا عن كونـه من المتـأخرين، حيث تـوفي سـنة 1029 هــ، فكيـف يصـبح كلامـه مقدما على كلام من سـبقه من أسـاطين اللغـة، وعلمـاء الأدب

1 () الوافي بالوفيات للصفدي، ٤/٣٧٤.

2 () روح المعاني ٣٠/٤٤.

3 () في مقدمة دراسو عن امرئ القيس وشعره، محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام: 4/275.

والبيان، خاصة وأنه لم يذكر لهذه الأبيات سندا ولا مصدرا.

قال آخر: بل كيف يسوق أبياتا مكسورة.. فالبيت الأول في (دنت الساعة وانشق القمر) غير مستقيم من ناحية الوزن الشعري، فالشطر الأول مكسور، إلا لو أبدلنا (اقتربت) بـ (دنت)، وعلى ذلك بقية الأبيات، وحينئذ يتبين أن المناوي لم يكن له عناية في كتابه بذكر الشعر أو تحقيقه.

قال آخر(1): وإن أي باحث في الأدب العربي يعلم أن شعر امرئ القيس قد وجد عناية خاصة، وتضافرت جهود القدماء والمحدثين على جمعه وروايته ونشره، وهناك العديد من النسخ المشهورة لديوانه كنسخة الأعلم الشنتمري، ونسخة الطوسي، ونسخة السكري، ونسخة البطليوسي، ونسخة ابن النحاس وغيرها، ولا يوجد أي ذكر لهذه الأبيات في هذه النسخ، على الرّغم من أنها تذكر ما نحل عليه لتنقده، وكذلك كان أمر الدراسات المعاصرة التي عنيت بشعر امرئ القيس وما نسب إليه وخبر دواوينه، لم تذكر شيئا من هذه الأبيات لا على أنها من قوله، ولا على أنها مما نحل عليه، ومنها دراسة للأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم في أكثر من خمسمائة صفحة حول امرئ القيس وشعره، وقد ذكر فيه ما صحت نسبته إليه وما لم يصح، وما نحل عليه ومن نحله، ولم يذكر مع ذلك بيتا واحدا من هذه الأبيات السابقة.. فهل كان الأعاجم أصحاب هذه الشبهات أعلم بامرئ القيس وشعره من هؤلاء جميعا الذين عنوا بجمعه وتمحصيه ونقده!؟

قال آخر: وعلى عكس كلامهم في اقتباس القرآن، فإن ابن داود الظاهري الأصفهاني (ت: 227 هـ) عقد في كتابه (الزهرة) فصلا لما استعانت به الشعراء من كلام الله تعالى، وكان مما ذكر عن قوله سبحانه: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: 1 ـ 2] أن الخنساء ضمنته في أبيات لها فقالت(2):

أبعد ابن عمرو من آل الشّريد	حلّت به الأرض أثقالها
فخر الشّوامخ من فقده	وزلزلت الأرض زلزالها

---

1 () محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام: 4/278.

2 () الزهرة ١/٢٣٤.

قال آخر[3]: بالإضافة إلى ذلك، فإنه لو صحت نسبة تلك الأبياء لأصحابها، فإن هذا يدعو إلى التساؤل عن عدم مواجهة فصحاء قريش النبي ﷺ بهذا التشابه وهم أحفظ للشعر من مستشرقي عصرنا؟ ولماذا عندما تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن أو بمثل آية منه لم يقتبسوا من هذه الأشعار كما اقتبس هو؟

قال آخر: وقد قال الباقلاني في ذلك: (الفصحاء منهم حين أورد عليهم القرآن، لو كانوا يعتقدونه شعرا ولم يروه خارجا عن أساليب كلامهم ـ لبادروا إلى معارضته؛ لأن الشعر مسخّر لهم مسهّل عليهم، ولهم فيه ما علمت من التصرف العجيب والاقتدار اللطيف؛ فلما لم نرهم اشتغلوا بذلك ولا عولوا عليه ـ علم أنهم لم يعتقدوا فيه شيئا مما يقدره الضعفاء في الصنعة، والمرمدون في هذا الشأن، وإن استدراك من يجيء الآن على فصحاء قريش وشعراء العرب قاطبة في ذلك الزمان وبلغائهم وخطبائهم وزعمه أنه قد ظفر بشعر في القرآن، وقد ذهب أولئك النفر عنه، وخفي عليهم مع شدة حاجتهم عندهم إلى الطعن في القرآن، والغض منه، والتوصل إلى تكذيبه بكل ما قدروا عليه، فلن يجوز أن يخفي على أولئك وأن يجهلوه ويعرفه من جاء الآن وهو بالجهل حقيق)[2]

[3] () محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام: 4/279.
[2] () إعجاز القرآن للباقلاني ص ٥٣.

رابعا ـ القرآن.. والمبدلون

في اليوم الرابع، وبينما كنت مع معلمي أمام المسجد الجامع للمدينة، ونحن نحمد الله تعالى على تخليصها من التشكيكات التي كان يخطط المرجفون لنشرها بين عامة الناس؛ فإذا بهم، لا ينجون منها فقط، وإنما يتعلمون كل مناهج الرد عليها، مما يحصنهم في المستقبل من أي تشكيك أو تضليل، بل يجعل لهم من القدرة ما يمكنهم من تحصين أهالي كل المدن المجاورة.

بينما نحن كذلك إذا بنا نرى جموعا كثيرة تجتمع إلى الحكماء السبعة، ومعهم مجموعة كبيرة من الرجال لم أرهم من قبل، ولم تكن هيئتهم ولا سمتهم يشبه أهل تلك المدينة.

قال أحد الحكماء، وهو يشير إلى الرجال الذين حضروا معهم: لعلكم لا تعرفون هؤلاء.. ولذلك اسمحوا لنا أن نعرفكم بهم، قبل أن يتحدثوا إليكم.

قال آخر: إنهم نفر من إخوانكم الذين اعتزلوكم قبل فترة طويلة بعد أن ضاقت نفوسهم بخرافات الحشوية، وتشويهات الكشفية؛ فصاروا أكثر ميلا إلى الإلحاد منهم إلى الدين.

قال آخر: وقد تلقفهم كل المشككين؛ فزادوهم شكا إلى شكهم، ونفورا إلى نفورهم، وضلالا إلى ضلالهم.

قال آخر: ولم يكتفوا بذلك، بل راح بعض رؤسائهم يوحي إليهم أن يقاوموا كل تلك التشكيكات والتحريفات، لا بما يقاومها به الحكماء من تمييز الخبيث عن الطيب، والمنحرف عن الصالح.. بل بإلغاء الجميع، لاستبداله بما تمليه الأهواء، أهواؤهم، أو أهواء الذين شككوهم.

قال آخر: لكنهم بعد أن تأملوا وراجعوا أنفسهم وعادوا إلى أصول الإيمان التي كانوا عليها.. وقرؤوا القرآن الكريم بصدق وإخلاص وتدبر.. تركوا كل ما كانوا عليه.. وهدموا البناء الذي بنوه في أقصى مدينتكم، لأنهم رأوه لا يختلف عن مسجد الضرار الذي هدمه رسول الله ﷺ.

قال آخر: وها هم يعودون إليكم، وهم خجلون مما كانوا عليه، ويرجون منكم أن تعذروهم لانصرافهم عنكم، واعتزالهم لكم.

قال آخر: وهم يريدون ـ مثلما فعل إخوانهم المشككون ـ أن يبثوا إليكم كل ما حصل لهم، وكل ما كانوا يفعلونه، لتحموا

أنفسكم من كل من يريد أن يضللكم عن ربكم وكلماته المقدسة.

ما إن انتهى الحكماء من حديثهم هذا، حتى قام أحد المبدلين، وقال: لسنا ندري ما نقول لكم، ونحن الذين كنا نستعمل كل الوسائل لهدم مدينتكم المضمخة بعطر القرآن الكريم لنبني بدلها مدينة قائمة على الأهواء والزخارف التي أملاها علينا شياطين الإنس والجن.

قال آخر: لقد كنا نمثل بتفكيرنا وسلوكنا ما حكاه الله تعالى عن الذين ضلوا سواء السبيل، أولئك الذين ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ [النساء: 46]

قال آخر: ووصفهم بأن ﴿قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: 13]

قال آخر: ووصفهم بأنهم ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾ [المائدة: 41]

قال آخر: لقد كانت هذه الآيات الكريمة منطبقة علينا تماما، لأنا لم نؤمن بالقرآن الكريم حق الإيمان؛ فقد كنا نعتبره كتابا بشريا، ومنتوجا ثقافيا، وأننا يمكننا أن نفهمه كما نشاء، ونتلاعب بألفاظه كما يحلو لنا.. ولذلك جرتنا الشياطين إلى كل أنواع الضلالة، وكيف لا تفعل، ونحن قد قطعنا الحبل الذي مده الله لنجاتنا.

قال آخر: لكن الله تعالى بمنه وكرمه أرسل إلينا هؤلاء الحكماء، الذين جادلونا بالتي هي أحسن، وقد استطاعوا بفضل الله تعالى، وبما أوتوا من العلم والتقوى، أن يجيبوا عن كل شبهاتنا، ويصلحوا كل ما فسد منا.

قال آخر: وقد طلبوا منا أن نخبركم عن كل ما حصل لنا لتصلح توبتنا، ويغفر الله لنا؛ فلا توبة لمنحرف من غير بيان.

قال آخر: وقد أخبرونا أيضا أن هناك من أصحاب الأقلام من سيسجلون كل ما نقوله، ونشهد به، ليكون ذلك موعظة للمتعظين، وعبرة للمعتبرين.

قال آخر: ولذلك سنحدثكم بحالنا.. وما حصل لنا.. وكيف

تسربت الشبهات إلينا إلى أن صرنا إلى ما كنا عليه.

قال آخر: وحتى تتضح لكم صورة ما حصل لنا؛ فسنذكر لكم المراحل الأربعة التي مررنا بها، والتي قادنا فيها شياطين الإنس والجن.

قال آخر: أما أولها؛ فتلك المنابع المدنسة التي جعلتنا ننصرف عن الهدي الإلهي المقدس.. وهي لا تختلف كثيرا عن المنابع التي استقى منها الحشوية والكشفية والمشككون.

قال آخر: وأما الثاني؛ فجرأتنا على القرآن الكريم، وتعاملنا معه ككتاب عادي كسائر الكتب، بل أقل من ذلك، حيث اعتبرناه منتوجا ثقافيا لرجل كان في بيئة جاهلية، وكان كل همه تصحيح أوضاعها، لا هداية العالم أجمع.

قال آخر: وأما الثالث؛ فجرأتنا على تبديل الحقائق القرآنية عن معانيها ومواضعها، حيث رحنا نشذ عن كل ما ذكره علماء المسلمين من كل المدارس، لنجعل منها أوهاما متناسبة مع الفلسفات المادية، والحضارة الغربية، لا مع الدين الحق، ولا مع العقل السليم والفطرة النقية، ولا مع القرآن الكريم الذي حملناه ما لا يحتمل من المعاني.

قال آخر: وأما الرابع؛ ؛ فجرأتنا على تبديل القيم القرآنية بأنواعها المختلفة، لنجعل من أحكام الإسلام وتشريعاته أحكاما متناسبة مع أهوائنا، ومع المتآمرين علينا، والذين رأوا عدم جدوى تشكيكاتهم وتحريفاتهم؛ فراحوا يستعملوننا وسيلة لذلك الغرض الخبيث.

1. منابع التبديل:

قال أحد الحضور: بورك فيكم، وفي تقواكم التي جعلتكم لا تكتفون بإسرار التوبة، وإنما رحتم تعلنونها بيننا، ونحن نطلب منكم أن تفعلوا مثلما فعل إخوانكم الحشوية والكشفية والمشككين، بأن تبصرونا بالمنابع التي جعلتكم تقعون فيما وقعتم فيه، حتى نحصن ديننا من كل من يريد تدنيسه أو تبديله أو التلاعب به.

قال أحد المبدلين: يمكننا تصنيف تلك المنابع إلى أربعة منابع، وكلها نابعة من نفوسنا الأمارة، لا من العقل ولا من الدين.

قال آخر: أما أولها وأخطرها؛ فهو كبرنا واستعلاؤنا

ومحاولتنا التميز عن نظرائنا من المؤمنين، حيث رحنا نستعلي عليهم، وندعي أننا أكثر فهما للقرآن والدين منهم، بل ندعي أننا مجددون ومجتهدون، مع أننا في الحقيقة لم نكن سوى أتباعا ومقلدين لكل الحاقدين والمبغضين للقرآن والدين.

قال آخر: وأما الثاني؛ فهو طمعنا في تلك التحفيزات التي وضعها المتآمرون على ديننا وأمتنا، حيث رحنا نقدم لهم خدماتنا مقابل دعمهم وتشجيعهم لنا.

قال آخر: وأما الثالث؛ فقد دفعنا إليه الثاني، وهو التتلمذ على أولئك الذين لا يمكن أن يشجع أو يحفز أو ينال الجوائز من لم يجعلهم أساتذته؛ فيسير على دربهم، وينسخ دينه وعقله وكل شيء لأجلهم.

قال آخر: وأما الرابع؛ فهو النتيجة التي خلصنا إليها من كل ذلك.. وهي التبعية العمياء الصماء البكماء التي لا تفرق بين الصالح والطالح، ولا بين الطيب والخبيث.. ولذلك صرنا بسببها مجرد أذناب، وإن ادعينا أننا سادة ومتنورون.. ومقلدون، وإن ادعينا أننا مجتهدون ومجددون.

أ. الكبر والتميز:

قال أحد الحضور: فحدثونا عن المنبع الأول من المنابع المدنسة.

قال أحد المبدلين: إنه ذلك الذي وصفه الله تعالى بقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [غافر: 83]؛ فهذه الآية الكريمة تصف حالنا النفسية بكل دقة، ذلك أن فرحنا بما عندنا، وغرورنا بأنفسنا هو الذي حال بيننا وبين تلقي أنوار الهداية التي خص الله تعالى بها من يقرؤون كتابه.

قال آخر: ذلك أن كتاب الله عزيز، مثلما الله عزيز، ولا يناله إلا من تضمخوا بعطر التواضع والعبودية؛ فلم يستكبروا على الله ولا على عباده ولا على كتابه.

قال آخر: كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [السجدة: 15 ـ 16]، وقال: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا

وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَـانِ يَبْكُـونَ وَيَزِيـدُهُمْ خُشُـوعًا﴾ [الإسـراء: 107 ـ 109]؛ فالسجود الذي يمارسه هؤلاء عند سماعهم للقرآن الكريم ليس مجرد حركات جسدية، بل هو ينبع من كـل لطـائفهم الـتي تعلن خضوعها لله، ولكلماته المقدسة.

قـال آخـر: ولـذلك يصـيبها الوجـل عنـد تلاوة كلام ربهـا لمعرفتهـا بعظم الكلام والمتكلم، كمـا قـال تعـالى: ﴿إِنَّمَـا الْمُؤْمِنُـونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِـرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُـوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُـهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًـا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُـونَ الَّذِينَ يُقِيمُـونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: 2 ـ 4]

قال آخر: ولذلك كان فعل القرآن الكريم عكسيا فينا، لأننـا لم نستقبل هداية الله بقلوب واعية متواضعة، وإنما بكبر وتعالٍ، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْـزِلَتْ سُـورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُـولُ أَيُّكُمْ زَادَتْـهُ هَـذِهِ إِيمَانًـا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُـوا فَـزَادَتْهُمْ إِيمَانًـا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُـوبِهِمْ مَـرَضٌ فَـزَادَتْهُمْ رِجْسًـا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: 123 ـ 125]

قال آخر: وهكذا؛ فإن كل الآيات التي تخبر عن المجـادلين المستكبرين كانت تنطبق علينا، ذلك أنا لم نكن نقدم علمـا، ولا بحثا، وإنما كنا نقدم سفسطة وجدلا.

قال آخر: ولذلك كان ينطبق علينا تماما قوله تعالى: ﴿وَمَـا نُرْسِـلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّـرِينَ وَمُنْـذِرِينَ وَيُجَـادِلُ الَّذِينَ كَفَـرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُـوا بِـهِ الْحَـقَّ وَاتَّخَـذُوا آيَـاتِي وَمَـا أُنْـذِرُوا هُـزُوًا﴾ [الكهف: 56]، وقوله: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَـرُوا فَلَا يَغْـرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ كَـذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَـوْمُ نُـوحٍ وَالْأَحْـزَابُ مِنْ بَعْـدِهِمْ وَهَمَّتْ كُـلُّ أُمَّةٍ بِرَسُـولِهِمْ لِيَأْخُـذُوهُ وَجَـادَلُوا بِالْبَاطِـلِ لِيُدْحِضُـوا بِـهِ الْحَـقَّ فَأَخَـذْتُهُمْ فَكَيْـفَ كَـانَ عِقَـابِ﴾ [غـافر: 4 ـ 5]، وقوله: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْـرِ سُلْطَانٍ أَتَـاهُمْ كَبُـرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَـذَلِكَ يَطْبَـعُ اللَّهُ عَلَى كُـلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: 35]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْـرِ سُـلْطَانٍ أَتَـاهُمْ إِنْ فِي صُـدُورِهِمْ إِلَّا كِبْـرٌ مَـا هُمْ بِبَالِغِيـهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غـافر: 56]، وقوله: ﴿أَلَمْ تَـرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَـادِلُونَ فِي آيَـاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْـرَفُونَ الَّذِينَ كَـذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُـلَنَا فَسَـوْفَ يَعْلَمُـونَ﴾ [غـافر: 69 ـ 70]، وقولـه: ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَـادِلُونَ فِي آيَاتِنَـا مَـا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾

[الشورى: 35]

قال آخر: ولذلك لم نكن نجادل بالتي هي أحسن، ولا بالحق، ولا طلبا للحق، وإنما كنا نجادل باستعلاء وكبر، لأنا كنا نحتقر كل العلماء والفقهاء والمفسرين.. بل نحتقر حتى سنة رسول الله ﷺ نفسها؛ فنلغيها جميعا، ومن غير نظر لا في أسانيدها أو معانيها أو عرضها على القرآن الكريم.

قال آخر: لقد جعلنا هذا الكبر نقع في ثلاث منابع شيطانية جرتنا إلى ما جرتنا إليه، ابتدأت برفض كل ما اتفقت عليه الأمة وفهمته من دينها، وبجميع علمائها وطوائفها ومدارسها.

قال آخر: وقد جعلنا ذلك نرفض كل ما ورد في كتب الحديث، حتى تلك التي توافق القرآن الكريم وتفسره وتبين كيفية تنفيذه في الواقع، وترسم أجمل الصور في ذلك.

قال آخر: وقد جرنا ذلك إلى احتقار كل علماء الدين، وفي جميع العصور، في نفس الوقت الذي نكل نقدم فيه كل قرابين الذلة للملاحدة والمنحرفين.

رفض الإجماع:

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فحدثونا عن المنبع الأول من منابع الانحراف، ذلك الذي جعلكم تشذون عن كل ما أجمعت عليه الأمة في جميع عصورها.

قال آخر: لكن الذي نعلمه أن الإجماع، وعند أكثر العلماء مجرد دعوى؛ فقد قال أحمد بن حنبل عنه: (من ادعى الإجماع فقد كذب، وما يدريك لعلهم اختلفوا)[1]

قال أحد المبدلين: ليتنا اكتفينا بخرق هذا النوع من الإجماع؛ فنحن لم نفعل ذلك، وإنما خرقنا إجماع الأمة جميعا.. ذلك الذي لا يحل الخروج عليه، وهو ما عبر عنه رسول الله ﷺ بقوله: (إن الله قد أجار أمتي من أن تجتمع على ضلالة)[2]

قال آخر: والقرآن الكريم يدل على هذا، ذلك أن وقوع جميع الأمة في الباطل يعني انتصاره على الحق مع أن الله تعالى أخبر أن الحق لن ينطفيء نوره أبدا، كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِيءوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: 8]، وقال: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: 81]

---

1 () إقامة الدليل على إبطال التحليل ص275.

2 () أبو داود 4/98، حديث 4253، وابن ماجه، حديث رقم3950، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة المختصرة (ج 3 /ص 319)

قال آخر: وقد أخبر الله تعالى عن بني إسرائيل أنهم لم يجمعوا على تحريف الدين، بل بقيت منهم طائفة صالحة، إلى أن جاء الإسلام فاتبعته، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: 159]

قال آخر: وأخبر رسول الله ﷺ أن هذه الأمة كذلك، لن يجمع الكل على الانحراف، بل ستبقى طائفة ملتزمة بالحق، حتى تقام الحجة على الخلق.. ذلك أنه لو لم يبق إلا الباطل المجرد، لما استطاع الخلق التمييز بين الحق والباطل.

قال آخر: وقد نص على ذلك قوله ﷺ: (لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله)[1]

قال آخر: وبذلك تنقطع حجة كل من يريد أن يأتي في الدين بالجديد الذي يغيره من جذوره، كما راح يفعل أساتذتنا المبدلين الذين يريدون إنشاء دين جديد لا علاقة له بما اتفقت عليه الأمة.

قال آخر: وهذا لا يعني أننا لا نجتهد في فهم النصوص، ولا في استفادة الجديد منها، ولا في البحث عن كيفية تفعيلها في الحياة، ذلك أن كل هذا بناء، وليس هدما.. وإنما نعني به ذلك الهدم الذي ينقض الدين من أساسه، باستعمال الحيل السفسطائية المستفادة من المناهج المختلفة.

قال آخر: وقد لجأ أساتذتنا إلى خرق إجماع الأمة ــ لا الطوائف ـ حتى يتاح لهم أن يدلوا بأقوال لم يسبقهم إليها أحد، وبذلك يعتبرون أنفسهم، أو يعتبرهم جمهورهم أصحاب مشاريع تجديدية؛ فهم لا يريدون أن يظهروا بين الناس بأنهم مقلدة، أو بأنهم يجترون أقوال من سبقهم.

قال آخر: وهذا الخرق ييسر عليهم أيضا التعامل مع القضايا المختلفة بسهولة ويسر، ذلك أنهم لن يحتاجوا إلى البحث في كتب العقيدة ولا الفقه ولا الحديث ولا التفسير، ولا يحتاجون لمراجعة العلماء من المدارس المختلفة للتحقق في أنواع البراهين، وأنماط الحجج، وإنما يكفيهم أن يدلوا برأيهم، ثم بقنبلة واحدة يرمون جميع الفقهاء والمفسرين والمحدثين من المدارس المختلفة من غير أن يطلعوا على أقوالهم، أو يكلفوا أنفسهم عناء فهمها.

1 () البخاري 6/731، حديث 3641، ومسلم 3/1524.

قال آخر: وهذا الخرق ييسر عليهم أيضا أن يكونـوا أحـرارا غير محاطين بأي قيود تحول بينهم وبين التفكـير الحـر، الـذي لا يتقيد بأي قيود حتى لو كانت قيود الشريعة نفسها.

قال آخر: ولـذلك مـا أسـهل لمن يفكـر بهـذه الطريقـة أن يحدد أهدافه من الدين، ثم يحدد بعد ذلك وسائله لتحقيقها، وقد يستفيد ذلك من التيارات الفكرية المختلفة.. ليحمل الـدين بعـد ذلك عليها.. فإن كان شيوعيا حول من الدين نظريـة شـيوعية.. وإن كـان وجوديـا جعـل من الـدين وسـيلة لتحقيـق الـرؤى الوجوديـة.. وإن كـان يـرى أن غايـة الحيـاة هي تحقيـق الديمقراطية حول الدين جميعا أداة لتحقيق الديمقراطية.

قال آخر: وهو لن يستعمل في ذلك إلا بعض الخدع والحيل الـتي اسـتعملها السفسـطائيون، والـذين قضـوا على المنطـق، وعلى كل معقول مثلما أساتذتنا أدعيـاء التنـوير والحداثـة على كـل قطعي من الحقـائق، وكـل متفـق عليـه من شـؤون الـدين والدنيا.

قال آخر: لقد رأينا في هذا السبيل يستعملون الكثـير ومن الحيـل.. ومن أبشـعها أنهم يلجـؤون إلى الخصـام الحاصـل بين الفرق الإسلامية؛ فيستفيدون من ردود السـنة على الشـيعة، أو من ردود الشيعة على السنة.. ليضربوا كلا من السنة والشيعة.. ولا يعلمون أنهم لا يضـربون فقـط مواضـع الخلاف بينهم، وإنمـا يضربون أيضا مواضع الإجماع والاتفاق.

قـال آخـر: وهم بـذلك يفعلـون مثلمـا يفعـل ذلـك الملفـق المحتال على الدين، والذي عبر عنه أبو نواس بقوله:

أبـاح العـراقيّ النّبيـذ ... وقـال: حرامـان

وقـال الحجـازي: ... فحـلّ لنـا من بين

سـآخذ من قوليهمـا ... وأشـربها لا فـارق

وعـبر عنـه آخـر نـثرا، فقـال: (أبـاح أهـل الحـرمين الغنـاء وحرموا النبيذ، وأباح أهل العراق النبيذ وحرموا الغناء، فأوجـدونا السبيل إلى الرخصة فيهما عند اختلافهما إلى أن يقع الاتفاق)[1]

قال آخر: وهذا هو منهجهم في النقـد الـذي يسـمونه [نقـد العقل العربي] أو [نقد العقل الإسلامي]، فهم لا يقصدون النقـد

---

1 () محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (1/769)

البناء الذي يستهدف جزئيات القضـايا، وإنمـا النقـد الكلي الـذي يجهز على كل شيء.

قال آخر: حتى تلك القطعيات المتفق عليها، كالإيمان بالله وملائكتـه وكتبـه ورسـله واليـوم الآخـر، وأكـثر مسـائل القضـاء والقدر والحكمة والتعليل، أو مسائل الفقه وقضـاياه، سـواء في أبواب العبادات أو المعـاملات، باعتبـار أن أصـول هـذه الأبـواب مذكورة في القرآن الكريم بصيغة قطعية، لتحفـظ وحـدة الأمـة في هذا الجانب.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك قـول أحـد أسـاتذتنا، وهـو محمد شحرور، متهما كل من سبقه بعدم فهم القـرآن الكـريم، حتى أولئك الذين نزل القرآن الكريم عليهم، وبلغتهم، فقد قال: (لقد اهتم العرب بفهم الرسالة اهتمامـا شـديدا، وأعطوهـا كـل وقتهم وجهـــدهم، وجاهـــدوا في نشـــرها بين الأمم، ولكنهم لم يهتموا بفهم القرآن، لأن القرآن بحاجة إلى تفرغ ووضع حضاري معين وبحث علمي)(1)

قـال آخـر: ثم راح يسـتدل لكـبره هـذا بـالقرآن الكـريم، فاقتبس قوله تعـالى: ﴿وَقُرْآنًـا فَرَقْنَـاهُ لِتَقْـرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَـاهُ تَنْـزِيلًا﴾ [الإسـراء: 106]، وعلـق عليـه بقولـه:(قـال: ﴿على الناس﴾، ولم يقل على الذين اتقـوا، فكلمـا زادت معاهـد البحث العلمي وزاد عـــدد المتفـــرغين لهـــذا البحث، وزاد عـــدد الاختصاصـات زاد فهم النـاس للقـرآن، هـذه الشـروط لم تكن متوفرة في عهد النبـي ﷺ)(2)

قال آخر: وهكذا راح يطبق قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَـا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: 30] على كل المؤمنين والعلماء والصالحين الـذين عاشـوا بـالقرآن وللقـرآن، فقد قال فيهم: (فقوم الرسول هم العرب، كـل العـرب، لاحـظ قوله ﴿إن قومي﴾ إذ لم يقل: إن الذين كفـروا من قـومي، ولـو عنى المسلمين لقال أمتي، لأن العرب قومه والمسلمون أمتـه، هذه الآية تنطبق على العرب جميعا بما فيهم الصحابة والخلفـاء الراشدين إلى علي بن أبي طالب)(3)

رفض السنة:

1 () الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، د. محمد شحرور، ص (129)
2 () الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، د. محمد شحرور، ص (129)
3 () الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، د. محمد شحرور، ص (129)

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فحدثونا عن المنبع الثاني من منـابع الانحـراف، ذلـك الـذي جعلكم تنفـرون من السـنة، ولا تستفيدون منها.

قال أحد المبدلين: ليتنا اكتفينا بذلك؛ بل كنـا نسـخر منهـا، ومن أحاديثها، من غير تمييز بين صحيح وضعيف، وبين ما وافـق القرآن الكريم وما لم يوافقه.

شبهات:

قال آخر: بل كنا نذبها عنا مثلما نذب الذباب، لا نتكلف في ذلك أي عناء ولا جهد ولا بحث.. فلازمتنا المعروفـة هي مخالفـة السنة للعقـل، وللقـرآن، وللفطـرة، وأنهـا من نتـاج الأمـويين أو العباسـيين، أو من نتـاج الكـذابين الوضـاعين، حـتى يتـوهم من يستمع لنا أن هذه النتائج قـد تولـدت عن بحث طويـل، أو عنـاء شـديد في النظـر في أسـانيد الأحـاديث أو طرقهـا، أو أننـا كنـا نعرضها حديثا حديثا على القرآن الكريم أو العقل الحكيم.. بينما لم نكن نفعل شيئا من ذلك.. ذلك أننـا لم نكن نعرضـها إلا على هوانـا المجـرد، والـذي نسـميه مـرة قرآنـا، ومـرة عقلا، ومـرة فطـرة، وهـو في حقيقتـه لا يعـدو أن يكـون هـواجس نفوسـنا الأمارة، أو وساوس شياطيننا الملعونين.

قال آخر: وقد كنا نضربها بالقرآن الكريم بـزعم أنـه حـوى كـل شـيء، ليخلـو لنـا الجـو معـه؛ فنبدلـه كمـا نشـاء، من غـير مراعـاة لأي حـدود أو ضـوابط، لا للسـنة المطهـرة، ولا لاتفـاق المسلمين على المعاني والحدود.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما قاله أحد الذي يزعمون لأنفسهم أنه من القرآنـيين، وهـو عبـد اللـه جكرالـوي مؤسـس فرقة القرآنيين: (إن الكتاب المجيد ذكر كـل شـيء يحتـاج إليـه في الـدين مفصـلا ومشـروحا من كـل وجـه، فمـا الـداعي إلى الوحي الخفي ومـا الحاجـة إلى السـنة)[1]، وقـال: (كتـاب اللـه كامل مفصل لا يحتاج إلى الشـرح ولا إلى تفسـير محمـد ﷺ لـه وتوضيحه إياه أو التعليم العملي بمقتضاه)[2]

قال آخر: بل وصلت به الجرأة إلى قولـه: (إنـا لم نـؤمر إلا باتباع ما أنزله الله بالوحي، ولو فرضنا جـدلاً صـحة نسـبة بعض

---

1) مجلة إشاعة القرآن ص 49 العدد الثالث سنة 1902م، وإشاعة السنة 19 ص 286 سنة 1902.

2) ترك افتراء تعامل 10 وقد قال بمثله الخواجه أحمد الدين والحافظ أسلم. انظر برهـان القـرآن 4، ونكـات قرآن 49.

الأحاديث بطريق قطعي إلى النبي ﷺ، فإنها مع صحة نسـبتها لا تكون واجبة الاتباع؛ لأنها ليست بوحي منزل من الله عـز وجـل)[1]

قال آخر: وقال في موضع آخـر: (يعتقـد أهـل الحـديث أن نزول الوحي من الله عز وجل إلى نبيـه ﷺ قسـمان: جلي متلـو وخفي غـير متلـو، والأول: هـو القـرآن، والثـاني: هـو حـديث الرسـول ﷺ.. غـير أن الـوحي الإلهي هـو الـذي لا يمكن الإتيـان بمثله، بيد أن وحي الأحاديث قد أتى له مثيل بمئات الألـوف من الأحاديث الوضعية)[2]

قال آخـر: وهم يشـبهون اهتمـام المسـلمين للحـديث بمـا فعلـه اليهـود، وقـد قـال بعضـهم في ذلـك:: (إنّ هـذا التقسـيم للــوحي معتقــد مســتعار من اليهــود (شــبكتب) المكتــوب، و(شَبْعَلْفَهْ) المنقول بالرواية وأنه لا صلة به بالإسلام)[3]

قال آخر: ويقول خواجه أحمـد الـدين: (إن الأصـل الـذي لا يتغير ولا يتبدل هو الوحي الإلهي فحسـب، وهـل أمرنـا بـالبحث عن الوحي الإلهي في التوراة والإنجيل.. أو البخـاري ومسـلم أو الترمذي وأبي داود وابن ماجه أو مسانيد أئمة آخرين)[4]

قـال آخـر: بـل وصـل بنـا الأمـر إلى اعتبـار الاهتمـام بهـا وتحكيمها شركا، وقد قال أستاذنا عبد اللـه جكرالـوي في ذلـك: (الحض على أقوال الرسل وأفعالهم وتقريراتهم مع وجود كتاب الله علة قديمة قدم الزمن، وقد برأ الله رسله وأنبياءه من هذه الأحاديث، بل جعل تلك الأحاديث كفراً وشركاً)[5]

قال آخر: وقال الخواجـه أحمـد الـدين: (لقـد وضـع النـاس لإحياء الشرك طرقاً متعددة، فقالوا: إنا نؤمن أن الله هو الأصل المطاع، غير أن الله أمرنا باتباع رسوله، فهو اتبـاع مضـاف إلى الأصل المطاع، وبناء على هذا الـدليل الفاسـد يصـححون جميـع أنواع الشرك، فهل يصبح الأجنبي زوجـا لمتزوجـة بقـول زوجهـا إنها زوجته، ألا وإن اللـه لم يـأمر بمثـل ذلـك ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ

---

1 () نقلا عن إشاعة السنة ج١٩ /٢١٩.

2 () مجلة إشاعة القرآن ٣٥ العدد الرابع ١٩٠٣م.

3 () مقام حديث ٤٦.

4 () برهان فرقان ٤.

5 () ترك افتراء تعامل ١٠ وانظر المباحثة ٤٢.

أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ [يوسف: 40])[1]

قال آخر[2]: ومن المبررات الواهية التي كنا نستعملها أن التمسك بالسنة يفرق الأمة وأنها لو انسلخت منها لاتحدت، وقد قال بعضنا في ذلك: (لا ترتفع الفرقة والتشتت عن المسلمين، ولن يجمعهم لواء ولا يضمهم مكتب فكر موحد، ما بقوا متمسكين بروايات زيد وعمرو)

قال آخر[3]: وقال آخر: (لن تتحقق وحدة المسلمين ما لم يتركوا كتبهم الموضوعة في طاعة الرسول ﷺ، ولن يروا سبيل الرقي والتقدم ما لم يمح عنهم التشتت والفرقة)

قال آخر[4]: وقال آخر: (قد فاق تقديس هذه الكتب (كتب السنة) كل التصورات البشرية، مع أنها جزء من مؤامرة أعجمية استهدفت النيل من الإسلام وأهله)، ويعلل ذلك فيقول: (فما أصحاب الصحاح السنن إلا جزء من تلك المؤامرة، لذا نجدهم إيرانيين جميعا، لا وجود لساكن الجزيرة بينهم، والشيء المحير للعقول أن العرب لم يسهموا في هذا العمل البناء، بل أسندوا جمع الأحاديث وتدوينها إلى العجم حتى تم بناء هذا الصرح المؤامر)[5]

قال آخر[6]: وكنا نذكر في أحسن أحوالنا أن الخطاب بالأحاديث كان موجهاً لأمة خاصة وهم العرب في زمن النبي ﷺ بما يوافق ظروفهم الخاصة، فلا تلزمنا طاعته إذ كانت مقيدة بزمنه، وزالت بوفاته ﷺ، وقد قال بعضنا في ذلك: (اعلم أن طاعة الرسول ﷺ كانت طاعة مقيدة بزمنه، وامتثال أحكامه، لا تتجاوز حياته، وقد أوصد هذا الباب منذ وفاته ﷺ)

قال آخر[7]: وقال آخر: (لقد كانت إرشاداته ﷺ تصدر وفق ظروف أصحابه، ولو كنا في تلك الآونة لوجب علينا اتباع أقواله وإرشاداته ﷺ وكما أن خطاب القرآن عام عندنا غير أن المخاطبين بالأحاديث أمة خاصة وهم العرب)

قال آخر: وكنا نشكك في ثبوتها جميعا، اعتمادا على ما

---

1 () تفسير بيان للناس ج ٢ /٣٩٥ و٤٤٥.
2 () نقلا عن شبهات القرآنيين، ص 55.
3 () نقلا عن شبهات القرآنيين، ص 55.
4 () نقلا عن شبهات القرآنيين، ص 55.
5 () مقام حديث ٢٢.
6 () شبهات القرآنيين، ص 59.
7 () شبهات القرآنيين، ص 59.

ورد من الروايات الضعيفة، أو الأسانيد المريضة، أو ذلك الوضع الذي انتشر في فترات مختلفة من التاريخ، والذي كان يدعونا إلى البحث والتحقيق لتمييز الخبيث عن الطيب، لكننا رمينا الجميع.

قال آخر: وقد قال بعضنا يبرر ذلك: (لو كانت السنة جزءاً من الدين لوضع لها رسول الله ﷺ منهجا كمنهج القرآن من الكتابة والحفظ والمذاكرة.. لأن مقام النبوة يقتضي أن يعطي الدين لأمته على شكل محفوظ، لكنّه ﷺ احتاط بكلّ الوسائل الممكنة لكتاب الله، ولم يفعل شيئا لسنّته، بل نهى عن كتابتها بقوله: لا تكتبوا عني غير القرآن، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه)[1]

قال آخر: وقال آخر: (لم تدون السنة أيام حياته ﷺ، وتنوقلت سماعاً إلى القرن الثالث الهجري، وإذا كان سامعونا لا يستطيعون ذكر ما تحدثنا عنه في خطبة الجمعة الماضية فكيف بسماع مائة سنة وصحة بيانه)[2]

قال آخر: وقال آخر: (بالإضافة إلى هذا التأخر في تدوين السنة كان المجتمع المدني يضم كثيراً من المنافقين في صفوفه، وقد استحالت معرفتهم على النبي ﷺ فخاطبه ربه بقوله: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: 101]، فهذه الآية وشبيهاتها تنفي معرفة الرسول بهم، وأي شخص أكثر معرفة منه ﷺ بهؤلاء)[3]

قال آخر: وقال: (ليس في وسع المرء أن يطلع على حقيقة رواة الحديث صدقاً وكذباً؛ لأنهما من الأمور الباطنية التي لا يطلع عليها إلا العليم بذات الصدور)[4]

قال آخر: وقال آخر: (قد كان للعواطف البشرية يد في تصحيح السنة وتضعيفها، وإنا لنرى توثيق الرواة لم ينحصر في الصدق فحسب، بل تجاوزه إلى التلمذة والتشيخ والمشاركة الفكرية والعواطف والميول الوجدانية)[5]

---

1 () مقام حديث 7.
2 () مجلة إشاعة السنة ج ١٩/ ١٥٢ عام ١٩٠٢م.
3 () إشاعة السنة ج ١٩/ ١٥٢ عام ١٩٠٢.
4 () إشاعة السنة ج ١٩/ ٢٠٠ عام ١٩٠٢.
5 () مقام حديث ١٢٥.

قال آخر: وهكذا كنا نستعمل كل الحيل لرفضها وإلغائها، حتى مع وضوح الآيات الدالة عليها، والتي كنا نحتال عل تأويلها بمثل هذا التأويل الذي ذكره محمد شحرور لقوله تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44]، فقد قال: (أخذ البعض هذا القول على ظاهره، وفهموا أن الذكر مفتقر إلى بيان، والمفتقر إلى البيان مجمل يلزم البيان لتفصيله.. ونحن نقول إن ما قاد إلى هذا كله هو التبيان والبيان؛ فالأمر بالتبيين الوارد في آية النحل أمرٌ بالإظهار والإبانة وعدم الكتمان، وهذا أوضح من أن ينكره أحد) [1]

قال آخر: ثم استدل بالآيات الكريمة التي تتحدث عما حواه القرآن الكريم من أصناف البيان والبينات والهدى ليضرب به وظيفة رسول الله ﷺ في البيان، ومن أمثالها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: 159].. وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: 187].. وقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: 15]، وقوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: 187]

قال آخر: وبعد أن استعرض هذه الآيات وغيرها، قال: (عندما ننظر في اللسان العربي فنجد هذا المعنى أوضح مرة أخرى من أن يتجاهله ذو لب؛ فالبينة، هي الدليل الظاهر المنظور، ومنه جاءت الآيات البينات أي الظاهرات الباديات للعيان.. نعود لننظر في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: 114]، وقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: 3 ـ 4].. فالتبيّن عند إبراهيم هو الظهور؛ فهو عندما تأمل وأعمل عقله وظهر له أن أباه عدو لله تبرأ منه، والله علّم الإنسان إبانة أفكاره والتعبير والإعراب عنها للآخرين ليتحقق التعارف والتواصل بين الجماعات والأفراد

1 () من كتاب: نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، موقع شحرور.

الذي أشار إليه تعالى في آيات أخرى)[1]

قال آخر: وبعد أن ذكر كل هذا راح يستعمل هـذه المعـاني الصحيحة في التأويل المحرف، فقال: (فأية سنة نبوية محمديـة هذه، التي يحتاج إليها الإنسان في طوكيـو والقـاهرة وواشـنطن وجبال هملايا، للتعبير عن أفكاره وبيانها وإظهارها؟)[2]

قال آخر: وبعد استعراضه للآيات التي تتحدث عن اشـتمال البيان القرآني لكل شيء، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْـرَى لِلْمُسْـلِمِينَ﴾ [النحـل: 89]، وقوله: ﴿كِتَـابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُـهُ ثُمَّ فُصِّـلَتْ مِنْ لَـدُنْ حَكِيمٍ خَبِـيرٍ﴾ [هود: 1]، وغيرها، قال: (ونحن مع هذه الآيات، وغيرها كثير، أمـام وصف محدد لا لبس فيـه، يصـف بـه تعـالى تنزيلـه الحكيم بأنـه مبين ظاهر للعيان، وواضـح مكشـوف أمـام الأبصـار والبصـائر، ومفصل لكل شيء، ولا يسعنا أمامها إلا أن نسأل: مـا الحاجـة ـ إذا كان ذلك كذلك ــ إلى سـنة نبويـة تفصِّـل المفصـل، وتوضـح الواضح، وترفع اللبس عن كتاب لاريب فيه؟)[3]

قـــال آخـــر: ثم راح يتلاعب على عقـــول المســـتمعين والمشاهدين له، فقال: (ونضرب هنـا مثلاً، ولله المثـل الأعلى، فعندما يزور رئيس دولة مـا دولـة أخـرى، ويجتمـع مـع رئيسـها، يصدر عنهما بيان مشـترك عمـا تم بحثـه وتم التوصـل إليـه في المحادثـات، فيأخـذ هـذا البيـان إنسـان ويعلنـه على النـاس بالوسـائط المعمـول بهـا، دون أن تكـون لهـذا الإنسـان علاقـة بعباراته وصياغته، ولا بمعانيـه ومضـامينه، إذ تنحصـر علاقتـه بـه بإعلانـه وإذاعتـه على النـاس، فالبيـان غـير المـذاع والمعلن لا يكون بياناً أصلاً)[4]

قـال آخـر: وعقب على هـذا الاسـتدلال العجيب بقولـه: (والتنزيل الحكيم ودور النبي كرسول في بيانـه بإظهـاره وعـدم كتمانـه، وفي إعلانـه وإذاعتـه على النـاس لا يخـرج أبـداً عمـا ذكرنـا.. فنحن إذن أمـام نص إلهي مـوحى، صـاغه اللـه تعـالى بشكله المنطوق، فتـنزلت هـذه الصـياغة على النـبي، وتحـددت مهمته كرسول في إعلانها للناس ببيانهـا وعـدم إخفائهـا كليـاً أو جزئياً وفي تبليغها لهم بلاغاً مبيناً، أي معلناً مذاعاً بشـكل واضـح

1 () المرجع السابق.
2 () المرجع السابق.
3 () المرجع السابق.
4 () المرجع السابق.

وصـريح دون زيـادة أو نقصـان وبيـان الشـعائر وتبليـغ أحكـام الرسالة، في ضوء أن صائغ هذا الذكر، وهو الله سـبحانه، تعهـد بشرحه وتوضيحه)[1]

قال آخر: ومثل ذلك راح يـؤول قولـه تعـالى: ﴿وَمَـا يَنْطِـقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: 3 ـ 4]، لينفي عنه الدلالة على حجية سنة رسـول اللـه ﷺ، حيث قـال: (لـو صـدق قـولهم لـوجب حتمـاً أن يـدخل الحـديث النبـوي في الحفـظ الإلهي، ولوجب حتماً أن يخلـو من الإشـكال والاختلاف الكثـير، ولـوجب حتمـاً أن تكـون روايتـه باللفـظ لا بـالمعنى، ولوصـلنا ملفوظـاً منطوقاً كما لفظه النبي ونطقه، تماماً كمـا وصـلنا الـذكر بلفـظ ونطق الرسول ﷺ منذ خمسة عشر قرناً، فالكتاب الوحيد الـذي ينطبق عليـه وصـف: قـال اللـه، نطـق رسـول اللـه، هـو الـذكر الحكيم.. وهـذا الوصـف لا ينطبـق على كتب الحـديث ولا حـتى على المتواتر منه)[2]

قال آخر: ومثل ذلك راح يـؤول قولـه تعـالى: ﴿وَمَـا آتَـاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْـهُ فَـانْتَهُوا﴾ [الحشـر: 7]، لينفي عنـه الدلالة على حجية سنة رسول الله ﷺ، حيث قـال: (فيـذكر أولاً هذا جـزء من آيـة الحشـر الـتي تتحـدث عن الفيء ومصـارفه.. والإيتـاء هـو الإعطـاء كمـا في قولـه تعـالى: ﴿وَآتُـوا الْيَتَـامَى أَمْوَالَهُمْ﴾ [النسـاء: 2].. وكلها تصـب في مـدار الآيـة أي في الفيء ومصـارفه.. ولـذلك نـرى أن خصوصـية السـياق لا تسـمح لنـا بإطلاقه وتعميمه وسحبه على كل ما ورد في كتب الحديث)[3]

قال آخر: ويضيف إلى ذلك كله الاستدلال بالآيات الكريمـة الآمرة بالتـدبر والتعقـل والتـذكر، على رفض السـنة وإقصـائها، فيقول: (ثمة نقطة أخيرة نقف عندها قبل أن نتابع، هي أنـه لـو كان الأمر كما يقولون: كتاب مجمل، وسنة مفصِّـلة.. فلن يبقى أي معنى للتفكر والتدبر والتأمل والتعقل عند الناس، ولن يبقى أي معنى لقوله تعـالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَـاهُ قُرْآنًـا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُـونَ﴾ [يوسف: 2])[4]

قال آخر: وهو في الحقيقة لا يقصد بهذا إلا ما يفعله أمثاله من إقصاء السنة ورفضها ليتاح لهم المجال في إعمـال أهوائهـا

1 () المرجع السابق.
2 () المرجع السابق.
3 () المرجع السابق.
4 () المرجع السابق.

كمـا يشـاؤون في تفسـير القـرآن الكـريم والتلاعب بأحكامـه وتبديلها كما يشاءون.

قال آخر: وإمعانا منه في التلاعب بالألفاظ يستدل بالقرآن الكـريم على التفريـق بين مـا يطلـق عليـه [السـنّة الرسـولية] و[السـنة النبويـة]، فالسـنة الرسـولية عنـده: (هي الرسـالة المحمديـة الـتي أنـزلت وحيـاً على قلبـه، ﷺ، والـوارد في أم الكتـاب، ومـا جـاء فيهـا من منظومـة القيم والشـعائر، ونظريـة الحدود ومبدأ الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكـر، وهي مجـال الأسـوة والطاعـة والقـدوة والاتبـاع)[1]، والـتي يتلاعب بهـا وبمعانيها كما يشاء.

قال آخر: وأما السنة النبوية، فليست هي كل قول أو فعل أو تقرير، بل هي مـا انطبـق عليـه التغيّـر والتبـدّل، على عكس سنّة الله التي لا تتبدل ولا تتغير، ويسـتدل لـذلك بقولـه تعـالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَـدْ سَـلَفَ وَإِنْ يَعُـودُوا فَقَـدْ مَضَـتْ سُـنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفـال: 38]، وقولـه: ﴿قَـدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُـنَنٌ فَسِـيرُوا فِي الْأَرْضِ فَـانْظُرُوا كَيْـفَ كَـانَ عَاقِبَـةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: 137]، ويعقب عليها بقوله: (فالآيـات تصـرح بأن سنن الأولين قد خلت ومضت، وهذا ينفي عنها صفة الأبدية، لأن أهم صفة للسنّة هي (التسنّه) كما في قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَـرَابِكَ لَمْ يَتَسَـنَّهْ﴾ [البقـرة: 259]، فالطعـام يتسـنّه بأن يصـيبه السّـنه وهـو التغـير، والسـنن تتغـير حسـب ظـروف المجتمعـات ومتطلباتهـا المعرفيـة مـع تقـدم الـوقت والأحـداث التاريخية الجارية فيها، على عكس السنّة الإلهية فهي سنّة أزلية وأبدية، كما في قولـه تعـالى: ﴿سُـنَّةَ مَنْ قَـدْ أَرْسَـلْنَا قَبْلَـكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: 77]

قـال آخـر: ولهـذا يسـتعمل الفـرق بين كلمـتي النـبي والرسول، ليفرق بين ما ورد عن رسول اللـه ﷺ على أساسـها؛ فمحمد الرسول عنده فقط من يؤخذ منه الـدين الـذي يفسـره بعد ذلك بهواه.. أما (محمد النبي، والأحاديث الـواردة في مقـام النبـوة لا يمكن أخـذها كمصـدر للتشـريع واتباعهـا رغم أنهـا متوافقة مع التنزيل الحكيم، لأنها جاءت وفق شروط موضـوعية مخصوصة وموجهة لمن عاصره من أفراد مجتمعه فقط.. مثـال ذلـك، الأحـاديث المتعلقـة بموضـوع النكـاح والطلاق في تنظيم

1 () المرجع السابق.

العلاقات الاجتماعية، مثل: يا معشر الشباب من اسـتطاع منكم البـاءة فليـتزوج، فإنـه أغض للبصـر وأحصـن للفـرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه لـه وجـاء، والتمسـوا ولـو خاتمـاً من حديـد، ونهى رسـول اللـه عن زواج الشـغار..، ومثـل أحـاديث تنظيم الـبيع والشـراء: لا يـبيع بعضـكم على بيـع بعض، ولا تناجشوا، ولا بيع حاضـر لبـاد، إن بعت من أخيـك ثمـراً فأصـابته جائحة، فلا يحلّ لك أن تأخذ من ماله شيئاً)[1]

قال آخر: وهو يختصر السنة في عصرها المحدود؛ فيقـول: (أما الاستعانة بأفعال الرسـول وأقوالـه، والتأسـي الحسـن بمـا كان يقول ويفعل، فهـو في أنـه تعامـل مـع التنزيـل الحكيم من خلال السيرورة والصـيرورة التاريخيـة البحتـة للعـرب في شـبه جزيـرتهم، أي في حـدود التـاريخ والجغرافيـا، ضـمن مسـتواهم الاجتماعي والمعـرفي، وضـمن الإشـكاليات المطروحـة أمامـه، بحيث أسس دولـة مركزيـة، وحقـق قفـزة نوعيـة؛ أي أنـه كـان المـرآة الصـادقة الأولى لتفاعـل التنزيـل ككينونـة في ذاتـه مـع حقبة تاريخية زمنية معينة، ومجتمع معين قائم على أرض الواقع الإنساني الموضوعي المباشر)[2]

قال آخر: ومن هذا الباب يختصر شخصـية ويقزمهـا، بحيث لا تتجـاوز الحـدود الضـيقة لزمانهـا ومكانهـا؛ فيقـول: (ومن هنـا نصل إلى القول إن الرسول ﷺ لم يكن فيلسوفاً ولا رجل فكـر، بل كان رجل دعوة جاءه الفكـر من المطلـق وطبقـه في عـالم نسبي محدود زمانياً ومكانياً، وكان حكيماً لأن الحكمة لوحـدها لا تحتاج إلى وحي، ومن هنا أيضاً نصـل إلى القـول بـأن اسـتنباط الفلسـفة الإسـلامية وعلم الكلام يكـون من التنزيـل الحكيم حصراً، لا من أقوال الرسول الأعظم لأن هـذا ليس من مهماتـه كرسول بالأصل، ولا من أقوال معاصري البعثة النبويـة لأن هـذا ليس مطلوباً منهم أصلاً)[3]

قال آخر: ثم عقب بمـا يعتـبره مـبررات لتلـك التصـويرات التي صور بها رسـول اللـه ﷺ، فقـال: (العـرب لم يكونـوا أهـل فلسفة أو أهل علـوم كلام أو أهـل رياضـيات، كـان دورهم أنهم تفاعلوا بكل بساطة مـع التنزيـل الحكيم، ففهمـوا بينـات النبـوة

1 () المرجع السابق.
2 () المرجع السابق.
3 () المرجع السابق.

وأدلتها فيه، وعملوا بما بلغهم من أوامر ونواه، طبقاً لمداركهم وإشكالياتهم الاجتماعية بمختلف صورها القبلية والعشائرية والسياسية والاقتصادية، لذا فليس غريباً أبداً أن تكون السنة بمفهومها التقليدي والمرجعية الصحابية هي السلاح وهي المجن عند أعداء الفلسفة وعلم الكلام، وأعداء التطور وجميع العلوم الإنسانية الأخرى، يشهرونه في وجه كل من يحاول أن يعمل عقله)[1]

ردود:

قال آخر: وكل ما ذكرناه أو ذكره أعلامنا من ذلك ليس سوى مغالطات لا نهدف منها إلا إخلاء الجو لأهوائنا وأساتذتنا ليستبدلوا الهدي النبوي، بما تمليه نفوسهم وأساتذتهم.

حجية السنة:

قال آخر: ولو أنا توضعنا، وعدنا إلى القرآن الكريم لوجدناه يدعونا إلى العودة إلى رسول الله ﷺ لفهم التعاليم القرآنية، ومعرفة كيفية تنفيذها، كما قال تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44]، وقال: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: 7]

قال آخر: وهكذا أمر الله تعالى بالرجوع للنبي ﷺ، واعتباره حكما وشارحا ومفصلا لآيات الذكر الحكيم، في آيات كثيرة، ودلالتها صريحة جدا، ولا ينكرها إلا جاحد، ولعل أشهرها وأوضحها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: 36]، فهذه الآية الكريمة واضحة في دلالتها على كون ما قضى به رسول الله ﷺ هو نفسه ما قضى به الله تعالى؛ فرسول الله ﷺ لا ينطق الهوى.

قال آخر: ومثل ذلك تلك الآيات الكريمة التي تأمر بطاعة رسول الله ﷺ، وتقرنها بطاعة الله، كما قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: 132]، وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى

---

1 () المرجع السابق.

رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ [المائدة: 92]، وقوله: وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ [التغابن: 12]

قال آخر: لذلك نجد الصادقين لا يتجرؤون على ردها، ولا على مناقشتها، ولا على كتمانها، وإنما يجتهدون في تفعيلها في كل شيء، مثلما يجتهدون في تفعيل القرآن الكريم، فكلاهما من مشكاة واحدة، هي مشكاة الحقيقة المطلقة، وقد قال الله تعالى عن رسوله ﷺ: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى [النجم: 3 ـ 4]

قال آخر: ولذلك هم لا يرددون أبدا تلك المقولة التي يرددها من يدعون أنهم قرآنيون، والتي هي سبب كل بلاء وقع في الأمة: (حسبنا كتاب الله)، ذلك أن الله تعالى هو الذي وكل رسوله ﷺ ببيان كتابه، ووضع الضوابط لدينه حتى لا تتلاعب به الأهواء، كما قال تعالى: بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ [النحل: 44]، وقال: وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [النحل: 64]

قال آخر: وقد ورد في الحديث الشريف وصف دقيق لأمثال هؤلاء، والذي لم يخلوا من أمثالهم التاريخ، فقد قال ﷺ: (لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه)[1]

قال آخر: وعن الحسن بن جابر قال سمعت المقدام بن معدي كرب يقول: (حرم رسول الله ﷺ يوم خيبر أشياء، ثم قال: (يوشك أحدكم أن يكذبني، وهو متكئ يحدث بحديثي؛ فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا إن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله)[2]

قال آخر: وقد روي عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ أنه ذكر الشفاعة، فقال رجل من القوم: يا أبا نجيد، إنكم تحدثونا بأحاديث لم نجد لها أصلاً في القرآن، فغضب عمران وقال للرجل: قرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: فهل وجدت فيه صلاة

1 () الترمذي العلم (2663)، أبو داود السنة (4605)، ابن ماجه المقدمة (13)، أحمد (6/8)
2 () الترمذي (2664)، أبو داود (4604)، ابن ماجه (12)، أحمد (4/132)، الدارمي (586)

العشاء أربعاً ووجدت المغرب ثلاثاً، والغداةركعتين، والظهر أربعاً والعصر أربعاً؟ قال: لا، قال: فعمن أخذتم ذلك؟ ألستم عنّا أخذتمونا وأخذناه عن رسول اللهِ ﷺ؟ أوجدتم فيه: في كل أربعين شاة شاة، وفي كل كذا بعيراً كذا، وفي كل كذا درهماً كذا؟ قال: لا، قال: فعمن أخذتم ذلك؟ ألستم عنا أخذتموه وأخذناه عن النبي ﷺ.. أما سمعتم الله قال في كتابه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: 7] فقد أخذنا عن رسول الله أشياء ليس لكم بها علم)[1]

قال آخر: وقد روي عن بعضهم أن رجلاً قال له: لا تحدثونا إلا بالقرآن، فقال له مطرف: (والله ما نريد بالقرآن بدلاً؛ ولكنا نريد من هو أعلم بالقرآن منا)[2]

قال آخر: ولهذا كان الصالحون يعتبرون كل حياة رسول الله ﷺ سنة، ما قبل البعثة وما بعدها، حتى خلوته في غار حراء، يعتبرونها من السنن النبوية التي يمكن تفعيلها في الواقع.

قال آخر: لأن حقيقة رسول الله ﷺ كانت متمثلة بالنبوة وبطهارتها وسموها، ولم يكن الوحي المقدس الذي أوحي له إلا تتويجا لتلك النبوة السابقة، كما قال رسول الله ﷺ نفسه مخبرا عن موعد نبوته عندما سئل: يا رسول الله، متى كتبت نبيا؟ فقال: (وآدم عليه السلام بين الروح والجسد)[3]

قال آخر: وقد كان رسول الله ﷺ يكلف أصحابه بتبليغ سنته مثلما يكفهم بتبليغ القرآن الكريم، ويعدهم من الأجر مثلما يعدهم به، وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأنه كان يوصي أصحابه في خطبته أن يبلغ شاهدهم غائبهم، ومن ذلك ما حصل يوم حجة الوداع في يوم عرفة وفي يوم النحر حين قال لهم: (فليبلغ الشاهد الغائب، فرب من يبلغه أوعى له ممن سمعه)[4]

قال آخر: وعلى هذا المنهاج سار أئمة الهدى، الذين هم أحق الناس بلقب القرآنيين، فقرآنيتهم لم تمنعهم من الأخذ بسنة رسول الله ﷺ، بل تبليغها والدعوة إليها، وقد قال أحدهم،

---

1 () الحاكم (١/١٠٩) وجامع بيان العلم (٢/١١٩٢)

2 ()جامع بيان العلم (٢ /١١٩٣)

3 () أحمد 4/66 (16740) و5/379 (23599)

4 () البخاري (1654)، مسلم (1679)، ابن ماجه (233)، أحمد (5/37)، الدارمي (1916)

وهو الإمام الباقر يذكر مصادر علومهم وفتاواهم: (يا جـابر.. لـو كنا نفتي الناس برأينا وهوانـا، لكنّـا من الهـالكين، ولكنـا نفـتيهم بآثار من رسول الله ﷺ وأصـول علم عنـدنا، نتوارثهـا كـابراً عن كابر، نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم)[1]

قال آخر: وقـال في حـديث آخـر: (إنّـا على بيّنـة من ربنـا، بيّنها لنبيّه ﷺ فبيّنها نبيه لنا، فلولا ذلك كنا كهؤلاء الناس)[2]

قال آخر: ومثله ذكر الإمام الصادق بأن كل ما ذكـره أئمـة الهدى ليس نابعـا من الـرأي والاجتهـاد وإنمـا هـو من النصـوص المقدسة القرآنيـة والنبويـة، فقـال: (واللـه لـولا أنّ اللـه فـرض ولايتنا ومودتنا وقرابتنـا، مـا أدخلنـاكم بيوتنـا، ولا أوقفنـاكم على أبوابنا، والله ما نقول بأهوائنا، ولا نقـول برأينـا، ولا نقـول إلا مـا قال ربنا)[3]

قـال آخـر: وقـد روي عنـه أنـه سـئل: بـأي شـيء يفـتي الإمام؟.. قال: (بالكتاب، قيل: فما لم يكن في الكتـاب؟.. قـال: بالسنّة، قيـل: فمـا لم يكن في الكتـاب والسـنّة؟.. قـال: (ليس شـيءٌ إلا في الكتـاب والسـنّة، قـال السـائل: فكـرّرت مـرة أو اثنتين قال: (يسدّد ويوفّق، فأما ما تظنّ فلا)[4]

قال آخر: وقبلهم جميعا كان الإمام علي مثالا على العـودة للسـنة المطهـرة، وتطبيقهـا في كـل الشـؤون، وقـد قـال عنـه الإمام الصادق: (ما رأيت عليا قضى قضـاء إلا وجـدت لـه أصـلا في السنة.. وكان يقول: لو اختصـم إلي رجلان فقضـيت بينهمـا ثم مكثا أحوالا كثـيرة ثم أتيـاني في ذلـك الأمـر لقضـيت بينهمـا قضاءا واحدا، لأن القضاء لا يحول ولايزول أبدا)[5]

قـال آخـر: وهكـذا تـواترت النصـوص الكثـيرة الـواردة في المصـادر الحديثيـة للمـدارس الإسـلامية المختلفـة على تعظيم السنة، وخطورة ردها بالهوى المجرد، أو خطورة ضربها بالقرآن الكـريم، مـع كونهـا لم تـرد إلا لبيانـه وتأكيـد معانيـه، وتفصـيل مجمله، وتوضيح كيفية تنفيـذه في الواقـع؛ فرسـول اللـه ﷺ لم يكن سوى قرآنا ناطقا، ولم يكن خلقه إلا القرآن.

قال آخر: لكن كبرنا على هؤلاء المحدثين هـو الـذي أعمى

1 () بحار الأنوار: 2/172، وبصائر الدرجات.
2 () بحار الأنوار: 2/173، والاختصاص، بصائر الدرجات.
3 () بحار الأنوار: 2/173، وبصائر الدرجات.
4 () بحار الأنوار: 2/175.
5 () بحار الأنوار (2/171)

أبصارنا عن كل حق رووه عن رسـول اللـه ﷺ، وإن توافـق مـع كل العقول، ومع كل القـرآن، بـل حـتى ولـو اتفـق عليـه جميـع المسلمين وبمدارسهم المختلفة.

قـال آخـر: في نفس الـوقت كنـا نتحـدث عن سـقراط وأفلاطون وأرسطو وكل الفلاسـفة والأدبـاء والشـعراء، وكـأنهم وجدوا من يحفظ كلامهم وسيرهم، ولم يجد رسول اللـه ﷺ من يحفظ كلامه وسيرته، مع أنه القرآن النـاطق الـذي أرسـله اللـه بيان ورحمة للعالمين.

ثبوت السنة:

قال آخـر: أمـا المغالطـات المرتبطـة بثبـوت السـنة؛ فهي مغالطات واهية لا قيمة علمية لها؛ فلو أنا رمينـا كـل علم حـوى خطأ، لما بقي علم في الدنيا.

قال آخر: والأحاديث الكثيرة تدل على وجـوب تبليـغ الأمـة لسنته ﷺ، وهي لم تحدد كيفية ذلك اعتمادا على صدق المبلغين وذاكـرتهم القويـة، بـل هي لم تحـدد حـتى منهج حفـظ القـرآن الكريم، ولا أمرت بتكثير نسـخه، بـل كـان الاعتمـاد الأكـبر على حفظ الصدور، كما هي عادة العرب، وقـد قـال رسـول اللـه ﷺ آمرا بتبليغ سنته: (نضر الله امرأ سمع منّا شيئاً فبلّغه كما سـمع فـرب مبلـغ أوعى من سـامع)[1]، وقـال مـرات كثـيرة: (ليبلـغ الشاهد الغائب)[2]

قال آخر: أما الحديث الوحيد الذي يلهجون به كل حين في النهي عن كتابة الحديث، وهو ما يرفعونه إلى رسول الله ﷺ أنه قال: (لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه)[3] فهـو مـردود؛ ذلـك أنـه لم يـروه مرفوعـا إلى النـبي ﷺ إلا همـام بن يحيى، فقد قال بعضهم عنه: (تفرد همـام بروايتـه هـذا الحـديث عن زيد بن أسلم هكذا مرفوعا، ويقال: إن المحفوظ رواية هـذا الحديث، عن أبي سـعيد هـو من قولـه، غـير مرفـوع إلى النـبي ﷺ)، ونقل عن البخـاري وغـيره: أن حـديث أبي سـعيد موقـوف عليه، فلا يصح الاحتجاج به ونسبه ابن حجر إلى بعض الأئمة[4].

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فقد ورد في القـرآن الكـريم ما يدلنا على كيفية تمـيز الأحـاديث الصـحيحة عن غيرهـا؛ فقـد

---

1 () الترمذي (2647)، وابن ماجه (232)

2 () البخاري (67) ومسلم (1679)

3 () مسلم (3004)

4 () تدوين الحديث: 66 ـ 67.

اعتبر الله تعالى القـرآن الكـريم هـو المرجـع الـذي يصـير إليـه المؤمنـون عنـد التنـازع، ولـذلك إن حصـل الخلاف بين الحـديث والقرآن، كان القاضي هو القرآن الكريم.

قـال آخـر: وقـد اعتـبر اللـه تعـالى هـذا قانونا في جميـع الأديان، قال تعالى: ﴿كَـانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِـدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِـالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: 213]

قال آخر: وأنكر على المخالفين لهـذا، فقـال: ﴿أَلَمْ تَـرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: 23]

قال آخر: وهكذا دعا هذه الأمـة إلى تحكيم كتابهـا في كـل خلاف تقع فيه، بما فيه الخلاف في تصحيح الأحاديث وتضـعيفها، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَـيْءٍ فَحُكْمُـهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: 10]

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك، فقد ذكر أن دور رسـول اللـه ﷺ مرتبط ببيان القرآن الكريم، إمـا عـبر تأكيـد مـا ورد فيـه، أو بيان كيفية تنفيذه، وبذلك فإنه يستحيل أن يتعـارض الشـرح مـع المشروح، لأن كليهما وحي إلهي، وقـد قـال اللـه تعـالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْـرِ اللَّهِ لَوَجَـدُوا فِيـهِ اخْتِلَافًـا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]

قال آخر: وفي الحديث عن عبد الله بن عمـرو قـال: كـان قـومٌ على بـاب رسـول اللـه ﷺ يتنـازعون في القـرآن، فخـرج عليهم يوما متغيرا وجهه فقال: (يا قوم، بهذا أهلكت الأمم، وإن القرآن يصدق بعضه بعضا، فلا تكذبوا بعضه ببعض)[1]

قال آخر: وقد ورد في السنة المطهرة وفي مصـادر الأمـة جميعا ما يدل على ضرورة الرجوع إلى هذا الحكم العـدل، فقـد قال رسول الله ﷺ: (إن الحديث سيفشو عني، فما أتـاكم عـني يوافق القرآن فهو عني، وما أتـاكم عـني يخـالف القـرآن فليس عني)[2]، وقال: (ما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب اللـه فمـا وافقه فأنا قلته، وما خالفه فلم أقلـه)[3]، وقـال: (سـتكون علي رواة يـروون الحـديث، فأعرضـوا القـرآن، فـإن وافقت القـرآن

---

1 ()رواه الطبراني في (الأوسط) 3/227 (2995)

2 () البيهقي في (معرفة السنن والآثار)، (1/9) ورواه ابن المقرئ في معجمه، (3/239)

3 () رواه البيهقي في (معرفة السنن والآثار)، (1/116)

فخذوها وإلا فدعوها)[1]، وقال: (سيأتيكم عني أحاديث مختلفة، فما جاءكم موافقًا لكتاب الله ولسنتي فهو مني)[2]

قال آخر: وقال رسول الله ﷺ: (إني سألت قوما من اليهود عن موسى فحدثوني حتى كذبوا عليه، وسألت قوما من النصارى عن عيسى فحدثوني حتى كذبوا عليه، وإنه سيكثر عليَّ من بعدي كما كثر على من قبلي من الأنبياء، فما حدثتم عني بحديث فاعتبروه بكتاب الله، فما وافق كتاب الله فهو من حديثي، وإنما هدى الله نبيه بكتابه، وما لم يوافق كتاب الله فليس من حديثي)[3]

قال آخر: وقال رسول الله ﷺ: (ألا إن رحى الإسلام دائرة)، قيل: فكيف نصنع يا رسول الله؟ قال: (اعرضوا حديثي على الكتاب فما وافقه فهو مني وأنا قلته)[4]

قال آخر: وقال رسول الله ﷺ: (أيما حديث بلغكم عني تعرفونه بكتاب الله فاقبلوه، وأيما حديث بلغكم عني لا تجدون في القرآن موضعه ولا تعرفون موضعه فلا تقبلوه)[5]

قال آخر: وروي عن معاذ بن جبل أنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الفتنة فعظمها وشددها، فقال علي بن أبي طالب: فما المخرج منها؟ قال: (كتاب الله فيه حديث ما قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وفصل ما بينكم من يتركه من جبار يقصمه الله، ومن يبتغ الهدى من غيره يضله الله، وهو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، وهو الذي لما سمعته الجن، قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ [الجن: 1، 2]، وهو الذي لا تختلف به الألسن، ولا يخلقه كثرة الرد)[6]

قال آخر: وهكذا اعتبر أئمة الهدى عرض الحديث على القرآن الكريم شرطا لقبوله، حتى يقطعوا السبيل أمام من يريد تبديل الدين باستخدام الأحاديث المكذوبة والموضوعة، وقد روي عن الإمام علي أنه قال: (الوقوف عند الشبهة خيرٌ من الاقتحام في الهلكة، وتركك حديثا لم تروه خيرٌ من روايتك

---

1 () تاريخ ابن عساكر 55/77.

2 () الكفاية في علم الرواية 1/130، وسنن الدارقطني 4/208.

3 () مسند الروياني2/255.

4 () المعجم الكبير2/97.

5 () رواه البيهقي كما في [مفتاح الجنة للسيوطي1/22].

6 () أمالي أبي طالب ص 250، وحلية الأولياء 5/253، ومصنف ابن أبي شيبة 6/125رقم30007، ومسند البزار 3/72.

حـديثا لم تحصـه، إنّ على كـل حـقّ حقيقـة، وعلى كـل صـواب نورا، فما وافـق كتـاب اللـه فخـذوا بـه، ومـا خـالف كتـاب اللـه فـدعوه)[1]، وقـال: (مـا جاءتـك روايـة من بـر أو فـاجر توافـق القرآن فخذ بها، وما جاءتـك من روايـة من بـر أو فـاجر تخـالف القرآن فلا تأخذ بها)[2]

قال آخر: وروي عن الإمام الصـادق أنـه قـال: (كـل شـيء مردود إلى كتاب الله والسنة، فكل حديث لا يوافـق كتـاب اللـه فهو زخرف)[3]

قال آخر: ومن التطبيقـات المرتبطـة بهـذا مـا روي من رد عائشة ما رواه أبو هريرة مرفوعا إلى رسول الله ﷺ أنـه قـال: (إنما الطيرة في المرأة، والدابة، والدار)، فـردت عليـه بغضـب شديد، وصفه الراوي بقوله: (فطـارت شـقة منهـا في السـماء، وشـقة في الأرض)، ثم قـالت: (والـذي أنـزل القـرآن على أبي القاسم ما هكذا كان يقول، ولكن نبي الله ﷺ كان يقـول: (كـان أهل الجاهليـة يقولـون: الطـيرة في المـرأة والـدار والدابـة، ثم قرأت: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: 22])[4]

قال آخر: ومنها مـا روي عنهـا من ردهـا لحـديث ابن عمـر الذي يقول فيه: (إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه)، حيث قـال: وهل ـ يعني ابن عمر ـ إنما مر رسول اللـه ﷺ على قـبر فقـال: (إن صاحب هذا القبر ليعذب وأهله يبكون عليه)، ثم قرأت قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: 164])[5]

قـال آخـر: ولـو أن أولئـك الـذين يـدعون أنهم قرآنيـون أو حـداثيون اسـتعملوا هـذا الحكم العـدل، لمـا أنكـروا الكثـير من الأحـاديث الـتي لا يمكن تفعيـل القـرآن الكـريم في الواقـع من دونها.

قال آخر: وهكذا دعانا رسـول اللـه ﷺ إلى تحكيم الفطـرة السليمة والعقل الطـاهر في الحكم على الأحـاديث، فقـال: (إذا حدثتم عني حديثا تعرفونه ولا تنكرونـه، فصـدقوا بـه قلتـه أو لم أقله فإني أقول ما تعرفونه ولا تنكرونه، وإذا حدثتم عـني حـديثا

---

1 () بحار الأنوار: 2/165، وتفسير العياشي.

2 () البهبودي، صحيح الكافي، ج 1/ص11.

3 () وسائل الشيعة 18 /78.

4 () رواه أحمد: 6/150 وفي 6/240 وفي 6/246.

5 () أبو داود (3129)، والنسائي في المجتبى4/17، والطبراني في الكبير (13262)

تنكرونه ولا تعرفونه فكذبوا به، فإني لا أقول ما تنكرونه، وأقول ما تعرفونه)[1]، وقال: (إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم، وتلين لـه أشـعاركم وأبشـاركم، وتـرون أنـه منكم قـريبٌ، فأنـا أولاكم بـه، وإذا سـمعتم الحـديث عـني تنكـره قلـوبكم وتنفـر أشعاركم، وأبشاركم منه وترون أنه منكم بعيدٌ فأنا أبعدكم منه) [2]

قال آخر: وقال رسول الله ﷺ: (مـا جـاءكم عـنى من خـير قلته، أو لم أقله فأنا أقولـه، ومـا أتـاكم من شـر فـإني لا أقـول الشر)[3]

قال آخر: وقال الإمام علي قال: (إذا حدثتكم عن النبي ﷺ حديثا، فظنوا به الذي هو أهياه وأهداه وأتقاه[4]

رفض العلماء:

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فحدثونا عن المنبع الثاني من منـابع الانحـراف، ذلـك الـذي جعلكم تنفـرون من جميـع علمـاء الأمة، ولا تستفيدون منهم.

قال أحد المبدلين: بعد أن أقصينا أو أقصى أساتذتنا حرمـة اتفاق المسلمين وإجماعهم، وأقصوا معها سـنة رسـول اللـه ﷺ وأئمة الهدى، راحوا بعدها يقصون كل العلمـاء والصـالحين، بـل ويحتقرونهم حتى لا يبقى في الحلبة غيرهم.

قال آخر: وهم يستغلون في ذلك الأخطـاء الـتي وقـع فيهـا بعض العلماء أو الكثير منهم، ليحملوا عليهم جميعا حملة واحـدة دون تميـيز بين المقبـول من أقـوالهم أو المرفـوض، مـع أن الحكمة ضالة المؤمن أين وجدها فهو أحق بها، وقد قال رسـول الله: (الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها) [5]، وقال: (كلمة الحكمة يسمعها المـؤمن فيعمـل بهـا خـير من عبادة سنة)[6]

قال آخر: وقال الإمام علي: (الهيبة خيبة، والفرصة خلسة، والحكمة ضالة المؤمن، فاطلبوها ولو عند المشرك تكونوا أحقّ بها وأهلها)[7]

---

1 () رواه الطحاوي في (شرح مشكل الآثار)، (15/347)، الدار قطني في سننه، (4/208)
2 () رواه أحمد 3/497، والبزار كما في (كشف الأستار) 1/105 (187)
3 () رواه أحمد 2/367، والبزار كما في (كشف الأستار)1/80 (126)
4 () رواه ابن ماجة (20)
5 () رواه الترمذي (2687)
6 () نزهة الناظر ص 10.
7 () أمالي الطوسي ج 2 ص 238.

قال آخر: لكننا وأصحابنا بدل أن نبحث في الحكم التي قالها العلماء على مدار التاريخ، والتي سجلت في آلاف الدواوين رحنا نبحث فقط عما يشوههم، كما صور ذلك رسول الله ﷺ بقوله: (مثل الذي يسمع الحكمة فيحدث بشر ما يسمع، مثل رجل أتى راعيا فقال: يا راعي أحرز لي شاة من غنمك، فقال: اذهب فخذ بأذن خيرها شاة، فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم)[1]

قال آخر: ولهذا نجد المبدلين بفرقهم المختلفة يتفقون على احتقار العلماء والسخرية منهم، ومن الأمثلة على ذلك قول شحرور: (علينا أن نسحب القرآن ـ قبل أن يفوت الأوان ـ من أيدي السادة الوعاظ المعروفين بالعلماء الأفاضل، أو رجال الدين حيث يجب أن يكون موقف هؤلاء العلماء من القرآن هو كموقف العامة تماما: التسليم، لأن معلوماتهم بالنسبة للقرآن لا تزيد عن معلومات العامة بتاتا، وإن كان لهؤلاء الناس دور فدورهم وعظي بحت)[2]

قال آخر: لكنه عندما يتحدث عن العلماء من غير المسلمين، أو غيرهم من أصحاب الاختصاصات المختلفة، تجدهم يبالغ في الثناء عليهم، بل التذلل لهم؛ فهو يعتبر وصف الراسخين في العلم الوارد في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: 7]، وقوله: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [النساء: 162]ـ منطبقا عليهم فقط، حتى لو لم يكن لهم علاقة بالقرآن ولا بالدين.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك قوله: (يجب أن نفهم أن الراسخين في العلم هم مجموعة كبار الفلاسفة وعلماء الطبيعة وأصل الإنسان وأصل الكون وعلماء الفضاء وكبار علماء التاريخ مجتمعين.. ولم نشترط لهذا الاجتماع حضور الفقهاء، لأنهم ليسوا معنيين ـ في رأينا ـ بهذه الآية، لأنهم أهل أم الكتاب، والراسخون في العلم مجتمعين يؤولون حسب أرضيتهم المعرفية ويستنتجون النظريات الفلسفية والعلمية)

قال آخر: وهو يطوع القرآن الكريم لينسجم مع هذا الفهم؛ فيقول في تأويل قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 49]:

---

1 () رواه أبو يعلى في (المسند) 11/275.

2 () من مبحث قواعد التأويل.

(فالصدر هنا ليس جوف الصـدر، ولا جـوف الـرأس: الجمجمـة، وإنما هو كما يقول الشاعر:

ونحن أناس لا لنا الصدر دون
توسط بيننا العالمين أو القبر

فالصدر هنا تعني مـا نقولـه الآن الصـدراة، كـأن نقـول إن إسحاق نيوتن يحتل مركز الصـدارة بين علمـاء الرياضـيات، وإن أينشتاين يحتل مركز الصدارة بين علماء الفيزيـاء، فالراسـخون في العلم هم من النـاس الـذين يحتلـون مكـان الصـدارة بين العلمـاء والفلاسـفة، وهـؤلاء من أمثـال البـيروني، الحسـن بن الهيثم، ابن رشـد، إسـحاق نيـوتن، أينشـتاين، تشـارلز دارون، كانت، هيجل)[1]

قال آخر: وهـذا الفهم والتأويـل الـذي جعلـه يقـف موقـف المتشدد والمحتقر لكـل علمـاء الأمـة، هـو الـذي جعلـه يتحـدث بتواضع، بل بذلة عن غـيرهم، ومـع غـيرهم، حـتى لـو كـانوا من الملحدين والمنحرفين عن كل القيم الإنسانية.

قـال آخـر: ومن الأمثلـة على ذلـك إشـادته هـو وغـيره بـ [سـتيفن هوكينـغ] الملحـد الـذي لا يختلـف عن كـل الفيزيـائيين قـديما أو حـديثا في مجـال تخصصـه، بـل إن من الفيزيـائيين المعاصرين من هم أكثر منه علما، ومع ذلـك لا يتحـدثون عنهم، ولا يهتمون بهم، لسبب بسيط، وهو أنهم لم يصرحوا بإلحـادهم، أو لم يقوموا بالدعوة إليه، ولو فعلوا لاستقبلهم هؤلاء المبـدلون بالأحضان.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما كتبه شحرور في مقال له تحت عنوان [إني جاعل في الأرض خليفة]، قـال فيـه: (رغم أني كمـؤمن مـوقن بوجـود اللـه، أختلـف مـع هوكينـغ في هـذه الجزئية تحديداً، إلا أنه بنظري شهيد، بغض النظـر عن إيمانـه أو عدمـه، فالهـدف من وجودنـا يحققـه أمثالـه، وبـدونهم سـنبقى غافلين)[2]

قال آخر: ونلاحظ من خلال هذه الكلمات كيف يهون هؤلاء من [وجود الله] الذي هـو أسـاس العقائـد، حيث أصـبح عنـدهم مجرد جزئية بسيطة يمكن التنازل عنها.. وذلك يعـني ــ حسـبما يصور ـ أن الإنسان يمكن أن يمارس دوره في الخلافة من غـير أن يعتقد وجود الله.. ومن غير أن يؤمن به طبعا.. فـالوجود هـو

1 () ـ الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، د. محمد شحرور، ص (193)
2 () التنويريون والمؤامرة على الإسلام، ص 205)

الأساس لكل العقائد.
قال آخر: بل إنه لم يكتف ذلك، وإنما رفعه إلى رتبة الشهادة، وهي ليست شهادة التضحية ـ بحسب قصد شحرور ـ وإنما هي تلك الشهادة التي وصف الله بها رسله عليهم الصلاة والسلام فقال عن المسيح: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: 159]، وقال عن رسول الله ﷺ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 41]
قال آخر: وبذلك تحول هوكينغ ـ عند شحرور وإخوانه ـ إلى ما يشبه الأنبياء عليهم السلام، ذلك أنه لا فرق بينه وبينهم سوى في تلك الجزئية البسيطة التي لا قيمة لها في موازين الحياة عندهم، وهي جزئية الإيمان بالله.
قال آخر: ولا يكتفي بذلك، بل يترقى بالرفع من مكانته ليذكر أنه غاية الغايات، وأنه لولاه ما خلقت الأفلاك، كما عبر عن ذلك بقوله: (فالهدف من وجودنا ــ كما يقول ــ يحققه أمثاله، وبدونهم سنبقى غافلين)
قال آخر: ثم يورد ـ للتلاعب بمشاعر القراء ــ مقارنة بين إبراهيم عليه السلام ذلك الأواه المنيب، وهوكينغ؛ فكلاهما في نظره واحد، وليس من فرق بينهما سوى في جزئية الإيمان، والدليل على ذلك ــ كما يصوره هو أن (الإنسان هو وجود فيزيولوجي (بشر) مضافاً له كم معرفي (الروح)، وهذه الروح هي التي ميزته عن باقي المخلوقات، فكلما زاد الكم المعرفي زادت إنسانية الإنسان وابتعد عن المملكة الحيوانية)، وبما أن هوكينغ له كم معرفي كبير ـ كما يذكر شحرور ـ مقارنة بغيره، فهو صاحب روحانية أكبر، ووظيفته في الكون تابعة للمدى الذي وصلت إليه روحانيته.
قال آخر: وهكذا نراهم جميعا يؤبنونه عند موته في نفس الوقت الذي يتجاهلون فيه كل العلماء من أمثاله حتى لو كانوا في مثل اختصاصه، لسبب بسيط، وهو أنهم مؤمنون، أو متقون، أو كعامة المسلمين يؤمنون بالإسلام الذي ورثوه عن آبائهم وأجدادهم، والذي وإن حوى بعض الفهم أو الممارسات الخاطئة إلا أنه لا ينزل أبدا إلى درك الإلحاد الذي كان يدعو إليه هوكينغ وأمثاله.
قال آخر: ومن أمثلة تلك الدعوات قول بعضهم في تأبينه:

(اللهم ارحم العالم الفيزيائي الكبير ستيفن هوكينـغ، واغفـر لـه وادخلـه جنتـك الواسـعة).. وقـال آخـر في موقعـه الإلكـتروني: (افتقدت البشرية هذا اليوم.. وحظي تاريخ الخالدين بعـالم فـذ، لا يجـود الزمـان بمثلـه إلا قليلاً، عـالم ضـرب أروع مثـال على طموح العالم الحق وشغفه بكشف أسـرار العـالم وفـك مغـالق الطبيعة، كما في المثابرة والنضال ضد المرض وصـور المعانـاة الناجمــة عنــه على مســتويات شــتى، مُبرهِنــاً على أن الــروح الإنسانية لا تُقهَر.. ونحن إذ نُعلِن مع العالم عن هذا النبأ الأسيف بوفـاة سـتيفن هوكينـغ نـدعو اللـه الـرحمن الـرحيم أن يتـولاه برحمته ومغفرته، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون)

قال آخر: بالإضافة إلى هذا، نجـدهم يعظم بعضـهم بعضـا، باعتبـارهم مجـددين ومصـلحين وصـلوا إلى مـا لم يصـله كـل السابقين واللاحقين.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما كتبته الجرائد في الثناء على أركون، ذلك الذي دعا إلى تبديل الدين جميعا ليتناسب مـع الأهـواء الغربيـة.. فقـد كتب بعضـهم عنـه يقـول: (أعتقـد دون مبالغة أن أركون المجدد الأكبر للإسلام في عصرنا الراهن)[1].. وكتب آخـر: (أركـون من الكبـار الـذين كـانوا يجاهـدون في بث النور، وإحلاله محل الظلمة الكالحة في عالمنا العربي)[2]

قال آخـر: وكتب آخـر: (يظـل أركـون مشـعلاً حقيقيـاً)[3].. وكتب آخـر: (يهـدف أركـون إلى اسـتخلاص التجربـة الروحيـة الكبرى للإسلام وتنقيتها من كل مـا علـق بهـا على مـدار تـاريخ المسلمين)[4].. وكتب آخر: (أركون أول من قـدم نقـدا للتفكـير الخرافي المعارض للمعرفة، وبدد هيمنة الأسـطورة في العقـل العربي ـ الإسلامي)[5]

قـال آخـر: وكتب آخـر: (أركـون أحـد حكمـاء المسـلمين الكبار)[6].. وكتب آخر: خلال الأيام الثلاثة الأخيرة اشتغلت بكـل ما كان متاحاً، ورقيـاً أو إلكترونيـاً، بتوديـع ثقافتنـا لرمـز عـالمي

1 () الشرق الأوسط، 16 سبتمبر 2010.
2 () الوطن، 18سبتمبر 2010.
3 () الوطن، 17 سبتمبر 2010.
4 () الرياض، 19سبتمبر2010.
5 () الرياض، 16سبتمبر2010.
6 () الشرق الأوسط، 17 سبتمبر 2010.

مثل الراحل الأخير محمد أركون)[1].. وكتب آخـر: (أركـون أحـد هذه الهامات الفكرية من المشهد الثقافي والفكري العربي)[2]

قال آخر: وكتب آخر: (عمل محمد أركون طـوال أكـثر من نصف قرن على تقديم قراءة جديدة للإسلام، قراءة تسـتند إلى مرجعيـات ومنـاهج علميـة)[3].. وكتب آخـر: (سـاهمت ــ أفكـار أركون ـ بقوة في الدفاع عن القيم الإسلامية النبيلـة)[4].. وكتب آخر: (نجح أركون في العودة بالإسلام إلى طابعه الإنساني)[5]

ب. الطمع والعمالة:

قال أحد الحضور: حدثتمونا عن المنبع الأول.. فحدثونا عن الثاني.

قال أحد المبدلين: إنه ذلك الذي وصفه الله تعـالى بقولـه: ﴿فَخَلَـفَ مِنْ بَعْـدِهِمْ خَلْـفٌ وَرِثُـوا الْكِتَـابَ يَأْخُـذُونَ عَـرَضَ هَـذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَـا وَإِنْ يَـأْتِهِمْ عَـرَضٌ مِثْلُـهُ يَأْخُـذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَـذْ عَلَيْهِمْ مِيثَـاقُ الْكِتَـابِ أَنْ لَا يَقُولُـوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَـقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالـدَّارُ الْآخِـرَةُ خَيْـرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُـونَ أَفَلَا تَعْقِلُـونَ﴾ [الأعـراف: 169]؛ فهي تصـفنا بدقـة.. فهي تـذكر أن سـبب الكـذب والافتراء على الله، هو الطمع في عرض الحياة الـدنيا، ونسـيان الآخرة.. وهو ما حصل لنا تماما.

قال آخر: ومثل ذلـك قولـه تعـالى: ﴿وَاتْـلُ عَلَيْهِمْ نَبَـأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَـاوِينَ وَلَـوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَـلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِـلْ عَلَيْـهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْـهُ يَلْهَثْ ذَلِـكَ مَثَـلُ الْقَـوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَـا فَاقْصُـصِ الْقَصَـصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعـراف: 175 ـ 176].. فنحن لسنا سوى هذا الرجل الذي باع ما يملكـه من علم ودين للشيطان بثمن بخس؛ فصار كالكلب عند سـادته من المحركين له.

المنظمات والمجلات:

قال آخر: ولذلك رحنا نشارك في كل المنظمات العالميـة، ونكتب في كل مجلاتها وجرائدها، التي لا تقبل إلا ما تريده منـا، مقابل مال قليل وجاه كثير ومناصب رفيعـة.. وهي كـل مـا كنـا

---

1 () الوطن 19سبتمبر2010.

2 () صحيفة اليوم، 19 سبتمبر2010.

3 () الحياة 16 سبتمبر2010.

4 () الشرق الأوسط، 16سبتمبر 2010.

5 () الشرق الأوسط 18سبتمبر 2010.

نطلبه.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما عبر عنه بعضهم في كتاب له بعنوان [بحثا عن الحداثة]، حيث قال: (بعد حركة التغاير المتواصلة منذ أوائل القرن أضيف عناصر احتدام جديدة ببروز الدور الأمريكي في المنطقة بعد العام ١٩٥٣ م على الصعيد الثقافي، فقد قامت في مصر مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، وبدأت بمدفوعاتها السخية باستقطاب أعمدة الثقافة العربية آنذاك من كل الاتجاهات.. إن التدخل الأمريكي كان يحمل طابع توجيه حركة التغاير العربية إلى أفق محدد، وسنرى كيف لعبت مجلة [شعر] دورا في سياق هذا التوجيه وبأية لغة، وكيف وفرت لها اتجاهات من خارجها مستندا أوليا لتحاول شق طريق إلى مستقبل خاص للشعر العربي)(1)

قال آخر(2): ومؤسسة فرنكلين التي أشار إليها الكاتب والتي ذكر أنها استقطبت أعمدة الثقافة العربية من كل الاتجاهات، هي منظمة أنشأتها المخابرات الأمريكية، ظاهرها الثقافة وباطنها تجنيد العملاء من الكتاب والمثقفين، وتسمى هذه المنظمة [المنظمة العالمية لحرية الثقافة]، وقد بقيت هذه المنظمة تعمل أعمالها السرية من خلال كتاب وشعراء ونقاد الحداثة حتى انكشفت علاقتها بالمخابرات المركزية الأمريكية، حين نشرت النيويورك تايمز في التحقيقات التي قام بها كارل برنشتين والذي بين أن هذه المنظمة ومجلاتها التي تصدرها بمختلف اللغات، ومنها العربية، ليست سوى أحد أقنعة المخابرات الأمريكية، وقد نوقشت هذه القضية في الكونغرس الأمريكي عام ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٥ م(3).

قال آخر(4): فمن المجلات والمؤسسات والنشاطات الثقافية التابعة لهذه المنظمة مجلة [حوار] التي كانت تصدر في بيروت وكان رئيس تحريرها توفيق صايغ.. ولما انكشفت علاقة المنظمة العالمية لحرية الثقافة بالمخابرات الأمريكية كابر توفيق صائغ ونافح، ولكنه اضطر للاعتراف بذلك عندما نشر [ستيفن سبندر] الشاعر الانكليزي ورئيس تحرير مجلة [انكاونتر] التابعة للمنظمة العالمية لحرية الثقافة اعترافه، بأنه

1 () بحثا عن الحداثة: ص ٣٨.

2 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 3/2188.

3 () بحثا عن الحداثة: ص ٤٢، ٥٩.

4 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 3/2188.

خـدع من قبـل المخـابرات المركزيـة الأمريكية[1].. وقـد وجـد اليسار العربي في مصر والعـراق حينهـا الفرصـة سـانحة لشـن الهجوم على التيار الـذي كـانوا يعتبرونـه عميلا للإمبرياليـة يـوم كان لليسار صولة وجولة، وكان في الوقت ذاتـه يخضـع بعمالـة مشابهة للكتلة الشيوعية.

قال آخر[2]: وقد نشرت حينهـا صـحيفة [الـنيويورك تـايمز] مقالة ذكرت فيها أن [المنظمة العالمية لحرية الثقافة] تــدعمها وكالة المخابرات المركزية [سـي. آي. إي]، وأن هـذه المنظمـة تمول مجلة [حـوار] العربيـة، وقـد كـانت صـحيفة روز اليوسـف القاهريـة، بالمرصـاد فأشـارت في إلى مقالـة نيويـورك تـايمز وبدأت المعركة مـع [حـوار] على مسـتوى عـال ومحتـدم، وقـد ذكـرت روز اليوسـف في بعض أخبارهـا مـا يلي: (بعث الكـاتب غالي شكري إلى روز اليوسف صورة من الرسالة التي بعث بها إلى توفيق صايغ رئيس تحرير مجلة حوار جاء فيها: واليوم وقــد نشرت روز اليوسف هذا الخبر المرفق بتعليـق الـدكتور لـويس عوض، أرى من واجـبي أن أضـيف هـذا السـبب الجديـد [تبعيـة حوار للمخابرات الأمريكية] في امتناعي عن الكتابـة في حـوار، راجيا باسم علاقتنا الشخصية أن تعيـد النظـر في موقفـك أيضـا فلست أشك أنك أكبر من أن تشارك أو تتعامل مع جهـة أجنبيـة لم تعــد مشــبوهة بــل مدموغــة بالتبعيــة لوكالــة المخــابرات الأمريكية)[3]

قال آخر: وقد اعترف توفيق صايغ بعلاقة مجلته بالمنظمـة العالميــة لحريــة الثقافــة وأن هــذه المنظمــة تابعــة لوكالــة المخابرات المركزية الأمريكية، وأنهـا قـد أمدتـه بالمـال طـوال سنين عديدة[4].

قال آخر[5]: ومثل ذلك مجلة [شعر] التي قامت أصلا على أفكار أنطون سعادة، ودعواتـه للانـدماج في الغـرب والانفصـال عن العـرب والإسـلام، تحت شـعار الفكـرة المتوسـطية، وهـذه وحدها كافية في الدلالـة على العمالـة الـتي هي أسـاس فكـرة المجلـة، فلقــد تبنت مجلــة شــعر الاتجــاه الأســطوري الوثــني

---

1 () انظر: أفق الحداثة وحداثة النمط: ص ٥٥، ٧٦، وتوفيق صايغ مسيرة شاعر ومنتقى: ص: ١٤٦ ـ ١٤٨.

2 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 3/2189.

3 () توفيق صايغ مسيرة شاعر ومنفي: ص ١٣٧ ـ ١٣٨.

4 () انظر: اعترافه هذا في كتاب توفيق صايغ سيرة شاعر: ص ١٦١ ـ ١٦٤.

5 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 3/2190.

وأغــرقت في ذلــك غايــة الإغــراق، وســعت في تــرويج أفكــار الاندماج بالغرب، في جذوره التاريخية وواقعه المعاصر أديبا من خلال منبر مجلة شعر المؤسسة لهـذا الغـرض أصـلا، وسياسـيا من منبر الحزب القومي السوري لأنطون سعادة.

قال آخر[1]: وكانت عصابة شعر تتلقى الـدعم السـخي من المخــابرات الأمريكيــة من خلال [المنظمــة العالميــة لحريــة الثقافـة]، وفرعهـا المسـمى [مؤسسـة فـرنكلين] الـتي بـدأت بمدفوعاتها السخية تستقطب أعمدة الثقافـة العربيـة الحديثـة.. وقد قال أحد الحداثيين يذكر ذلـك: (إن التـدخل الأمـريكي كـان يحمل طابع توجيه حركة التغاير الغربية إلى أفق محدد، وسنرى كيف لعبت مجلة [شعر] دورا في سياق هذا التوجيه وبأيـة لغـة، وكيف وفرت لها اتجاهات من خارجها مستندا أوليا لتحاول شـق طريق إلى مستقبل خاص للشعر العربي)[2]

قال آخر[3]: والناظر في شخصيات مجلة شعر يدرك عمق العمالة والولاء لأعداء الأمة، فها هو يوسف الخال رئيس تحريــر المجلة ورئيس اللقـاء الأسـبوعي [خميس مجلـة شـعر]، تخـرج في الفلســفة من الجامعــة الأمريكيــة في بــيروت، وأقــام في نيويورك ثماني سنوات التحق خلالها بالأمم المتحدة ثم عاد إلى لبنان عام ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٥ م وهو مغمور مجهول ليقــوم بإنشــاء مجلة [شعر] ويجمع معـه أدونيس وخليـل حـاوي ونـذير عظمـة وأسعد رزوق وأنسي الحاج وخالـدة سـعيد، وكـل من هـؤلاء لـه تاريخــه المجهــول أو المشــبوه[4]، وكــل منهم ــ أيضــا ــ مليء بالحقــد الــدفين على الأمــة، والتطلــع والســعي لإذابــة الأمــة والمجتمع والثقافة في أحماض الحياة الغربية.

قــال آخر[5]:ومن منــابر المؤسســة الأمريكيــة، المنظمــة العالميـة لحريـة الثقافـة مجلات [أدب] و[أصـوات] و[مواقـف]، وقد ولغت فيما ولغت فيه كل من [حــوار] و[شــعر] وتعتــبر من الأوكــار الثقافيــة ذات المقاصــد السياســية، والاســتخباراتية، المرتبطة بالمخابرات المركزية الأمريكية[6].

---

1 () انظر: بحثا عن الحداثة: ص ٣٨، ٥٦.

2 () المصدر السابق: ص ٣٨.

3 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 3/2195.

4 () انظر: أفق الحداثة وحداثة النمط: ص ١٨ ـ ١٩.

5 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 3/2198.

6 () بحثا عن الحداثة: ص ٤٨، وأفق الحداثة وحداثة النمط: ص ٥٦، والقصيدة الحديثة وأعباء التجاوز: ص ١٤٨ ـ ١٥٠.

قال آخر(1): ومنها مؤتمر روما الذي عقد في تشرين الأول ١٩٦١ م، ويعتبر أحد مناشط جماعة شعر، وقد أسهم في إعداده وتمويله [منظمة حرية الثقافة] التابعة لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وقد تحدث محمد الأسعد في كتابه [بحثا عن الحداثة] عن هذا المؤتمر ونشاطات جماعة مجلة [شعر] قائلا: (.. عقدوا بمساهمة [منظمة حرية الثقافة] المعروفة كأحد وجوه وكالة المخابرات الأمريكية مؤتمر روما للأدب العربي في العام ١٩٦١ م، وبعد ٢١ عاما من عقد هذا المؤتمر اعترفت إحدى المشاركات فيه في حديث شخصي ليس للنشر بأن المنظمين لم يكونوا أميريكيين فقط، بل ومن الصهاينة أيضا)(2)

قال آخر(3): ومن أحسن الشهادات على هذا ما كتبه بدر شاكر السياب حول موقفه من [المنظمة العالمية لحرية الثقافة] ومؤتمر روما الذي كان السياب أحد أركانه، حيث يقول: (لا يسعني وأنا أمر في أعقاب المحنة القاسية التي ظللت أعانيها لأكثر من عام، إلا أن أذكر الدور المشرف الذي وقفته تجاهي [المنظمة العالمية لحرية الثقافة] والحق أنها كانت الجهة الوحيدة التي أمدتني بالعون السخي دون مدائح أكيلها لها وأستجديها فيها أن تساعدني.. أوفدتني المنظمة إلى المملكة المتحدة في زمالة لمدة سنة لتتيح لي الفرصة كي أعالج نفسي هناك، وخصصت لي راتبا شهريا قدره ستون جنيها استرلينيا، وبعد أن راجعت الأطباء والأخصائيين وحجز لي سرير في واحد من أحسن مستشفيات لندن، أرسلت لي المنظمة شيكا بخمسمائة جنيه أسترليني أنفقها على علاجي.. وأرسلت المنظمة مستشارها الأستاذ سيمون جارجي كي يراني ويطمئن على وضعي ويدبر أمر سفري إلى باريس للمعالجة هناك، وتم الاتفاق على أن أطير إلى باريس برفقة صديق يعتني بي، وأن يكون كل ذلك ـ بما فيه تكاليف إقامتنا في باريس ــ على نفقة المنظمة، وفي باريس وجدت نفسي محاطا بالرعاية والعناية من موظفي المنظمة والعاملين فيها.. وزودت بالأدوية التي وصفها لي الطبيب على حساب المنظمة.. وإنني ليؤلمني، وأنا

1 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 3/2198.

2 () بحثا عن الحداثة: ص ٤٢.

3 () توفيق صايغ سيرة شاعر ومنفى: ص ١٦٤ ـ ١٦٥.

في هـذه الحـال أن أقـرأ التهم الباطلـة الـتي تكـال للمنظمـة، لمجرد أنها أصدرت مجلة قـد تنـافس المجلـة الفلانيـة، وعملت على إبراز أدباء قد ينافسون الأدباء الفلانيين)

قـال آخر[1]: ثم تحـدث على نشـاط المنظمـة، وكيـف اسـتقطابها للأدبـاء والمثقفين، فقـال: (كـان أول مـا عـرفت المنظمة في مؤتمر الأدب العربي الذي عقد في روما في شتاء ١٩٦١ م وكانت المنظمة هي التي عملت على عقده، لقـد كـان ذلك المؤتمر تظاهرة قومية عربية في وسط أوروبا.. وأشهد أن المستشـرقين المـدعوين إلى المـؤتمر كـانوا أكـثر عروبـة في مـواقفهم من بعض الجهـات العربيـة.. إن موقـف أيـة منظمـة ثقافية غربية، لا يمكن أن يختلف كثيرا عن أحسن موقف غـربي من قضـايا العـرب، وفيمـا يخص قضـية فلسـطين: الحيـاد بين العرب واليهود)

قـال آخر[2]: ومن المؤسسـات الـتي كـان تسـتهوينا، وتستقطبنا مؤسسة فرنكلين للطباعـة والنشـر، وهي أيضـا من فروع وكالـة الاسـتخبارات الأمريكيـة، وكـانت تسـتقطب كتـاب الحداثة، بمدفوعاتها السخية من كل الاتجاهـات، وكـان الأسـرع إلى خدمتها أقطاب التقليدية، فقدموا لكتبهـا المترجمـة وبحثـوا في الموضوعات التي اقترحتها.

قـال آخر[3]: وفي إعلان واحـد من إعلانـات مؤسسـة فرنكلين عن مطبوعاتهـا المترجمـة وردت أسـماء: طـه حسـين ومحمد عوض محمد، وسهير القلمـاوي ولـويس عـوض، وأحمـد زكي أبو شادي، وتوفيق الحكيم، وكانت مهمة بعضـهم الترجمـة وبعضهم الإشراف والتقديم.. ويبـدو أن نشـاط هـذه المؤسسـة قـد امتـد إلى بـيروت والعـراق أيضـا، حيث ورد في مراسـلات السياب المنشورة ما يفيد أن يوسف الخال وجبرا إبراهيم جـبرا كانا من متعهدي توزيع أعمال الترجمة على الأدباء العرب.

قال آخر: وقـد أعلنت المنظمـة عن اعتزازهـا باسـتقطاب الكتاب والمثقفين الحداثيين من جميع الاتجاهات فقـالت: (نحن فخورون بأننا قد ساعدنا على إعانة عدد لا يحصى من الأسـاتذة والكتاب والصحفيين، ومن بينهم السياب وتوفيـق صـايغ، سـواء

---

1 () توفيق صايغ سيرة شاعر ومنفى: ص ١٦٤ ـ ١٦٥.

2 () بحثا عن الحداثة: ص ٣٨.

3 () المصدر السابق: ص ٥٦. وانظر: أفق الحداثة وحداثة النمط: ص ٥٦، ٧٦.

أكـانوا ليبرالـيين أم محـافظين أم اشـتراكيين في كفـاحهم من أجل حرية التعبير الثقافي في أية بقعة من بقاع الأرض)[1]

قال آخر[2]: ومن المنظمات التي كانت تدعمنا وتسـتقطبنا [جماعة إخوان الحرية]، وكانت في مصـر، ويرأسـها الجاسـوس الإنجليزي المحترف [كرسـتوفر سـكيف]، وقـد حـاكمت الثـورة المصرية أعضـاء هـذه الجماعـة باعتبـارهم عملاء ومنهم لـويس عوض الذي أهدى كتابـه [بلوتولنـد وقصـائد أخـرى] إلى زعيمـه كرستوفر سكيف سنة ١٩٤٧ م، وكان سكيف هذا مبشرا، وكـان يقوم في الجامعة بعمل تبشـيري وسياسـي في آن واحـد، ومن أعوانه ناظر المدرسة الخديوية الجاسوس [فرنسيس] وهو أحد مؤسسى جماعـة إخـوان الحريـة، و[دافـنيس الأعـرج] و[بيفن] وكانوا جميعا يتظـاهرون بـالعلم والثقافـة، ويسـتقطبون العملاء لصالح أجهزة المخابرات البريطانية.

قال آخر: وقـد قـال لـويس عـوض يـذكر ذلـك: (أعتقـد أن اللقاء المتجدد بين المصريين والإسرائيليين سيخلق وضعا ثقافيا مثيرا للاهتمام، وكم أتمنى أن يحـدث ذلـك مثلمـا حـدث قـديما قبل خروج اليهود من مصـر، إن مصـر يجب أن تنفـرد حضـاريا، ولـذلك فعليهـا ألا تتجـه شـرقا إلى دمشـق أو بغـداد، ولكن إلى الشمال والغرب حيث أوروبا، إنني لسـت قوميـا وأفتخـر بـأنني علماني)[3]

قال آخر[4]: ومن المنظمات التي كانت تدعمنا وتسـتقطبنا مؤسسـات [ركفلـر] اليهـودي الأمـريكي و[فـورد] و[فلـبرايت]، وهي مؤسسـات تقـدم الـدعم للدارسـين وللبحـوث المتعلقـة بالعالم الإسلامي، وبخاصة الدعوات الإسلامية فيـه، إضـافة إلى عنايتها بالمسـتغربين من أبنـاء البلاد الإسـلامية، وخاصـة الـذين أعلنــوا مــواقفهم العلمانيــة والحداثيــة المضــادة للإســلام أو المشككة فيه.

قال آخر[5]: فمؤسسة [فلـبرايت] في القـاهرة تسـتقطب هذه الفئـة وتقربهـا، وتسـتكتبها وتوظفهـا، وتغـدق عليهـا ألـوان المساعدات المعنويـة والماديـة، وممن اسـتقطبتهم [فلـبرايت]

---

1 () المصدر السابق: ص ١٥٠.

2 () انظر: أباطيل وأسمار: ص ٤٧٧ ـ ٤٧٨، ٥٠٦.

3 () جريدة الجزيرة، العدد الصادر في ١٠/٣/١٤٠٢ هـ.

4 () انظر: الغرب في مواجهة الإسلام لمازن مطبقاني: ص ٣٤.

5 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 3/2206.

الكاتب الحداثي العلماني نصر حامد أبو زيد، الذي نال الحظــوة من هذه المؤسسة وغيرها، ولمـا قـرر الخـروج من مصـر وجـد الأيدي التى تحتضنه والجامعات التي تسـتقبله من إسـبانيا حـتى فرنسا ومن أمريكلا حتى هولندا.

قال آخر[1]: أما المسـاعدات الماليـة للحـداثيين، فمن أهم نشاطات هذه المؤسسات اليهودية الأمريكيـة، أضـف إلى ذلـك الأبحاث المشتراة بل المدفوعة الأتعاب سلفا، والتي تصب كلها في تسويق الليبرالية الغربية والسـلام مـع اليهـود، وفي التنفـير من الإسلام وقضاياه باسم دراسة الإسلام السياسي.

قـــال آخر[2]: ومن الأمثلـــة على ذلـــك [مجلـــة الآداب البيروتية]، وهي المجلة التي تبنت العقيـدة الوجوديـة الإلحاديـة وراحت تدعو إليها وتبشر بها، وتنشر الكتب والقصص الوجوديـة من سارتر حتى كولن ولسن.. والملاحـظ أنهـا لعبت دورا كبـيرا في طرح [الالتزام] و[الشعر] و[الثقافة] في إطـار الأطروحـات الوجوديــة، وزاد هــذا الميــل في الســنوات اللاحقــة بوصــف الوجودية أصفى تعبير عن مشكلات الإنسان العربي.

الجوائز والتحفيزات:

قـال آخـر: لم تكن تلـك المنظمـات والمجلات والصـحف وحدها من استقطبنا واستقطب أساتذتنا، بل الأخطر منهـا تلـك الجوائز والتحفيزات التي كانت تدعونا لكتابة كل ما يريدون في سبيل نيلها.

قـال آخر[3]: وقـد أحيطت تلـك الجـوائز بهـالات الدعايـة، وبهارج الـتزويق فأصـبح الحصـول عليهـا أمنيـة الأمنيـات وغايـة الغايات، عند من خف ميزانهم، وضعف يقينهم بالله وبدينه.

قال آخر[4]:ومن أشـهر تلـك الجـوائز [جـائزة نوبـل] الـتي يسيطر عليها ويوجهها زمرة من اليهود بل من الصهاينة.. وكـان من آخر الأحـداث الأدبيـة الـتي ضـجت بهـا وسـائل الإعلام نيـل نجيب محفــوظ لهــذه الجــائزة؛ فقــد اعتبرهــا المصــفقون في مــدرجات العبث والضــياع قفــزة إلى العالميــة، وتنافســوا في إطراء الجائزة وصـاحبها، وكـان الأمـة قـد نـالت نواصـي العـزة

1 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 3/2206.

2 () بحثا عن الحداثة: ص ٣٦ ـ ٣٧.

3 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 3/2211.

4 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 3/2211.

والتمكين لما حصل أحد القصاصين على جائزة يهودية.

قـال آخـر: وقـد ذكـر نجيب محفـوظ نفسـه أهـداف تلـك الجائزة وغيرها، فقال في وضـوح وصـراحة: (مـا من جـائزة إلا ومن ورائها شروط ما؛ لأنه لا يمكن أن أرصـد مـالي لجـائزة إلا وعندي هدف، أنا أعمل جائزة ألف جنيـه لقصـة فيكـون وراءهـا سـؤال، أي نـوع من القصـة؟ وإلا فلمـاذا أرصـدها؟ لهـدف سياسي، لسبب ديني، أو لسبب اجتمـاعي، وجـائزة نوبـل تعـبر عن قيم الحضارة الغربية، ويـوم أن منحت لمنشـق روسـي، لم تكن تكيـد لروسـيا، وإنمـا اعتـبرت أن الشـيوعية هـدم لقيم الحضارة الغربية الأصلية، وعندما أخذ أحـد الكتـاب منهـا موقفـا واحتج عليها شجعته لأنها تشجع قيمها)[1]

قال آخر: ولما أجرى أحـد الصـحفيين معـه حـوارا في هـذا الشأن اعتبر الجـائزة والفـرح بهـا واللهـاث خلفهـا من علامـات القصور، فقد سأله الصحفي قائلا: (لم ينل الأدب العربي جـائزة نوبل حتى الآن هل ترد ذلك إلى قصـور في جهـود الترجمـة، أم أن هناك العوامل السياسية التي تتدخل، ولا تجعل تلك الجـائزة مقياسا للأدب؟) فأجاب نجيب قـائلا: (هـذا سـؤال مهم، فأنـا لم أفكر أبدا فى جائزة نوبل، وأعجب كيف أننا نشغل بالنا ليل نهار بهذه الجائزة، وكأننـا لم نكتب أدبـا، أو لن يكـون لنـا أدب إذا لم نفز بها، وهو أمر مخجل يعكس عدم الثقة بالنفس، والنظر إلى تراثنا الأدبي الهائل على أنه قليـل القيمـة، مـع أنـه ليس كـذلك أبدا، لا ينبغي أن نشغل أنفسـنا بتلـك الجـائزة أفـرادا ومجتمعـا فهي ليست جـوازا للمـرور إلى عالميـة الأدب وليسـت مقياسـا للأدب الجيد)[2]

قال آخر: وفي كتـاب [على نـار هادئـة] سـأله مؤلفـه: (إذا منحت لـك جـائزة نوبـل هـل سترفضـها مثلمـا فعـل سـارتر؟) فأجاب نجيب محفوظ: (نعم سأرفض هذه الجـائزة لـو منحـوني إياها، لأن البعض اعتقد أنني أدعو إلى السلام وكامب ديفيد من أجل الحصول على جائزة نوبـل الـتي تسـيطر عليهـا الصـهيونية العالمية)، وأضاف: (إنني أدعو إلى السلام في نظـر هـؤلاء لكي أحظى برضا تلك المنظمات الـتي تتحكم في منح الجـائزة لمن تريد، لهـذا فـإنني سـأرفض جـائزة نوبـل لـو منحت لي بالفعـل

1 () أدب نجيب محفوظ: ص ٦٠.

2 () أدب نجيب محفوظ: ص ١٢٦.

لأنني في الحقيقة غـني عن رضـا الصـهيونية.. إن هـذه الجـائزة ككل جائزة تقوم على أساسين: الأسـاس الأول: عمـل يشـترط فيه درجة من التفوق، الأساس الثاني: تحقيق مضـمون معين لا يخلو من خط سياسي بالمعنى العام)[1]..لقد قال ذلـك قبـل أن يمنح الجـائزة، لكن بعـد أن منح الجـائزة طـار بهـا فرحـا وأعلن مباشرة قبوله بها وافتخاره بالثقة الكريمة، واعتبر ذلك اعترافـا بعالمية الأدب العربي.

قال آخر[2]: لم تكن مبادرة نجيب محفوظ للـدعوة للصـلح مع اليهـود، هي المـبرر الوحيـد والكـافي لرضـا أصـحاب جـائزة نوبل، الذين ذكر نجيب محفـوظ أنهم تسـيطر عليهم الصـهيونية العالمية.. بل كانت هناك سبب آخر لا يقل أهمية، وقد أشار إليه حين بين أن أحد أسس منح الجائزة أن تكـون الأعمـال محققـة لمضمون معين، وذلك المضـمون هـو قلب المعـايير الثابتـة في المجتمـع المسـلم، وزعزعـة أركـان التـدين والعبـادة والأخلاق والقيم.

قـال آخر[3]: ولـذلك أفشـي نجيب محفـوظ ـــ من خلال رواياته ـ في المجتمع المسلم جرأة خبيثة في الشك في الـدين والسخرية بالله تعالى ورسله، وأفشى قيما أخلاقية يحرص كـل عدو للإسلام والمسـلمين على انتشـارها في المجتمـع المسـلم ليضعف ويتفكك.. وقد أثار الإلحـاد تحت أسـئلة الشـك والـريب التي تبدو في ظاهرها بريئة وساذجة، وأثار أمور الجنس بصورة تجعل الفاحشـة هينـة بسـيطة، وتسـوغ تعـاطي الجنس كالمـاء والهواء، وتسوغ شرب الخمر والحشيش والرذائل الخلقية.

قـال آخر[4]: لقـد وضـع نجيب محفـوظ كـل هـذه القضـايا وغيرها على لسان شخصيات رواياته، ونطق هـو بهـا، ولكن من خلف أقنعة هذه الشخصيات التي تبدو أنها لا تفرض رأيها، وأنها مجرد صور لبعض حـالات موجـودة في المجتمـع، ولكن القـارئ يخرج منهـا وقـد اشـتعلت في ذهنـه أسـئلة الشـك، والتهب في قلبه جحيم الجنس إلا من عصم الله.

قـال آخـر: وقـد شـهد مجموعـة من الكتـاب بـالمرمى السياسـي والفكـري من وراء منح نجيب هـذه الجـائزة؛ فقـد

1 () أدب نجيب محفوظ: ص ٥٩.
2 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 3/2216.
3 () أدب نجيب محفوظ: ص ٥١.
4 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 3/2216.

عقدت مجلة الأزمنة البيروتية نـدوة حـول ظـروف منح الجـائزة لنجيب محفوظ، ومما جاء فيها: (إن جـائزة نوبـل تمثـل الرؤيـة الغربيـــة، ولا يمكن أن نتخيــل كاتبــا عربيــا على صــراع ضــد الإسرائيليين، مستمرا في صـراعه معهم يحصـل على الجـائزة؛ لأن هذا لا يتفق مع التصور الغربي للأمور، ولا أستبعد أن يكــون للجنة هذه الجائزة جهـاز اسـتخبارات خـاص، فقـد قـررت سـنة ١٩٧٢ م منح الكــاتب الأرجنتيــني [جــورجي لــويس بــورجنس] الجائزة لكنه حـرم منهـا قبـل أسـبوع واحـد من إعلانهـا لسـبب غريب هو أنه يحابي ذكر الزعيم الفاشـي موسـوليني، ويتحـدث عنه بعطف شديد فحرم الجائزة إلى الأبد، والكاتب الإســرائيلي المجهول [عجنون] ينالهـا، ولم تكن لـه أعمـال ذات قيمـة، ولم تكن له كتب مترجمة إلى لغات أخرى)(1)

قال آخر: وجاء فيها: (إن العامل السياســي لعب دوره في قضـية منح نجيب محفـوظ الجـائزة، فقـد ظهـر نجيب محفـوظ على شاشة التلفزيون الإسرائيلي، وأعطى مقابلات لنقاد وأدباء وصــحافيين إســرائيليين، وهــذا مــا جعلــه أقــرب إلى مفهــوم الغربيين من غيره من الأدبـاء، كمـا أن الـرئيس أنـور السـادات أقرب إلى الغربيين من الرئيس عبد الناصر للسـبب نفسـه، أنـا أدخل العامل السياسي، وأراه مباشـرا، إنـه صـار إسـرائيليا في نظرته السياسية، أو تجنس إسرائيليا)(2)

قـال آخر(3): ومن الأمثلـة على تلـك الجـوائز الـتي كـانت تستقطب الحداثيين وتشجعهم [جـائزة الغنكـور]، وهي الجـائزة الفرنسـية الـتي لا تعطى إلا لعمـل روائي يطـابق المواصـفات الــتي رســمها واشــترطها [أدمــون غنكــور] الــروائي والمــؤرخ الفرنسي، في وصيته حول الجائزة قبل ما يقارب المائـة عـام.. فهي لا تعطى إلا لمن يخـــدم المـــآرب الثقافيـــة والسياســـية الفرنسية، لكي تظـل هـذه المـآرب على قيـد الحيـاة، من خلال صنائعها من الكتاب والأدباء.

قال آخر(4): وممن أعطي هذه الجـائزة الحـداثي المغـربي طاهر بن جلون.. وهو رجل أدار ظهـره لبلاده وأمتـه وحضـارتها

---

1 () مجلة الأزمنة، العدد ١٥ في مارس وإبريـل ١٩٨٩ م/١٤٠٩ هــ: ص ٧٢ ـ ٧٣. والكلام لعلي شـلش، نقلا عن كتاب أدب نجيب محفوظ: ص ٦٢ ـ ٦٣.

2 () أدب نجيب محفوظ: ص ٦٢ ـ ٦٣.

3 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 3/2223.

4 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 3/2223.

وتاريخها.. والاطلاع على نتاج هذا الرجل يعطي برهانا كافيا على السبب الذي اختير من أجله لجائزة [الغنكور] ويخرج بتصور شامل عن الرسالة الهدامة التي يحملها، والسر الذي جعل الفرنسيين يكرمونه بهذه الجائزة في المركز الثقافي الفرنسي في تونس.

قال آخر(1): ومن الأمثلة على تلك الجوائز [جائزة اللوتس]، وتمنحها منظمة كتاب آسيا وأفريقيا، الموظفة لخدمة الفكر الاشتراكي، وهذه الجائزة لا تقدم إلا لمن سار في خدمة الشيوعية، داعيا إليها، وكان معبرا عنها في بلاده، ساعيا لتمكينها سياسيا واعتقاديا في مجتمعه.. ولذلك احتشدت طوابير اليسار العربي للحصول على هذه الجائزة.

قال آخر: ومن الذين حصلوا عليها حسين مروة، الماركسي اللبناني، وزميله الفلسطيني الماركسي غسان كنفاني، وثالثهم الماركسي الآخر عبد الكريم الكرمي، وغيرهم من عتاة الاتجاه الماركسي.

ج. التلمذة المدنسة:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن المنبع الثالث من المنابع المدنسة.

قال أحد المبدلين: إنه ذلك الذي وصفه الله تعالى بقوله: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: 47]، فالآية الكريمة تشير بكلمة ﴿سَمَّاعُونَ﴾ للتلمذة المدنسة التي وقعنا فيها، كما وقع فيها جميع أساتذتنا.

قال آخر(2): ولذلك فإنكم لو اطلعتم على كل الضلالات التي يقوم على تأصيلها ونشرها والدفاع عنها دعاة الحداثة؛ فسترون أنها ليست إلا نقولات مترجمة عن أفكار ومناهج الغربيين.

الفلسفات التشكيكية:

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك أن كل الذين زعموا أن الوحي الإلهي كلام بشر ونتاج إنسان، أو أنه أسطورة، أو أنه مضاد للعقل والعلم ليس سوى صدى للفلاسفة والمستشرقين الذين أوحوا إليه بتلك المعاني.

---

1 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 3/2224.

2 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 1/92.

قـال آخر(1): ولـذلك؛ فإننـا لـو نظرنـا إلى مـا كتبـه أعـداء الـوحي من العـرب فإننـا نجـد أنهم لم يخرجـوا عن مـا كتبـه الغربيون من يهود ونصارى عن التوراة والإنجيل، ذلـك أنهم لمـا نظروا إلى ما في هذه الكتب من اختلاف وتناقض وما فيهـا من اختلاق منسوب إلى اللـه وأنبيائـه، اتضـح لهم مناقضـتها للواقـع المادي المجرب، ووقوعها في محـالات العقـول، وكـانت أوروبـا قـد قطعت شـوطا كبـيرا في الأخـذ بالماديـات والركـون إلى الفلسفات الشكية واللاأدرية، والإلحادية، فنتج من ذلك أن اتجـه مجموعـة من فلاسـفة الغـرب لدراسـة التـوراة والإنجيـل على ضوء هذه المذاهب والفلسـفات، فأسسـوا بـذلك مـدارس تهتم بنقد نصوص الوحي وإجراء الدراسات النقدية والتاريخية عليها.

قـال آخر(2): ومن أشـهر فلاسـفة الغـرب الـذين تصـدوا لدراسـة مـا يسـمونه [ظـاهرة الـوحي] والـذين هم أسـاتذتنا الحقيقيين وأساتذة كل الحداثيين [سبينوزا] (١٦٣٢ م ـ ١٦٧٧ م) الذي ولد لأسرة يهودية من يهود البرتغال، هرب والـده إبـراهيم وجـده ميخائيـل من البرتغـال إلى هولنـدا، وكـان والـده زعيمـا للجالية اليهودية في أمستردام وجده كان مهتما بأمر الكنيسـت اليهودي، وتلقى باروخ تربية يهودية دينية متعمقة، ودرس مبادئ التاريخ الديني والسياسـي والنقـدي لليهوديـة واطلـع على كتب الفلاسفة اليهود في العصر الوسيط، وأصبح حاخامـا يهوديـا، ثم فيلسوفا ودارسا للعلوم الإنسانية.

قال آخر(3): وقـد كـان القـوت الرئيسـي الـذي تغـذى منـه فكره النصوص العبرية وكتابـات جرسـويندس الـذي كـان ينتقـد المعجزات والنبؤات ويقدم العقل على الـوحي، ومن هنـا توجـه سـبينوزا لرفـع مقـام المعرفـة العقليـة، وفعـل الكثـير لـترويج وتطـوير الإلحـاد ــ كمـا تقـول الموسـوعة الفلسـفية لأكـادميين سوفييت ـ ولقضية التفكير الحر، وأنه لا يصح للـدين ولا للدولـة المساس بحرية الفكر، وكان له تأثير قـوي على ماديـة القـرنين السابع عشر والثامن عشر، وأثر تفكيره الحر الديني على تطور الإلحاد، وقد أثنى إنجلز على آراء سبينوزا الفلسفية ثنـاء كبـيرا، وتعاليمه تجعله خليفة لتوماس هوبز وهو الفيلسـوف الإنجلـيزي

1 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 2/1058.

2 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 2/1059.

3 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 2/1059.

الملحد المعادي بشدة للدين.

قال آخر(1): ومن كتبه التي كان لها التأثير الكبير فينـا وفي أسـاتذتنا الحـداثيين كتابـه الـذي سـماه [الرسـالة اللاهوتيـة السياسية]، وتسميه بعض الكتب [البحث اللاهـوتي السياسـي]، وقـد ترجمهـا تلميـذ كتبـه حسـن حنفي تحت اسـم [رسـالة في اللاهوت والسياسة]

قـال آخر(2): وقـد وضـع في هـذا الكتـاب أسـس المنهج التـاريخي لدراسـة محتـوى النص الـذي يـرى أنـه يـتراوح بين التاريخية والأسـطورية للتحـرر من سـلطة الأسـطورة والقضـاء على أسبقية المعـنى، وحتميـة الحقيقـة في الـوحي، وأنـه يجب البحث في تاريخية النص لا البحث عن المعنى والحقيقة فيه.

قال آخر(3): وقد أثر سبينوزا بأقواله هذه على الذين جاؤوا بعده، وهز بفلسفاته المكانة المتبقية للعهد القديم والجديـد من الكتاب، وخاصة الإنجيـل الـذي تـوارد على دراسـته جموعـة من أبناء النصارى الغربيين متأثرين بمنهج سبينوزا.

قـال آخر(4): ومنهم [ريشـار سـيمون] (١٦٣٨ ـ ١٧١٢ م)، وهـو مفكـر فرنسـي وخطيب ورجـل دين مسـيحي، وقـد كلفـه بعض الرهبـان بوضـع فهـرس بالمخطوطـات الشـرقية لـدى الكنائس لديهم، وبذلك توفرت له مجموعة واسـعة من الوثـائق عن اليهودية والكنائس الشرقية ممـا أتـاح لـه أن يكـون تصـورا جديدا عن تكـوين مختلـف أسـفار الكتـاب المقـدس وتحريرهـا، فكتب كتابه [التاريخ النقدي للعهـد القـديم] الـذي يـرى فيـه أن النسخة الأصلية للإنجيل قد ضـاعت، وأن التحريـف تناولـه، وأن الـواجب يقضـي أن تخضـع النسـخة الحاليـة للفحص والتـدقيق والدراسات اللغوية والتاريخية، وقد كره البروتستنت والكاثوليك هـذا الكتـاب؛ لأنـه يشـكك في أهم وثـائقهم الدينيـة، ويقـوض أساس الديانة النصرانية.

قال آخر(5): ثم ألف [التاريخ النقدي لنص العهد الجديد] ثم [التـاريخ النقـدي لروايـات العهـد الجديـد] ثم [التـاريخ النقـدي

---

1 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 2/1060.

2 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 2/1060.

3 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 2/1060.

4 () موسوعة أعلام الفلسفة ١/٥٩٤، والمعجم الفلسفي: ص ٣٥٤، والموسوعة الفلسفية: ص ٢٥١.

5 () انظر ترجمته في: موسوعة أعلام الفلسفة ١/٥٩٤، والمعجم الفلسفي: ص ٣٥٤، والموسـوعة الفلسـفية: ص ٢٥١.

للشراح الرئيسيين للعهد الجديد] ثم [ملاحظات جديدة حول نص العهد ورواياته]، وهي كلها تنتقد النصوص الإنجيلية وتشكك في ثبوتها، وفي تناقلها، وسبب ذلك ما اكتشفه سيمون من تناقضات واختلافات وإضافات وحذف وشروح مختلفة، وتواريخ متعارضة وغير ذلك من الأسباب التي حفزته إلى هذه الشكوك الكبيرة وقادته إلى وضع تفسيرات تاريخية وعقلانية للكتاب المقدس عندهم.. وقد أخذ هذا عنه أساتذتنا الحداثيون، وطبقوا أقواله ونظرياته على القرآن الكريم من غير مراعاة للفوارق الكبيرة بين القرآن وتلك الكتب المحرفة.

قال آخر[1]: ومنهم [شتراوس دافيد فريدريش] (١٨٠٠ ـ ١٨٧٤ م)، وهو لاهوتي وشارح ألماني، بروتستانتي، وكان قسا لقرية في ألمانيا ثم مدرسا في مدرسة دينية، تتلمذ على الفيلسوف هيجل.. وقد ألف كتابا باسم [حياة يسوع] الذي أثار ضجة كبيرة وتألبت عليه السلطات الدينية في ألمانيا بسببه، وأثار بكتابه هذا دهشة أوروبا وانذهالها بما أضفاه من شك وريبة في المسيح عليه السلام وفي الإنجيل.

قال آخر: وقد عبر فيه عن آرائه الملخصة في أنه ينبغي ألا يختلف النظر إلى هذا الكتاب بعهديه القديم والجديد، عن النظر إلى أي كتاب آخر من حيث التحليل والنقد.. وقد ركز شتراوس نفسه لعمله النقدي والتأريخي فأصدر عدة كتب هي [العقائد المسيحية] و[الروماني على عرش القياصرة]

قال آخر: وقد طغت أعمال دافيد شتراوس على مجمل النقد الديني في القرن التاسع عشر، ونستطيع تتبع تأثيرها في اتجاهات أساسية ثلاثة: في اتجاه ماركس، بوساطة فيورباخ، وفي اتجاه رينان، وأخيرا في اتجاه مادية هيجل.

قال آخر[2]: وقد تصدى شتراوس لإفراغ النصرانية من كل مضمون خارق للطبيعة وبإرساء الدين على عقلانية الفكرة النصرانية وحدها، وهذا الاتجاه بعينه أخذه الحداثيون العرب، كما أخذوا من شتراوس وجوب إخضاع الوحي لمتطلبات النقد التاريخي، حيث رأى أن النصرانية لا تقبل التفسير إلا من خلال ما سماه [أسطورة يسوع] التي يرى أن العقلية اليهودية هي

---

1 () المعجم الفلسفي: ص ٣٦١ ـ ٣٦٢، وموسوعة أعلام الفلسفة ٢/١٥ ـ ١٧، وتاريخ الفكر الأوروبي الحديث ٤/١١٠.

2 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 2/1063.

التي اختلقتها، وقد اعتمد رينان هذه الفكرة في كتابه [حياة يسوع]، وما انفك شتراس يتقدم تجاه مادية متشددة باطراد حتى ذهب في أواخر حياته إلى إنكار كل دين يقوم على إله شخصي ـ حسب تعبيره ـ معتبرا أن العلم يعطي تفسيرا وافيا للكون، واعتبر أن وجود المسيح أسطورة، واتجه بكرهه الشديد للمسيحية لترسيخ النزعة الهيجلية المادية وخصوصا في كتابه [الإيمان القديم الجديد]

قال آخر[1]: ومنهم [رينان جوزيف ارنست] (١٨٢٣ ـ ١٨٩٢ م)، وهو كاتب وفيلسوف فرنسي، نذره أهله من صغره للكهنوت فدرس على أيدي معلمين دينيين ثم تخرج كاهنا وتعلم العبرية، ثم توجه إلى الفكر الألماني وابتعد عن الإيمان الكاثوليكي وتخلى عن الكهنوت، وبدأ بدراسة التاريخ والفلسفة، وحصل على الدكتوراه في موضوع بعنوان [حول ابن رشد والرشدية]، وتجول في بعض بلاد المشرق العربي للبحث في الآثار، ودرس اللغة العبرية في إحدى جامعات فرنسا وحاضر عن المسيح عليه السلام باعتباره [إنسانا لا نظير له] فغضب منه الكاثوليك وأوقفوا محاضراته وألف عدة كتب في نقد الدين النصراني بأسلوب فلسفي وتاريخي وأشهرها [تاريخ أصول المسيحية] في سبعة أجزاء و[حياة يسوع] على نمط شتراوس، و[دراسات في التاريخ الديني] و[تاريخ شعب إسرائيل] في خمسة أجزاء.

قال آخر: واتسمت فلسفته بنزعة هيجلية ونزعة شكية رافضة للثابت، وأعلن عن رفض كل خارق للطبيعة والإيمان بالطبيعة وقوانينها التي لم تخرق، والإيمان بالعلم الحر، والتزم بهذه المبادئ في نظرته إلى العلم والتاريخ والدين والماورائيات، وأعطى العلم أهمية كبرى، واعتبره الناموس الذي لا تعيش البشرية بدونه، والتزم بالوضعية واعتبر أن كل المعارف تأتي عن دراسة الطبيعة والتاريخ، وهو المبدأ الذي أخذه أركون وقدسه وطاف حوله في أغلب كلامه ومؤلفاته.

قال آخر: واعتبر رينان أن لكل شيء في التاريخ تفسيرا إنسانيا، وأن الدراسات التاريخية يجب أن تكون ذات نظرة طبيعية وبناء على نظرته التاريخية هذه فقد رفض كل ما يخرق

1 () المعجم الفلسفي: ص ٣٦١ ـ ٣٦٢، وموسوعة أعلام الفلسفة ٢/١٥ ـ ١٧، وتاريخ الفكر الأوروبي الحديث ٤/١١٠.

الطبيعة ولا يستثني الأساطير التي يقصد بها ما في الأديان وكتبها وهو يقصد الكتاب المقدس عند النصارى، حيث تبنى قضية النقد التاريخي لتاريخ المسيحية فأبعد الطابع التقديسي عن الأبحاث في الكتاب المقدس لديهم، وأسس شرحا علمانيا له، بنظرة نقدية فيلولوجية [طرق نقدية تعتمد على التاريخية والمقارنة] اعتبرت أن الأناجيل روايات تاريخية متناقضة، واستبعد رينان كل الخوارق والمعجزات.. وهذا المنهج نفسه أخذه الحداثيون والعلمانيون العرب وحاولوا تطبيقه على الإسلام.

قال آخر[1]: ومنهم [بولتمان رودولف] (١٨٨٤ ـ ١٩٧٦ م)، وهو كاتب وفيلسوف لاهوتي ألماني، كان رائد حركة [نزع الطابع الميتولوجي] أي الأسطوري عن المسيحية، وتقول كتب تراجم الفلسفة بأن فكره اليوم يستلهمه الذين يسمون [لاهوتيي موت الله]، وكان ابنا لقس لوثري، درس تاريخ العهد الجديد، ودرس اللاهوت، ألف كتبا بعنوان [العهد الجديد، إنجيل يوحنا] و[لاهوت العهد الجديد] و[يسوع المسيح والميتولوجيا]، واهتم فيها بالجانب النقدي التاريخي للجانب [العجائبي] أي العجيب، والجانب الذي يسميه [الأسطوري] وركز على شطب الجانب العجيب والجانب الأسطوري من الوحي حسب رأيه.. وقد اقتدى به الحداثيون وساروا على منواله وخاصة أركون في كتابه [الفكر الإسلامي قراءة علمية]

قال آخر[2]: ومنهم [مارتن هايدغر] (١٨٨٩ ـ ١٩٧٦ م)، وهو فيلسوف ألماني، بدأ دروسه عند الآباء اليسوعيين ثم واصل دراسة اللاهوت حتى حصل على الدكتوراه، انتمى إلى النازيين، وتتلمذ على الفيلسوف اليهودي هوسرل، وعنه أخذ الفهج الظاهراتي وأهدى إليه كتابه [الوجود والزمن]، ورغم أنه من المفكرين المعدودين في أوروبا في القرن العشرين إلا أنه كان شديد التعصب لألمانيته لغة وشعبا ووطنا، ويرى أن شعبه هو الوحيد القادر على تجديد الفكر الغربي.

قال آخر: وقد أثر بأفكاره الظاهراتية وفلسفته في تأسيس علم الوجود على الفلاسفة الوجوديين وخاصة سارتر، وقد جعل هايدغر الوجود الإنساني هو الذي يكتشف من خلاله

---

1 () انظر ترجمته في: المعجم الفلسفي: ص ١٨٥ ـ ١٨٦، وموسوعة أعلام الفلسفة ١/٢٧١ ـ ٢٧٢.

2 () الموسوعة الفلسفية: ص ٤٩٧ ـ ٤٩٩، وموسوعة أعلام الفلسفة ٢/٥٣٨.

معنى الوجود، ويرى أن الموجود البشري قد قذف به في العالم ضد إرادته.

قال آخر[1]: فهؤلاء هم أشهر فلاسفة الغرب من اليهود والمسيحيين الذين أسسوا مناهج فلسفية نقدية وتاريخية لدراسة الوحي المتمثل لديهم في الكتاب المقدس عندهم، وقد سار الكتاب العرب على منوال هؤلاء، واستعاروا مفرداتهم ومناهجهم، وارتدوا أزياءهم الفكرية والفلسفية، وجاؤوا بحماس من يريد الهدم السريع والتخريب المباشر، وتوجهوا إلى نصوص القرآن الكريم ثم السنة الشريفة ثم سيرة وحياة رسول الله ﷺ يدرسونها وفق هذه النظريات المستعارة.

قال آخر[2]: وقد أخذوها بتسليم كامل وقطعوا بصحتها وجزموا بسلامتها، وأوصلوها إلى درجة القداسة.. ومن يقرأ كلام أركون في ما يسميه [التاريخية] يرى بوضوح مقدار تشبعه بهذا المنهج حتى أصبح عقيدة يزن بها الكتب المنزلة وكل قضايا الوحي ومقتضياته.

قال آخر[3]: وكل من يطالع كتب ومقالات أدعياء الحداثة يجد أنهم لم يخرجوا عن المفهوم الغربي في دراستهم لدين الإسلام، ولذلك تجدهم يرددون بإمعية كاملة ألفاظ ومصطلحات أساتذتهم فيطلقون على الوحي مصطلح [ميثولوجيا] أي مجموعة الأساطير التي تعمل على فك مستغلفات الحياة والموت[4]، ويجعلون المنهج [الميتولوجي] أساس دراستهم باعتباره علما يعالج تصنيف المعتقدات ويحللها ويقارنها وفق المفهوم الغربي بطبيعة الحال.

قال آخر[5]: وأحيانا يسمون نصوص الوحي [الميثات] جمع [ميث] وهي الأسطورة والقصة الخرافية التي يسودها الخيال، وتبرز قوى الطبيعة في صور كائنات حية ذات شخصية ممتازة، وتستخدم في عرض مذهب أو فكرة عرضا شعريا قصصيا[6].

---

1 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 2/1065.

2 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 2/1065.

3 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 2/1065.

4 () انظر الميث الأسطورة في: المعجم الفلسفي: ص ١٣، ومعجم المصطلحات والشواهد الفلسفية: ص ٤٢، والمفاهيم والألفاظ في الفلسفة الحديثة: ص ١٤٥، ومعجم المصطلحات الأدبية: ص ١٠٦.

5 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 2/1065.

6 () انظر الميثولوجيا في: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة لعلوش: ص ٢٠٧، والموسوعة العربية الميسرة ٢/١٧٩٧.

قال آخر[1]: وإذا تكلموا عن الدين أطلقوا عليه اسم [ثيولوجي]، وهو مصطلح يعني اللاهوت بالمفهوم الغربي النصراني واليهودي ويعرفونه بأنه علم يبحث في وجود الله وذاته وصفاته وسمي أيضا [ثولوجيا] وعلم الربوبية والإلهيات، واللاهوت الطبيعي يعتمد على التجربة والعقل وحدهما دون الرجوع إلى الوحي، ويقابله عندهم اللاهوت المنزل ويعتمد على النصوص المقدسة[2].

قال آخر[3]: وإذا تعرضوا لدراسة الوحي ونصوصه تخاطروا بألفاظ تلقوها عن أساتذتهم، وتنافروا بالمصطلحات الغربية على أساس أنها هي الحق والحقيقة والعلم، من أمثال [الفيلولوجيا] وهي الطرق التي تستهدف إنجاز نص، وتسهيل قراءته ونقده، ودراسة النقدية من خلال الوجهتين التاريخية والمقارنة[4].

قال آخر[5]: وقد استخدموا هذا المنهج النقدي تبعا لسينوزا وغيره، وحاولوا من خلال هذا النقد هدم نصوص الكتاب والسنة كما فعل الغربيون في الكتب المحرفة، أو التشكيك في ثبوتها وصحتها أو في مدلولاتها القطعية، كما أنهم استعملوا لهذا الغرض الأخير منهج التأويل المعاصر الذي يطلقون عليه مصطلح [هرمنيوطيقيا] وهي طريقة تأويل، تدرس المبادئ المنهجية في التعامل مع النصوص وتفكيك رموزها وكشف أغوارها، وتستهدف في ميدان الوحي ـ الذي هو أهم ميدان للهرمنيوطيقيا ــ الدراسة التأويلية للرموز والاستعارات، وتعني استخلاص المعنى الكامن انطلاقا من المعنى الظاهر، أو الانطلاق من المعاني المجازية بحثا عن المعاني الحقيقية.

قال آخر[6]: وقد استخدم هذا المصطلح في أول الأمر في دوائر الدراسات اللاهوتية ليشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني [الكتاب المقدس] عند الأوروبيين من يهود ومسيحيين، ثم اتسع مفهوم

---

1 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 2/1065.
2 () انظر الثيولوجي في: المعجم الفلسفي: ص ١٦٠ ـ ١٦١.
3 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 2/1066.
4 () انظر الفيلولوجيا في: معجم المصطلحات المعاصرة لعلوش: ص ١٧١.
5 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 2/1066.
6 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 2/1066.

هذا المصطلح ليشمل كل العلـوم الإنسـانية، غـير أن الحـداثيين والعلمانيين في سـياق تبـنيهم لسـبينوزا ومناهجـه، توجهـوا إلى الوحي من كتاب وسـنة لدراسـته على أسـاس المنهج التـأويلي [الهرمــنيوطيقي] حســب مفهــوم تعبــير الغربــيين، وتعــريب المستغربين(1).

قال آخر(2): ومن المصـطلحات الـتي تقمصـها المنهزمـون من أبناء المسلمين في دراستهم للوحي مصطلح [التاريخية] أو [التاريخانية]، وقد أغرم بهذا المصطلح إلى حد التقديس محمــد أركون ونصر أبو زيد، ويفضل أركون استخدام التاريخية ويفصل بينها وبين التاريخانية، على اعتبار أن التاريخانية هي التي تقــول بأن كل شيء أو كـل حقيقـة تتطـور مـع التـاريخ وتهتم بدراسـة الأشياء والأحداث من خلال ارتباطها بالظروف التاريخية، ويــرى أركون بأنه يجب تجاوز هذا المعنى إلى [التاريخية] الـتي تسـمح وحـدها بتجـاوز الاسـتخدام اللاهـوتي أو القـومي، وبشـكل عـام الإيديولوجي للتاريخ(3).

قـــال آخر(4): وقـــد عـــرفت كتب المعـــاجم الفلســـفية [التاريخية] بأنها (صفة لكل ما هو تاريخي مميز عن الخرافي أو الخيالي، كمـا أنهـا من جهـة أخـرى مـيزة الإنسـان الـذي يعيش التـاريخ ويحيـاه باعتبـاره كائنـا تاريخيـا وكائنـا زمانيـا، والنزعـة التاريخيـة هي النظـر إلى كـل موضـوع معـرفي على أنـه نتـاج حاضـر ناشــيء عن التطـور التـاريخي، أمـا أصـحاب المـذهب التــاريخي فــيرون أن الأحــداث والظــواهر الاجتماعيــة تتصــف بالنسبة التاريخيـة، وهي على ذلـك غـير قابلـة لأن تـدرس على غرار الظواهر الطبيعية)(5)

قال آخر(6): ويتعامل المستغربون مع الوحي على الطريقة الغربية، باعتباره فكـرة من الأفكـار ويدرسـون كيفيـة انتشـاره، والنزعات التي أثـرت في وجـوده، وتطـوره، مسـتبعدين قضـية عصمة الوحي وعصمة المبلغ ووحدانية المـوحي والآمـر بـه، ثم

---

1 () انظر عن الهرمنيوطيقيا: معجم المصطلحات الأدبية لسعيد علوش: ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥، = .

2 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 2/1067.

3 () انظر: الفكر الإسلامي قراءة علمية لأركون: ص ١٣٩.

4 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 2/1067.

5 () معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية: ص ٤٨. وانظر: معجم المصـطلحات الأدبيـة لسـعيد علـوش: ص ٥٦.

6 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 2/1067.

يصدرون بناء على دراسة الظروف والملابسات والأوضـاع الـتي مرت بها نصوص الوحي ـ وفـق معلومـاتهم، وحسـب أغراضـهم ومقاصـدهم ــ الأحكـام على النصـوص وخاصـة القـرآن عنـد المستغربين من أبناء الشـرق، ويطبقـون سـائر مقتضـيات هـذا المنهج [التـاريخي] على نصـوص الـوحي بصـورة تـدل على اعتقادهم العميق بعصمة وصحة هذا المنهج.

قـال آخر[1]:وهم في [التاريخيـة] و[الهرمنيوطقيـا] أتبـاع مخلصون لفلسفة مارتن هايدغر، ومتعصـبون للمنهج التـاريخي، ويعتـبرون أن المعرفـة التاريخيـة هي الأداة الأساسـية لدراسـة النصوص والمصير الإنسـاني، ويـرون أن المنهج التـاريخي قـادر على الكشف عن طبيعة النص وأصـله ومقصـوده، وعن طبيعـة الإنسـان ومصـيره، وعن القيم الـتي تشـكل الحـافز الأساسـى للإنسان.

قال آخر[2]: وقد سـلكت النازيـة ثم الشـيوعية الماركسـية هذا المسلك وقامت فلسفاتها على هذا الأساس، وتقـوم عمليـا اليوم فلسفة الغوب اللبرالية على هـذه النظـرة القاطعـة، وإن كانوا لم يقولوا ذلك نظريـا، إلا أن واقعهم السياسـي والثقـافي والإعلامي يرتكز على هذا المفهوم في الجملة؛ ولذلك يحاولون بسـط سـيطرتهم ونفـوذهم في أوسـع قـدر ممكن من الأرض، تحت حجج التحضير والعصرنة وحقوق الإنسان والنظام العالمي الجديد، والإرادة الدولية، وغير ذلك.

قـال آخر[3]: وهـذه النظـرة المتزمتـة المتشـددة في استخدام [التاريخية] وتعميم منهجهـا والقطـع بنتائجهـا، إلى حـد التقديس والحكم القاطع وجعلها حتمية لازمة صائبة النتـائج في كل الأحوال، هي التي غرق فيها أركـون وجـابر عصـفور وعزيـز العظمة ونصر أبو زيد وسـائر المعارضـين للـوحى والمشـككين في صـحته وثبوتـه ومقتضـياته، وهم في كـل ذلـك ليس لهم إلا دور الاستيراد والتبني[4].

قال آخر[5]: لقد عاشوا وفي أعماقهم [منطقة فراغ] هائل

---

1 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 2/1068.

2 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 2/1068.

3 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 2/1069.

4 () انظر عن التاريخية والتاريخانية: معجم المصطلحات الأدبية لسـعيد علـوش: ص ٥٦، ومعجم المصـطلحات والشواهد الفلسفية: ص ٤٨، وقاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لسامي ذبيان: ص ١٠٨، والفكر الإسلامي قراءة علمية لأركون ١٣٢، ١٣٩، وإشكالية القراءة لنصر أبو زيد: ص ٣١، ٣٦.

5 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 2/1069.

بسب جهلهم بدينهم، وعجزت المناهج الغربية الوافدة أن تعطي لأصحابها اليقين وعوامل القوة والثبات، فاستمسكوا من هذه المناهج ما يظنون أنه يشكل لهم نقطة انطلاق، ومحور ارتكاز، فكانت [التاريخية] وغيرها من المناهج، وقد هربوا من تقديس المقدس حقيقة، فوقعوا في تقديس الأوهام والمناهج المتناقضة، ولا غرابة أن تجد منهم من يسلخ جلده ويغير موقفه بل وينقض بالشتائم والنقض لما كان يقدسه من قبل؟ لانعدام الأسس والمعايير الاعتقادية الصحيحة التي يمكن بها وزن الأمور بوضوح وموضوعية.

قال آخر[1]: بالإضافة إلى هؤلاء؛ فإن من موارد هؤلاء الذين يشككون في الوحي والنبوات [المورد الاستشراقي]، فقد تكلم المستشرقون كثيرا عن التوحيد والوحي والنبوة، ودور الأديان ومهمتها في إطار من التشكيك والجحد للوحي والنبوة، ومحاولة تصوير الأنبياء على أنهم عباقرة ومصلحون تأثروا بالواقع الذي يعيشون فيه واستطاعوا استيعاب التراث القديم ثم صاغوه صياغة جديدة.

قال آخر[2]: فتلقف ذلك أساتذتنا الحداثيون؛ فرددوه تحت حجج التاريخية والفيولوجية، وقالوا بأن القرآن نشأ في نفس محمد ﷺ بتأثير البيئة التي عاش فيها، وقالوا بأن القرآن ليس وحيا بل هو فيض من العقل الباطن، وأن محمدا ﷺ كان من الذكاء والعبقرية بحيث استطاع أن يصوغ هذه التأثيرات الباطنية في كلام، ثم يؤثر بها في الآخرين، ومؤدى ذلك أن القرآن ليس وحيا بل هو من عمل البشر.

الفلسفات المادية:

قال آخر: ولم يكن التشكيك في الوحي، أو نزع قداسته وحده ما تتلمذنا فيه وأساتذتنا الحداثيين على فلاسفة الغرب ومفكريه؛ بل تعداه إلى كل النواحي الأخرى، وخاصة تلك التي جعلتنا نهتم فقط بالجانب المادي من الحياة، مهملين كل القيم الروحية، بل محتقرين لها، وداعين إلى نبذها.

قال آخر[3]: ولذلك كان من أبرز أساتذتنا أولئك الفلاسفة المادين الذين حصروا نشاط الإنسان وحركة المجتمع في

1 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 2/1069.
2 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 2/1070.
3 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 3/2083.

اللهات خلف الظواهر الاقتصادية والخنوع للمال والتأليه الأعمى للمادة.. أو التفسير المـادي الاقتصـادي الطبقي الـذي نـادى بـه كارل ماركس، والذي عرف بالمادية التاريخية، التي تحولت إلى دولة ومذهب اجتماعي وتيار فكري وسياسي واقتصادي، بســط نفـــوذه على رقـــاع في العـــالم، وطبـــق نظامـــه السياســـي والاجتماعي على شعوب ودول.

قال آخر(1): وقد تحـولت تلـك الفلسـفة الماديـة التاريخيـة من فلســفة ونظريــة ونمـط تفكـير محض إلى ميـدان الواقـع والتجربـة والتطـبيق، وأخـذت طريقهـا إلى أجهـزة دول وحيـاة مجتمعات، مسـتخدمة كـل وسـائل الدعايـة والسياسـة والقمـع والإرهـاب الفكـري والمـادي وكـل طرائـق الفتنـة والتـدمير والخراب.

قـال آخر(2): وقـد اقتبس أسـاتذتنا الحـداثيون المتـأثرون بماركس وفلسـفته كـل مـا في تلـك الفلسـفة من عيـوب؛ فهم يرددون مثل أساتذتهم بأن فلسفتهم هذه مبادئ حتمية مرتكـزة على أسس علمية، لا تقبـل النقـاش فضـلا عن الـرد، كمـا أنهم يزعمون شمولية مذهبهم وعدم جواز تجزئته، كما أنهم يصـرون ــ بشـدة وعنـف ــ على تفسـير كـل جـوانب الحيـاة وفـق هـذه المبادئ التي يقـدمونها كمـزيج من عناصـر فلسـفية واجتماعيـة وسياسية واقتصادية.. ومع إصرار شـديد وعـنيف أن مـا عـداهم من مذاهب وأنظمة لا تستحق الوجود، بل سوف تجتاحها حتمية المادية التاريخية الجدلية وتقضي عليها.

قال آخر(3): مع أن هذه الفلسفة في حقيقتها ليست سوى تدمير لمقومات الحياة الإنسانية الكريمة، وتشويه مروع لتـاريخ البشـرية، وقيم الأخلاق؛ فتـاريخ البشـرية في نظـر الماركسـية ليس سوى العامل الاقتصـادي وليس سـوى البحث الـدائب عن الطعام.. فليست هناك أية قيمة ـ عنـدهم ــ للمجتمعـات سـوى القيمة المادية الاقتصادية، وليست هناك أي قيم إلا ما ينبثق عن هــذه الماديــة، فلا مســاواة اجتماعيــة حقيقيــة إلا المســاواة الاقتصــادية، ولا ســبيل إلى ذلــك إلا بالصــراع الطبقي الحتمي الوقوع.

---

1 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 3/2083.

2 ()أسس الفلسفة الماركسية لـ: ق. أفانا سييف ترجمة عبد الرزاق الصافي ٨ ـ ١٦٤.

3 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 3/2085.

قال آخر: ولهذا؛ فإن العلاقات البشرية لا تحددها ــ حسب فلسفتهم ــ الأخلاق أو العقائد الدينية أو القيم الإنسانية أو التقاليد الاجتماعية، بل يحددها العامل الاقتصادي وحده دون سواه؛ فليست الإنسانية في تاريخها الطويل سوى آلات صماء عمياء رعناء في دولاب العامل الاقتصادي الجبري الذي لا يمكن أن تتخلف نتائجه.

قال آخر[1]: وبناء على الصراع الطبقي؛ فالمجتمعات عندهم في صراع دائم بين الطبقة المستغلة والطبقة الفقيرة بين الرأسمالية الامبريالية والطبقة الكادحة، وسوف تنتهي الحرب ـ كما يقولون ـ إلى فوز الطبقة الفقيرة الكادحة، وبذلك يتطور المجتمع تطورا ثوريا يقضي تماما على الطبقة المستغلة.. فإذا أضيف إلى ذلك موقفهم من القيم والأخلاق وزعمهم أنها نسبية إضافية ليس لها حقيقة ذاتية، ولا فطرية، تبين مقدار ما جنته هذه النظرية الهدامة على المجتمعات التي ابتليت بها.

قال آخر: فقد انحط الإنسان عندهم إلى كائن حيواني يبحث عن الطعام ويصارع من أجله، كفعل حيوانات الغابة ولا غرو أن تكون هذه نظرتهم للإنسان فقد أخذت الماركسية فكرة حيوانية الإنسان وحتمية التطور من الداروينية.. فما دام الإنسان ـ كما يزعمون ـ حيوانا نشأ من الخلية الوحيدة وتطور من ذاته، ولا قيم له ولا أخلاق ولا دين، وليست لحياته الفردية أية قيمة إزاء الحياة الاجتماعية، وليست حياته الاجتماعية إلا الصراع والتنازع من أجل المعيشة، فماذا يمكن أن يكون هذا الإنسان وهذا المجتمع؟

الفلسفات الأخلاقية:

قال آخر[2]: بالإضافة إلى تتلمذ الكثير من أساتذتنا الحداثيين على فلسفة الماركسية، تتلمذوا كذلك على أساتذة المذهب العقلي في الأخلاق، والذي يستند أصحابه إلى العقل في تقرير الخير وقواعد السلوك، حيث يرون أن القانون الخلقي ينبع من العقل وحده لا عن ابتغاء مرضاة أحد، أو تحصيل منفعة، فإذا قرر العقل ذلك وجب اتجاه الإرادة نحوه، ومن ثم يصبح القانون الخلقي ضرورة ويستحيل أمرا يقيد

---

1 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 3/2085.

2 ()الموسوعة الفلسفية لعبد المنعم الحفني: ص ٣١، ٣٧٥.

الإرادة ويلزمها، ومن ثم يصبح أمرا كليا مطلقا، ويرى أنه لا ارتباط بين الأخلاق والإيمان بالله تعالى؛ لأنه يزعم أن العقل النظري قد عجز عن التدليل على وجوده، وإن استلزم العقل العملي افتراضه، ومع ذلك فإنه يرى أن الدين لم يسبق الأخلاق ولم يحددها، وأن الأخلاق، على العكس، هي التي أدت إلى الدين.

قال آخر[1]: وعلى الرغم من أن هذه النظريات تعد أمثل من النظريات المادية البحتة أو الحيوانية الصرفة إلا أنها لا تبعد كثيرا عن المجال المادي، وإن عد الفلاسفة هذه النظرية من الفلسفات والنظريات المثالية، إلا أن ذلك لا يبعدها عن الإطار المادي، وذلك حين تستبعد الإيمان بالله تعالى والدين عن الأخلاق، أو تقلل من شأنهما.

قال آخر[2]: وهكذا وجد من أساتذتنا الحداثيين من تتلمذ على فلاسفة المذهب الطبيعي في الأخلاق، والذي يحدد أصحابه معنى الخير بمفهوم طبيعي.. فكل ما يؤدي إلى لذة أو منفعة للناس فهو خير.. ومن هذا المذهب انبثقت الفلسفة المعاصرة المسماة بـ [البرجماتية]، والتي أثرت في الأخلاق والسياسة وعظم تأثيرها في السلوك السياسي المعاصر وخاصة في أمريكا التي تقوم سياستها على البرجماتية، أي الذرائعية، ويتبعها في ذلك ـ تقليدا وانهزاما ـ كثير من الدائرين في فلكها.

قال آخر[3]: فالأخلاق عند البرجماتيين هي التي تكون لها نتائج طيبة، وهي التي توصل إلى المراد، بغض النظر عن نوعية هذه الأخلاق.. وقد تأثرت هذه الفلسفة بنظرية داروين؛ ولذلك تميزت بعدم الثبات، فالمعيار عندهم للحقيقة والخلق والقيم هو نجاح الأفكار والوصول إلى الأهداف.

قال آخر: وعلى هذا فلا إيمان عند البرجماتيين بأخلاق ولا قيم، بل هي عندهم نسبية وغير ثابتة، ومقياس نجاح كل شيء الوصول إلى نتيجة.

قال آخر[4]: ولذلك توجه الغرب بقيادة أمريكا اليوم إلى هذه الفلسفة بكليته، وأقام الأعراف السياسية والأخلاقية على

1 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 3/1976.

2 () انظر: المعجم الفلسفي لعبد المنعم الحنفي: ص ٣١.

3 () انظر: المعجم الفلسفي: ص ٩٣. والمقصود جون ديوي.

4 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 3/1977.

نوع من التهـذيب النفعي الـذرائعي، بعيـدا عن التهـذيب الخلقي الإنساني؛ لأن الأخلاق عندهم ليست أصيلة ولا مستقرة، بل هي متغيرة حسب المصلحة؛ ولأن طبيعة الغرب طبيعة مادية نفعية، وعلى ذلك تـرتبت أفكـاره ومشـاعره وسـلوكياته، وانطلـق في دركات الانحطاط الخلقي بصراحة حمقـاء، وألقى قنـاع الحيـاء، بل راح ينظر لهذا الانحدار ويفلسـف لـه، ويسـعى في ترسـيخه واقعـا عمليـا بين النـاس في كـل الأرض، ومـا إعلام الشـهوات الهائجـة، وسياسـة الظلم الأهـوج، والمكاييـل المزدوجـة الـتي تمارسـها أمريكـا والـدول الأوروبيـة إلا نمـاذج لهـذه البرغماتيـة المادية المـبرأة من كـل إنسـانية، والمشـبعة بكـل ألـوان النتن والسخف والجهالات.

قال آخر[1]: وهكذا وجد من أسـاتذتنا الحـداثيين من تتلمـذ على فلاسفة مذهب العاطفة في الأخلاق، والتي يمجد أصـحابها العاطفة على صورتها الحيوية أو على صورة التعاطف والمحبة، ويجعلون أساس الأخلاق ما تستحسنه أو تميل إليه.

قال آخر[2]: وهكذا وجد من أسـاتذتنا الحـداثيين من تتلمـذ على فلاسفة مذهب الإرادة الأخلاقية، كما تتلمذوا على مخترعه [نيتشـه]، والـذي يصـف الخـير بأنـه كـل مـا يعلي في الإنسـان شعوره بالقوة وإرادة القـوة، وأن الشـر هـو كـل مـا يصـدر عن ضعف.

قال آخر: وقد كان لهذه المدارس الفلسفية تأثيرها الكبـير على أساتذتنا الحداثيين، ولـذلك من السـهل لأي شـخص يطلـع عليها، ويطلع في نفس الوقت على مشاريع أساتذتنا الحــداثيين أن يجد وجوه الشبه الكثيرة، إن لم نقل التطابق التام.

قال آخر[3]: ولذلك نرى الكثير من الحداثيين يتبنون القـول بنسـبية الأخلاق، وأنـه ليس لهـا حقـائق ثابتـة، بـل هي خاضـعة للتبدل والتغير.. أو القول بأن الإنسان أو الظروف المحيطـة بـه هي مصدر الأخلاق والقيم.. أو فصـل الأخلاق عن الـدين.. أو أن حريــة الإنســان لا تتم إلا بــالتخلي عن العوائــق وهي الــدين والأخلاق.

د. التبعية العمياء:

---

1 () المعجم الفلسفي لعبد المنعم الحفني: ص ٣١.

2 () المعجم الفلسفي: ص ٣١، ٤٨٩ ـ ٤٩٠.

3 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 3/1979.

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن المنبع الرابع من المنابع المدنسة.

قال أحد المبدلين: إنه ذلك الذي حذر الله تعالى منه بقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77]، وقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153]، وقوله: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 3]، وغيرها من الآيات الكريمة التي تنهى عن التبعية العمياء لشياطين الإنس والجن.

قال آخر: وهو ما أوقعنا فيه أساتذتنا.. فبعد أن امتلأنا كبرا وغرورا، وبعد تلك المطامع التي جعلتنا نترك الهدي المقدس، ونستمد الحقائق من أولئك الفلاسفة المدنسين، وقعنا في مستنقع التبعية العمياء، والتقليد الأحمق، والذي لا يستند إلى برهان أو حجة، بل يكتفي بالغرور والأهواء.

قال آخر: وكل أساتذتنا يقرون بذلك شعروا أو لم يشعروا.. ومن الأمثلة على ذلك قول أحدهم، وهو حسين مروة: (لقد كنا في لبنان مصابين بانتشار ألوان من الأدب والفن الانحلاليين وكان معظم أدبائنا وفنانينا متأثرين بالمؤسسات الأجنبية والمدارس الفرنسية في الأدب والفن والفلسفة، من رومنطيقية وسوريالية وانطباعية ووجودية، يقلدونها جميعا، ويتعصبون لها، ويقفون بوجه الحركة الواقعية في الأدب والفن)[1]

قال آخر[2]: ففي هذا النص اعتراف كامل بتبعية أولئك للغرب، إلا أن الطريف أنه ينتقدهم على وقوفهم ضد الحركة الواقعية في الأدب، وهي ليست سوى وجه آخر للتبعية، لكنها تبعية للكتلة الشرقية من أوروبا.. الكتلة الشيوعية الماركسية اللينينية التي كان حسين مروة من أنشط دعاتها الحزبيين والفكريين، وكانت مجلة الثقافة الوطنية المنبر الثقافي والأدبي الذي امتطاه دعاة الشيوعية يبثون أفكارهم من خلاله.

قال آخر: ومثل ذلك قال محمد جمال باروت يتحدث عن تبعية مجلة شعر: (حركة مجلة شعر قد دمجت فعليا بين المثال

---

1 () مجلة الثقافة الوطنية العدد ٦٢ في ١٥ تموز ١٩٥٤ م/١٣٧٣ هـ: ص ٤.

2 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 2/709.

الإحيـائي النهضـوي والمثـال الغـربي، بعيـدا عن أيـة مثنويـة حضارية، وبهذا المعنى قادت الأطروحة النهضوية مشروع شـعر إلى المثال الغربي، كإعادة اتصـال بـه، أو كتكـرار لمـا كـان في البدء)[1]

قال آخر: وبذلك أصـبحت التبعيـة للغـرب شـيئا عاديـا، بـل شـيئا يفخـرون بـه، بـل راح بعضـهم يبحث عن تسـويغ تـاريخي بفذلكة متهافتة، تقوم على أساس فكرة الحضارة المتوسـطية، وهي أوروبا المستوردة في فكـر وشـعر الحداثـة، وهي الجـذور التي تريد عصابة شعر ترسيخ عقائدها الوثنية والمسيحية باسـم أنها كانت نابعة من الشـرق على حـد تعبـير أدونيس في قولـه: (الإبـداعات الكـبرى في الغـرب، سـواء كـانت دينيـة أو فنيـة أو فلسفية ـ تجاوزا للتقنية ـ شرقية الينابيع، أنهـا نـوع من شـرقنة الغرب)[2]

قال آخر: وقد علق بعضـهم على هـذا النص بقولـه: (هكـذا تأسست أطروحة المعاصرة ليس بوصفها اقتلاعـا، بـل بوصـفها نهضـة وعـودة إلى الجـذور، وسـتعبر أطروحـة [الحضـارة المتوسطية] عن ذلك تماما، فيوسـف الخـال يشـير من انكلـترا إلى البحر المتوسط [بحرنا العظيم الخالد] كما يصف [خطـوات الملك] لشوقي أبو شقرا بأنها [إنتاج لبناني متوسطي] كما يرى أدونيس في شعر يوسف الخال عـودة العـربي إلى نقائـه الأول (عودة توحدنا بقوى تراثنا الحية الحرة.. هـذه القـوى هي عقـدة الوصل التي تعيد ربطنا كعرب بتاريخ المغامرة الإنسـانية، تصـل ما انقطع بيننا وبين اليونان، وما قبـل اليونـان عـبر المسـيحية ـ بيننـا وبين الـتراث المتوسـطي ــ خمـيرة الحضـارة الإنسـانية ومهدها)[3]

قال آخر[4]: إن هذا النص والذي قبله يبدوان للوهلة الأولى أنهما يمثلان نظرة تاريخية خاصة بصاحبها، وموضـوعية معرفيـة تحتوي على إنصاف، إلا أنها في حقيقة الأمر ينطويان على مبدأ تسـويقي لا يخلـو من طرافـة فحواهـا أن الحداثـة المسـتوردة ليست سوى بضاعتنا التي ردت الينا، فهي ـ حسب رأي بـاروت

1 () الحداثة الأولى لمحمد جمال بـاروت: ص ١٤، والنص المنقـول من كلام أدونيس من كتابـه فاتحـة لنهايـات القرن: ص ٣٢٩.

2 () فاتحة لنهايات القرن: ص ٢٣٠.

3 () الحداثة الأولى: ص ١٥.

4 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 2/710.

ـ نهضة تقوم على جذور تاريخية هي الحضـارة المتوسـطية، فلا وجه للانزعاج منها، ووصفها بأنها غـزو فكـري غـربي، ولا مجـال لاعتبارها غريبة على هويتنا وثقافتنا ومجتمعاتنا.

قال آخر: إن أصدق تعبير عن هذه التبعية مـا قالـه بـاروت عن ذوبان عصبة شعر في الغـرب: (الـتي وجـدت في النمـوذج الثقافي ـ الشعري الغربي كمال التعبير عنها، لقد هضمت نخبـة [شعر] محتويات هذه الحساسية ثقافيا وروحيا وجماليا، وأعادت إنتاجها شعريا)(1)

قال آخر(2): وهذا القول شهادة حقيقية على مقدار التبعيـة في مجلة شـعر وأتباعهـا وهي شـهادة يمكن تعميمهـا على كـل أتباع الحداثة الذين تبنـوا مـا يسـمى بالنهضـة الحديثـة وهي في الحقيقة ارتكاس وانتكاس وتبعية بـاعتراف الحـداثيين أنفسـهم، كما قال أحدهم: (كـانت النهضـة تعلن عن تكـون نظـرة جديـدة للحيــاة والعــالم والإنســان.. بهــذا المعــنى يمكن فهم اقــتراح [الشعر المنثور] في العقد الأول من القرن، عبر صـلته الوثيقـة بهاجس النهضة، ومحتواها العصري، صحيح أن هذا الاقتراح كان يستمد معاييره من الغـرب.. من هنـا كـانت النهضـة المحكومـة بوعي يرى في الغرب روح العصر)(3)

قال آخر: وفي اعترافات صارخة بالتبعية الكاملة يقول أحد الحداثيين: (يـؤثر كثـيرون عـدم الكتابـة إلا انعكاسـا كليـا لمـرأة الحداثة الغربية، وإذ نعترف بأن الغـرب اليـوم يقـدم لنـا غالبيـة عناصر الحداثـة الأدبيـة الشـعرية، فـإن الانقيـاد والإمحـاء الكلي أمام نماذجه يحرماننا من تكوين لغتنا الشعرية الخاصة)(4)

قال آخر: وقال آخر: (لقـد كـان التحـديث ــ ويـا لسـذاجتنا نحن التقـدميين ــ شـعارا شـافا، وأحيانـا شـفافا لإنجـاز التبعيـة الكاملة للغرب)(5)

قال آخر: وقال آخر: (تكـون التبعيـة الثقافيـة في جوهرهـا تبعية حضارية، باعتبار أن الحضارة مفهوم يشمل كل ما قام بـه الجنس البشري من إنجازات مادية ومعنوية، أما الثقافية فتعــبر

---

1 () الحداثة الأولى: ص ٦٦.

2 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 2/710.

3 () الحداثة الأولى، ص ١٨٥.

4 () قضايا وشهادات ٣ شتاء ١٩٩١ م: ص ٢١٥ نقلا عن مجلة الناقـد حزيـران يونيـو ١٩٨٩ م/١٤٠٩ هــ: ص ٤٥ من مقال لأنطوان أبو زيد.

5 () المصدر السابق ٢ صيف ١٩٩٠ م: ص ٢٢ من مقال بعنوان بين الحداثة والتحديث لسعد الله ونوس.

عن الجانب المعنوي من الحضارة.. بضم الجانب الثقافي من الحضارة الذهنيات والمعارف والآداب والفنون والأعراف والأخلاقيات والسلوكيات الاجتماعية)[1]

قال آخر: وقال آخر: (إن الحضارة الغربية هي حضارتنا نحن بقدر ما هي حضارة الفرنسي والألماني والروسي الخ ونحن لا قيمة لنا في العالم العربي إن بقينا في خارجها ولم نتبنها من جديد، ونتفاعل وننفعل بها، إن هذه الحضارة هي نحن بقدر ما هي هم)[2]

قال آخر: بل يصل به الذوبان في الغرب إلى أن يرد على من يقول بأن أوروبا سوف تنهار وتنحط فيقول: (وانحطاط أوروبا وهم يتعلل به الخصوم، وجهل يذهب ضحيته السطحيون، هل الانحطاط في الحرية الإنسانية؟)[3]

قال آخر: وتحت عنوان [عصر الرجال الأطفال] كتب أحدهم عن العلل التي أصيبت بها الأمة وأن سببها التبعية فقال: (إن كل ما يذكرونه من علل ومعلولات ما هي إلا أعراض ومضاعفات لحالة تاريخية مزمنة اسمها [التبعية])[4]، ثم قال: (إن التبعية ليست حالة عربية، بل هي علة تشمل ما أطلق عليه [العالم الثالث] حيث تسيطر عليه سيطرة مطلقة)

قال آخر: وقال آخر يتحدث عن استعارة العرب للحداثة: (وإذا كان مفهوم الحداثة قد جاءنا من الغرب، وأخذ معنى أو معاني ولدتها ظروف ذلك الغرب وتطوره، وإذا كان المفهوم ذاته قد تغير تبعا للمراحل، أو زاوية الرؤية، فإن ما وصل إلينا هو الصدى وبعض صور الحداثة)[5]

قال آخر: ويقرر غالي شكري المعنى نفسه في قوله: (نحن لا ننقل سوى المصطلح في صيغته النهائية، ولا علاقة لنا بالتاريخ الاجتماعي والعلمي لهذا المصطلح، ولم نشارك في أية مرحلة من مراحل صنعه، أي إننا في الحقيقة [نركب] المصطلح كما نركب الطائرة.. والفرق هو أننا نستخدم الطائرة، أما المصطلح في العلوم الإنسانية، فإننا نستخدمه

---

1 () قضايا وشهادات ٤ خريف ١٩٩١: ص ٧٤، المعنون باسم الثقافة الوطنية: التبعية، التراث، الممارسة.

2 () مجلة شعر، العدد الخامس عشر صيف ١٩٦٠ م/١٣٧٩ هـ: ص ١٣٩.

3 () المصدر السابق: ص ١٣٧، وهذا القول يذكر بمقال لتركي الحمد سبق الإشارة إليه بعنوان هل أن الغرب يسقط؟.

4 () قضايا وشهادات: ٤/١٧١ ـ ١٧٢.

5 () المصدر السابق ٢ صيف ١٩٩٠: ص ٢٠٩.

ويستخدمنا في وقت واحد، إنه يقول ليصبح جـزءا من العدسـة التي نرى بها الأشـياء، أي جـزءا من رؤيتنـا، أو من قـدرتنا على الرؤية)[1].. وهذا توصيف دقيـق وحقيقي لحـال كـل الحـداثيين، حتى الذين يدعون أخذهم من التراث واعتمـادهم على الـتراث، فإنما يأخذون وينظرون بعيون الغرب.

قـــال آخر[2]: ويمكننـــا أن نطبـــق هـــذا الكلام على كلام أساتذتنا الحداثيين بشأن الوحي وما يقوله نصر أبـو زيـد، فنجـد النتيجة أنهم جميعا تحولوا إلى آنية يلقي فيها الغرب ما شاء من أفكاره وفلسفاته وضلالاته، ثم تفيض هذه الآنية بما ألقي فيها.

قال آخر: ومن الأمثلـة على ذلـك مـا كتبـه عزيـز العظمـة حول الطيور الأبابيـل الـتي ورد ذكرهـا في سـورة الفيـل، حيث يعتبرها أسطورة من الأسـاطير[3]، ثم يسـتند في هـذا الموقـف إلى طـــه حســين، ويقتبس نصوصـــه من كتابـــه [في الشـــعر الجـاهلي] ويثـني على هـذا الاتجـاه، وعلى العقلانيـة والتاريخيـة التي يتمتع بهـا طـه حسـين، ثم يتجـه بالتقـديس الكهنـوتي إلى المنهج التاريخي الذي يتبناه والمعرفة العقلية التي يزعمها، وأنه لا شأن لها بالنتائج الاعتقادية المترتبة عليها، أي: أنهم لا يبـالون بـأي حكم اعتقـادي إسـلامي، فيقـول: (خضـوع هـذه التاريخيـة للعقل وللمعرفة العقلية التي لا شأن لها بالنتائج العقائدية لهـذه المعرفة)[4]

قـال آخـر: ثم ينـافح عن طـه حسـين مطبقـا مبـدأ عـدم الاهتمام بالأحكام الاعتقادية الإسلامية فيقـول: (إن الـردة الـتي جاء طه حسين بها قامت على أساس إعادة الاعتبار للأسطورة، وإرجاع النص إلى مكانته المتعاليـة على التـاريخ المؤسسـة لـه في الحياة، ورفض إمكانية المساءلة، ووسمها بالخروج)[5]

قال آخر[6]: ومن خلال كل هـذا يتـبين لنـا أن الغـرب بكـل مؤسساته الفكرية والسياسية والاقتصادية هـو الهويـة الـتي تتم بها حقيقة الحداثة، التي لا تكتفي بمجـرد المحاكـاة والاسـتعارة والتقليد، بل تواصـل حـتى تصـل إلى الانـدماج الكامـل، ويصـبح

1 () مجلة الناقد، العدد ٩: ص ١٧ مارس ١٩٨٩ م/١٤٠٩ هـ.
2 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 2/1101.
3 () انظر: الإسلام والحداثة: ص ٢٦٧.
4 () انظر: الإسلام والحداثة: ص ٢٧٠.
5 () انظر: الإسلام والحداثة: ص ٢٧٠.
6 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 3/2186.

المنتمي الحداثي ممثلا لحضارة الغرب وسياسته وأنماط حياته
ولئن كانت عصابة [شعر] أصرح في إعلان اندماجها في الغرب، وكذلك التيارات اليسارية وخاصة الماركسية أصرح في إعلان اندماجها بالكتلة الشيوعية، إلا أن هناك من يكابر هذه الحقائق ويحاول أن يغطيها بكافة الأغطية.

2. التبديل والتنزيل:

بعد أن انتهى المبدلون التائبون من ذكر المنابع المدنسة التي كانت سببا في ظهور الحداثيين وغيرهم، قام بعض الحضور، وقال: حدثتمونا عن منابع التبديل المسمومة؛ فحدثونا عن موقفها من التنزيل، وكيف طبقت تلك التعاليم المدنسة على القرآن الكريم.

قال أحد المبدلين: لقد وقع المبدلون في نفس ما وقع فيه أساتذتهم من المدارس المختلفة، شعروا أو لم يشعروا.. فلذلك صاروا من أهل قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: 11 ـ 25]، وهؤلاء كذلك.. فبعد أن تدبروا وتأملوا وتمعنوا بعقول أساتذتهم الذين تتلمذوا على أيديهم، وصلوا إلى أن القرآن الكريم ليس سوى نتاج بشري مرتبط ببيئة معينة.

قال آخر: ومثلما اختلفت أساليب قوم رسول الله ﷺ في التعامل مع التنزيل والمنزل عليه، اختلف هؤلاء أيضا؛ فبعضهم يذكر أنه شاعر، وآخر يذكر أنه ساحر، وآخر يذكر أنه كاهن، وآخر يذكر أنه مصلح لبيئة محدودة وقوم محدودين.. وهكذا.

قال أحد الحضور: فما الفرق بينهم وبين المشككين إذن من المستشرقين والمبشرين وغيرهم؟

قال أحد المبدلين: الفرق بسيط جدا.. أولئك يتسمون بجورج وجولد، وهؤلاء يتسمون بمحمد وطه وعلي.. وغيرها من الأسماء الإسلامية.. أما المنبع فواحد.

قال أحد الحضور: فهلا حدثتمونا عن أئمة هؤلاء، ومناهجهم في التشكيك والتبديل، لنحذر منها، ونحذّر.

قال أحد المبدلين: أجل.. فلا توبة لنا إلا بذلك.. وقد اخترنا

لكم سبعة رجال منهم، لا ينطبق عليهم من القـرآن الكـريم آيـة كقولـه تعـالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [النمل: 48]

أ. طه حسين:

قال أحد الحضور: فحدثونا عن أولهم.

قال أحد المبـدلين: أولهم طـه حسـين؛ فهـو أول من سـن لهم سنة التبديل في هـذا العصـر؛ فصـار الكـل تلاميـذه، وصـار متحملا لكل أوزارهم.

قال آخر: أجل.. فقد كان كتابه [في الشعر الجاهلي] النبتة الأولى، الـتي نبتت منهـا شـجرة الجـرأة الحداثيـة على الـوحي المقدس.. وكيف لا يكون كذلك، وقد صـرح فيـه بهـذا التصـريح الخطير: (للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحـدثنا عنهمـا أيضـا ولكن ورود هـذين الاسـمين في التـوراة والقـرآن لا يكفي لإثبـات وجودهمـا التـاريخي، فضـلا عن إثبـات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل وإبراهيم إلى مكة)(1)

قال آخر: ثم أضاف: (فقـريش إذن كـانت في هـذا العصـر ناهضة نهضة مادية تجارية، ونهضة دينية وثنية، وهي بمكة هاتين النهضتين كانت تحاول أن توجد في البلاد العربية وحدة سياسية وثنية مستقلة، وإذا كـان هـذا حقـا، ونحن نعتقـد أنـه حـق، فمن المعقـول أن تبحث هـذه النهضـة الجديـدة لنفسـها عن أصـل تاريخي قديم يتصـل بالأصـول التاريخيـة الماجـدة الـتي تحـدثت عنها الأساطير، وإذن فليس ما يمنع قريشـا من أن تتقبـل هـذه الأسطورة التي تفيد أن الكعبة من تأسيس إسماعيل وإبـراهيم، كما قبلت روما ذلـك لأسـباب مشـابهة أسـطورة أخـرى صـنعها اليونان تثبت أن روما متصلة بإينياس بن بريام صاحب طـراوده) (2)

قـال آخـر: وبهـذه الكلمـات المحـدودة القليلـة انفتح بـاب الحداثة لكـل من يريـد أن يضـيف أو يقـرر أو يؤكـد.. لينـال من الكرامة والجاه والسلطة والعز ما ناله طه حسين، والذي تـولى أعلى المناصب، وقدمت له كل التيسيرات ليصـبح عميـدا للأدب العربي رغم أنف الأدب، ورغم أنف العرب.

قال آخر: وذلك كله رغم الجهـات الإسـلامية الكثـيرة الـتي

---

1 () في الشعر الجاهلي: ص ٢٦ ـ ٢٧.

2 () في الشعر الجاهلي: ص ٢٨.

تصدت له، ولطروحاته الخطيرة، وأولها مـا كتبتـه لجنـة العلمـاء في مصـر الـتي قـررت أن (الكتـاب كلـه مملـوء بـروح الإلحـاد والزندقة، وفيه مغـامز عديـدة ضـد الـدين مبثوثـة فيـه لا يجـوز بحال أن تلقى إلى تلامذة لم يكن عندهم من المعلومات الدينية ما يتقون به هذا التضليل المفسد لعقائدهم.. وتـرى اللجنـة أنـه إذا لم تكافح هذه الروح الإلحادية في التعليم ويقتلـع هـذا الشـر من أصـله وتطهـر دور التعليم من [اللادينيـة] الـتي يعمـل بعض الأفـراد على نشـرها بتـدبير وإحكـام تحت شـعار حريـة الـرأي، اختل النظام وفشت الفوضى، واضطرب حبل الأمن؛ لأن الدين هو أساس الطمأنينة والنظام)[1]

قال آخر: وكعـادة الحـداثيين، وخصوصـا المتقـدمين منهم، في عــدم مفاجــأة المســلمين المحــافظين حينهــا، بأغراضــهم التشـكيكية؛ فقـد اختـار طـه حسـين أن يكـون عنوانـه مرتبطـا بالشعر الجاهلي، بينما هو في حقيقته ليس سوى تشكيكات في الوحي المقدس.

قال آخر: وقد أشارت إلى هذا لجنة العلماء المصرية، حين قالت في ردها على الكتاب: (الكتـاب وضـع في ظـاهره لإنكـار الشـعر الجـاهلي، ولكن المتأمـل قليلا يجـده دعامـة من دعـائم الكفر ومعولا لهدم الأديان، وكأنـه مـا وضـع إلا ليـأتي عليهـا من أصولها، وبخاصة الـدين الإسـلامي، فإنـه تـذرع بهـذا البحث إلى إنكار أصل كبير من أصول اللغة العربية من الشعر والنـثر قبـل الإسلام مما يرجع إليه فى فهم القرآن والحديث، هذا مـا يـرمى إليه الكتاب فى جملته)[2]

قــال آخــر: وقــالت في الــرد على تشــكيكاته في وجــود إبراهيم وإسماعيل عليهما السـلام: (أنكـر المؤلـف بهـذا هجـرة سيدنا إبراهيم مع ولده إسماعيل عليهما السلام، وقال إن ورود هذين الاسـمين في التـوراة والقـرآن لا يكفي لإثبـات وجودهمـا التـاريخي، وهـو تكـذيب صـريح لقـول اللـه تعـالى في سـورة إبراهيم حكاية عنه عليه السلام: ﴿وَآتَـاكُمْ مِنْ كُـلِّ مَـا سَـأَلْتُمُوهُ

[1] () تحت راية القرآن، ص129.
[2] () تحت راية القرآن، ص129.

وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ [إبراهيم: 34 ـ 37])[1]

قال آخر: وقالت في الرد على تشكيكاته في علاقة إسماعيل عليه السلام بالعرب بعد نقل قوله في ذلك: (وهو في هذا النص يصرح بأن القرآن اختلق هذه الصلة بين إسماعيل والعرب ليحتال على جلب اليهود وتأليفهم، ولينسب العرب إلى أصل ماجد زورا وبهتانا لأسباب سياسية أو دينية.. وهذا من منتهى الفجور والفحش والطعن على القرآن الكريم في إثباته أبوة إبراهيم للعرب في قوله تعالى: وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ [الحج: 78])[2]

قال آخر: وقالت في الرد على هذا كله: (وهو تكذيب صريح لقول الله تعالى: وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [البقرة: 127]، وقوله: وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ [الحج: 26 ـ 27]، وقوله: وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ [البقرة: 125].. إلى غير ذلك من الآيات التي في هذا الموضوع)

قال آخر: وذكرت أنه (فوق تكذيبه للقرآن، يقول إن فيه تدليسا واحتيالا لأسباب سياسية ودينية من أجلها اختلق هذه الأخبار ـ بهذا وأمثاله يقرر المؤلف أن القرآن لا يوثق بأخباره ولا بما فيه من التاريخ.. وكم يترك هذا الكفر الفاحش في

---

[1] () تحت راية القرآن، ص130.
[2] () تحت راية القرآن، ص130.

عقول الطلبة من أثر سيء وهدم لعقائدهم ودينهم وماذا بقي في القرآن من ثقة وحرمة في نفوسهم بعد هذا التكذيب؟)[1]

قال آخر: وفي الرد على قوله: (أما المسلمون فقد أرادوا أن يثبتوا للإسلام أولية في بلاد العرب كانت قبل أن يبعث النبي، وأن خلاصة الدين الإسلامي وصفوته هي خلاصة الدين الحق الذي أوحاه الله إلى الأنبياء من قبل)، ردت عليه بقولها: (وهو في هذا يكذب قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: 123]، وقوله: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 68] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا الموضوع)[2]

قال آخر: وختمت اللجنة الإسلامية تقريرها على الكتاب بقولها: (ومنها غير ذلك كثيرا مما هو مبثوث في الكتاب، ولا ريب في أن هذا هو عين ما يطعن به المشركون على القرآن في مبدأ أمره، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: 4 ـ 5].. فاللجنة ترفع إلى فضيلتكم ما وصلت إليه على سرعة من الوقت مما سطره المؤلف من الكفر الصريح، وتترك ما ينطوي في ثناياه من الإلحاد والزندقة مما لا يخفى على الناظر.. نرفعه مطالبين فضيلتكم والحكومة بوضع حد لهذه الفوضى الإلحادية، خصوصا التي تنبت في التعليم لهدم الدين بمعول الزندقة كل يوم، فما نفرغ من حادثة إلا ونستقبل حوادث لا تدع المؤمن مطمئنا على دينه.. نطالب فضيلتكم والحكومة بذلك حرصا على أبناء الدولة أن يتفشى هذا الداء فيهم، وهم رجال المستقبل وسيكون بيدهم الحل والعقد في مهام الأمور، ونحن لا نفهم كيف تصرف أموال المسلمين وأوقافهم على تعليم نتيجة هذا الإلحاد الذي يبثه الداعي ويتقاضى عليه مرتبا ضخما من هذه الأموال، وهل بهذه الطريقة وعلى هذا النحو تخدم وزارة المعارف أبناء الأمة ورجال الغد وتبني صرح التعليم والتربية؟.. نسأل الله أن يوفقكم لما فيه المصلحة والسلام)[3]

---

1 () تحت راية القرآن، ص131.

2 () تحت راية القرآن، ص131.

3 () تحت راية القرآن، ص132.

قال آخر: لكن هذا التقرير، وكل الكتب العلمية التي ألفت في الرد عليه، وبيان خطره، لم تلق أذنا صاغية من الدولة حينها، بل على العكس من ذلك حيث مكن له في الأرض، ووظف وزيرا ومسؤولا على أخطر قطاع يرتبط بالثقافة والتعليم.. وهو ما شجع كل أصحاب المطامع ليقتفوا أثره، وينالوا المغانم التي نالها.

قال آخر: بل لم يقتصر الأمر على ذلك؛ وإنما أصبح طه حسين بسبب تلك المواقف رمزا وشعارا للحرية والحداثة والتنوير، ولذلك اهتموا بدراسة أعماله وآثاره؛ باعتباره قائدا للمشروع التنويري الجذري الشامل على حد تعبير أحد الحداثيين[1].

قال آخر: ومن الأمثلة على تلك الإشادات التي اتفقوا فيها جميعا كتاب دوري بعنوان [قضايا وشهادات]، وقد خصصوا العدد الأول منه عن طه حسين[2]، حيث جعلوه النموذج الذي يحتذي به كل من يريد أن يتحول إلى حداثي ناجح ومرضي عنه وصاحب مشروع.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما ورد من مقالات في القسم الأول من الكتاب، وهي بعنوان [طه حسين وتحرير العقل].. فقد كتب تحت هذا القسم فيصل دراج مقالا بعنوان [الشيخ التقليدي والمثقف الحديث].. وكتب يوسف سلامة [ديكارت وطه حسين مشكلة المنهج].. وكتب عبد الرزاق عيد [طه حسين ومنطلق العقلانية].. وكتب أحمد برقاوي [طه حسين والعقلانية]

قال آخر: أما القسم الثاني، وهو بعنوان [طه حسين والحداثة]، فقد كتب فيه بهاء طاهر مقالا بعنوان [صورة الغرب في آداب طه حسين]، وكتب علي سعد [مستقبل الثقافة في مصر في سيرة طه حسين الفكرية]، وكتبت أمينة رشيد [الإنسان المتمرد]، وكتب رشيد بوجدره [طه حسين الحداثة الذاتية]، وكتب عز الدين نجيب [طه حسين ومستقبل الفن في مصر]، وكتب سمير فريد [طه حسين والسينما]، وكتب محمود أمين العالم [طه حسين الحلم والواقع والمستقبل]

---

1 () انظر: قضايا وشهادات العدد الأول بعنوان طه حسين العقلانية الديموقراطية الحداثة: ص ٥ من قول لسعد الله ونوس.

2 () قضايا شهادات، العدد الأول: ص ١، ويشرف على هذا الكتاب الدوري كل من البعثي السعودي عبد الرحمن منيف والشيوعي الأردني فيصل دراج والعلمانيين الليبراليين سعد الله ونوس وجابر عصفور.

قال آخر: أما القسم الثالث، وهو بعنوان [طه حسين وأزمة في الشعر الجاهلي]، فقد كتب عزيز العظمة مقالا بعنوان [النص والأسطورة والتاريخ]، وهو البحث الذي ألقاه في ندوة دار الساقي المسماة [الإسلام والحداثة] ونشر في الكتاب الناتج عن هذه الندوة، وكتب هادي العلوي [طه حسين والتعصب الديني]، وكتب سيد البحراوي [قراءة في الشعر الجاهلي]، وكتب محمد جمال باروت [طه حسين والمؤسسة الأزهرية]، وكتب محمد عفيفي [الأبعاد الاجتماعية والسياسية لأزمة في الشعر الجاهلي]، وكتب علي فهمي [دلالات التحقيق القضائي حول (في الشعر الجاهلي)] ووثيقة عن قرار النيابة الصادر حول كتاب [في الشعر الجاهلي]، وكتب محمد كامل الخطيب [الصراع بين العقلانية واللاعقلانية]

قال آخر[1]: والنظرة الأولية العجلى على هذه العناوين والمقالات تكشف أي منزلة احتلها طه حسين عند هؤلاء باعتباره أول من اقتحم المقدس ـ حسب تعبيرهم ـ وأول من رسخ مبادئ التفكير الديمقراطي الليبرالي، وأول من تجرأ على الاندفاع نحو الغرب، نحو المجتمع الحر، وأظهر من أبرز وظيفة العقل العصياني، وقوض مسلمات التاريخ واللغة والدين، وأوجد أسلوب التمرد على المسلمات والرفض، وإعادة الصياغة لكل شيء.. وغيرها من المدائح الحداثية، والتي تدل على مدى ما وصلت إليه الحداثة وأربابها من عداوة لدين الإسلام وقرآنه وسنته ولغته وحضارته.

قال آخر[2]: ولهذا يجمع المستشرقون والحداثيون على أن هدف طه حسين الأول الذي أعد له، والذي عمل له خلال حياته كلها من خلال كتاباته سواء منها التي ألقيت في الجامعة كمحاضرات أو نشرت في صحف أو في كتب مطبوعة تجمع على شيء واحد هو إرساء منهج الشك، على نحو يسيطر تماماً على التاريخ والنقد الأدبي والمسرح والدراما، واتخاذ كل أساليب البيان للوصول إلى هذه الغاية، فقد اتخذ ذلك أول الأمر أسلوبه في الجامعة حيث حمل لواء الدعوة إلى نقد القرآن بوصفه نصا أدبيا، وتشكيكه في وجود إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.. وليت طه حسين إذ دعا إلى هذا المذهب كان

---

1 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 2/1082.

2 () العصر تحت ضوء الإسلام، ص30.

يهدف إلى أن يكون الشك مقدمـة إلى اليقين، إذاً لهـان الأمـر، ولكنه كان يهدف إلى أن يكون الشك للشك.

قال آخر[1]: أجل.. فمنذ أن فتح طه حسين بـاب التشـكيك في نصوص الوحي، تـوالت على إثـره محـاولات التشـغيب على الدين، والتشكيك فيه عن طريـق الأدب والفن، فـإذا نحن أمـام جمهرة من الحثالة ليس لهم هم إلا الدأب في إزالة ما وقر في نفــوس المســلمين من تعظيم نــبيهم وكتــابهم، وإيثــار دينهم وفضائل أخلاقهم، وإجلال علمائهم وصالحيهم.

قــال آخر[2]: واســتعملوا في ذلــك كــل الوســائل، مــرة بالتكذيب الجلي، ومـرة بـالتهكم، ومـرة بالزرايـة، ومـرة باسـم البحث العلمي أو الأدبي أو الفلســفي، حيث لا علم ولا أدب ولا فلسفة، إنما جهـل وضـلال وانحـراف، وبـذلك تكـون أوروبـا قـد نالت من المسلمين وأوجعت غاية الوجع بهذه الأدوات الإنسانية التي تسـمي طـه حسـين ونصـر أبـو زيـد وحسـن حنفي وفـرج فودة.. وأشباهها من الأدوات التي احـترفت التـدمير والخـراب، تحت صياح دعائي، وشعارات تسويقية من الشهادات الممنوحة من السوربون وأشـباهه، وعبـارات العقلانيـة والعلميـة والأدبيـة والنقدية، وغير ذلـك من وسـائل تـرويج هـذه الأدوات الإنسـانية المربوطة بخيوط ظاهرة أو خفية بأوروبا.

قال آخر[3]: ولو كانوا صادقين في مـزاعمهم وأنهم أحــرار مفكرون لما كـانوا في حضـيض التقليـد والمحاكـاة يعمهـون، إذ التقليـد والاحتـذاء يسـقط الثقـة ممن يـدعي حريـة الفكـر؛ لأن الحريـة لا تـأتي بتقليـد الآخـرين والنسـخ على منـوالهم، فهـذه عبودية وتبعية؛ لأن المقلد نزع نفسه من بنيـان أمتـه وحضـارتها وتاريخها وثوابتها تحت دعوى التحرر، ثم غرس نفسه في وحول الأمم الأخرى المعادية لأمته تاريخا وواقعا، وجـرى في مجـراهم يكـرر مـا يقولـون ويـترجم مـا يكتبـون، ويحـارب أمتـه وقومـه ليكسب رضى الأسياد ومدحهم، فأية حرية في هذا!؟

قال آخر[4]: ولهذا؛ فإن طه حسين الذي شكك في حقـائق القرآن الكريم لم يشكك في الحضارة الغربيـة، بـل كـان يـدعو إلى التبعيـة المطلقـة لهـا؛ حيث نـراه في في كتابـه (مسـتقبل

---

1 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 2/1083.

2 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 2/1083.

3 () الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: 2/1084.

4 () طه حسين في ميزان العلماء، ص 146.

الثقافة في مصر) يدعو إلى حمل مصر على الحضارة الغربية وطبعها بها وقطع ما يربطها بقديمها وبإسلامها.. ويدعو إلى الحكم العلماني المقطوع عن الدين أصلا.. ويدعو إلى إخضاع اللغة العربية لسنة التطور ودفعها إلى طريق ينتهي باللغة الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم إلى أن تصبح لغة دينية فحسب كالسريانية والقبطية واللاتينية واليونانية.

قال آخر: وقد قال معبرا عن ذلك الإذعان والتبعية: (علينا أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم، لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يُعاب)[1]

ب. محمد أحمد خلف الله:

قال أحد الحضور: حدثتمونا عن الأول.. فحدثونا عن الثاني.

قال أحد المبدلين[2]: الثاني هو المدعو محمد أحمد خلف الله، وهو مصري شيوعي، كان عضوا مؤسسا وأمينا للحزب الشيوعي المصري المسمى [حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي]، وقد استعمل التشكيك في القصص القرآني، وسيلة للتشكيك في القرآن الكريم، لينطبق عليه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: 25]

قال آخر[3]: وهو يهدف من كتاباته إلى إقامة نهضة إصلاحية ماركسية لتطبيق الاشتراكية العلمية (الشيوعية الماركسية)، وعلى ذلك كان يعمل على تطويع المفاهيم الإسلامية التي قد تتقارب في بعض أوجهها مع المفاهيم الماركسية في سبيل إقامة ذلك المشروع.. أما المفاهيم الإسلامية الأخرى التي تتناقض تناقضاً بيناً مع المفاهيم الماركسية فإنه يقوم بتأويلها أياً كان شكل هذا التأويل أو تزيينها في صورة جديدة، أو اختزالها إلى مفاهيم أخرى بالطريقة التي يمكن بها إزاحتها من أمام مواصلة المضي في إقامة ذلك المشروع، فإذا لم ينفع معها أي مما سبق، فإنه

---

1 () مستقبل الثقافة في مصر، ص 41.

2 () كتاب هجمات علمانية جديدة لكامل سعفان: ص ١١ ـ ٥٠.

3 () تزييف الإسلام وأكذوبة المفكر الإسلامي المستنير، ص 105.

يقوم بنقضها وهدمها تماماً.

قال آخر: ومن أحسن الأمثلة على ذلك أطروحته للدكتوراه التي ناقشها عام 1947م عن [القصص الفني في القرآن]، والتي ادعى فيها أن قصص القرآن إنما جاءت للموعظة لا لتقرير الحقائق، أي أنها قد تكون أساطير وخرافات.

قال آخر: وقد عبر عن صنيعه هذا بقوله: (إن الصنيع البلاغي للقرآن الذي يقوم على تخليص العناصر القصصية من أحداث وأشخاص وأخبار من معانيها التاريخية، وجعلها صالحة كل الصلاحية لاستثارة العواطف والانفعالات حتى تكون العظة والعبرة، وتكون البشارة والإنذار، وتكون الهداية والإرشاد، ويكون الدفاع عن الدعوة الإسلامية والتمكين لها حتى في نفوس المعارضة.. إن هذا كله لهو الدليل القوي على أن القرآن الكريم لا يطلب الإيمان برأي معين في هذه المسائل التاريخية)[1]

قال آخر: وعبر عنه بقوله: (ومن هنا يصبح من حقنا، أو من حق القرآن علينا، أن نفسح المجال أمام العقل البشري ليبحث ويدقق، وليس عليه من بأس في أن ينتهي من هذه البحوث إلى ما يخالف هذه المسائل ـ أي ما ذكر في القصص القرآني ـ ولن تكون مخالفة لما أراده الله أو لما قصد إليه القرآن، لأن الله لم يرد تعليمنا التاريخ، ولأن القصص القرآني لم يقصد إلا إلى الموعظة والعبرة وما شابههما من مقاصد وأغراض)[2]

قال آخر: ثم عقب على هذا مبررا له بقوله: (إن المخالفة هنا لن تكون إلا مخالفة لما تتصوره البيئة ولما تعرفه عن التاريخ، ولم يقل قائل بأن ما تعرفه البيئة العربية عن التاريخ هو الحق والصدق، ولم يقل بأن المخالفة لما في أدمغة العرب من صور عن التاريخ هي الكفر والإلحاد، بل لعل هذه المخالفة واجبة حتى يكون تصحيح التاريخ وخلوه من الخيالات والأوهام)[3]

قال آخر: وقد استهجن العلماء والباحثون المسلمون

---

1 () الفن القصصي، ص254.

2 () القصص القرآني، ص 254.

3 () القصص القرآني، ص 254.

صنيعه هذا على اختلاف مشاربهم؛ فرد عليه حينها أحمد أمين، وعبد المتعال الصعيدي، وعبد الفتاح بدوي، ومحمد الغمراوي، ومحب الدين الخطيب.

قال آخر: أما الشيخ شلتوت ـ شيخ الأزهر ـ فقد حُولت له الرسالة لفحصها وإبداء رأيه فيها، فذكر في تقريره بأن هذه الرسالة (قامت على أسس فاسدة، لأنها غارقة في تكذيب القرآن، ولأن كاتبها جاهل لا يفهم النصوص)، وختم تقريره بالدعوة لأن تُطهر الجامعة من هذه الدراسة، كما أفتى أكثر من مائة عالم من الأزهر بأن هذه الرسالة (مفكرة يخرج بها صاحبها عن الدين الإسلامي)[1]

قال آخر: وممن رد عليها، وانتقدها بشدة الدكتور محمد بلتاجي في مقالته الطويلة حولها بعنوان [التفسير البياني للقصص القرآني بين الحق والمذهب الفني، دراسة وتقويم لمنهج باطل في التفسير]، ومما جاء فيها قوله: (إذن فنظرية خلف الله التي ستحل ــ كما قال ــ مشكلات التفسير واعتراضات المستشرقين والمبشرين: هي أن القرآن الكريم استخدم الأساطير والأكاذيب التي كانت في أذهان العرب عن الوقائع التاريخية، فنزل بها، ولم يصححها أو ينص على كذبها، خدمة لأغراضه في العظة والاعتبار، ومجاراة لعقائد القوم الذين نزل فيهم)[2]

قال آخر: وممن رد عليه حينها الشيخ محمد الخضر حسين[3]، ومن ردوده عليها قوله: (ما يرد في القرآن على وجه الإخبار لا يكون إلا موافقا للواقع، هذا ما يقتضيه الإيمان بأنه تنزيل من عليم حكيم، ولو أجزنا أن يكون فيه أقوال غير مطابقة للواقع لكان معنى ذلك أن من أقواله ما يكون كذبا، وليس الكذب سوى عدم مطابقة الكلام للواقع، وإذا كان الفضلاء من الناس يتبرؤون من أن يقولوا زورا، ويعدونه في أقبح الرذائل المزرية بالإنسانية، فما كان لنا أن نلصقه بكلام ذي العزة والجلال، ناظرين إلى مقام الربوبية كما ننظر إلى شاعر أو كاتب قد يعجز عن أن يظهر براعته الفنية في الحوادث الواقعة تاريخيا)

1 () مؤلفات في الميزان لأنور الجندي ص72، والعقلانية هداية أم غواية لعبد السلام البسيوني، ص 135.

2 () أضواء الشريعة، العدد السادس، سنة 1395هـ، ص 112.

3 () الفن القصصي في القرآن، الشيخ محمد الخضر حسين، مجلة الهداية الإسلامية، ج7، و8 محرم وصفر عام 1367.

قال آخر: ورد على استدلال محمد أحمد خلف الله بـ (التناقض في رواية الخبر الواحد مثل أن البشرى بالغلام كانت لإبراهيم أو لامرأته)، بقوله: (التناقض في الأخبار أن يختلف الخبران بالإيجاب والسلب، مع اتحادهما فيما عدا ذلك، ويلزم من صدق أحدهما كذب الآخر؛ كأن تقول: بشرت زيدا بقدوم ابنه، ثم تقول: لم أبشر زيدا بقدوم ابنه، ومثل هذا الضرب من الكلام لم يقع في الآية الكريمة، وإنما ورد أن الله بشر عن طريق الملائكة إبراهيم عليه السلام بغلام، كما قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: 101]، وقال: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: 112]، وقال: ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: 53]، وقال: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: 71]، ومن المعقول أن يبشر الملائكة إبراهيم عليه السلام، ثم يبشروا امرأته بغلام هو إسحاق، فيذكر في آية أنهم بشروا به إبراهيم، ويذكر في آية أخرى أنهم بشروا به امرأته، ومن ذا الذي يتوهم أن في مثل هاتين البشارتين شيئا من التناقض أو ما يشبه التناقض!؟)[1]

قال آخر: ورد على زعم محمد أحمد خلف الله بكون قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: 116] قصة مختلقة بقوله: (ولا ندري ما هو الدليل الذي ينهض أمام هذه الآية، ويدل على أن القصة المشار إليها مخلوقة غير واقعة، والأدلة في مثل هذا إما نصوص تاريخية ثابتة الرواية، وإما أن يشعر المتكلم مخاطبه بأنه يريد تصوير حادثة تصويرا فنيا، وإما أن يبدو للمخاطب من طبيعة الحادثة ما يجعلها مستحيلة الوقوع، ولم يرد نص تاريخي ينفي ما اشتملت عليه القصة من خطاب الله تعالى لعيسى، وجواب عيسى عليه السلام، ولم يقل الله تعالى ــ لا صراحة ولا تلويحا ــ إن هذه القصة مخلوقة غير واقعة، وإنما أريد تصوير حادثة تصويرا فنيا، وليس في القصة معنى يحكم العقل المنطقي باستحالته)[2]

1 () مجلة الهداية الإسلامية، ج7، و8 محرم وصفر عام 1367.
2 () مجلة الهداية الإسلامية، ج7، و8 محرم وصفر عام 1367.

قال آخر: ورد على زعم محمد أحمد خلف الله بأن (الإجابة عن الأسئلة التي كان يوجهها المشركون للنبي ﷺ ليست تاريخية ولا واقعة، وإنما هي تصوير نفسي عن أحداث مضت أو أغرقت في القدم، سواء كان ذلك الواقع متفقا مع الحق والواقع، أو مخالفا له)[1]، بقوله: (نتحدث مع صاحب الرسالة في هذا الموضوع الديني بصفته مسلما، فنقول: قد قام الدليل القاطع على أن القرآن كلام الله، وأن رسوله محمدا ﷺ قد بلغ ما أنزل إليه من ربه، فكل ما جاء في القرآن من خبر فهو صادق، وإنما الصدق مطابقة الكلام للواقع، ونستند في الجزم بصدق أخبار القرآن إلى الدليل القائم على صدق الرسول في دعوى الرسالة، والدليل القائم على أن القرآن وحي من الله جل شأنه، ولو كان القائل: (إن النبي ﷺ إنما يصور واقعا في نفسه، سواء كان ذلك الواقع متفقا مع الحق والواقع، أم مخالفا) لا ينتمي إلى الإسلام؛ لقلنا: نحن معنا أدلة لا تحوم حولها شبهة على أن القرآن لا يقول إلا حقا، فإن أبيت أن تصغي إليها بأذن واعية، فاعمد إلى قصة من قصص القرآن، وأقم على أنها مخالفة للحق دليلا يقره المنطق، ويتقبله العقل)[2]

قال آخر: ثم قال: (ونحن لا ندري من أين عرف كاتب الرسالة أن إجابة النبي ﷺ عن أسئلة المشركين لم تكن تاريخية ولا واقعة.. فقد يهمل التاريخ أحداثا، فلا يدل عليها صراحة ولا رمزا، ولكنه لا يستطيع أن يأتي إلى أحدث أخبر عنها القرآن على وجه خاص، ويحكم عليها بأنها غير واقعة حكما يدخل إليه من باب الروية والإنصاف)[3]

قال آخر: ورد على زعم محمد أحمد خلف الله بأن (القرآن يقرر أن الجن تعلم بعض الشيء، ثم لما تقدم الزمن قرر القرآن أنهم لا يعلمون شيئا.. والمفسرون مخطئون حين يأخذون الأمر مأخذ الجد)[4] بقوله: (لم يقرر القرآن أن الجن لا يعلمون شيئا، وإنما قال في قصة وفاة سليمان عليه السلام: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا

---

1 () الفن القصصي في القرآن، ص 28.
2 () مجلة الهداية الإسلامية، ج7، و8 محرم وصفر عام 1367.
3 () مجلة الهداية الإسلامية، ج7، و8 محرم وصفر عام 1367.
4 () الفن القصصي في القرآن، ص 29.

لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ [سبأ: 14]، فالآية إنما نفت عن الجن علم الغيب، وهو ما يحصل للعالم لذاته، ومن هنا كان مختصا بالخالق جل شأنه، قال تعالى: قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ [النمل: 65]، فدلت الآية على أن علم الغيب خاص به تعالى، وأما غيره فلا يعلم الأشياء الغائبة عنه لذاته، وإنما يعلم منها ما يعلمه الله، كما قال تعالى: عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا [الجن: 26 ـ 28]، ومن هنا نفهم كيف ينفي النبي ﷺ عن نفسه علم الغيب، مع أن الله تعالى قد أظهره على أشياء كثيرة كانت غائبة عنه، فقال: قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [الأعراف: 188]، فنفي علم الغيب عن الجن لا ينافي أنهم يعلمون بعض الأشياء بطريق من طرق العلم الخفية.. فكاتب الرسالة مخطئ في فهمه أن بين الآية التي تثبت للجن العلم ببعض الشيء، والآية التي تنفي عنها علم الغيب تناقضا)[1]

قال آخر: ورد على زعم محمد أحمد خلف الله بأن (الأنبياء أبطال ولدوا في البيئة، وتأدبوا بآدابها، وخالطوا الأهل والعشيرة وقلدوهم في كل ما يقال ويفعل، وآمنوا بما تؤمن به البيئة من عقيدة، ودانوا بما تدين به من رأي، وعبدوا ما يعبد من إله)[2] بقوله: (أجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الكفر قبل النبوة وبعدها، وممن حكى الإجماع على هذا الإمام عضد الدين في كتاب [المواقف]، والقاضي عياض في كتاب [الشفاء]، ولكن كاتب الرسالة يقول: إنهم قلدوا الأهل والعشيرة في كل ما يقال ويفعل، وآمنوا بما تؤمن به البيئة من عقيدة، وعبدوا ما يعبد من إله.. وإنما يقول هذا، ويخرج عن إجماع المسلمين من استطاع أن يملأ يده من روايات تاريخية صحيحة، أو استطاع أن يقيم دليلا نظريا يسعه المنطق السليم، وليس بيد الكاتب نقل مقبول، ولا دليل معقول، وإنما هي دعوى عارية من كل شاهد، فلندع بسط الحديث عنها حتى

1 () مجلة الهداية الإسلامية، ج7، و8 محرم وصفر عام 1367.

2 () الفن القصصي في القرآن، ص 27.

نعرف الشبهة التي دفعت الكاتب إليها، حتى عبر عنها بجمل يؤكد بعضها بعضا، وأسرف في تسويتهم بالمشركين، إلى أن قال لك: [وقلدوهم في كل ما يقال ويفعل])[1]

قال آخر: ورد على زعم محمد أحمد خلف الله بأن (تصوير أخلاق الأمم كبني إسرائيل ليس بضروري أن يكون واقعا؛ بل يصح أن يكون تصويرا فنيا يلاحظ الواقع النفسي أكثر من صدق القضايا)[2] بقوله: (القرآن وحي سماوي، فإذا وصف أخلاق أمم كبني إسرائيل دل بالضرورة على أن وصفهم بتلك الأخلاق واقعي، ومن ادعى أن القرآن غير صادق فيما وصف، فليأت بآية وصفت بعض الأمم بأخلاق، ودلت الرواية أو الدراية على أن هذا الوصف غير مطابق للواقع)[3]

قال آخر: ورد على زعم محمد أحمد خلف الله بأن (القصة هي العمل الأدبي الذي يكون نتيجة تخيل القاص لحوادث وقعت من بطل لا وجود له، أو لبطل له وجود، ولكن الحوادث التي ألمت به لم تقع أصلا، أو وقعت ولكنها نظمت على أساس فني، إذ قدم بعضها وأخر بعضها، أو حذف بعضها وأضيف إلى الباقي بعض آخر، أو بولغ في تصويرها إلى حد يخرج بالشخصية التاريخية عن أن تكون حقيقية إلى ما يجعلها في عداد الأشخاص الخيالية، وهذا قصدنا في هذا البحث من الدراسة القرآنية)[4] بقوله: (هذا الذي يقوله الكاتب إنما ينطبق على القصص التي يقصد من تصنيفها إظهار البراعة في صناعة الإنشاء، أو في إجالة الخيال، أو بعث الارتياح والمتعة في نفوس القارئين؛ مثل مقامات بديع الزمان، أو مقامات الحريري، أو القصص التي تنشر اليوم في بعض الصحف السائرة، أما قصص القرآن فهي من كلام رب العزة، أوحى به إلى الرسول الأكرم؛ ليكون مأخذ عبرة، أو موضع قدوة، أو مجلاة حكمة، وإيمان الناس بأنه صادر من ذلك المقام الأسنى يجعل له في قلوبهم مكانة محفوفة بالإجلال، ويمنعهم من أن يدرسوه كما تدرس تلك القصص الصادرة من نفوس بشرية تجعل أمامها أهدافا خاصة، ثم لا تبالي أن تستمد ما تقوله من خيال غير صادق، أو تخرج من جد إلى هزل، وتضع بجانب الحق

---

1 () مجلة الهداية الإسلامية، ج7، و8 محرم وصفر عام 1367.

2 () الفن القصصي في القرآن، ص 75.

3 () مجلة الهداية الإسلامية، ج7، و8 محرم وصفر عام 1367.

4 () الفن القصصي في القرآن، ص 81.

باطلا)[1]

قال آخر: ورد على قول محمد أحمد خلف الله: (أخطأ الأقدمون في عد القصص تاريخا)[2] بقوله: (لم يخطئ المتقدمون ولا المتأخرون في عد القصص تاريخا؛ بل هم على بينة من أمرهم، إذ يعدون القرآن أصح مصدر لما يقص من شؤون الأمم الغابرة، والأمم التي كانت تعيش وقت نزوله؛ ذلك أن الدليل القائم على أن القرآن وحي إلهي هو الدليل الذي يشهد بأن قصصه تاريخ حق، لازم للإيمان بأنه وحي سماوي، ومن يزعم أنه يوجد هذا الإيمان بدون ذلك الاعتقاد فهو كمن يزعم أن الشمس طالعة والنهار غير موجود)[3]

قال آخر: ورد على قول محمد أحمد خلف الله: (منهج القرآن هو معالجة القصة من حيث هي أدب، ويعني بذلك خلق الصور والابتكار والاختراع.. ولذلك لا مانع من اختلاف تصور الشخصية الواحدة في القرآن)[4] بقوله: (لم يعالج القرآن القصة من حيث هي أدب، وإنما يوردها من حيث إنه مطلع حكمة، ومأخذ عبرة، ومرآة حقيقة، وحيث كان لبلاغة القول بعد حكمة المعنى وقوة الحجة، أثر زائد في توجيه النفوس إلى الصراط السوي، أنزل الله القرآن كله في أفصح الألفاظ، وأبدع الأساليب، حتى بلغ بحسن بيانه أنه كان المعجزة الخالدة)[5]

قال آخر: ورد على زعم محمد أحمد خلف الله بأن (قصة موسى في الكهف لم تعتمد على أصل من واقع الحياة.. بل ابتدعت على غير أساس من التاريخ)[6] بقوله: (وضع الكاتب أمامه قصص القرآن، وأخذ يصدر فيها أحكاما تمليها عليه محاكاته لقوم يجحدون، فعمد إلى قصة موسى عليه السلام في سورة الكهف، ونفى عنها أن تكون قد اعتمدت على أصل من واقع الحياة، ووصفها بأنها ابتدعت على غير أساس من التاريخ.. والذي يتصدى لأن يحكم على قصة نبي في القرآن بأنها لم تعتمد على أصل من واقع الحياة، شأنه أن يعرف تاريخ

---

1 () مجلة الهداية الإسلامية، ج7، و8 محرم وصفر عام 1367.

2 () الفن القصصي في القرآن، ص 83.

3 () مجلة الهداية الإسلامية، ج7، و8 محرم وصفر عام 1367.

4 () الفن القصصي في القرآن، ص 84.

5 () مجلة الهداية الإسلامية، ج7، و8 محرم وصفر عام 1367.

6 () الفن القصصي في القرآن، ص 79.

ذلك النبي من طريق غير القـرآن، ويملأ يـده من روايـات بالغـة في الصحة درجة تكسبه الجزم بأن ما حكاه القرآن غـير واقـع، فله أن يقول حينئذ: إن هذه القصة مبتدعة على غير أساس من التاريخ، فهل دخل الكاتب إلى هـذا الحكم من طريـق هـو أرجح دلالة على الواقع من نصوص القرآن المجيد!؟)[1]

قـال آخـر: ورد على زعم محمـد أحمـد خلـف الله بـأن (القرآن عمد إلى بعض التاريخ الشعبي للعرب وأبطـال الكتـاب ونشره نشرا يـدعم غرضـه كقصـة ذي القـرنين)[2] بقولـه: (إذا قص القـرآن حـوادث كـان حـديثها يـدور بين العـرب أو أهـل الكتاب، فإنما يقصها لقصـد يعـود على دعوتـه الشـاملة بتأكيـد، وهو بعـد هـذا لا يقص من تلـك الحـوادث إلا الواقـع، وليس من المعقــول أن يجــاري القــرآن العــرب أو أهــل الكتــاب فيمــا يتسامرون به في مجالسهم، فيعرض منها ما ليس بواقـع، وهـو تنزيل من علام الغيوب.. أما قصة ذي القرنين، فقد ذكر القرآن أن الكفـار وجهـوا إلى النـبي ﷺ سـؤالا عن ذي القـرنين، فقـال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: 83]، ولا يخطر على بال أحد، فهم مساق القصة، وعــرف ما يقصده أولئك المتعنتون من أسـئلتهم أن يكـون قصـدهم من هذا السؤال أن تصـور لهم قصـة ذي القـرنين في صـورة فنيـة، وإن كـانت غـير مطابقـة للواقـع التـاريخي، فيكـون غرضـهم إذا اختبار حال المسؤول من جهة حسن البيان، وذلك ما لا يحتملــه لفظ الآية، ولا يساعد عليه مساقها؛ فقد نـزل الـوحي بـالجواب عن هذا السؤال، قال تعالى: ﴿وَيَسْـأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَـرْنَيْنِ قُـلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْـهُ ذِكْـرًا إِنَّا مَكَّنَّا لَـهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَـاهُ مِنْ كُـلِّ شَـيْءٍ سَـبَبًا﴾ [الكهـف: 83 ـ 84] إلى آخــر القصــة، وقــد اختلــف الكاتبون فيمن هو ذو القرنين الذي تحدث عنه القرآن في هــذه القصــة، وأخــذوا يتحــدثون عن الإســكندر الــرومي، والإســكندر اليوناني وغيره، ونحن نطرح كـل حـديث عن شـخص لا ينطبـق عليه ما وصف به القـرآن ذا القـرنين، ونقطـع ببطلان أن يكـون ذلك الشخص هو المسمى في هذه القصـة ذا القـرنين، ونقـول إن القصة الواردة في القرآن موافقة للواقـع التـاريخي، مـا دام المؤرخــون لا يســتطيعون أن يقيمــوا دليلا مقبــولا على أنــه لم

---

1 () مجلة الهداية الإسلامية، ج7، و8 محرم وصفر عام 1367.

2 () الفن القصصي في القرآن، ص 93.

يوجد في العصور الخالية شخص صدرت منه الأعمال التي نسبت في القصة إلى ذي القرنين، وإذا لم يذكر القرآن العصر الذي ظهر فيه ذو القرنين، ولا البلد الذي نشأ فيه، ولا الشعب الذي ينتسب إليه، كان من المتعذر على المؤرخ أن ينكر صدق قصته إنكارا يقيم له العارفون بآداب البحث وزنا)[1]

قال آخر: ورد على زعم محمد أحمد خلف الله بأن (عناصر القصة هي العناصر الفنية والأدبية التي اتخذ منها الفنان مادته التركيبية، والتي أعمل فيها خياله، وسلط عليها عقله، ونالها بالتغيير والتبديل، حتى أصبحت وكأنها مادة جديدة بما بث فيها من روحه، وكذلك القصص في القرآن، والبحث عن المصادر في القصص القرآني على هذا الأساس)[2] بقوله: (ما قاله الكاتب في تعريف القصة، يصح أن يقال في قصة يؤلفها فنان، يريد من تأليفها إظهار براعته البيانية، ولا يبالي في تخييله أن تكون الحوادث التي أعمل فيها خياله، وسلط عليها عقله، وقعت من بطل لا وجود له، أو من بطل له وجود، ولكن الحوادث التي ألمت به لم تقع أصلا، ولا يليق بباحث مطمئن إلى أن القرآن وحي سماوي أن يقول بعد أن عرف القصة وعناصرها بما عرفهما به.. وأشار الكاتب إلى أن للقرآن مصادر، وهذا ما يقوله المخالفون الذين يقولون: إن القرآن من تأليف محمد، ويزعمون أن هناك مصادر استمد منها النبي ﷺ ما جاء به من شريعة الإسلام، ومن مصنفاتهم كتاب يسمونه [مصادر الإسلام]، والمسلمون على يقين من أن للقرآن مصدرا واحدا هو الله، الذي يقول الحق وهو يهدي السبيل)[3]

قال آخر: ورد على قول محمد أحمد خلف الله: (يجب أن لا يزعجنا لأنه الواقع العلمي في حياة كل الفنون والآداب.. وطبق هذا المبدأ تطبيقا واسعا)[4] بقوله: (لا يزعجنا أن يسوق بعض الكاتبين قصص القرآن الكريم مساق القصص التي يعمل فيها الفنان خياله، ويسلط عليها عقله، ما دام الدليل الذي قام على أن القرآن كلام الله لا يزال قائما نصب أعيننا، ذلك أن القرآن دعوة مقرونة بحجة، تشهد الدعوة بأنها صادرة من حضرة ذي الجلال، لا أنها من صنع بشر فنان، قد يغطي

---

1 () مجلة الهداية الإسلامية، ج7، و8 محرم وصفر عام 1367.

2 () الفن القصصي في القرآن، ص 75.

3 () مجلة الهداية الإسلامية، ج7، و8 محرم وصفر عام 1367.

4 () الفن القصصي في القرآن، ص 118.

بزخرف قوله ما تنطوي عليه عباراته من معان لا تطابق الواقـع التاريخي)[1]

قال آخر: ورد على زعم محمد أحمـد خلـف اللـه بـأن (مـا تمسك به الباحثون من المستشـرقين ليس سـببه جهـل محمـد بالتاريخ؛ بـل قـد يكـون من عمـل الفنـان الـذي لا يعنيـه الواقـع التـاريخي، ولا الحـرص على الصـدق العقلي، وإنمـا ينتج عملـه ويبرز صوره بما ملك من الموهبة الفنية، والقـدرة على الابتكـار والاختراع والتغيير والتبديل)[2] بقوله: (ادعى المستشــرقون أن في القرآن قصصا غـير موافـق للواقـع التـاريخي، وكـذلك زعم كاتب الرسالة أن القصص في القرآن لوحظ فيه التصوير الفني دون الواقع التاريخي والصـدق العقلي، فكـاتب الرسـالة يوافـق المستشـرقين في أن بين قصـص القـرآن مـا لا يوافـق الواقـع التاريخي، غـير أن المستشـرقين يعللـون هـذه المخالفـة بعـدم معرفة محمـد للتـاريخ، وكـاتب الرسـالة يعللهـا بأنـه ﷺ يسـوق القصـة غـير معـني بـالواقع التـاريخي، ولا حـريص على صـدقها العقلي، وإنما كانت وجهته التصوير الفني، والابتكـار والاخـتراع، والتغيير والتبديل.. والمسلم الحق من يؤمن بأن القـرآن مـنزل من عنـد اللـه، لا من صـنع محمـد ﷺ، ويـنزه القـرآن عن ذلـك التصـوير الفـني، الـذي لا يعـنى فيـه بـالواقع التـاريخي، وليس قصص القرآن إلا الحقائق التاريخيـة تصـاغ في صـور بديعـة من الألفاظ المنتقاة والأساليب الرائعة)[3]

قـال آخـر: ورد على زعم محمـد أحمـد خلـف اللـه بـأن (القرآن تدرج في القصص كمـا يتـدرج أدب كـل أديب، فالأدبـاء يلتمسـون المتعـة واللـذة في كـل أمـر فـني يعـرض لهم، ثم يتقدمون خطـوة فيبغـون الاسـتمتاع واللـذة بالمحـاولات الأولى التي تقوم على التقليد والمحاكاة، ثم يكون التخلف شيئا فشيئا، والـدخول في ميـدان التجـارب الخاصـة، ومظـاهر ذلـك النسـخ والتدرج بالتشـريع)[4] بقولـه: (جعـل الكـاتب القصـص القـرآني يتدرج كما يتدرج أدب كـل أديب.. والواقـع أن القـرآن لم يـنزل ليجــاري الأدبــاء في أدبهم، ويــذهب في المبالغــات مــذهبهم، ويستخف بحرمة بعض الحقائق استخفافهم، وإنما نـزل القـرآن

---

1 () مجلة الهداية الإسلامية، ج7، و8 محرم وصفر عام 1367.

2 () الفن القصصي في القرآن، ص 136.

3 () مجلة الهداية الإسلامية، ج7، و8 محرم وصفر عام 1367.

4 () الفن القصصي في القرآن، ص 169.

ليهـدي الأدبـاء وغـير الأدبـاء إلى مـا يلائم الفطـر السـليمة من عقائـد وآداب وأعمـال، فوجهتـه الـدعوة إلى الإصـلاح الشـامل، وليســت هــذه الــدعوة الإصــلاحية وليــدة الــدخول في ميــدان التجارب الخاصة، ولا أن النسـخ والتـدرج بالتشـريع من مظـاهر الــدخول في تجــارب؛ بــل الــدعوة هدايــة من خــالق التجــارب والمجربين، والنسخ والتدرج بالتشريع من مظاهر علمه القديم، كما هو مفصل في أصول الشريعة)[1]

قال آخر: وهكذا رد عليه وعلى من ردد مقولته الكثــير من الكتاب والباحثين، ومنهم د. محمـد سـعيد رمضـان البـوطي في مقـال لـه بعنـوان [الميثولوجيـا (الأسـطورة) والعلم والقـرآن]، ومما جاء فيه قوله: (فما الأسطورة إذن، وقبل كل شــيء؟ هي حصـيلة الأخيلـة الشـعبية الـتي تـروى غالبـا على شـكل قصـص وحكايات، ولما كان الإنسان بفطرته الأصيلة يتمتع بخيـال يتسـع اتساع الطبيعة التي يعيش ويتقلب فيها، مقابل الواقع المحــدود الذي يعيش محاصرا في أقطاره، فقد كان من شأن هذا الخيال أن يجمح بصاحبه إلى ما وراء ذلك الواقع المحــدود، ســابحا في أرجاء الطبيعة كلها دون أن تقيده شروط أو تصده حدود؛ ليكون ذلك عزاء وتعويضا له عن واقعه الضيق الذي حبس في داخلــه، ولـولا إطلالـة الإنسـان من داخـل واقعـه الـذي يعيش فيـه على الطبيعة المحيطة به، من خلال نوافذ الخيال الذي متعه الله بـه، لتحول الواقع إلى سجن ضيق خانق، لا يورث صـاحبه إلا الكمـد والشقاء، مهما كان شأنه، ومهما كان نوع الحياة التي يعيشــها.. إذن، فالأسـطورة نسـيج خيـال تصـاغ في داخلـه، وتـروى على أساسه، ويتلقاها الناس جيلا بعد جيـل، على هـذا الأصـل وبهـذه الهوية، وما من شعب من الشعوب إلا يحافظ من ثمرات خيالـه على قسط وافر من الحكايات والقصص الأسـطورية المتنوعـة، تأخذ لون الحضارة والثقافة اللـتين تمـيز بهمـا، وقـد ظلت هـذه الحكايات معروفة محتفظة بطابعها الأسطوري، وتروى بدءا من مصدرها الأول موسومة بهذا الطابع، ولم نسمع قــط في تــاريخ الأدب الأسطوري، أو ما يسمى بأدب الشعوب أن أسطورة من الأســاطير انفصــلت عن نســبها الموصــول إلى جــذور الأخيلــة والــوهم، ثم تســربت إلى قنــاة الأحــداث والوقــائع التاريخيــة،

1 () مجلة الهداية الإسلامية، ج7، و8 محرم وصفر عام 1367.

واتخذت طابع الحقيقة الراسخة)[1]

قال آخر: وبعد أن قدم هذه المقدمـة، قـال: (لمـاذا يكـون خبر الله الموحى به إلى رسله وأنبيائه عن كيفية نشأة الإنسـان وتكـاثره، وعن كيفيـة خلـق اللـه عـز وجـل لآدم عليـه السـلام أسـطورة من الأسـاطير، ولا يكـون خـبر مـارك وداروين عن الموضوع نفسه هو الآخر أسطورة من الأسـاطير؟ لمـاذا؟ ومـا الفرق؟.. لماذا يعد خـبر اللـه المـوحى بـه إلى كثـير من رسـله وأنبيائه عن طوفان نوح وسفينته أسطورة من أساطير التـاريخ، ولا يكـون خـبر علمـاء التـاريخ الطـبيعي عن الانفجـار العظيم أسـطورة من أسـاطير التـاريخ أيضـا؟.. إن كـان الفـرق أن في الناس من لا يصدق الـوحي الإلهي ولا يلقي إليـه بـالا، فـإن في الناس كثـيرين ممن لا يصـدقون تصـورات داروين، ولا يقيمـون وزنا لقصة [الانفجـار العظيم] أو [النظريـة السـديمية] كتفسـير لكيفية تشكل الكون والأرض أو ما يشبههما، ومع ذلـك، فإننـا لا نسـمي ــ من الناحيـة العلميـة ــ شـيئا من نظريـات التطـور أو نظريات البـاحثين في التـاريخ الطـبيعي أسـطورة، مهمـا كـانت بعيـدة عن المنطـق أو العلم؛ لأن مقومـات هـذه التسـمية غـير موجودة، ومن أهمها أن تكون موضوعة من قبـل أصـحابها على أنها أسطورة، فلماذا لا يفقه كثير من أدعياء الثقافة والعلم هذه الحقيقـة العلميـة الواضـحة بصـدد نظـرتهم إلى أخبـار الـوحي الإلهي؟)[2]

قـال آخـر: ثم قـال: (إن لهم ولغـيرهم أن يصـدقوا أو لا يصـدقوا شـيئا من أخبـار الـوحي الإلهي، بـل لهم أن لا يؤمنـوا بحقيقة الوحي ذاته، غير أن عليهم أن يعلموا أن عدم فهمهم أو تصديقهم لذلك ليس هو برهان كونه أسطورة وهمية كاذبة)[3]

قال آخر: ومن الذين ردوا على هذه الشبهة الشـيخ محمـد الغزالي، وذلك عند بيانه الفرق بين القصص القـرآني الـواقعي، وبين القصـص الـروائي الأدبي الفـني الخيـالي، فقـد قـال: (إن القصص القرآني سرد واع موجه للتاريخ الإنساني، ليس الغرض منه الإلهاء والتشويق، بل الغرض منه التربية والتوعيـة، وتجديـد المعاني بعـد انتهـاء أهلهـا لتكـون عظـة دائمـة، وقـد شـاع أدب

1 () هذه مشكلاتهم، ص 113.
2 () هذه مشكلاتهم، ص 114.
3 () هذه مشكلاتهم، ص 115.

القصة في عصرنا شيوعا يستحق الدهشة، وامتلأت الأيدي بروايات يقرؤها حاملوها ليقطعوا الوقت أو يتلذذوا بحسن العرض، وجملة هذه الروايات من نسج الخيال، وقد تكون ذات مغزى جيد، وقد تكون إثارة وضيعة، والبون شاسع بين هذه الأقاصيص، وبين التاريخ الذي يجسده القرآن الكريم، ويغزو به الألباب والبصائر؛ ليمحو الغفلة، ويرفع المستوى، ويضيء السبل، البون بعيد بعيد)[1]

قال آخر: ثم ضرب مثالا على ذلك، فقال: (عندما يقول الله لنبيه ﷺ: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: 120]، فهو يقول ذلك في أعقاب سرد لواقع لا ريب فيه، فقد ذكر في هذه السورة قصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام مع أممهم التي ظهرت في عصور متعاقبة، وانتظمتها أدواء التكذيب والمكابرة، حتى أهلكتهم أمة بعد أخرى، وهو يحكي ذلك إرهابا للعرب المستكبرين وتسلية للنبي وتسرية له ﷺ وفي موضع آخر يقول له: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: 34]، فأين موضع الخيال في هذه الوقائع؟)[2]

قال آخر: ويضرب مثالا آخر على ذلك، فيقول: (بعد أن قص الله عز وجل قصة يوسف عليه السلام، وشرح أطوار حياته منذ اختطف إلى أن صار ملك مصر، قال عنه وعن غيره من المسلمين: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: 111]، فأين موضع الخيال هنا؟)[3]

قال آخر: ثم عقب على هذه الأمثلة بقوله: (إن اتهام القرآن بأنه يعرض خيالات فنية أو يمزج في سياقه بين الواقع والخيال، اتهام لا مسوغ له، وهو في نظرنا بلاهة نشأت عن اتباع المستشرقين، والمستشرقون يحسون ما في كتبهم من غثاثة وعوج وبعد عن الحق، ويريدون الإيهام بأن القرآن لا يزيد

1 () مائة سؤال عن الإسلام، محمد الغزالي، ص 155.
2 () مائة سؤال عن الإسلام، محمد الغزالي، ص 155.
3 () مائة سؤال عن الإسلام، محمد الغزالي، ص 156.

على غيره! وهذا كذب لا يروج عند عاقل)[1]

ج. محمد أركون:

قـال أحـد الحضـور: حـدثتمونا عن الثـاني.. فحـدثونا عن الثالث.

قال أحد المبدلين: الثالث هو محمد أركـون، وهـو جزائـري من مواليـد 1928، أتم دراسـته ببـاريس 1955 وحصـل على الدكتوراه من السربون 1969 حول الإنسية العربية في القــرن الرابــع الهجــري، وحاضــر بالعديــد من الجامعــات الفرنســية والعربية.. ومعظم مؤلفاتـه بالفرنسـية، وهـو حـداثي يـدعو إلى التعامل مع القرآن الكريم بالمقاييس الغربيـة، وبالاسـتفادة من المعطيات التي اتبعها فلاسفة الغـرب، وهـو يعتـبر الـدين الـذي ينتهجه الناس مجموعة من المعطيات البطريركيـة الـتي خلفهـا الفقهاء وأسبغوا عليها صبغة القداسة.

قال آخر: وهو من أبرز الحداثيين المهتمين بـنزع القداسـة عن الـوحي الإلهي، وفي كـل كتبـه، فهـو يـذكر أن مـا يسـميه [ظـاهرة التقـديس] للقــرآن الكــريم، من ممارســات (الــذين يستمتعون في اجـترار نفس الكلام بسـبب الكسـل أو الجهـل)، ويـرى أن المشـروع الأسـمى هـو أن (نجمـد كـالأقنوم عامـل التقديس الموجود في القرآن والأناجيل والتوراة)، وأنه لابـد من (بلـورة نظريـة مرضـية لظـاهرة التقـديس، أو لانبثـاق ظـاهرة التقديس ومنشئها ومسارها داخل الـوعي، ودعاماتهـا المتغـيرة في الوجود البشـري، فإننـا عندئـذ نكتشـف أن مشـاكل الصـحة والموثوقية أو الاختراع والتحريف الذي لحق بالنصوص المتلقـاة على أنها مقدسة، أقول: نكتشف بأن هذه المشـاكل ثانويـة في الحقيقة، أن منطق الثالث المرفوع [منطق الصحة أو اللاصحة] يبدو عندئذ تافهـا لا أهميـة لـه لأننـا نكتشـف قـارات أخـرى من الحقيقـة النفسـية واللغويـة والتاريخيـة للإنسـان، كـانت هـذه القــارات قــد طمــرت أو طمســت وأزيحت من ســاحة البحث والتفكير عن طريق ثيولوجيا من نوع منطقي ـ مركزي)[2]

قال آخر: وقد صرح بأن هدف مشروعه الفكـري هـو هـدم التراث المعرفي الإسلامي، بل حتى المقدس منه، فقـال: (كـل من يقرأ كتاباتي يعرف أني حريص كل الحرص على نقد التراث

---

1 () مائة سؤال عن الإسلام، محمد الغزالي، ص 156.

2 () الإسلام والحداثة: ص ٥٨.

المعرفي الإسلامي منذ ثلاثين عامـا، وأنـا أحـاول انتهـاك أطـره التقليدية الموروثة الجامدة وتحديداته ومفاهيمـه ورؤيتـه للعـالم وللوجــود.. لكي أفتح لــه آفاقــا لم تكن في الحســبان، ولكي أخرجه من عزلته وإغلاقه الدغمائي المزمن)[1]

قـال آخـر: وفي محاضـرة لـه في نـدوة الإسـلام والحداثـة اعـترض عليـه أحـد الحاضـرين وطلب منـه احـترام المقدسـات وخاصـة الـوحي والتنزيـل، فأجابـه بقولـه: (بـالطبع، معـك بعض الحــق، وقــد نبهت منــذ البدايــة إلى أنــه ينبغي أن نســير في موضوع الحداثة بتؤدة وبطء فالأرض مزروعـة بالألغـام، ولكنـك تستخدم كلمات كثيفة جدا ومثقلـة بالـدلالات التاريخيـة دون أن تحــاول تفكيكهــا أو تحليلهــا.. كــل هــذه التعــابير المصــطلحية الأساسية التي ورثناها عن الماضي [كمفردات الإيمان والعقيدة بشكل خاص] لم نعد التفكير فيها الآن، ونحن نستخدمها وكأنهــا مسلمات وبدهيات ونشربها كما نشـرب المـاء العـذب، هـذا مـا تعودنا عليـه منـذ الصـغر ومنـذ الأزل، ولكن إذا صـممنا على أن ندخل فعليا في مناخ الحداثة العقلية، فماذا نرى؟ ماذا تقول لنـا الحداثـة بخصـوص هـذه المفـردات الضـخمة الكثيفـة الـتي تملأ علينا أقطار وعينا؟.. ماذا تقول لنا بخصوص هـذه المصـطلحات الإيمانية المشحونة بالمعاني وظلال المعـاني.. عنـدما يسـتخدم المرء بشـكل عفـوي هـذا المعجم الإيمـاني اللاهـوتي القـديم لا يعي مدى ثقله وكثافته وشحنته التاريخية وإبعاده المخفية، وكل الأخطــار المرافقــة لاســتخدامه، فمثلا عنــدما يقــول المــؤمن التقليدي أن هناك أشياء لا تتغير ولا تتبدل، وعنـدما يقـول هنـاك المقدس [أو الحرم باللغة الإسلامية الكلاسيكية].. وينبغي عــدم التساؤل حوله أو مسه، وعندما يقول: هناك الـوحي، وكـل هـذه الأديان انطلقت من النقطة نفسها: الـوحي.. عنـدما يقـول كـل ذلك فإنه يستخدم لغة كثيفة أكثر مما يجب، هكذا تلاحظون أني اسـتخدم صـفة كثيفـة أو ثقيلـة [بمعـنى الـوزن] الحياديـة لكيلا أطلـق أي حكم قيمـة، مـاذا تعـني هـذه الكلمـة؟ إنهـا تعـني أن كواهلنا تنوء تحت ثقل أكياس هذا المعجم القديم، فهو أثقل من أن نحتملــه أو نســتطيع حملــه بعــد الآن.. ففي هــذه الأكيــاس [أكياس المعجم التقليدي] أشياء كثـيرة لا شـيء واحـد، وينبغي أن نفتحها لكي نعرف مـا فيهـا، لم نعـد نقبـل الآن بحملهـا على

[1]) محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، ص 150.

أكتافنا وظهورنا دون أي تساؤل عن مضمونها كما حصل طـوال القرون الماضية، ماذا تقول لنا الحداثة بخصوص كل واحـدة من هذه الكلمات والمصطلحات الثيولوجية القديمة؟.. ماذا تقول لنا إذا مـا قبلنـا أن نـدخل فعلا في منـاخ الحداثـة ونتنفس هواهـا الطلق؟)[1]

قـال آخـر: ثم يسترسـل في كلامـه ليصـل إلى قضـية [الوحي] فيقول: (أتمنى هنا عندما تلفظ كلمة الوحي أن تشـعر بأنها كلمة شديدة الخطورة والأهمية، وأنه لا يمكننـا اسـتخدامها بسهولة وبمناسـبة ودون مناسـبة، بمعـنى أننـا لا نفهمهـا جيـدا، وإنها بحاجة لأن تخضع لدراسة جديدة دقيقـة لا تقـدم أي تنـازل للتصورات الألفية الـتي فرضـتها العقائـد الدوغمائيـة الراسـخة، أتمنى أن ننظف من كل مـا علـق بهـا من أوشـاب إيديولوجيـة، وذلك لأن العقائد الدوغمائية الراسخة تحمل في طياتهـا الكثـير من الإيديولوجية.. إن عملنا يتمثل في عزل، وفرز كل ما أضيف إلى كلمة وحي من أشياء تثقلها وتجعل منها أداة إيديولوجيـة أو آلـة إيديولوجيـة من أجـل الهيمنـة والسـيطرة، وليس فضـاء للمعرفة المنفتحة على الكـون، وهـذا إشـكالي، فنحن لا نعـرف بالضبط ما هو الوحي، وأستطيع أن أقول الآن مـا يلي: لا توجـد حتى هذه اللحظة التي أتكلم فيها أمام أي مكتبة في العالم، ولا أي كتاب في أية لغـة من لغـات العـالم يطـرح مشـكلة الـوحي على طريقة العقلانية الحديثة ومنهجيتها)[2]

قـال آخر[3]: وقـد وصـل الأمـر بـه إلى حـد التشـكيك في القرآن الكريم نفسه، حيث يـذكر أنـه لا يوجـد اليـوم على وجـه الأرض نص صحيح للقـرآن، وأن النص القـرآني الموجـود اليـوم نص محـرّف، وأن النص الأصـلي شـبه مفقـود.. ومن أطـرف مشروعات أركون لحل هذه المشكلة التي يراها أنه لا يمكن أن نصـل للنص الصـحيح للقـرآن إلا إذا وصـلنا إلى مخطوطـات موجـودة في البحـر الميت، هـذه المخطوطـات اللاهوتيـة في البحر الميت ستوصلنا إلى النص الصحيح للقرآن.

قال آخـر: وقـد عـبر عن ذلـك بقولـه: (لنـذكر الآن المهـام العاجلة التي تتطلبها أية مراجعة نقدية للنص القـرآني.. أي نقـد

1 () الإسلام والحداثة: ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨.

2 () المصدر السابق ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠.

3 () استفدنا المادة العلمية هنا من مقـال بعنـوان: مصـحف البحـر الميت، إبـراهيم السـكران، اسـتعرض فيـه صاحبه أقوال أركون المشككة في القرآن الكريم.

القصة الرسمية لتشكيل القـرآن، هـذا يتطلب منـا الرجـوع إلى كل الوثائق التاريخية سواءً كانت ذات أصـل شـيعي أم خـارجي أم سني، هكـذا نتجنب كـل حـذف تيولـوجي لطـرف ضـد آخـر، بعدها نواجه ليس فقط مسألة إعادة قراءة هذه الوثـائق، وإنمـا أيضـاً محاولـة البحث عن وثـائق أخـرى ممكنـة الوجـود كوثـائق البحر الميت التي اكتشفت مؤخراً)[1]

قال آخر: وهو لا يكتفي بذلك، بل يرى أن جزءاً من القرآن الكــريم موجــود في خــزائن غامضــة في الهنــد واليمن، وإذا اسـتطعنا الوصـول لهـذه الخـزائن فربمـا أمكننـا إعـادة كتابـة القرآن، وقد قال معـبرا عن ذلـك: (يفيـدنا في ذلـك أيضـاً سـبر المكتبات الخاصة عند دروز سوريا، أو إسماعيلية الهند، أو زيدية اليمن، أو علوية المغرب، يوجد هناك في تلك المكتبات القصـية وثائق نائمة متمنعة، مقفل عليهـا بالرتـاج، الشـئ الوحيـد الـذي يعزينـا في عـدم إمكانيـة الوصـول إليهـا الآن هـو معرفتنـا بأنهـا محروسة جيداً)[2]

قال آخر: بل يضيف إلى ذلك زعمـه أن هنـاك مخطوطـات ثمينة تدلنا على النصوص المفقودة للقرآن قد تم تدميرها، فهـو يقول: (يبدو لي أنه من الأفضـل أن نسـتخلص الـدروس والعـبر من الحالة اللامرجـوع عنهـا، والـتي نتجت عن التـدمير المنتظم لكل الوثـائق الثمينـة الخاصـة بـالقرآن، اللهم إلا إذا عثرنـا على مخطوطات جديدة توضح لنا تاريخ النص وكيفية تشـكله بشـكل أفضل)[3]

قال آخر: وانطلاقا من ذلك يدعو إلى إنجاز [طبعة محققة] من القرآن تتجـاوز أخطـاء النسـخ الموجـودة بين أيـدينا اليـوم، ويتحسر لأن المستشرقين المعاصرين لم يعـودوا يفعلـون ذلـك كما كان يفعله قدماء المستشرقين، يقـول في ذلـك: (المعركـة الـتي جـرت من أجـل تقـديم طبعـة نقديـة محققـة عن النص القرآني؛ لم يعد البـاحثون يواصـلونها اليـوم بنفس الجـرأة كمـا كان عليه الحال في زمن نولدكة الألماني وبلاشير الفرنسي)[4]

قال آخر: وهو ينسب ما يطلـق عليـه [ضـياع القـرآن] إلى العلماء الذين قاموا بـالتلاعب بـالقراءات القرآنيـة لصـناعة نص

1 () تاريخية الفكر العربي الإسلامي، أركون، 290.
2 () تاريخية الفكر العربي الإسلامي، أركون، 291.
3 () الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، أركون، 45.
4 () الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، أركون، 44.

منسجم، يقول في ذلك: (نحن نعلم كيف أنهم راحوا يشذبون [قراءات القرآن] تدريجياً، لكي تصبح متشابهة أو منسجمة مع بعضها بعضاً، لكي يتم التوصل إلى إجماع أرثوذكسي)[1]

قال آخر: وفي أحد كتبه عقد مبحثاً بعنوان (فرضيات الخطاب الإسلامي المعاصر) وذكر منها الفرضية التالية: (الفرضية الأولى: أن الصحة التاريخية للمصحف قد تأكدت منذ الجمع الذي تم في خلافة عثمان، وكل تشكيك بظروف هذا التشكيل يعتبر زندقة)، ثم انتقد هذه التي يسميها فرضية، وقال (إن طراز وجود الإسلام في التاريخ مرتبط بالحفاظ على هذه الفرضيات، على الرغم من التكذيب القاطع الذي تلقاه من جهة الواقع والنقد العلمي الحديث معاً)[2]

قال آخر: ولذلك؛ فهو يرى أن حفظ القرآن وصحة جمعه ليس عقيدة إسلامية، بل [فرضية] يكذبها الواقع والنقد العلمي.. ومن أسباب ضياع نص القرآن ـ كما يتصور ـ أن الصحابة لم يكونوا أمناء في نقل القرآن من قراءة الرسول إلى التدوين، يقول: (الخطاب القرآني ـ وهو ـ البلاغ الشفهي من الرسول في مواقف استدعت الخطاب، ولن تنقل جميعها بأمانة إلى المدونة الرسمية المغلقة)[3]

قال آخر: ويشير أركون دوماً إلى أن جمع القرآن الكريم فيه خلل يجب تصحيحه، يقول: (نحن نجد أنفسنا اليوم عاجزين أكثر من أي وقت مضى عن فتح الإضبارات التي أغلقت منذ القرنين الثالث والرابع الهجريين والتي تخص المصحف وتشكله)[4]

قال آخر: هذا بالنسبة لموقفه من نقل القرآن، أما بالنسبة لمحتوى القرآن الموجود حالياً، فيرى أركون أن النبي ﷺ اقتبس من الأساطير الموجودة في عصره وأدخلها باعتبارها قرآنا، يقول: (إن أساطير غلغامش، والاسكندر الكبير، والسبعة النائمين في الكهف؛ تجد لها أصداء واضحة في القرآن)[5]

قال آخر: وهو يرى أن هذا هو عامة أسلوب النبي ﷺ في القرآن، وهو أسلوب استعمال الأساطير للتأثير على الأتباع،

---

1 () الفكر الإسلامي قراءة علمية، أركون، 111.
2 () الفكر الاسلامي قراءة علمية، أركون، 66.
3 () نافذة على الإسلام، أركون، 65.
4 () الفكر الاسلامي قراءة علمية، أركون، 30.
5 () الفكر الاسلامي قراءة علمية، 84.

يقول: (ينبغي القيام بتحليل بنيوي لتبيين كيف أن القــرآن ينجــز أو يبلــور بنفس طريقــة الفكــر الأســطوري الــذي يشــتغل على أساطير قديمة متبعثرة)[1]

قــال آخــر: ويــذكر أركــون أن القصــص الــتي في القــرآن الكــريم أخــذها النــبي ﷺ من التــوراة مــع شــيء من التصــرف والتعديل، يقول في ذلك: (مهمة التحليل التاريخي لا تــتركز في الكشف عن المؤثرات التي أتت من مصدر موثوق وصحيح وهو التــوراة، وبالتــالي إدانــة الأخطــاء والتشــويهات والإلغــاءات والإضافات التي يمكن أن توجـد في النسـخة القرآنيـة بالقيـاس إلى النسخة التوراتية)[2]

قال آخر: وأمـا موقفـه من القضـايا الأخـرى الـتي تضـمنها القرآن الكريم فـيرى أركـون أننـا لـو درسـنا التـاريخ لوجـدنا أن القرآن فيه مغالطات تاريخية وأخطاء في تصوير الواقـع، يقـول في ذلــك: (ينبغي القيــام بنقــد تــاريخي لتحديــد أنــواع الخلــط، والحــذف، والإضــافة، والمغالطــات التاريخيــة؛ الــتي أحــدثتها الروايــات القرآنيــة بالقيــاس إلى معطيــات التــاريخ الــواقعي المحسوس)[3]

قال آخر: بل إنــه يــرى أن القــرآن ظلم المشــركين وقســا عليهم دون مـبرر، حيث أقصـاهم ولم يقـدم أي مسـوغات لهـذا الإقصاء، يقول في ذلك: (نلاحظ أن وصـف المعارضـين يخـتزل إلى كلمة واحدة هي [المشركون] لقد رُمُوا كلياً ونهائياً وبشكل عنيف، في ساحة الشر والسلب والمـوت، دون أن يقـدم النص القرآني أي تفسير أو تعليل لهذا الرفض والطرد)[4]

قال آخر: وهو يؤكد كل حين عن مسؤولية القـرآن الكـريم فيمــا يــرى أنــه تطــرف إســلاموي، يقــول في ذلــك: (إن الأرثوذكسـيات الحاليـة، أقصـد الحركـات الاسـلاموية الناشـطة حاليــاً، إذ تغلب دكتاتوريــة الغايــة السياســية؛ هي في الواقــع مخلصة لسورة التوبة، شكلاً ومضموناً، روحاً ولفظاً)[5]

قال آخر: ويقول: (إن الحركات الإسلاموية المعاصرة، بــدأً من الإخوان المسـلمين، وانتهـاءً بالمحـاربين الإيرانـيين، مـروراً

1 () الفكر الإسلامي قراءة علمية، أركون، 203.
2 () الفكر الإسلامي قراءة علمية، أركون، 130.
3 () الفكر الإسلامي قراءة علمية، أركون، 203.
4 () الفكر الإسلامي قراءة علمية، أركون، 96.
5 () الفكر الإسلامي قراءة علمية، أركون، 96.

بالتنظيمات الأكثر هيجاناً وعنفاً كـالتكفير والهجـرة؛ تشـهد كلهـا بشـكل سـاطع على ديمومـة النمـوذج القـرآني وفعاليتـه، على الأقل من الناحية التعبوية والتجييشية)([1])

قـال آخـر: ولهـذا يعتـبر أن القـول بـأن المشـكلة في الاسلاميين المتطـرفين، وليسـت في القـرآن، هروبا عن أصـل المشكلة، لأن المشكلة عنده في القرآن ذاته، يقـول في ذلـك: (إنه لشئ أساسـي أن نفهم أنـه منـذ المرحلـة القرآنيـة راحت تتجمع وتتشكل كل عناصر الأرثوذكسية الإسلامية الصارمة)([2])

قـال آخـر: وهـو يعقب على قولـه تعـالى: ﴿فَـإِذَا انْسَـلَخَ الْأَشْـهُرُ الْحُـرُمُ فَـاقْتُلُوا الْمُشْـرِكِينَ حَيْثُ وَجَـدْتُمُوهُمْ وَخُـذُوهُمْ وَاحْصُـرُوهُمْ وَاقْعُـدُوا لَهُمْ كُـلَّ مَرْصَـدٍ﴾ [التوبـة: 5] بقولـه: (لقـد اخـترت الانطلاق من هـذه الآيـة لأنهـا تشـكل بالنسـبة لسـورة التوبة؛ الذروة القصـوى للعنـف الموجـه لخدمـة المطلـق، اللـه المطلق)([3])

قال آخر: بالإضـافة إلى ذلـك يـرى أن القـرآن الكـريم هـو السبب في عدم اهتمام المسلمين بـالعلوم العقليـة، يقـول في ذلك: (لقد لعب القرآن الـدور الحاسـم الـذي نعرفـه في توسـع وانتشـار مـا لا نـزال نمارسـه الآن تحت اسـم العلـوم الدينيـة بصفتها مضادة للعلوم العقلية)([4])

قال آخر: ويعبر عن ذلك في محل آخر بقوله: (لكي تحلـل وتـدرس وضـع الإسـلام الـراهن في مواجهـة الحداثـة بشـكل صحيح، فإنه من الضروري أن نوسع من مجال التحـري والبحث لكي يشـمل، ليس فقـط الفكـر الإسـلامي الكلاسـيكي، وإنمـا القرآن نفسـه أيضـا إن المهمـة تبـدو مرعبـة لأسـباب معروفـة جيدا، سوف نرى، مع ذلك، لماذا هي شيء لابد منه، إذا ما أردنا أن نعالج بشكل دقيق المكان الذي أتيح للتاريخية أن تحتلـه في الإسلام)([5])

قال آخر: وهكذا نراه ينتقـد أسـلوب القـرآن، ويصـفه بأنـه أسلوب متشنج ومكرر، يقول عن أسلوب سـورة التوبـة: (يـأتي تارةً على هيئة تكـرار زائـد، أو تبسـيطات، أو تشـنجات قاسـية،

1 () الفكر الإسلامي قراءة علمية، أركون، 106.
2 () الفكر الإسلامي قراءة علمية، أركون، 96.
3 () الفكر الإسلامي قراءة علمية، أركون، 93.
4 () قضايا في نقد العقل الديني، أركون، 58.
5 () الفكر الإسلامي: قراءة علمية لمحمد أركون: ص ١١٣ ـ ١١٤.

تطلبتها طبيعـة الظـرف التـاريخي، كمـا هـو الحـال في سـورتنا هذه)[1]

قال آخر: ويذكر أن النقد الفيلولوجي اسـتطاع أن يكشـف القصـــور في أســـلوب القـــرآن، فيقـــول: (لقـــد ذهب النقـــد الفيلولـوجي إلى حـد التقـاط وكشـف النـواقص الأسـلوبية في القرآن)[2]

قال آخر: وانطلاقا من هذا لا يجـد أي حـرج نفسـي في أن يصف القرآن بأنه [فوضوي]، فيقول: (بالنسبة لعقولنـا الحديثـة المعتـادة على منهجيـة معينـة في التـأليف والإنشـاء والعـرض القـائم على المحاجّـة المنطقيـة؛ فـإن نص المصـحف وطريقـة ترتيبه تدهشنا بفوضاها)[3]

قـال آخـر: ولا يكتفي أركـون بكـل ذلـك، بـل يضـيف إليـه التشكيك في كون القرآن الكريم وحيـا إلهيـا؛ فيقـول: (أصـبحوا يقــدمون الخطــاب القــرآني، لكي يُتلى ويُقــرأ ويُعــاش، وكأنــه الكلام الأبــدي المــوحى بــه من قبــل إلــه متعــال)[4]..ويقــول: (معضــلة عويصــة مشــتركة لــدى المســيحية والإســلام، أقصــد تاريخية بعث يسوع المسيح، والصحة الإلهية للقرآن)[5]

قال آخر: ولذلك يعتبر نسبة القرآن إلى اللــه هي [مــزاعم تقليديــة] يجب تجاوزهــا، فيقــول: (لكي أفتتح حقلاً جديــداً من التفكير تصبح فيه المـزاعم التقليديـة للمسـيحية والإسـلام معـاً مُتَجـاوزة، عن طريـق دراسـة مشـاكل ماقبـل البعث، والصـحة الإلهية للقرآن)[6]

قال آخر: وهو يشكك في إعجاز القرآن الكريم ودلالة ذلك على كونه وحيا إلهيا، فيقول: (نلاحظ أن كل نظرية الإعجــاز، أو الأصل الإلهي للقـرآن؛ تشـهد على الانتقـال السـري الخفي من مشــكلة فكريــة مثــارة في الحــالتين، أي حالــة البعث وحالــة القرآن؛ إلى حلول تبريرية وتبجيلية)[7]

قــال آخــر: وينــدهش أركــون كثــيرا من أن المســلمين لا

---

1 () الفكر الإسلامي قراءة علمية، أركون، 103.
2 () الفكر الإسلامي قراءة علمية، أركون، 201.
3 () الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، أركون، 86.
4 () الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، أركون، 146.
5 () الفكر الإسلامي قراءة علمية، أركون، 45.
6 () الفكر الإسلامي قراءة علمية، أركون، 46.
7 () الفكر الإسلامي قراءة علمية، أركون، 47.

يعيرون هذه القضية شأناً، بل يعيشون مع القرآن ويستهدون به ولا يشكّون في نسبته إلى الله، ولايشكل لهم أزمـة، وهـذا أمـر يزعجه، لأنه غير مقتنع بذلك، ويريـد أن تكـون للمسـألة صـدى، ويريد أن يعتبر المسلمون أن هذا سؤال ملح فعلاً ولا يوجد فيـه براهين حقيقية، يقول معبرا عن ذلـك: (وبسـبب أن القـرآن قـد أصبح حقيقة معاشـة من قبـل المسـلمين، على كـل مسـتويات الوجود الفردي والجماعي، فإن أي تساؤل يتعلـق بمـدى صحته كوثيقة تاريخية يصبح مسألة ثانوية أوهامشية)[1]

قـال آخـر: وتبعـاً لكـون أركـون يسـتغرب من اعتقـاد المسـلمين بنسـبة القـرآن إلى اللـه، فهـو ـ أيضـاً ـ يسـتغرب وبنفس الدرجة كون المسلمين يعتقدون أن الشـريعة من اللـه، يقول في ذلك: (السؤال الذي يطرح نفسه هنا: كيف حصـل أن اقتنع ملايين البشر أن الشريعة ذات أصل إلهي؟)[2]

قال آخر[3]: وهو يستعمل لتمريـر هـذه الطروحـات الكثـير من المصطلحات التي ينبهر بها مقلدوه وأتباعـه، ويرددونهـا من غير وعي لمعانيها، كـ [الدوغمائية]، والـتي يشـرحها بقولـه: (إن الدوغمائية تنظيم معـرفي مغلـق قليلا أو كثـيرا من الاعتقـادات واللااعتقادات المتعلقة بالواقع، إنها متمركزة حول لعبة مركزية للاعتقادات، ذات مفعول مطلق، وهي تولد سلسلة من النمـاذج للتسامح واللاتسامح فيما يخص الآخر)[4]

قال آخر: ومنها [المرور من مرحلة الفكر الأسـطوري إلى مرحلة الفكر التاريخي الإيجابي الـواقعي]، والـذي يـرى أنـه لم ينجز بالصفة المطلوبة في أية حضـارة من الحضـارات، ويكتفي أركون هنا بالقول بـأن (إعـادة الاعتبـار للفكـر الأسـطوري، في الغرب، تمثل رد فعـل على مرحلـة الانتصـار المتطـرف للعقـل التكنيكي، المركزي ـ المنطقي، والوضعي)[5]

قال آخر: ويصرح أركـون بـأن القـرآن الكـريم [خطـاب ذو بنيـة أسـطورية]، ويـرى أنـه يعتمـد الأسـطورة من أجـل تعليم الحقيقة، ويستدل لذلك بقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ

---

1 () الفكر الإسلامي قراءة علمية، أركون، 129.

2 () تاريخية الفكر العربي الإسلامي، أركون، 296.

3 () استفدنا المادة العلمية هنا من مقال بعنوان: القرآن والتاريخية عند محمد أركون، د.أحمد بوعو .

4 () محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 13.

5 () محمد أركون، الفكر الإسلامي. قراءة علمية ص 126.

الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ [هود: 120]، حيث يقول: (إن تأثير هذه القصص على وعي سامعي القرآن مختلف بحسب طريقة التلقي؛ أي إنها إما تتلقى عن طريق الوعي الأسطوري الدوغمائي، وإما عن طريق الوعي التاريخي (استدعاء التاريخية). مهما يكن من أمر، فإن مهمة التحليل التاريخي لا تتركز في الكشف عن المؤثرات التي أتت من مصدر موثوق وصحيح هو التوراة، وبالتالي، إدانة الأخطاء والتشويهات والإلغاءات والإضافات التي يمكن أن توجد في النسخة القرآنية بالقياس إلى النسخة التوراتية.. هنا يكمن، كما هو معروف، الهم الأساسي للنقد الفيلولوجي. إنه لينبغي، على العكس، أن نبين فيما إذا كان الإخراج الأدبي (الصياغة الأدبية) للقصص القرآني قد تمكنت من توصيل حقيقة كينونية مؤسسة للوجود، وشكلت نظرة الإنسان، أم أنها اكتفت فقط بالمحاجة الجدالية لرفض المعارضين ـ الجاحدون العرب، اليهود، المسيحيون ـ)[1]

د. عبد الكريم سروش:

قال أحد الحضور: حدثتمونا عن الثالث.. فحدثونا عن الرابع.

قال أحد المبدلين[2]: الرابع هو عبدالكريم سروش.. وهو رجل ينطبق عليه تماما قوله تعالى: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ [الأعراف: 175 ـ 176]؛ فالرجل بعد أن كان واعيا عاقلا مفكرا إصلاحيا إذا به، وبسبب تعرضه للموجة الحداثية، وتعرضه قبلها لموجة الكشفيين، انقلب انقلابا تاما، فصار لا يختلف عن نصر حامد أبو زيد، ومحمد أركون، وغيرهما من المبدلين الذين دعوا إلى الدخول إلى القرآن الكريم من زاوية تاريخية، بل إنه تفوق على جميع أقرانه، حيث اعتبر القرآن الكريم ليس نتاجاً للظروف التاريخية الخاصة، والتي تكوّن في صلبها فحسب،

---

1 () محمد أركون، الفكر الإسلامي. قراءة علمية ص 130.

2 () كلام الله. كلام محمد ﷺ، حوار مع د. عبدالكريم سروش، ترجمة: حسن مطر الهاشمي، مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص12.

وإنما هو كذلك منبثق من ذهن رسول الله ﷺ مع كل مـا يحيـط به من القيود البشرية.

قال آخر: وقد وضح رأيه هذا بتفصـيل في مقابلـة صـحفية أجراها معه مايكل هوبنغ مراسل إذاعة هولندا، وسنذكر لكم مـا قاله في ذلك الحوار حتى لا تتهمونا بالتجني عليه.

قال آخر: وكان أول سؤال سأله الصحفي حول رأيه ذلــك، هو قوله له: (كيف يمكن النظر إلى شيء مثل الـوحي كحقيقـة ذات معـنى في عصــر متطــوِّر يــدعو إلى التحــرر من الــوهم والخرافة؟)، فأجابـه بقولـه: (إن الـوحي (إلهـام)، وهـو التجربـة التي يخوضها الشعراء والعرفاء، وإن كان النبي يخوضها بدرجــة أرفع وأسمى.. في العصر المتطوِّر يمكننا فهم الوحي من خلال الاستعارة الشعرية، كما قال أحد الفلاسـفة المسـلمين: الـوحي أسـمى درجـات الشـعر.. إن الشـعر أداة معرفيـة تختلـف في وظيفتهـا عن العلم والفلسـفة، فالشـاعر يتصـور أن مصـدراً خارجيـاً يلهمـه، وإن الشـاعرية اسـتعداد وقريحـة مثـل الـوحي تماماً، فيمكن للشاعر أن يفتح آفاقـاً جديـدة أمـام النـاس، وأن يريهم العالم من زاوية أخرى)[1]

قال آخر: وعندما سـأله: (إنـك تـذهب إلى ضـرورة اعتبـار القرآن نتاج عصره، فهل يتضمن ذلك أن يكون للنبي دور فعـال وحاسـم في إبـداع هـذا النص؟)، أجابـه بقولـه: (طبقـاً للروايـة التقليدية لم يكن النبي سوى وسيلة، حيث يؤدي إلى النـاس مـا يأتيه به جبريـل، لكـني أرى أن النـبي كـان لـه دور محـوريّ في خلق القرآن، وإن الاستعارة الشعرية تسـاعد على توضـيح هـذه الحقيقة، فالنبي يحسّ ـ مثل الشـاعر تمامـاً ـ أن قـوة خارجيـة تستحوذ عليه، ولكنه في الواقع وفي جميع الأحـوال يقـوم بكـل شيء، وفي الحقيقة كون هـذا الإلهـام نابعـاً من الـداخل أو من الخارج لا موضـوعية لـه هنـا؛ إذ لا تمـايز بين مسـتويات الـوحي على الصـعيد الـداخلي أو الخـارجي، إن هـذا الإلهـام ينبثـق من (نفس) النبي، و(نفس) كل شـخص إلهيـة، إلا أن النـبي يختلـف عن سائر الأشخاص؛ ذلك انه أدرك إلهية هذه النفس، ويخرج ما بالقوة إلى ما بالفعل، وقد اتحدت نفسه مع الله)[2]

قال آخر: ثم عقب على هـذا بقولـه: (وأرجـو عـدم إسـاءة

1 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص13.

2 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص14.

فهم كلامي هـذا، فـإن هـذا الاتحـاد المعنـوي مـع اللـه لا يعـني صيرورة النبي إلهاً، فهذا الاتحاد محـدودٌ بحـدود النـبي ومحتـواه البشري، وليس بما لله من سعة مطلقة في الأبعاد)[1]

قال آخـر: ثم اقتبس من جلال الـدين الـروم بعض الأبيـات الموهمـة لهـذا بحسـب زعمـه، فقـال: (وقـد بين جلال الـدين مولوي الشاعر العـارف هـذا المعـنى المـوهم للتنـاقض بأبيـات شعرية مفادها: (إن اتحاد النبي مع الله مثل صبّ مياه المحيـط في الـدورق)، إلا أن النـبي خـالق للـوحي بشـكل آخـر، فالـذي يحصل عليه من الله هو مضـمون الـوحي، ولكن هـذا الـوحي لا يمكن بيانه للناس بذلك المضمون؛ لأنه يفـوق مسـتوى فهمهم، بل هو فوق مستوى الكلمات، فهذا الوحي فاقد للصورة، وعلى النـبي أن يصـوغه في إطـار صـوري؛ ليجعلـه في متنـاول فهم الجميع، فيقوم كما يفعـل الشـاعر بصـياغة هـذا الإلهـام بأدواتـه اللغوية وأسلوبه الخاص، وما يتوفر له من علم وثقافـة، كمـا أن لشخصـيته دوراً مهمـاً في صـياغة هـذا النص، وكـذلك سـيرته وحياته، بمـا في ذلـك: والـده، ووالدتـه، ومرحلـة صـباه، وحـتى حالاته الروحيـة، ولـو قـرأتم القـرآن تشـعرون أن النـبي أحيانـاً يكون في قمة الجذل والفصاحة، بينما يكـون في أحيـان أخـرى مفعماً بالملل، وتجـده عاديـاً في كلامـه، وجميـع ذلـك قـد تـرك تأثيره على النصّ القرآني، وهذه هي الناحية البشرية التامّة من الوحي)[2]

قال آخر: وعندما سأله: (إذاً للقرآن جنبة إنسانية وبشـرية، مما يعني إمكان وقـوع الخطـأ فيـه؟)، أجابـه بقولـه: (من جهـة النظر التقليديـة لا مجـال لتطـرق الخطـأ في الـوحي، وأمـا في العصر الحاضر فهناك الكثير من المفسِّرين يذهبون إلى اقتصار عصمة الوحي على المسائل الدينية البحتة، مثـل: صـفات اللـه، والحياة بعد الموت، وأسس العبادة، وأما في ما يتعلق بمسـائل هذا العـالم والمجتمـع الإنسـاني فيمكن للخطـأ أن يتطـرق إلى الوحي من وجهة نظـر هـؤلاء المفسـرين، فليس من الضـروري أن يكون ما ذكره القرآن من الوقـائع التاريخيـة وسـائر الأديـان والموضوعات العلمية صحيحاً، ودليل هـؤلاء المفسـرين أن هـذا النوع من الأخطاء في القرآن لا يؤثر سلباً على نبوة النبي؛ لأنـه

1 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص15.

2 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص15.

إنما نزل منسجماً مـع المسـتوى الفكـري السـائد في المجتمـع آنـذاك، وموافقـاً للغتـه، أمـا أنـا فـأذهب إلى رأي آخـر، حيث لا أتصور أن النبي قد تكلم بلغة قومه وهو يتمتـع بعلـوم ومعـارف مختلفة، وإنما كان النبي مؤمناً بمـا يقـول حقيقـة، فكـانت تلـك هي لغته، وكان الفكر فكره، ولا أتصـور أن علمـه بشـأن الأرض والكون وتكـوين الإنسـان أكـثر من المعاصـرين لـه، فـان العلم الذي وصلت إليه الإنسانية حالياً لم يكن للنبي علم بـه، وهـذا لا يـؤثر على النبـوّة سـلباً؛ لأنـه إنمـا كـان نبيـاً، ولم يكن عالمـاً أو مؤرِّخاً)(1)

قال آخر: وعندما سأله قائلا: (تشيرون كثيراً إلى الفلاسفة والعرفاء في القـرون الوسـيطة، مثـل: مولـوي، فمـا هـو مـدى جـذور نظـريتكم حـول القـرآن في الـتراث الإسـلامي؟)، أجابـه بقوله: (إن جذور الكثير من أفكاري تعود إلى القرون الإسـلامية الوسيطة، وإن القول بأن النبوة عامة، ويمكن العثور عليهـا بين مختلـف أصـناف البشـر، موجـود في الإسـلام الشـيعي، وعنـد العرفاء؛ فالشيخ المفيد ـ وهو المتكلم الشيعي الكبير ـ لا يعتـبر الأئمة أنبياء، ولكنه يمنحهم جميع خصائص الأنبياء، وكذلك يذهب الكثير من العرفاء إلى أن تجربتهم من نوع تجارب الأنبياء، كمـا جـاء الاعتقـاد ببشـرية القـرآن وأنـه في معـرض الخطـأ بـالقوة تلويحـاً في كلمـات المعتزلـة، حيث ذهبـوا إلى القـول بخلـق القرآن، ولم يعمد العلماء في العصور الوسـيطة إلى بيـان هـذه الآراء بشكل واضح ومدوَّن، وفضَّلوا الإشارة إليها ضـمن طيـات كلماتهم وأقوالهم المتفرقة؛ رغبـةً منهم في عـدم إثـارة البلبلـة في أذهان عامة الناس، الـذين لم يكن في وسـعهم هضـم هـذه الأفكار واستيعابها، من باب المثال: نجد مولوي يقول: (القـرآن مـرآة ذهن النـبي)، ومعـنى ذلـك أن شخصـية النـبي وحالاتـه المتغيرة، وأوقاته السعيدة والعصيبة، منعكسة في القـرآن، أمـا ابن مولوي فقد ذهب إلى أكثر من ذلك حيث قال في واحد من كتبه: إن تعدد الزوجـات إنمـا أجـيز في القـرآن لأن النـبي كـان يحبّ النساء، ولهذا السبب أباح لأتباعه الزواج من أربـع نسـاء!)(2)

قال آخر: وعندما سـأله: (مـا هي تـداعيات نظـريتكم على

---

1 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص16.

2 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص17.

المسلمين المعاصـرين في تعـاطيهم مـع القـرآن بوصـفه كتابـاً ومرشداً أخلاقياً؟)، أجابه بقوله: (إن اعتبار القرآن بشرياً يسهّل عمليـة التميـيز بين جوانبـه الذاتيـة والعرضـية، فبعض المسـائل الدينيــة قــد تكــونت على نحــو تــاريخي وثقــافي، ولم يعــد لهــا موضوعية في العصر الراهن، وهذا الأمر يصدق على العقوبــات الجسدية المذكورة في القرآن، فلو كـان النـبي يعيش في بيئـة أخرى لما شغلت هذه العقوبات حيّزاً من رسالته الدينيـة، وعلى المسـلمين المعاصـرين أن يعملـوا على ترجمـة القـرآن وفقـاً لمقتضيات الزمن، حيث بالامكان العثـور على مثـلٍ آخـر يحمـل نفس الروح والمعنى، وهذا شبيهٌ بترجمـة الأمثـال من لغـة إلى أخرى، حيث لا تتم ترجمتها حرفياً، وإنما يبحثـون عن مثـل آخـر يحمل نفس الروح والمعنى والمضمون، فمثلاً: هناك مثل عربي يقول: (كناقل التمـر إلى هجـر)، فـإذا أردنـا ترجمتـه إلى اللغـة الانجليزيـة نقـول: (كحامـل الفحم الحجـري إلى نيوكاسـل)، إن الإدراك التـاريخي والبشـري للقـرآن يجـيز لنـا ذلـك، وأمـا إذا أصررنا على اعتبار القـرآن كلامـاً غـير مخلـوق، وأنـه كلام اللـه الخالـد، والـذي يتعيّن علينـا تطبيقـه بحرفيتـه، فإننـا سـنقع في مشكلة عويصة لا يمكن حلّها)[1]

قال آخر: هذه خلاصة آرائه كما عـبر عنهـا بنفسـه، وهي لا تختلـف كثـيرا عن أطروحـات غـيره، بـل لا تختلـف حـتى عن أطروحات المشركين الذين اتهموا رسول الله ﷺ بكونه شاعرا، وكل ما زاده سروش، هو ربط ذلك بالعرفـان واسـتناده إلى مـا توهمه من أقوال الصوفية، والذين كان عليه أن يناقشـهم، لا أن يتبعهم، ثم يدعو إلى الحداثة والعصرنة.

قال آخر: وقد رد عليـه، وعلى شـبهاته الكثـير من العلمـاء الكبـار، والـذين يمكن الاسـتفادة من ردودهم وإجابـاتهم، لا في الرد على سروش وحـده، وإنمـا على كـل من ادعى دعـواه، أو سيدعي دعواه.

قال آخر: [2]: وسنكتفي من تلك الردود بما ذكـره العلامـة جعفر السبحاني.. فبعد نشر عبد الكريم سـروش لرؤيتـه حـول القــرآن الكــريم والنــبي ﷺ عــبر وســائل الإعلام المكتوبــة

---

1 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص19.

2 () انظر: بنية الوحي وحقيقة القـرآن، حـوار هـام بين د، سـروش والشـيخ جعفـر السـبحاني، إعـداد وتنظيم: محمد تقي فاضل، ترجمة: السيد حسن علي مطر الهاشمي.مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص24.

والإلكترونية بادر عدد من المفكـرين في الحـوزة والجامعـة إلى تقييم هذهِ البحوث وإخضاعها للنقد والتمحيص، وكان أحـد هـذهِ الأجوبـة مقـالاً مهمـا بقلم العلامـة السـبحاني، وبعـد ذلـك بعث الدكتور سروش رسـالة جوابيـة على مقـال الشـيخ السـبحاني، فردّ الأخير على هذهِ الرسالة ثانية، وقد تم نشر هـذهِ الرسـائل الثلاث في الصحف.

قـال آخـر: وقـد بـدأ العلامـة السـبحاني جوابـه لسـروش بنصيحة يطلب منه فيهـا مراعـاة زمن ومكـان طـرح مثـل هـذه الإشــكالات الــتي هي أقــرب إلى الفضــول منهــا إلى البحث العلمي، فقال: (لقد بلغت عداوة الغرب للإسلام ذروتها، بعد أن حمل الإعلام الهولندي لواءها بالأمس ليدفعـه اليـوم إلى الإعلام الـدانمركي، فيبلغنـا أن البلـد الأخـير قـد نهض بأعبـاء مناهضـة الإسلام من خلال الفن التشـكيلي، ويسـعى إلى تشـويه صـورة النــبي ﷺ والقــرآن أمــام الــرأي العــام من خلال الرســوم الكاريكاتورية وعرض الأفلام، في مثل هذهِ الظـروف والأوضـاع قرأت حـواراً للسـيد عبـد الكـريم سـروش قـد نُشـر على أحـد مواقع الإنترنت، ولا أستطيع القول من دون دليـل قـاطع أن مـا قرأتـه في هـذا الحـوار يمثـل رأي الـدكتور سـروش، إلا أنـني أستطيع أن أعتبر سكوته وصمته إزاء هذا التقرير ذنبـاً لا يغتفـر، ففي الظروف التي شـمر فيهـا ملاحـدة الغـرب عن سـواعدهم لمحاربة الإسلام وتهميش المسـلمين يصـدح شـخص عـاش في الأوساط الإسلامية، وترعرع بين العلمـاء والمفكـرين، ولطالمـا كــان كلامــه زينــة الإعلام الإيــراني، بكلام مفــاده أن القــرآن الموجود بين أيدينا هو من صنع النبي، وقد تفتق عنه ذهنـه! وإنّ النبي كان له الدور المحوري في إيجاد القرآن!)[1]

قـال آخـر: ثم ذكـر أسـفه على عـدم اسـتجابة سـروش لنصائحه الودية السابقة على هذا الطرح؛ فقـال: (لقـد أرسـلت رسالة مفتوحـة للسـيد سـروش نـوهت فيهـا إلى شـطحاته في مسـألة الإمامـة والخلافـة، وطالبتـه مـرة أخـرى بـالعودة إلى أحضـان الأمـة الإسـلامية، وخاصـة العلمـاء والحـوزات العلميـة، وليعلم أن هذا النوع من الضوضاء والضجيج سريع الزوال، فهــو كزبد الأمواج التي تتكسر على رمال السـواحل، ثم تضـمحل ولا يبقى منها أثر، ولا يبقى غـير الحـق والحقيقـة، وكنت أتصـور أن

---

1 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص25.

تلك الرسالة الأبوية ستؤثر فيـه ـــ إذ أعـرب الـذين قرأوهـا عن إعجابهم بها ــ إلا أن حواره الأخـير قـد زاد من حـزني وأسـفي، وأخذت أفكر في مدى سعة هوّة الانحراف لـدى هـذا الشـخص، وكونها آخذة في الاتسـاع يومـاً بعـد يـوم، وطفقت أتسـاءل عن سبب ذلك، مع أنه ربيب الحوزة والجامعة، وبرغم صباحة وجهـه وعذوبة بيانه، وقد كان مدرساً لنهج البلاغـة مـدة طويلـة، وكـان يفسر خطبة همام بأسلوب مؤثّر وأخاذ، فما الذي أصابه يا تـرى حـتى يبتعـد عن هـذهِ المجموعـة كـل هـذا البعـد!؟.. إلا أنـني سـأتجاوز هـذهِ المقدمـة، وأبقي على بوابـة الأمـل في صـلاحه مفتوحـة على مصـراعيها، من خلال كتابـة هـذهِ الرسـالة، ونقـد أفكاره، عسى أن يقرأها، ويعود إلى أحضان الإسلام)[1]

قال آخر: ثم تحدث عن المنطلقـات النفسـية الـتي دفعت سروش إلى القول بذلك، وهي نفس المنطلقـات الـتي انطلـق منها جميعا الحـداثيين، فقـال: (ظهـر في القـرن الخـامس قبـل الميلاد في اليونان القديمة جماعة تقول بمذهب الشك في كـل شيء، حتى في وجودهم، وأخذوا يشـيعون أفكـارهم وعقائـدهم الغريبة، وقد سيطر الفكر السفسـطائي على الذهنيـة اليونانيـة ردحـاً من الـزمن، حـتى تم القضـاء عليـه بعـد ذلـك من قبـل الحكماء والعلماء الكبـار، كسـقراط وأفلاطـون وأرسـطو، حيث أظهروا المغالطات التي كانت تنطوي عليها أدلتهم، وتمكنوا من القضاء على وباء السفسـطة، وتمكن أرسـطو من خلال تـدوين علم المنطـق من تنظيم الفكـر على الأسـس الواقعيـة، وبـرغم ذلـك لم يمض وقت طويـل حـتى ظهـر مـذهب آخـر باسـم (اللاأدرية) على يـد (بـيرهون، 275 ــ 365 م)، وتحـول مـذهب إنكار الواقع إلى مذهب الشك المطلق، إلا أن هـذا المـذهب لم يكتب له البقاء طويلاً، وسرعان ما دفن في مقابر التاريخ)[2]

قال آخر: ثم تحدث عن تسلل هذا المذهب إلى الغرب في نهضـته التنويريـة، والـتي تتلمـذ عليـه فيهـا أعلام الحـداثيين من المسـلمين، فقـال: (وقـد ظهـر مـذهب التشـكيك في الانبعاثـة الغربية التي حدثت مؤخراً، متخذة هيئة علمية، وقـد تجلت همم مجموعـة من فلاسـفة الغـرب ـــ بـدلاً من رفـع بنـاء الفلسـفة الرصين ــ في تقويض هذا البناء ثانية، وكان كلّ مـا أبـدعوه هـو

1 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص26.

2 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص27.

الحديث بشك وترديد، وكما قال السيد فروغي: لم يبلغ إبداع الفلاسفة الإنجليز إلا أن حطموا صرح الفلسفة الرفيع الذي كان قائماً، دون أن يضيفوا شيئاً جديداً)[1]

قال آخر: ثم تحدث عن محل الشك من البحث العلمي، وأنه ليس مقصودا لذاته، فقال: (لا جدال في كون الشك معبراً إلى اليقين، فما لم يشك الإنسان لا يصل إلى اليقين، إلا أن الشك إنما يكون مرغوباً فيه إذا كان قنطرة موصلة إلى اليقين، وأن يكون ممراً لا مقرّاً، ولكن للأسف الشديد يبدو أن الشك عند هذهِ الجماعة قد أضحى مقراً، ولم ينظروا إليه كممرّ)[2]

قال آخر: وذكر الآفة الثانية التي دعت إلى ذلك الطرح، وهي الآفة التي بسببها كثرت المشاريع الحداثية، وهي (الآفة الناتجة عن النهج التشكيكي.. وتكمن في طرح النظريات دون إقامة أدنى دليل أو برهان عليها، وكلما قيل لهم: ما هو دليلكم على ذلك؟ يقولون: (أنا أفكر)، ولكن سؤالنا هو: لماذا تلجأون إلى مثل هذا التفكير؟ وإذا قيل لهم: هاتوا برهانكم يغدو السؤال محظوراً)[3]

قال آخر: وبعد هذه المقدمات المهمة النافعة بدأ العلامة السبحاني في الرد المفصل على أطروحات سروش بعد تحليلها إلى مجموعة من العناصر والمقدمات.

قال آخر: وأولها اعتبار سروش أن الوحي إلهام يشبه الهام الشعراء والعرفاء، وأن الفرق بينهما لا يعدو درجة ذلك الإلهام، واعتباره أنه يمكن (فهم الوحي في عصرنا المتطور من خلال الاستفادة من الاستعارات الشعرية)، واستناده ـ كما يذكر لبعض فلاسفة المسلمين وادعاؤهم أن الوحي أعلى درجات الشعر.

قال آخر: وقد أجابه العلامة السبحاني على هذا الطرح بقوله: (إن هذهِ النظرية ليست نظرية جديدة، فهي نفس ما كان يقوله المشركون في مكة بشأن تفسيرهم لظاهرة القرآن، حيث كانوا يقولون: كما يخلق امرؤ القيس المعاني والألفاظ في ضوء الإلهام كذلك يصنع محمد، حيث يصوغ الألفاظ والمعاني، ومن المؤكد أن مرادهم من الشعر ليس هو

1 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص27.

2 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص27.

3 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص28.

الشعر المنظوم، بل هو ما يتوصل إليه الإنسان ويتخيله عن طريق التفكير، سواء أكان في قالب النظم أو في قالب النثر، والقرآن الكريم ينقل هذهِ النظرية عنهم وينتقدها، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصافات: 36]، وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ [الطور: 30].. وأحياناً يفسرون القرآن بأحد طرق ثلاثة تنتهي بأجمعها إلى غاية واحدة، وهي أن القرآن من بنات أفكار النبي ﷺ، فيقولون حيناً: إنها أحلام ومنامات، وتارة: إنه متقوّل على الله، وتارة أخرى: إنه شاعر صاغ تصوراته في قالب القرآن، قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: 5]، وقال تعالى في نقد هذهِ الأقوال: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: 41]، وفي آية أخرى: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [يونس: 69])(1)

قال آخر: ثم عقب على هذه الإجابات القرآنية، بقوله: (إذاً فقد صنف المشركون النبي ﷺ في عداد الشعراء، وإن النظرية التي نناقشها هنا ليست سوى صدىً لما كان يردده المشركون، وإن كان قد عبر عنها بكلمات أسمى، إلا أن منشأ القولين واحد.. ولو أنه قال: إن الشعراء كانوا يستلهمون أفكارهم من أنفسهم، في حين أن النبي ﷺ يستلهمها من المقام الربوبي، لكان حمل المتعاطفين في كلامه من باب عطف المتباينين، وقد ثبت في محله أنّ عطف المباين على المباين مُخلٌّ وقبيح) (2)

قال آخر: ثم رد على المنهج الذي اعتمده سروش، وهو نفس المنهج الذي يعتمده جميع الحداثيين من إلقاء الكلام على عواهنه، وعدم تكلف البحث عن أي برهان أو حجة، فقال: (وإذا أعرضنا عن ذلك نتساءل عن دليل هذهِ النظرية؟ هل هناك شاهد عليها؟ للأسف فإن هذا الحوار بأجمعه عبارة عن سلسلة من التصورات والمفاهيم غير المدعومة بدليل يثبتها، فلو كان القرآن في حقيقته مجرد خيال شعري، وإن كان على مستوى أعلى، فما معنى تحديه ولو بالإتيان بسورة واحدة مثله؟ فأي شاعر تحدى الآخرين طوال حياته الشعرية وأعجزهم أن يأتوا

1 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص29.

2 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص29.

بمثل قصائده إلى يوم القيامة؟)[1]

قال آخر: ثم دعا سروش إلى معاملة نفسه وأطروحته، بمثل ما عامل به الوحي الإلهي، فقال: (وهنا يمكن القول أيضاً لصاحب هذهِ النظرية: إن التفسير الذي تقدمه عن القرآن لا يعدو في واقعه أن يكون نوع تجربة شعرية ليس إلا، أي إن نفسكم قد تفتقت عن هذهِ النظرية، وألقتها على صفحة الذهن، وأجرتها في مداد القلم وأطراف اللسان، دون أن يكون هناك واقع وراءها.. فلو كان الشعر وما شابهه فاقداً لقيمة الخلود كان كلامك من هذا السنخ أيضاً)[2]

قال آخر: ثم تحدث عن العنصر الثاني المشكل لأطروحة سروش، وهو ما عبر عنه بقوله: (إن الاستعارة الشعرية تساعد على توضيح هذهِ المسألة، فالنبي يستولي عليه نفس إحساس الشاعر، وإن هناك قوة خارجية تسيطر عليه، ولكن في الحقيقة فإن شخص النبي في تلك الحالة يمثل كل شيء، فهو الخالق والمبدع، ولا موضوعية للحديث في كون هذا الإلهام من الداخل والخارج؛ إذ لا تفاوت ولا تمايز على مستوى الوحي بين الداخل والخارج)[3]

قال آخر: وقد رد على هذا ببيان أن هذا هو نفسه ما يردده المستشرقون، والذي لا يعدو الحداثيون أن يكونوا مجرد تلاميذ تابعين لهم، يقول في ذلك: (إن هذا الكلام يعني أن صاحب هذهِ النظرية يرى أن القرآن تجلٍّ لما يكمن في شخصية النبي الأكرم ﷺ، وهو ما يصطلح عليه بالوحي النفسي، وإن أول من فسر الوحي بشأن الأنبياء من خلال تجليات الشخصية الباطنة هم القساوسة والمستشرقون في بعثاتهم التبشيرية، وأكثر من أثار الغبار حول هذهِ المسألة مستشرق يدعى (درمنغهام)، حيث سعى من خلال محاولاته الصبيانية إلى التعريف بمصادر القرآن، وأن منها تجليات الشخصية الباطنية، وقد بيّن نظريته على النحو الآتي: لقد أدرك محمد بعقله الباطن ــ أو بعبارة أخرى عصرية: شخصيته الباطنية ــ خواء الشرك، ولكي يبلغ مقام النبوة جرّد نفسه لعبادة الله، وأخذ ينفرد في غار حراء متعّبداً حتى بلغ به الإيمان أعلى درجاته، واتسعت آفاقه

---

1 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص30.

2 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص30.

3 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص30.

الفكرية، وتضاعفت بصيرته، حتى غدا جديراً بتحمل أعباء النبوة وهداية الناس، فكان دائم التفكير حتى أيقن أنه ذلك النبي الذي اختاره الله لهداية الناس، وقد كان هذا الوعي يتراءى لـه وكأنـه وحي من السماء ينزل عليه وأن ذلك الخطـاب يبعثـه اللـه إليـه عن طريق جبرائيل)(1)

قال آخر: ثم أجاب عن هذا بقوله: (إن الذي يميز إحساس الشعراء عن إحساس الأنبياء^، هو ذلك الأمر الـذي لم يعـترف الدكتور سروش بموضوعيته، فإن مصدر إلهام الشعراء ينبع من داخلهم، في حين أن مصـدر إلهـام الأنبيـاء يـنزل عليهم من الخـارج.. وإن الـذين لا يمتلكـون باعـاً في المسـائل الفلسـفية والعرفانية لا يستطيعون التفريق بين هذين النوعين من الإلهـام والإحساس، ولذلك كان المشـركون في عصـر رسـول اللـه ﷺ؛ بسـبب عـدم قـدرتهم على التميـيز بين هـذين النـوعين من الإحسـاس، يتسـاءلون عن كيفيـة إمكـان أن يلهم شـخص من خارجه ويؤمر بهداية الناس؟ وقـد عكس القـرآن تفكـيرهم هـذا على النحو الآتي: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَـا إِلَى رَجُـلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَـدَمَ صِـدْقٍ عِنْـدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾ [يونس: 2])(2)

قال آخر: ثم ذكر وحـدة المعـادين للنبـوة وإن اختلفـوا في التعبير عن مناهجهم في عداوتها، فقال: (لقـد كـانت للمنـاوئين في مواجهة الوحي المحمدي عبر التـاريخ توجيهـات وتصـورات، إلا أن ماهية هـذهِ التوجيهـات والتفسـيرات الباطلـة واحـدة في جميع العصـور، فالـذي نشـهده حاليـاً هـو نفس التهم والشـتائم والسفاسـف الـتي كـان يطلقهـا أبـو جهـل وأبـو سـفيان، ولكن بأسلوب عصري بعد إلباسها ثوب التحقيق العلمي)(3)

قال آخر: ثم تحدث عن العنصر الثالث المشكل لأطروحـة سروش، وهو ما زعمه من (الصياغة النبوية للمفـاهيم الإلهيـة)، فقال: (ذهب صاحب هذهِ النظريـة في العبـارات المتقدمـة عن طريق الإجمال والتفصـيل إلى أن القـرآن من صـنع النـبي، وأن النبي ﷺ هو خالق القرآن، إلا أنه قال في هذا الحوار نفسـه في موضع آخر: كما أن النبي خالق للوحي بنحـو آخـر، أي إن الـذي

1 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص31.
2 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص31.
3 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص32.

يتلقاه من الله تعالى هو مضمون الوحي، إلا أنه من غير الممكن نقل هذا المضمون إلى الناس؛ لكونه فوق مستوى فهمهم، بل هو فوق الكلمات، فالوحي لا صورة له، ومسؤولية النبي أن يعمل على تصوير هذا المضمون ليضعه في متناول جميع الناس)(1)، وهو ــ بذلك ــ يعتبر أن المفاهيم والمعاني صادرة من عند الله، إلا أن الشكل والصورة والألفاظ والكلمات من صنع النبي ﷺ، وبذلك ينكر شطراً من إعجاز القرآن المتمثل في جماليه الألفاظ ومتانة التعبير.

قال آخر: وقد رد العلامة السبحاني على هذا العنصر من أطروحة سروش بقوله متهكما: (وعليه يكون القرآن عملاً مشتركاً بين الله والنبي ﷺ، وكأنّ القرآن شركة استثمارية، يكون فيها التمويل على الله، والتسويق على النبي الأكرم ـ والعياذ بالله ـ)، ثم تساءل قائلا: (أليست هذهِ النظرية أدنى من النظرية الأولى؟ ففي تلك النظرية كان كل شيء ينسب إلى رسول الله ﷺ، سوى رابطة ضعيفة مع الله، ولكن هنا توجد مشاركة لا صورة لها من قبل الله، وصياغة وتصوير من قبل النبي ﷺ!.. وكذلك ينبغي أن نسأل: ما هو دليلكم على هذهِ المشاركة؟ فالله القادر على إنزال المفاهيم، هل يعجز عن تصويرها وصياغة قوالبها اللفظية؟)(2)

قال آخر: ثم ذكر ردود القرآن الكريم على هذا الطرح، فقال: (إن القرآن يشهد على خلاف هذهِ النظرية، حيث أمر النبي مراراً أن يقول: ﴿قُلْ﴾.. ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ [ص: 67].. ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1].. ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ [الملك: 23].. وغيرها كثير.. أي إن المفاهيم والصور كلاهما من عند الله)(3)

قال آخر: ثم تحدث عن العنصر الرابع المشكل لأطروحة سروش، وهو ما زعمه من (فرضية التأثير التاريخي في بناء القرآن)، فقال: (يذهب صاحب هذهِ النظرية حيناً إلى أن النبي ﷺ قد أبدع القرآن بشكل مستقل، ويقول: إنه ﷺ تولى كل شيء، وكان له دور محوري؛ وتارة يقول: كان هناك نوع من المشاركة بين الله والنبي؛ ويحاول القول تارة أخرى: إن

1 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص32.
2 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص32.
3 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص32.

الظروف التي حكمت حياة النبي أنتجت هذهِ المفاهيم والأفكار والمعاني، وبعبارة أخرى: يرى أن الزمان هو الذي أبدع القرآن الكريم، حيث قال: (لقد كان لتاريخ حياته وحياة أبيه وأمه، وفترة طفولته وصباه، وحتى حالاته الروحية، دور في إبداع القرآن، فإذا تلوتم القرآن تشعرون أن النبي ﷺ كان في بعض الأحيان فرحاً طروباً وفي غاية الفصاحة، في حين تجدونه في أحيان أخرى مفعم بالضجر، ويلجأ إلى بيان مراده بكلمات عادية جداً، مما يعكس جانب الوحي البشري)[1]

قال آخر: وقد رد على هذا الافتراء العظيم بقوله: (إنه يحاول من خلال هذا الكلام تعريف القرآن على أنه كتاب بشري مئة بالمئة، وأن النبي ﷺ شأنه شأن سائر المؤلفين الذين يتأثرون في كتاباتهم بالظروف التي تسود حياتهم، وإذا كان ذلك صحيحاً فلماذا يؤكد الله تعالى على نفي ذلك، ولا يرى تأثيراً لغير عامل الوحي في صنع القرآن، حيث قال: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: 3 ـ 5])[2]

قال آخر: ثم ذكر معارضة هذا العنصر من أطروحته للقرآن الكريم، فقال: (إنّ الحديث عن بشرية القرآن الكريم يتناقض ومئات الآيات القرآنية، ومنها قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]، وقوله: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: 1].. فبعد هذا البيان الصريح كيف نعده كتاباً بشرياً، وأنه من صنع الإنسان، هذا ولم يشك أحد في صدق النبي ﷺ وأمانته.. قال تعالى: ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: 3]، تصرح هذهِ الآية بأن تلاوة الآيات إنما هي من قبل الله، وأن كلا من القالب والمحتوى منه تعالى)[3]

قال آخر: وبعد رده على العناصر الأساسية التي تتكون منها أطروحة سروش، رد على ادعائه بأن (أكثر المفسرين المعاصرين يذهبون إلى عصمة القرآن والوحي عن الخطأ في المسائل الدينية البحتة،ويذعنون بإمكان خطأ الوحي في

---

1 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص33.
2 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص33.
3 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص33.

المسائل المتعلقة بهذا العالم والمجتمع الإنساني) بقوله: (إنه يستعمل كلمة (أكثر)، ويتهم بها المفسرين المسلمين، فأيّ مفسر مسلم ذهب إلى إمكان خطأ القرآن في ما يتعلق بمسائل الحياة طوال هذهِ القرون الأربعة عشر؟ لا ينسب هذهِ الفرية إلى القرآن غير المستشرقين وأذنابهم، من قبيل: رئيس الفرقة القاديانية، والمتأثرين بهم، كبعض الكتاب المصريين.. مضافاً إلى أننا نسأل عن معنى التفريق في موارد الخطأ، فيقال بأن النبي في ما يتعلق بما وراء الطبيعة لا يقول غير الحق، ولا يرى سوى الواقع، وأما في ما يتعلق بالمسائل العينية والملموسة فيمكن أن يجانب الصواب والحقيقة؟ ولو تحدّث مفسر واحد حول آيةٍ له فيها رأي شاذ لا يكون كلامه دليلاً ساري المفعول وقاعدة كلية)(1)

قال آخر: ثم يستشهد بقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: 113]، ويعلق عليه بقوله: (يعدّ القرآن الكريم علم النبي ﷺ أعظم الفضائل الإلهية.. فكيف يكون العلم الذي عدّه القرآن عظيماً قابلاً للخطأ في القسم الثاني من أقسام الوحي؟)(2)

قال آخر: ثم رد على ادعائه بأن رسول الله ﷺ لم يكن (علمه يفوق علم المعاصرين له في ما يتعلق بالأرض والكون والجينات الوراثية، ولم يكن لديه العلم الذي نمتلكه حالياً، ولا يضر هذا بنبوته، لأنه إنما كان نبيّاً، ولم يكن عالماً أو مؤرخاً)، بقوله: (ما هو دليلكم على أنه لم يكن على علم بهذهِ الأمور، وأن علمه بشأنها لم يتجاوز علم الجاهليين؟.. لا نريد البحث هنا حول الإعجاز العلمي في القرآن؛ لأننا تحدثنا عن ذلك بالتفصيل في كتابنا (حدود الإعجاز)، فقد كشف النبي الأكرم ﷺ من طريق الوحي.. النقاب عن سلسلة من الحقائق العلمية التي لم يكن بإمكان الناس في ذلك العصر وما بعده حتى تصورها، فمن عدم الإنصاف أن ننكر جميع تلك الحقائق العلمية الواردة في تلك الكتب، ثم نعتذر بأنه (إنما كان نبيّاً ولم يكن عالماً،

1 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص33.
2 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص33.

وكان رسولاً ولم يكن مطلعاً على الأسرار!)[1]

قـال آخـر: ثم رد على اتهـام المعتزلـة بـالقول ببشـرية القرآن، فقال: (وقـد حـاول صـاحب هـذهِ النظريـة القائلـة بـأن القرآن من صنع النبي ﷺ أن يعثر لنفسه على شريك يحمل عنه وزر هذهِ الفرية، فلم يجد غير المعتزلة، فقال: (إن الاعتقاد بـأن القرآن نتاج بشري، ويمكن عليه الخطأ بالقوّة قد جاء التلويح به في عقائدهم)، ونقول: إن المعتزلة رغم انقراضهم، وعدم بقـاء شخصية علمية بارزة منهم، إلا أن كتبهم بمتناول الجميع، وحاشا هذهِ الفرقة أن تقول بخلق القرآن بمعنى كونه من صـنع النـبي ﷺ)[2]

قال آخر: ثم بين حقيقة موقف المعتزلـة من ذلـك، فقـال: (لقد تم طرح هذه المسألة أول مرة في القرن الهجـري الثـاني من قبل النصارى في البلاط العباسي، حيث أثاروا مسـألة كـون القرآن حديثاً أو قديماً، فـذهبت جماعـة إلى قدمـه، بينمـا ذهبت جماعة أخرى إلى حدوثه، فقال المحدّثون بقـدم القـرآن، وقـال المعتزلة بحدوثه؛ إذ لا قديم بالذات سوى الله، وجميع ما سـواه حادث، ومنها القرآن؛ لأنه فعل اللـه، وفعلـه لا يخـرج من دائـرة الحدوث، وإذا قالوا بكونه مخلوقاً فبمعنى أنه مخلوق لله، لا أنه مختلـق، وأنـه من صـنع بنـات أفكـار النـبي ﷺ، ولـذلك أصـرّت رواياتنا على عـدم وصـف القـرآن بالقـدم أو الحـدوث؛ لمـا في القدم من شـائبة الشـرك، ولمـا في وصـفه بكونـه مخلوقـاً من محذور إساءة الاستفادة والـذهاب إلى اختلاقـه، وأنـه من صـنع النـبي ﷺ، ولـذلك كـان المشـركون في عصـر رسـول اللـه ﷺ يستخدمون هـذا التعبـير ويقولـون: ﴿مَـا سَـمِعْنَا بِهَـذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ [ص: 7])[3]

قال آخر: ثم رد على اتهام مولوي والعرفاء بالقول ببشرية القرآن، فقال: (ولكي لا يبقى وحيداً أيضاً لجأ إلى مولوي وقال: إن القرآن مرآة ذهن النبي ﷺ، والدارج في صميم كلام مولــوي أن شخصـية النـبي وتغيّـر أحوالهـا وأوقاتـه السـعيدة والعصـيبة منعكسة بأجمعها في القرآن)، وقد رد عليه بقوله: (من السـهل أن تنسب شيئاً إلى شخص، ولكن من الصعب إثبات ذلـك، ففي

---

1 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص35.

2 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص35.

3 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص36.

أي بيت ورد ما استفاده الدكتور سروش؟ والحال أن لمولوي مئات الأبيات الشعرية التي تتحدث بصراحة عن خلاف ما يقوله سروش، ومنها ما مضمونه: (ما إن نزل القرآن حتى وصفه الكافرون بأنه من الأساطير، في حين أنه كان جارياً على لسان النبي، ولكن من قال: إنه ليس من الحق فهو كافر)(1)

قال آخر: ثم رد على دعوة سروش إلى ترجمة جوهر القرآن الكريم بما يتناسب واختلاف الزمان، فقال: (وسؤالنا: بعد أن ذهبتم إلى كون هذا الكتاب بشرياً وقابلاً للخطأ، فما هي الضرورة إلى ترجمته وتفسيره؟ وما هي ضرورة التستر على هذهِ الأخطاء؟ كما إنكم بتعريف القرآن بوصفه كتاباً بشرياً يحتمل في حقه الخطأ قد انسلختم عن المجتمع الإسلامي، وعليه لا نرى حاجة لنصائحكم، فالذي يجوز له أن ينصح هو الداخل في ربقة المجموعة، وأما الخارج عنها فلا يصلح لقيادتها ونصحها ووعظها)(2)

قال آخر: ثم ختم رسالته بنصيحة يقول فيها: (وفي الختام أكرر القول بأنني قد كتبت هذهِ الرسالة والحزن والألم يعتصرني بشدة، ولكن مع ذلك آمل أن لا يكون هذا الحوار قد جرى مع الدكتور سروش، وأن لا يكون ما ورد فيه قد صدر عنه حقيقة، أو نتمنى في الأقل أن يكون المترجم أو المترجمون قد اخطأوا في ترجمتهم، وفي هذهِ الصورة عليه أن يقوم برفع الشبهات لتعود المياه إلى مجاريها، وأطلب من صاحب النظرية مراجعة كتابنا (نقد بيست وسه سال) حول الوحي النبوي والشبهات التي أثارها المستشرقون وأذنابهم حوله، فقد أثبتنا فيه بوضوح أن جميع هذهِ الشبهات المنمقة تعبير آخر عن الشبهات التي أثارها المجتمع الجاهلي، فالمحتوى واحد والأسلوب مختلف، والفارق بينهما أن العربي الجاهلي في عصر الرسالة لبساطته كان يطلق الشبهة عارية صريحة، في حين أن المتجددين يمنحونها صبغة علمية، ويقدّمون السراب بوصفه ماءً)(3)

هـ. محمد شحرور:

قال أحد الحضور: حدثتمونا عن الرابع.. فحدثونا عن

1 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص36.
2 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص37.
3 () مجلة نصوص معاصرة، ع15، ص37.

الخامس.
قال أحد المبدلين: الخامس هو محمد شحرور.. وأحسن ما ينطبق عليه من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الشعراء: 221 ـ 223].. فهو لإفكه لم يهتم كثيرا بمصدر القرآن الكريم بقدر ما اهتم بتفريغه من محتواه، وتحويله إلى كتاب آخر، لا علاقة له بالشريعة ولا بالقيم التي أجمعت عليها الأمة بمدارسها المختلفة.

قال آخر: وقد طرح ملامح مشروعه في تلك الحصة الخطيرة المسماة [النبأ العظيم]، والتي تذيعها قناة [روتانا خليجية]، وهي قناة من تلك القنوات التي تستهدف تمييع المجتمع المسلم، ونشر الانحرافات الأخلاقية والفكرية، ليخرج المسلمون من إسلامهم وقيمهم بكل سلاسة.. فقد ذكر في الحصة الأولى من ذلك البرنامج منهجه في فهم القرآن، والذي انطلق فيه من مفهوم شرعي متفق عليه، وهو كون القرآن رسالة عالمية، أي أن البشر جميعا مطالبون بالتعرف على القرآن الكريم والالتزام بتعاليمه..

قال آخر: لكن شحرورا لم يفهم هذا، وإنما طالب القرآن الكريم بأن ينزل إلى مستوى العالم بشعوبه المختلفة، أي أنه (يجب أن يلائم كل الشعوب كالياباني والأمريكي).. وبذلك يجب أن يصبح تابعا للقيم العلمانية المعاصرة، حتى ترضى عنه تلك الشعوب، ويصبح تابعا لها، لا تابعة له.

قال آخر: ولأجل هذا راح يلوي أعناق النصوص بالحيل المختلفة، ليستخرج المفاهيم التي تتلاءم مع هذه القيم، وهو لم يحتاج لتحقيق ذلك لأي جهد، فقد كان يكتفي بالبحث عن الجذر اللغوي للكلمات القرآنية، ثم يلجأ إلى القواميس يبحث فيها عن معنى يجده أكثر توافقا مع القيم العلمانية المعاصرة ليطبقه عليها.

قال آخر[1]: وقد انطلق في ذلك من أمرين صحيحين متفق عليهما، لكنه فسرهما بهواه، واستعملهما بتعسف: أولهما: الرفض المطلق لفكرة ترادف الألفاظ.. وثانيهما: ترتيل الآيات القرآنية؛ بمعنى تجميع وتحديد الآيات المنوطة بموضوع معين، ثم فهم ذلك الموضوع؛ سواء كانت قصة أو تشريعا أو

---

1 () التجديد الدينى من منظور محمد شحرور، عرضٌ ونقد، أ. وليد القاضي.

حدا أو أمرا أو ثناء وفقا لما تظهره هذه الآيات.

قال آخر: أما أولهما.. وهو الرفض المطلق لفكـرة تـرادف الألفاظ؛ فهو يعني بذلك أن اللفـظ الواحـد ليس لـه نظـير، بمـا يفضى إلى إظهار الفروق الدقيقة بين الألفاظ [1].. وقد تابع فى ذلك عددا من كبار علماء العربية، ومنهم ثعلب وابن فارس وأبو على الفارسى[2]، لاسيما الأوسط منهم، وكتابه [معجم مقاييس اللغة] [3].

قال آخر[4]: وهو في هذا الموقف لا يختلـف فقـط مـع من يسلم بوجود الترادف في اللغة العربية من أمثـال سـيبويه وابن يعيش، بل يختلف أيضا مع من يـدعي أنـه يـوافقهم من منكـرى الترادف.. فكل ما قاله هؤلاء هو أن بين المـترادفين فروقـا فى الصـفات.. ولم يقـل أحـد منهم أن (الحسـام والمهنـد والسـيف والصارم) لا تدل على مسمى واحد، وإن كان بينهـا فـروق ففي الصفات فقط.

قال آخر: وقد نفى أبو هلال العسكرى سبعا وخمسين مرة فى كتابه [الفروق اللغوية] ـ والذى أراد به بيـان المعـنى الفـني لإنكار الترادف، بوصفه أحد الأمة القائلين به ـ أن يكـون المـراد به شيئا أكثر من أن يكون للشىء الواحد اسم واحد، ومـا عـداه صفات لـه بينهمـا فـروق دقيقـة، من ذلـك قولـه: (الفـروق بين القرآن والفرقان أن القرآن يفيد جمع السور وضـم بعضـها إلى بعض، والفرقان يفيد أنه يفرق بين الحق والباطل)[5]

قال آخر: وهكذا فإن وصف الله بأنه ﴿غَـافِرِ الـذَّنْبِ وَقَابِـلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: 3] لا تعني الترادف التام؛ فهذه الأوصاف المتعـددة كل منها يفيد معنى خاصاً به، لا يـترادف مـع معـنى الآخـر، لكن هذا لا يعني أن الموصوف بها ليس هو نفسه، وهو الله سبحانه، فالله هو غافر الـذنب، وهـو قابـل التـوب، وهـو شـديد العقـاب، ولكلٍ من هذه الأوصاف معناه.

قال آخر: ومن هنا دخل الخطأ على شحرور، حيث فهم أن إنكار الترادف في الأوصـاف يلـزم منـه اختلاف الموصـوف، فلا يكون الموصوف واحداً.

---

1 () الكتاب والقرآن، ص 24.

2 () الكتاب والقرآن ، ص 25.

3 () الكتاب والقرآن ، ص 44.

4 () التجديد الدينى من منظور محمد شحرور.

5 () بناء المفاهيم: دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، 2/ 640.

قال آخر[1]: ولأجل هذا نرى تأويلات شحرور للقرآن الكريم تختلف عن كل التأويلات، ذلك أنه ينطلق من أن القرآن الكريم جاء ليطور اللغة العربية، بحيث ألغى الترادف فى الألفاظ وفي التركيب، وهو ما لم يعرفه العرب فى لسانهم قبله، لأن استعمال الترادف كان موجودا فى اللغة العربية أيام الجاهلية، شعرا وخطابة.

قال آخر[2]: وهو يذكر لذلك أن القرآن الكريم امتاز بإضفاء مصطلحات مستحدثة لم تكن موجودة قبله، لاستحالة اعتبار مفردات الجاهلية كافية بذاتها لفهمه، مع إلغاء الترادف لإزالة التداخل فى معانى مصطلحات التنزيل [3].

قال آخر: وبناء على هذا يؤكد أنه (عند تأويل آيات التنزيل الحكيم، لا بد من الإمساك بالخيط اللغوى الرفيع الذى لا يجوز تركه، والذى يربط ويصل الشكل بالمضمون، لأنه إذا انقطع هذا الخيط بين البنية والدلالة [أى اللفظ ودلالته] تصبح احتمالات معاني الآيات لانهائية)[4]

قال آخر: ومن هذا المنطلق، رفض شحرور المقولة السائدة التى ترى أن الألفاظ التالية: الذكر والكتاب والفرقان، ترادف [القرآن الكريم]، وكذا عدم ترادف [اللوح المحفوظ] و[الإمام المبين]؛ ؛ وبالمثل، لا تعنى كلمة [الأبوين] في ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ﴾ [النساء: 11] الوالدين [5].. وغيرها من التأويلات الكثيرة التي فرغت القرآن الكريم من محتوياته.

قال آخر: أما الثاني، وهو صحيح أيضا من حيث الظاهر، فهو ترتيل الآيات القرآنية؛ بمعنى تجميع وتحديد الآيات المنوطة بموضوع معين، ثم فهم ذلك الموضوع؛ سواء كانت قصة أو تشريعا أو حدا أو أمرا أو ثناء وفقا لما تظهره هذه الآيات.

قال آخر: وقد صاغ شحرور هذا الركن وفقا لما فهمه من قراءته لقوله تعالى: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: 4]؛ إذ على النقيض من المعنى السائد الذى يذكر أن الترتيل يعنى التأنق فى تلاوة آيات القرآن وتحسين التأليف بين حروفه،

---

1 () التجديد الدينى من منظور شحرور.

2 () التجديد الدينى من منظور شحرور.

3 () الكتاب والقرآن، ص 29.

4 () الكتاب والقرآن، ص 28.

5 () دليل القراءة المعاصرة، ص 27.

استند شحرور إلى الأصل اللغوى للكلمة، أي [رتل]، والذى يعنى تنسيق الشىء وحسن تنظيمه، ومن ثم اعتقد أنه لا يمكن أن يكون المقصود من كلمة الترتيل فى هذه الآية التأنق في التلاوة، لأن ما جاء فى الآية التالية، أى ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: 5]، لا يرتبط من قريب أو بعيد بالتأنق فى التلاوة؛ حيث إن وصف القول بالثقيل لا يقصد به الثقل فى التلفظ والنطق، بل وعورة فهم معنى ما يشتمل عليه القرآن من علم.. وعليه، فإن المراد بالترتيل فى الآية هو ترتيب وتنظيم الموضوعات الواحدة الواردة فى آيات مختلفة من القرآن فى نسق واحد كي يسهل فهمها (1).

قال آخر: ومن الأمثلة التي ذكرها لذلك، ما فسر به قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: 14]، فمع كون الآية الكريمة واضحة في دلالتها إلا أن شحرورا حاول أن يرضي بها أهواء معينة، فراح ينكر كون المراد بالنساء في الآية المفهوم المعروف المتداول، وإنما جعل من النساء ـ بحسب القاموس الذي اعتمده ـ مشتقة من [النسيء]، أو هي جمع كلمة [نسيء] التي تعني التأخير، ومن ثمّ يصبح المعنى: الأشياء المؤخّرة، أي الأشياء الجديدة المحبوبة للناس، أي بالتعبير المعاصر [الموضة]، أي أن الآية الكريم تذكر أن الناس حببت إليهم الموضة، لا النساء المعروفات.

قال آخر: وقد قال معبرا عن ذلك: (النساء: جاءت في اللسان العربي من [نسأ] والنسيء هو التأخير كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [التوبة: 37]، ونسيء ونسوء جمعها نسوة ونساء.. وهنا يظهر معنى النساء في آية الشهوات والتي تعتبر الشهوة رقم واحد والتي يشتهيها كل الناس وهي المتأخرات منا لمتاع [الأشياء] أي ما نسئ منها أو نقول عنه في المصطلح الحديث [الموضة] فالإنسان يشتهي آخر موضة في اللباس وفي السيارات وفي الأثاث والستائر وفي البيوت، فنرى أن هذه الشهوة الموجودة عند الإنسان في الأرض قاطبة والإنسان يشتهي المتأخر [الجديد] من الأشياء كلها فالأشياء

1 () الكتاب والقرآن، ص 25.

المنتجة عـام 1986 جـاءت متـأخرة عن الأشـياء المنتجـة عـام 1985 فكل الأشياء المتجددة [أي جاءت متأخرة عن مـا قبلهـا] نسئت عما قبلها جملها القرآن بمصطلح واحد هـو النسـاء.. هنـا فهم الكثيرون أن النسـاء هن أزواج الرجـال، ولكن النسـاء هنـا هي شهوة التجديد في الأشـياء وقـد جـاءت بمعـنى التـأخير في سورة النور في قوله: ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ [النـور: 31] أي ما تـأخر عن المذكورين في الآية من أحفاد وفروع مهما نزلوا)[1]

قال آخر: ثم عقب على ذلك بقولـه: (والآن إذا نظرنـا إلى هذه الشـهوة لوجـدناها كامنـة وراء التقـدم الصـناعي في إنتـاج الأشـياء [المتـاع] فلـولا هـذه الشـهوة لانخفض إنتـاج معامـل الألبسة مثلا وكل شيء يخضع للتجديد)[2]

قال آخر: وقد علل رأيه الغريب هذا بقوله: (إنّ الآيـة فيهـا خبر عن جميع الناس، وليس العرب خاصة، ويجب أن يكون خبر الله صادقًا، ومن ثم يجب أن يتطابق قول الله مـع حـال العـالم اليوم، والشيء الجديد محبوبٌ من قبل كـل الشـعوب، ومن ثم يكـون معـنى [النسـاء] جمـع نسـيء، أي الأشـياء المـؤخَّرة، أي الأشياء الجديدة)[3].. ولسنا ندري هل حب النساء خاص بالعرب فقــط.. ومن أوحى لــه بهــذا، ونحن نــرى أن قصــص العشــق والغرام مرتبطة بكـل الشـعوب، بـل إن كـل الشـعوب اليـوم لا تستثمر في شيء كما تسـتثمر في النسـاء باعتبـارهن الوسـيلة الأكثر قبولا من لدن البشر جميعا.

قال آخر: ومثل ذلك راح يفسـر كلمـة ﴿البنـون﴾ في الآيـة الكريمـة؛ فقـد قـال في تأويلهـا أو تبـديلها: (جـاءت من الأصـل [بنن] وتعني اللزوم والإقامة، وعنـدما يـتزوج الـذكر فإنـه يبـني على الأنثى وكان يبنى له خيمة منفصلة عند العرب، أمـا لفظـة الابن فقد جاءت من [بنـو] وجمعهـا أبنـاء فنقـول ابن فلان وابن المدينة وابن القريـة؛ فـالمعنى الحقيقي للبـنين هـو من اللـزوم والإقامة وهذه هي صفة الأبنية والبنيان، وقد جاءت في المعـنى الحقيقي في قوله تعـالى: ﴿أَمَـدَّكُمْ بِأَنْعَـامٍ وَبَنِينَ﴾ [الشـعراء: 133] هنا ربط البناء بتـذليل الأنعـام؛ فلـولا تـذليلُ الأنعـام لمـا اسـتقر الإنسان وبنى له مسكنا، وقولـه: ﴿الْمَـالُ وَالْبَنُـونَ زِينَـةُ الْحَيَـاةِ

---

1 () الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

2 () الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

3 () الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

الـدُّنْيَا [الكهـف: 46]، فـالبنون هنـا هي الأبنيـة للـزوم والإقامـة.. فقوله: والبنون يعني الأبنية التي هي المواد غير المنقولة)[1]

قال آخر: ثم يعقب على ذلك مؤكدا له بقولـه: (هنـا لاحـظ كيف تطابقت هذه الآية مع آية الشهوات حيث شهوات الإنسـان أشياء منقولة وغير منقولة وهذه الأشياء متاع الحياة الدنيا وزينة الحياة الدنيا، وهنا لاحظ كيف تمت وحـدة الموضـوع في الآيـات وكيف أصبح الخبر موضوعا صادقا)[2]

قـال آخـر: وهـو لأجـل هـذا لا يتعامـل مـع القـرآن الكـريم باعتبـاره جملـة، وإنمـا باعتبـاره مفـردات متراصـة، يمكنـه أن يتحكم فيها كما يتحكم المهندس في البنيان، فيزيل ما يشاء من الجدران، ويضيف ما شاء منها.

قال آخر: ولهذا نراه يعزل السياق متى شـاء، ويثبتـه مـتى شاء، ونراه يعود لأسباب النزول، ثم سـرعان مـا ينكرهـا إن لم تتساير مع رغبته.. وهكذا في تعامله مع الأحـاديث المطهـرة، أو مع أقوال المفسرين أو اللغويين، فهو ينطلق دائما من النتيجـة، ثم يبحث بعد ذلك عن الأدلة التي تخدمها.

قال آخر: وهو لا يفعل ذلك فقط في المحال التي لا علاقة كبيرة لها بالعمل مثل الآية التي سبق ذكرها، بل إنه يفعل ذلــك في كل أركـان الـدين الـواردة في القـرآن الكـريم ليحولهـا عن مسارها تحويلا تاما.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك تلاعبـه بالألفـاظ القرآنيـة، بل بالرسم القـرآني ليعتـبر أن كـل كلمـة وردت في المصـحف الشريف بالألف [الصلاة]، فـالمراد منهـا مجـرد صـلة بين العبـد وربه، وقالبها الدعاء، ولا تحتاج إلى إقامة وطقوس، ويؤديها كل إنسان له بالله صلة على طريقتـه الخاصـة، أمـا الـواردة بـالواو [الصـلوة]، فهي صـلة بين العبـد وربـه، ولهـا طقـوس وحركـات محددة خاصة بها، كالقيام والركوع والسجود والقـراءة، وتحتـاج إلى إقامة، أي على الإنسان أن يقوم ليؤديها.. ويعتبر أنها وردت في القرآن الكريم باعتبارها من شعائر الإيمان.

قال آخر: وربما يتوهم المرء بادئ ذي بدء أن هـذا الكلام لا غبار عليه، ولا حرج فيه، فالصلاة مثل الركوع والسجود وغيرهما قد يقصد بهـا تلـك الحركـات المعروفـة، وقـد يقصـد بهـا مجـرد

---

1 () الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

2 () الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

الصلة المطلقة مع اللـه، لكن شـحرور لا يكتفي بهـذا، ولا يقـف عند هذا الحد، وإنما يسـتعمل حيلا كثـيرة ليصـل من خلالهـا إلى نتائج خطيرة جدا.

قال آخر: وملخص تلك النتائج ـ باختصار ـ هـو أن الصـلاة ـ عنده ـ نوعان: الأولى لا يصح الإسلام من دونها، وهو وجود صلة مع الله بأبسط صورها، كأن نقـول (يـا رب ارحمـني) بـأي لغـة، وبأي وقت وشكل.. ومن يقطع الصلة مع الله فهو وفق التنزيـل الحكيم مجرم، وهو عكس مسلم.. فكل إنسان قطع صلته بالله تمامـاً وكـذَّب بـاليوم الآخـر هـو من المجـرمين وهـو ليس من المصلين.

قال آخر: وبناء على هذا يفسر كل الآيـات الـتي وردت في عقوبة تارك الصـلاة كقولـه تعـالى: ﴿فَوَيْـلٌ لِلْمُصَـلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [المـاعون: 4 ـ 5]، والـتي يعقب عليهـا بقولـه: (فهنا الكلام ليس عن ظهر وعصر ومغرب، بل عمن قطع صلته مع الله، لأن الويل أيضاً للمكـذبين باللـه واليـوم الآخـر، وهـذا لا يمكن أن يكون لمن فقط تقاعس عن إقامـة صـلاته، فـنرى أن هناك عقوبة واضحة للمجرم قاطع الصلة)[1]

قـال آخـر: أمـا النـوع الثـاني، وهـو مـا يسـميه [الصـلاة الشعائرية]، فـيرى شـحرور أن اللـه تعـالى لم يـذكر أي عقوبـة لتارك هذا النوع من الصلاة، ذلك أن الصلاة الأساسية عنده هي الصلاة الأولى، أما الصلاة الثانية، فليست لهـا تلـك الأهميـة، ولا يتعلق بها العقاب لا الدنيوي، ولا الأخروي، وقـد أجـاب عن سـر ذلـك عنـد تعليقـه على قولـه تعـالى: ﴿اتْـلُ مَـا أُوحِيَ إِلَيْـكَ مِنَ الْكِتَـابِ وَأَقِمِ الصَّـلَاةَ إِنَّ الصَّـلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَـاءِ وَالْمُنْكَـرِ وَلَـذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَـرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَـا تَصْـنَعُونَ﴾ [العنكبـوت: 45]، فقـال: (رب سائل يسأل: الله أكـبر من مـاذا؟ السـؤال الصـحيح: ذكـر الله أكبر؟ وذكر الله أكبر ممن ماذا؟ أقول: ذكـر اللـه أكـبر من إقامة الصلاة ذاتها، أي أن الإنسان يجب أن يكون من المصـلين أولاً، وإذا دخل الإيمـان يكـون من مقيمي الصـلاة، أي في بعض البلدان إن وجد مسجد ولم يوجـد من يقيم الصـلاة فعلى الأقـل نحافظ على الأذان لأنه ذكر الله علناً)[2]

قال آخـر: وبهـذا فـإن الصـلاة الحقيقيـة والـتي توعـد اللـه

---

1 () نقلا عن: التنويريون والصراع مع المقدسات، ص 195.

2 () نقلا عن: التنويريون والصراع مع المقدسات، ص 195.

التاركين لها عنده هي الدعاء، والمصلي عنده هو الذي يكتفي بدعاء الله، ولا يهم على أي دين كان.. فالمسلم عنده يشمل كل منتسب لأي دين من الأديان.

قال آخر: وهكذا راح يفعل مع سائر الشعائر التعبدية، مقتديا في ذلك بما فعله بولس في المسيحية عندما حررهم من شريعتها وأحكامها.

قال آخر: وهو لا يكتفي بالشعائر التعبدية، بل راح إلى كل أحكام الشريعة يتلاعب بها وبأحكامها القطعية المجمع عليها، ومن الأمثلة على ذلك احتياله على أحكام المواريث، وخاصة في الجانب القطعي منها، والذي ذكر في القرآن الكريم، حتى لا يتلاعب به المتلاعبون، أو يحتال عليه المحتالون، وقد ركز بصفة خاصة على ما ورد في قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ [النساء: 11]؛ فبدل أن يثبت عدالة إعطاء الأنثى نصف أخيها الذكر لكونه مرتبط بمنظومة تشريعية كاملة، لا يشكل الإرث إلا جزءا بسيطا منها، ولذلك كان العدل فيها ليس هو المساواة، بل العدل أن ينال كل طرف بحسب حاجاته ومسؤولياته.

قال آخر: وكمثال تقريبي على ذلك ما نراه في الواقع من أن بعض المؤسسات أو الكثير منها قد تعطي بعض العمال نصف المرتب الذي تعطيه لعمال آخرين، لكن في نفس الوقت، تعطيهم الكثير من الحوافز والهبات تحت أسماء مختلفة، والتي لو حسبناها لوجدناها تصل إلى نفس المرتب الذي فضل عليهم، بل قد تفوقه.

قال آخر: وهذا ما طبقته الشريعة الإسلامية العادلة والسمحة بالضبط مع المرأة؛ فعندما نتأمل الأحكام المالية المرتبطة بها نجد أنها لم تكلفها بالسعي في طلب رزقها، بل جعلت رزقها مضمونا في كل مراحل حياتها ابتداء من صباها إلى وفاتها، فهي تعيش في كنف والديها، أو قوامة زوجها، أو رعاية أولادها؛ فإذا لم يبق لها واحد من هؤلاء كلفت جماعة المسلمين بالإنفاق عليها.

قال آخر: بالإضافة إلى أن الشريعة التي فضلت الابن في العطاء هي الشريعة التي كلفته بالإنفاق على أخته، وهي التي كلفته بدفع المهر لمن يريد الزواج منها.. فهل تكلفه بكل هذا، ثم لا تجعل له من الحقوق ما يفي بما تتطلبه هذه الواجبات؟

قال آخر: بالإضـافة إلى ذلـك؛ فقـد أتـاحت الشـريعة بنص القرآن الكريم، وفي الأحوال الطارئة التي يـرى الوالـد فيهـا أن ابنته قد يهضم حقها، أو قد يفرط أبناؤه فيها، أو يرى أن حاجتها للمال أكثر منهم.. في هذه الأحوال جميعـا، وفي غيرهـا أتـاحت لـه أن يوصـي لهـا بمـا يسـد تلـك الحاجـة، بحيث يصـير نصـيبها مساويا للذكور، أو ربما يفوق أنصبة الذكور.

قـال آخـر: فبـدل أن يهتم شـحرور وإخوانـه من المبـدلين بهذا، راحوا يتلاعبـون بالنصـوص، ويحتـالون عليهـا، وكم فرحـوا عندما سمعوا بالتشريع التونسي المرتبـط بهـذا المجـال، وكـأن الأمة لا ينقصها إلا سـد هـذه الثغـرة، وقـد قـال محمـد شـحرور تعليقا على ما فعلته تونس: (وإذ أهنىء شعب تـونس على هـذا الإنجاز، أهـنىء نفسـي ببارقـة الأمـل هـذه، فـرغم أن الطريـق شائك لكن الشعوب لا بد لها أن تستيقظ لو بعد حين)

قال آخر: وقد كـان لشـحرور الـذي تجـرأ على كـل أحكـام الشـريعة، وراح يجـدد فيهـا من غـير أن تتـوفر لـه تلـك الأدوات قصب السبق في هذا المجال، مع أنـه، وفي فـترة قريبـة، وفي لقاء سجل معه، سئل فيـه عن فهمـه لآيـات المـواريث فأجـاب بأنه[1] لم يصل لرؤية واضحة فيها، ولكنه بصـدد دراسـتها وفـق التغيرات المعاصرة في علم الرياضـيات الحديثـة الـتي توصـلت لعلوم جديدة من التحليل الرياضي والإحصاء.

قال آخر: لكنه بعد فـترة قصـيرة، راح يخـرج لنـا بنظرياتـه العجيبة في هذا المجال، والتي لا علاقة بالرياضيات الحديثة، ولا بأي شيء حديث.. بـل كلهـا من نـوع الهرطقـات اللغويـة الـتي يستعملها، ويتصور أنه فهم من النصـوص مـا لم يفهمـه الأوائـل والأواخر.

قال آخر: وقد ذكر في بعض حوراته معبرا عن فهمه لقوله تعـالى: ﴿يُوصِـيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلـذَّكَرِ مِثْـلُ حَـظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ [النسـاء: 11]، وأنه سئل في الجزائـر ومصـر والسـعودية والعـراق عن معناهـا؛ فقـال لهم: (إذا أنـا أعطيتـك أنت ورفاقـك وأنتم خمسة أشخاص كل واحد مائة دولار، وقلت لي: ماذا أعطيتني؟ قلت لك: أعطيتك مثل رفاقـك، أليس هـذا يعـني أنـني سـويتك تماما برفاقك؟، وهكذا الآيـة إذا أعطيت أخـاً مائـة دولار وأختيـه لكـل واحـدة مائـة دولار، وسـألني كمـا أعطيتـني؟ فقلت لـه:

---

1 () انظر: تخبط محمد شحرور في فهم آيات الميراث، د.خلدون مخلوطة.

أعطيتك مثل أختيك، يعني هذا أنني أعطيت الجميع مثل بعضهم البعض)

قال آخر: وبذلك تصور أنه قد حل المشكلة، وأن الآية الكريمة لم تنص أبدا على كون نصيب الذكر ضعف نصيب الأنثى، وإنما أخبرت عن الحكم المرتبط بثلاثة أولاد: ابن وأختيه، حيث ينال الابن مثل نصيب كل واحد من أخواته.. وهو تلاعب واضح بالنص الصريح والواضح والذي يخاطب كل الحالات، لا مجرد الحالة التي افترضها.

قال آخر: فالآية الكريمة ذكرت أن نصيب الذكر حظ الأنثيين معاً، ولم تقل ـ كما توهم ـ أن نصيبه (مثل الأنثيين)، وهاتان الكلمتان [المثل] و[الحظ] تدلان على ذلك.

قال آخر: ثم هو بعد ذلك يناقض نفسه، لأن حالات الميراث لا ترتبط فقط بعائلة مكونة من ثلاثة أولاد، وإنما عدد الأولاد في أكثر العائلات يكون أكثر من ذلك بكثير، وهنا يقع الارتباك والخلط في منظومتة الهشة التي أسسها على الفهم المزاجي للنص، لا على الفهم الصحيح الذي تتطلبه ألفاظه، والذي اتفق عليه جميع اللغويين والمفسرين من جميع المدارس الإسلامية في جميع فترات التاريخ، حيث أن تساوي الذكور مع الإناث عنده لا يتم إلا في حالتين فقط: إذا كان الوارث ابنا وبنتا؛ فيأخذ الابن النصف، والبنت النصف، أو إذا كان هناك ابن واحد وابنتان، فلكل واحد الثلث بالتساوي، ولكن عندما يكون البنات أكثر من اثنتين، أي ابن واحد وأربع بنات فيعطي الابن الثلث، والبنات الأربع الثلثان، وهنا ينتقض التساوي عنده، بل يصبح ما ذكره الفقهاء أكثر عدلا بكثير مما ذكره.

قال آخر: وقد أجاب شحرور عن هذا التناقض الذي حصل في العدالة التي راح يبحث عنها بأن هذا التفسير العلمي واللغوي للآية يحقق العدل للمجموعات لا للأفراد، (فبناءً على ما تم ذكره فإنه في بعض الحالات يحصل الذكر على ربع أو ثلث ما تحصل عليه الفتاة، ولذلك فإن حدود الميراث في القرآن تعمل على تحقيق العدل بين مجموعة الأولاد من الفتيات ومجموعة الأولاد من الذكور، لا العدل بين الأفراد، فرداً فرداً)

قال آخر: وهو نوع من الخداع والحيل التي تمرن عليها،

لأنه وجد من يستجيب لها، ويعجب بها، ولسنا ندري كيف يجيب عن ذلك الارتباك الذي سيحل به لا محالة عندما يرى أن نصيب الزوج في الميراث ضعف نصيب الزوجة، والذي له مبرره الشرعي الممتلئ بالعدالة، والذي نص عليه بصراحة قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء: 12]، ولسنا أدري أي حيلة يدبر لهذه الآية الكريمة، حتى يحتال عليها، ويخرجها عن دلالاتها الواضحة والقطعية، والتي اتفق عليها جميع الفقهاء.

قال آخر: ومثل ذلك قوله تعالى عند ذكره للأحكام المرتبطة بالإخوة، والتي نص فيها صراحة على كون نصيب الذكر ضعيف نصب الأنثى، كما قال تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: 176]

قال آخر: وقد كان من حكمة الله تعالى أن يختم هذه الآية الكريمة بقوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: 176]، ليبين أنه سيأتي من يتلاعبون بالألفاظ، ويحتالون على النصوص ليضلوا الناس عن هدي ربهم وعدالة ربهم إلى الدين المزاجي الذي يؤسسونه بأهوائهم، لا بسلطان من العلم أو الحجة.

قال آخر: وقد كان في إمكان شحرور وإخوانه من المبدلين أن يدرسوا هذه الآيات الكريمة ضمن المنظومة الإسلامية الشاملة لحقوق المرأة وواجباتها، ليعلموا أن الشريعة التي كلفت المجتمع بالإنفاق على المرأة، وكلفت الزوج بجلب المهر لزوجته، هي نفسها التي فرضت للمرأة نصيب نصف الذكر؛ فإذا ما حصل اختلال في المجتمع؛ فقصر في حق المرأة، ندعو إلى إصلاح الخلل الذي حصل، لا إلى تبديل أحكام الله.. وإلا فإنا لو طبقنا ذلك، فسيصبح الزمان أداة لمحو أحكام الله الصريحة والقطعية واحدا واحدا.

قال آخر: وقد كان في إمكانهم أيضا أن يدعو إلى تفعيل الوصية للأقربين بمفهومها الشرعي لتغطي الحالات الخاصة، مثلما فعل الفقهاء مع الوصية الواجبة المرتبطة بإرث الأحفاد الذين مات والدهم قبل موت جدهم، فأعطوا نصيب والدهم من الميراث بناء على الوصية الواجبة، مع أنها تخالف ما اتفقت عليه المدارس السنية من عدم وصية للورثة.

قال آخر: لكن شحرورا وإخوانه من المبدلين، نتيجة ضغوط الاتصالات الكثيرة، ووسائل الإعلام التي تزاحم أوقات فراغهم لم يجدوا الوقت الكافي للبحث في ذلك، واكتفوا بمزاجهم وأهوائهم وآرائهم المجردة عن كل دليل.

و. حسن حنفي:

قال أحد الحضور: حدثتمونا عن الخامس.. فحدثونا عن السادس.

قال أحد المبدلين: السادس هو حسن حنفي.. وأحسن ما ينطبق عليه من القرآن الكريم قوله تعالى عن المنافقين: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: 1 ـ 2]، فهاتان الآيتان الكريمتان تعبران عن المشروع الذي يحمله حسن حنفي ويدعو إليه أحسن تعبير، فهو في ظاهره وبدايته ومقدماته ينطلق من العقيدة والشريعة الإسلامية، لكنه في باطنه ثورة عليهما، ودعوة للتملص منهما، والعبرة عند العقلاء بالنتائج لا بالمقدمات، وبالنهايات لا بالبدايات.

قال آخر: وقصته وقصة أمثاله تبدأ بعد الانتكسات الكثيرة التي مر بها واقعنا الإسلامي، وعند ظهور المدارس الثورية المختلفة، خاصة اليسارية منها، حيث برز في مجتمعاتنا الإسلامية صنفان من الثورة، ومعهما صنفان من الثوار: أولهما رأى أن سبب التخلف هو البعد عن الإسلام وقيمه الحضارية النبيلة، وأننا نحتاج إلى العودة إلى الإسلام الأصيل، بمفهومه الصحيح، ونقيم ثورة على التخلف الذي استثمر بعض مفاهيم الدين ليشوه الدين والدنيا من خلالها.. وثانيهما رأى أن سبب التخلف هو الدين نفسه، فلذلك راح يحمل على الدين، ويدعو إلى البعد عنه، ويتصور أنه أفيون الشعوب، ومن هؤلاء من جاهر بذلك، ومنهم من استعمل التقية والحيلة وأصناف الخدع

لتمرير ذلك.

قال آخر: وقد صرح حسن حنفي بانتماءاتـه الحقيقيـة حين قال: (إننا في غياب البـديل الإسـلامي الثـوري لجأنـا بالضـرورة إلى الماركسية لحل قضية العدالة الإجتماعيـة وإلى الليبراليـة ـ الديمقراطية لحل القمـع المسـلط على شـعوبنا، وإلى القوميـة لإنهاء حال التشرذم، وإلى ديكارت لتأكيد العقلانيـة، لقـد لاحـظ اليسار الإسلامي أن في التراث الغربي بعض الجوانب الإنسانية المضـيئة لايمكن إهمالهـا، ولايمكن القيـام بنهضـة فكريـة واجتماعية مالم نستفيد من هـذه الجـوانب الـتي يلخصـونها في العقلانية والعدالة الإجتماعية والحرية والوحدة القومية)[1]

قال آخر: لكنه كان يملك ذكاء حادا، جعله لا يقع فيما وقـع فيه أولئك المغفلون الأغبياء الذين جـاهروا بإلحـادهم، وصـرحوا به، وادعوا صـراحة تبـنيهم للفكـر اليسـاري بمنظـومتـة العقديـة والاجتماعيـة، لأنـه يعلم أن أولئـك سـيرمون في النفايـات، ولن يلتفت لهم أحد.

قال آخر: ولـذلك راح يسـتعمل مصـطلحات الـدين نفسـها ليضرب الدين؛ فزعم أنه متكلم وأصولي وفقيـه.. وراح يتحـدث عن القضايا المختلفة كما يتحـدث عنهـا رجـال الـدين أنفسـهم، ويستعمل نفس تعبـيراتهم.. حـتى أن الكثـير جلس للتلمـذة بين يديه كما يجلس بين يدي المشايخ..

قال آخر: ولذلك يمكن تلخيص مشاريعه جميعـا في جملـة واحـدة هي [الثـورة على الـدين بالـدين]، ذلـك أن ثورتـه على الإسلام بدأت من ذلك المنهج البراغمـاتي الـذي اعتمـده، ودعـا إلى استعماله، واستطاع أن يمرر مشروعه من خلاله.. وهـو أن يُنظر إلى الإسلام، لا باعتباره دين الله، وأنه حقيقة مطلقة دلت عليها الأدلة العقلية، وأثبتتها أصناف الحجج، وإنما من كونه مادة يمكن استثمارها والاستفادة منها في تغيير المجتمع وتوجيهه.

قال آخر: وقد قال معبرا عن ذلـك: (إن العلـوم الأساسـية في تراثنـا القـديم مـازالت تعـبر عن نفسـها بالألفـاظ والمصـطلحات التقليديـة الـتي نشـأت بهـا هـذه العلـوم والـتي تقضي في الوقت نفسه على مضمونها ودلالتها والتي تمنع أيضاً إعادة فهمها وتطويرها، يسيطر على هذه اللغة القديمة الألفاظ والمصطلحات الدينية مثل: الله، الرسول، الـدين، الجنـة، النـار،

---

1 () نقلا عن: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، ص330.

الثواب، العقاب (..) هذه اللغـة لم تعـد قـادرة على التعبـير عن مضـامينها المتجـددة طبقـاً لمتطلبـات العصـر نظـراً لطـول مصاحبتها للمعاني التقليديـة الشـائعة الـتي تريـد التخلص منهـا، ومهما أعطيناها معاني جديـدة فإنهـا لن تـؤدي غرضـها لسـيادة المعنى العرفي الشائع على المعـنى الإصـطلاحي الجديـد، ومن ثم أصبحت لغة عاجزة عن الأداء بمهمتها في التعبير والإيصـال)[1]

قال آخر: وليتـه اكتفى بـذلك، بـل راح يـدعو إلى اسـتثمار التوجه الديني، لا بتعميقه، وتصحيحه، وإنما بتحريفه عن مسـاره تحريفـا كـاملا، لتتحـول العقيـدة إلى ثـورة، ويتحـول الإلـه إلى إنسان، ويتحول كل شيء في الدين إلى وسيلة لتحقيـق العـدل الاجتماعي والرفاه الاقتصادي باعتباره الغاية الكبرى، لا رضوان الله، ولا جنته، ولا تحقيق السـعادة الأبديـة الـتي تحن إليهـا كـل النفـوس، ولا ترقيـة الـروح لتتصـل بـالملأ الأعلى، وتتحقـق بمـا يتطلبه ذلك المحل الرفيع من سمو وروحانية.

قال آخر: ولذلك دعا إلى تبديل كل اللغة القرآنية لتتناسب مع طروحاته؛ فيقول: (التخلي عن لغة اللاهوت الخاصة من إله، ورسول، وثواب، وعقاب، وملاك، وشيطان، وهي اللغة المغلقـة التي مازالت خاضعة للرمز الديني، واستعمال لغة أكثر عقلانيـة وانفتاحـاً وإنسـانية يمكن لأي فـرد أن يعقلهـا مثـل الإنسـان، والعقل، والنظر، والفضيلة، في حين أن علم الكلام ظل خاصـاً، وعـبر عن مضـمونه بلغـة خاصـة في مقابـل الفلسـفة الـتي استطاعت أن تتجـه نحـو العـالم، ونحن الآن قـد رجعنـا خطـوة أخرى إلى الوراء، وألغينا التطـور، وآثرنـا لغـة اللاهـوت المغلـق على لغة الفكر المفتوح)[2]

قـال آخـر: ولـذلك فـإن أقـرب المفكـرين إليـه هـو [وليم جيمس] ذلك الفيلسـوف البراغمـاتي الأمـريكي، صـاحب [إرادة الاعتقـاد]، والقائـل: (إن الاكتشـاف الأعظم الـذي شـهده جيلي والذي يقـارن بـالثورة الحديثـة في الطب كثـورة البنسـلين هـو

---

1 () التراث والتجديد، ص110.

2 () التراث والتجديد، ص15.

معرفة البشر أن بمقدورهم تغيير حياتهم عبر تغيير مواقفهم الذهنية)، والذي قال في كتابه [البراغماتية]: (إن الحقيقي فى أوجز عبارة ليس الا النافع الموافق للمطلوب فى سبيل تفكيرنا تماما، كما أن الصواب ليس سوى الموافق النافع المطلوب فى سبيل مسلكنا، وحيازة الحقيقة بعيدة كل البعد على أان تكون غاية فى ذاتها، فهى لاتزيد عن كونها مجرد وسيلة أو إرادة أولية لبلوغ الإشباع والرضا والسرور.. كما أن الحقيقة نفسها فى حالة تغير وتبديل وانتقال)[1]

قال آخر: وهكذا، وبنفس الأسلوب عبر حسن حنفي عن مشروعه التجديدي حين قال: (مهمة التراث والتجديد إذن هي إعادة كل الاحتمالات القديمة، بل ووضع احتمالات جديدة، واختيار أنسبها لحاجات العصر، إذ لا يوجد صواب وخطأ نظري للحكم عليها، بل لا يوجد إلا مقياس عملي، فالاختيار المنتج الفعال المجيب لمطالب العصر هو الاختيار المطلوب، ولا يعنى ذلك أن باقي الاختبارات خاطئة، بل يعنى أنها تظل تفسيرات محتملة لظروف أخرى وعصور أخرى ولت أو مازالت قادمة)[2]

قال آخر: وبناء على هذا راح يعيد تأويل القرآن الكريم ليحول العقيدة والشريعة، وكل الدين لتتناسب مع ما يريده اعتقاده، أو مع هذا العصر الجديد.

قال آخر: وهي بمجموعها ليست سوى تفريغ للقرآن الكريم من محتواه، بحيث لا يبقى منه إلا الأسماء، أما المسميات، فتتغير تغيرا تاما.

قال آخر: ومن الأمثلة على هذا التفريغ، أو على هذه الثورة على حقائق القرآن الكريم قوله: في اختصار الإسلام في السلام: (ولفظ السلام أيضاً يعبر أكثر عن مضمون الإسلام من اللفظ ذاته، لأن السلام هو الذي يحقق السلام الداخلي للإنسان بعد تحرره من كل قيود القهر والإستعباد، ثم هو الذي يحقق المجتمع الواحد الذي لا طبقات فيه ولا إستغلال ولا احتكار، ومن ثم ينشأ السلام في المجتمع، وهو أيضاً الذي ينظم علاقات الأمم بعضها مع البعض الآخر على أساس من السيادة المتبادلة وأحلاف السلام)[3]

1 () نقلا عن: دراسات في فلسفة التربية الإسلامية، ص20.

2 () التراث والتجديد، حسن حنفي، عن التنويريون والمؤامرة على الإسلام، ص 83.

3 () التراث والتجديد، ص 116.

قال آخر: ومثل ذلـك قولـه في مصـطلحات اصـول الفقـه الــتي اتفــق عليهــا علمــاء الأمــة جميعــا: (الــواجب والحــرام والمندوب والمكروه والمباح فهي ألفاظ توحي بأن الإنسـان مـا هو إلا آلة للتطبيق وأنه فاقد حريته، في حين أن التعبير بألفــاظ أخــرى مثــل الطبيعــة والإنطلاق والازدهــار فيهــا تأكيــدا للــذات وإثبات لحريتها وتحقيق وجودها)[1]

قال آخر: وهكذا يعبر عن القــرآن الكــريم والــوحي الإلهي، فهو عنده مجرد افتراض لا يمكن التحقق منـه إلا بمـدى خدمتـه للواقع، فيقول: (أما الوحي بالنسبة لي، فإنني آخذه على سبيل الافتراض.. أنا في رأيي؛ الوحي هو افتراض في البحث العلمي، يقوم بدور الافتراض في البحث العلمي؛ فهل يتحقق؟ والتحقـق من الصدق، أقصد التحقق تجريبيًا صِرفًا وليس صوريًا، لا اتفـاق نتـائج مـع مقـدمات، ولكن التحقـق من صـحة هـذا الفـرض في الواقع الاجتماعي.. ومن ثم فأهلًا وسهلًا، أنا أتقبـل كـل النبـوات وكل الوحي وكل الآراء.. وعليّ أن أمتحنها على محك الواقع)[2]

قال آخر: ويؤكد هذا المعنى بقوله: (نصوص الوحي ليسـت كتابًا أُنزل مـرة واحـدة مفروضًـا من عقـل إلهي ليتقبلـه جميـع البشر، بل هو مجموعـة من الحلـول لبعض المشـكلات اليوميـة التي تزخر بها حياة الفرد والجماعة)[3]

قال آخر: وهـو بهـذه الطريقـة من التفكـير يـردد نفس مـا ردده [وليم جيمس] حين قـال: (إننـا بـدلا من أن نتسـائل عمـا يسير الأشياء، وهل هي المادة أم الله؟ يجب أن يكـون تسـاؤلنا كالتالي: ماهو الفرق العملي الذي يمكن أن يحدث الآن إذا قـدر للعالم أن تسير دفته بواسطة المادة أو بواسطة الله؟.. إننا في مقدورنا أن نتمتع بإلهنا إذا كان لدينا إله)[4]

قال آخر: ولهذا كانت مشاريعه جميعا مشاريع ثورية تحاول أن تحافظ على الأسماء مع تغيير المسميات، بناء على تصـورها أن الــدين والــتراث ليســا ســوى نتيجــة للواقــع السياســي والاجتماعي الذي مرت به الأمة في مراحلها المختلفة.

---

1 () التراث والتجديد، ص 118.

2 () الإسلام والحداثة، ص219،220.

3 () التراث والتجديد (135)

4 () من كتاب البراغماتية، نقلا عن: التنويريون والمؤامرة على الإسلام، ص 85.

قال آخر: ولهـذا نجـد هـذه العنـاوين في كتبـه ومشـاريعه: (التراث والتجديد)، و(من العقيدة الى الثـورة)، و(من النص الى الابداع)، و(التراث والعصر والحداثة)، وهي كلها مشاريع لا تريـد التجديد أو الإبداع بمفهومة المعروف، وإنمـا تريـد إلغـاء القـديم وإحلال مفاهيم جديدة بدلها لا علاقة لها بها.

قال آخر: فمهمة المفكـر في التعامـل مـع الـتراث ــ على حسب ما يصـور ــ هـو (أن يعيـد قراءتـه بحيث يعيـد إليـه تعـدد الاختيار بين بدائلـه حـتى يسـتقر على وجـه آخـر أصـلح للنـاس وأنفع لهم)

قـال آخـر: ولـذلك فـإن المنطلـق عنـده في التعامـل مـع التراث ليس البحث في ذاته، والتحقيق فيه، وفي مدى عقلانيته وعلميتــه، على أســس علميــة وموضــوعية بحتــة، وإنمــا في الانطلاق من الواقع والمجتمع، لتخير ما يتناسب معهما، فـإن لم نجد نبتدع ما يتناسب مع المجتمع، وهو نفس ما عبر عنـه قولـه تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَـرْفٍ فَـإِنْ أَصَـابَهُ خَيْـرٌ اطْمَـأَنَّ بِـهِ وَإِنْ أَصَـابَتْهُ فِتْنَـةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِـهِ خَسِـرَ الـدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: 11]

قال آخر: فهذا الصنف الذي ذكره القرآن الكريم هو الــذي ينظــر إلى الــدين، لا باعتبــاره حقــائق واقعيــة، وإنمــا باعتبــاره وســائل نفعيــة، يمكن الاســتفادة منهــا، واســتثمارها في الــدنيا وللدنيا، فإن تحقـق الاسـتثمار، فبهـا، وإلا رمي كمـا يـرمى كـل شيء لا منفعة فيه.

قـال آخـر: وهكـذا يـدعو حسـن حنفي إلى تطـوير الـدين، بحيث يتحول إلى وسيلة للدنيا، وللرفاه، لا وسيلة للتعـرف على الحقائق، والسلوك وفق مقتضياتها.

قال آخر: ولهذا، فإنه بعد بحثه في الـتراث والتـاريخ، وجـد أن (المعتزلة أفضل من الأشاعرة بالنسبة للعصر، فحاجتنــا إلى العقــل والحريــة.. والــدفاع عن الفلســفة القديمــة وحكمتهــا المنطقية والطبيعة والإلهية أفضل من رفضها)[1]

قال آخر: وهو يذكر ذلك ليوهم القارئ أنه يفضل المعتزلـة على الأشاعرة، ولكن الحقيقة غير ذلك، فهـو يرفضـهما جميعـا، لأنه يصور أن الواقع الحالي يحتاج تطورا أكثر، وجـرأة أكـثر في التعامل مع الحقائق الدينية، ولذلك طرح البديل عن علم الكلام

---

1 () نقلا عن: التنويريون والمؤامرة على الإسلام، ص 86.

المعروف بما سماه: لاهوت الثورة، ولاهـوت التحريـر، ولاهـوت التنمية، ولاهوت التقدم، والتي يرى أنها جميعـا (لا تقـل شـرعية عن نظريــة الــذات والصــفات عنــد الاشــاعرة، أو عن أصــلى التوحيد والعدل عن المعتزلة)

قال آخر: وقد عبر عن ذلك في كتابه [الحداثة والمعاصرة] بقوله: (والحقيقة أن الطبيعات والالهيات علم واحد مرة مقلوبـا إلى أسفل فتصـبح الطبيعـات، ومـرة مقلوبـا إلى أعلى فتصـبح الإلهيات)

قال آخر: ولهذا، فـإن اللـه عنـده (هـو الثـابت فى الكـون، والعـالم هـو الحركـة فيـه واجهتـان لشـىء واحـد.. لا يوجـد إلا العـالم، واللـه هـو دوامـه وبقـاءه واسـتمراره وقوانينـه وسـنته الثابتة، وإذا كان الطريـق إلى الفـوز والنجـاة والسـعادة الأبديـة فى نظرية الخلق هو تطبيق الشريعة وممارسة الشـعائر.. فإنـه فى نظرية قدم العالم العلم بقوانين الطبيعة من أجل السيطرة عليها وتسخيرها)

قال آخر: وبنـاء على ذلـك، فـإن الاعتبـار الأساسـي عنـده ليس لله، ولا لوحيه، ولا لشريعة، وإنما للمجتمـع، فــ (المجتمـع أولاً والوحي ثانياً.. والناس أولاً والقرآن ثانياً)[1]

قال آخر: وقد عبر عن ذلـك تحت عنـوان [أنسـاق العقائـد والنظم الاجتماعية] بقوله: (يمكن إفراز أنساق عقائدية جديـدة تلـبى مطـالب الظـروف الحاليـة وتطلعـات أجيالنـا الى التحـرر والحرية والعدالة الاجتماعية والوحـدة والتنميـة وتأصـيل الهويـة وحشد الجماهير. هم (القـدماء) رجـال ونحن رجـال نتعلم منهم ولانقتدى بهم. يمكن أن يكـون اللـه هـو الأرض حرصـاً من على تحرير الأرض وربطها بالألوهية وكما هو وارد بنص القرآن ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّــمَاءِ إِلَــهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَــهٌ وَهُــوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: 84]، ويمكن أن يكون الله هو الخبز والحريـة تعبـيرا عن حاجتنا إلى الغذاء والأمان طبقا لنص القرآن ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَـذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُـوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَـوْفٍ﴾ [قـريش: 3 ـ 4])[2]

قال آخر: وبناء على هذا كله، فإن الدين عنـده ليس سـوى منتج حضاري، يمكن تطـويره بحسـب الظـروف المختلفـة، بـل

---

1 () الحداثة والمعاصرة، حسن حنفي.
2 () الحداثة والمعاصرة، حسن حنفي.

يمكن هدمه من جذوره، وبناء دين جديد على أساسـه، لتتحقـق المنفعة التي هي الهدف الأكـبر من الـدين، وقـد قـال بصـراحة معبرا عن ذلك: (نشأ التصور الواحدى فى مجتمـع جـاهلى قبلى تتناحر فيه القبائل تعبيرا عن حاجة وتلبيـة لمطلب لـدى مجتمـع محدد فى لحظة تاريخية معينة)[1]

قال آخر: وقال في كتابه [دراسات إسلامية]: (علم العقائد إذن اختيـارات سياسـية محضـة، وليس علمـا مقدسـا، وكـل ظـروف تفـرض اختياراتهـا، وقـد تتم تحت ظروفنـا الحاليـة اختبارات أخرى. قد يكون من صالح الأمة الآن الـدفاع عن اللـه وتصوره باعتباره أرضا درءا للاحتلال وتحريرا للأرض)

قال آخر: وهكذا تحول الدين عنده من دين يبحث عن الله، وإقامة الصـلات الروحيـة بـه إلى دين يبحث في الإنسـان الـذي يعتبره صانعا لله، وليس الله هو الصانع للإنسان.

قال آخر: وهو يذكر أن حديثـه عن الـتراث لا يعـني بـه مـا أنتجه المسلمون طيلة تاريخهم من أبحـاث في الفقـه والعقائـد والتفسير وغيرها فقط، وإنما يعـني بـه القـرآن الكـريم والسـنة المطهرة أيضا، فهي عنـده من الـتراث الـذي يحتـاج إلى انتقـاء وإعــادة قــراءة، لا على أســس علميــة، وإنمــا على أســس براغماتية.

قال آخر: وبنـاء على هـذا المنهج البراغمـاتي، يتحـدث عن النبـوة قـائلا: (وهـل تجب النبـوة لحاجـات عمليـة أي للتنفيـذ والتحقيـق وأداء الرسـالة مـادام الإنسـان غـير قـادر على سـن القوانين وتأسـيس الشـرائع وإقامـة الـدول أو تجنيـد الجمـاهير وتوجيه الأمم وفتح البلدان، ألا يمكن للعقـل قيـادة المجتمعـات مثل قيـادة الإمـام لهـا، هنـاك أيضـا العقـل الاجتمـاعي والعقـل السياسي والعقل التاريخي لوضع القوانين وسـن الشـرائع.. إن العقل ليس بحاجة إلى عون، وليس هناك ما يند عن العقل. هل استطاعت النبوة أن تخفـف من نقـائص الإنسـان وهي أول من يعترف بها؟)

قال آخـر: وبنـاء على ذلـك ينكـر أن يكـون في القـرآن أي شريعة، فيقول: (ليس القرآن كتاب تحليـل وتحـريم، بـل كتـاب فكر وليس الغرض منه تغليف العـالم بقـوانين وتقييـد السـلوك الإنساني بقواعد، بـل مسـاعدة الطبيعـة على الازدهـار والحيـاة

1 () الحداثة والمعاصرة، حسن حنفي.

على النماء)

قال آخر: ويتمادى في ذلك؛ يقول: (البداية بالمحرمات، والتشديد في العقوبات، وإصدار قوائم للممنوعات، وجعل السلوك الإنساني تحقيقاً للنواهي دون ذكر للمباحات التي يمكن أن يتصل من خلالها بالطبيعة، وجعل العالم مواطن للشبهات لا يجوز للإنسان أن يحوم حولها خشية التردي فيها، هذا كله يمنع الثقة بين الإنسان والعالم، ويضع في الإنسان الخوف بدل الشجاعة، والإحجام بدل الإقدام، ويجعل الإنسان متشككاً في سلوكه، متهماً لنفسه، نادماً على ما فعل مما يرسخ في نفسه الإحساس بالذنب الناتج عن الإقتراب من التابو أو مجرد التفكير فيه، والوعي السياسي يتطلب القضاء على كل هذه المحرمات التي تخضع لتحليل العقل ولوصف الواقع، مما يعيد الثقة للإنسان بينه وبين العالم)[1]

قال آخر: وبناء عليه أيضا يتحدث عن رسول الله ﷺ باعتباره زعيما براغماتيا لا رسولا يحمل الحقائق والقيم المطلقة؛ فيقول: (النبي محمداً كان يحمل هم الوحدة الوطنية للقبائل العربية وتكوين دولة في الجزيرة العربية، وكانت له مشاكل مع اليهود والنصارى ومع المشركين أيضا، فجاء المشركون إليه بعرض جيد، وقالوا له: نعم أيها الأخ، ما المانع أن تذكر اللات والعزى لمدة سنة واحدة، وقل أنهم ليسوا آلهة.. فقال بينه وبين نفسه: إن هذا العرض يشكل بالنسبة لي كزعيم سياسي شيئا جيد، لأنه يحقق لي مصالحة مؤقتة مع العدو، وماذا يعني لو أنني ذكرت اللات والعزى لمدة سنة واحدة ثم أغير بعدئذ؟)

قال آخر: أما أحاديثه عن الله، فهي لا تختلف كثيرا عن مقولات اليساريين، ولو أنه يحاول كل حين تهذيبها حتى لا تصطدم بأولئك الذين يقدسونه دون أن يدركوا أهدافه، فهو يتحدث عن علماء الكلام وحديثهم عن الله قائلا: (مع أن علماء أصول الدين يتحدثون عن الله ذاته وصفاته وأفعاله، فإنهم في الحقيقة يتحدثون عن الإنسان الكامل ؛ فكل ما وصفوه على أنه الله إن هو إلا إنسان مكَبَّر إلى أقصى حدوده)

قال آخر: وبناء على ذلك كله؛ فإن النتيجة التي يرمي إليها من خلال مشاريعه جميعا، هي نفس النتيجة التي ينطلق منها

1 () التراث والتجديد، ص42.

جميع الحداثيين، هي إقصاء الدين إقصاء كليا من الحياة، وفي جميع مستوياتها، وقد عبر عن ذلك بقوله: (فإن قيل إن التراث والتجديد سيؤدي حتماً إلى حركة علمانية وفي العلمانية قضاء على تراثنا القديم وموروثاتنا الروحية وآثارنا الدينية، قيل قد نشأت العلمانية في الغرب استجابة لدعوة طبيعية تقوم على أساس رفض الصور الخارجية وقسمة الحياة إلى قسمين واستغلال المؤسسات الدينية للجماهير وتوطينها مع السلطة وحفاظها على الأنظمة القائمة نشأت العلمانية استرداداً للإنسان لحريته في السلوك والتعبير وحريته في الفهم والإدراك ورفضه لكل أشكال الوصاية عليه ولأي سلطة فوقه إلا من سلطة العقل والضمير، العلمانية إذن رجوع إلى المضمون دون الشكل وإلى الجوهر دون العرض، وإلى الصدق دون النفاق، وإلى وحدة الإنسان دون ازدواجيته وإلى الإنسان دون غيره.. العلمانية إذن هي أساس الوحي، فالوحي علماني في جوهره والدونية طارئة عليه من صنع التاريخ، تظهر في لحظات تخلف المجتمعات وتوقفها عن التطور، وما شأننا بالكهنوت والعلمانية ما هي إلا رفض له؟ العلمانية في تراثنا وواقعنا هي الأساس واتهامها باللادونية تبعية لفكر غريب وتراث مغاير وحضارة أخرى)

ز. أحمد القبانجي:

قال أحد الحضور: حدثتمونا عن السادس.. فحدثونا عن السابع.

قال أحد المبدلين: السابع هو أحمد القبانجي.. وهو من أصحاب الأهواء الذين غرتهم المطامع ليلقي عمامته السوداء، أو ليستعملها عمدا ليشوهها أعظم تشويه.

قال آخر: وقد بزغ نجمه في دولة الإمارات عام 2010م، حينما استدعي من طرف ولي عهد أبي ظبي ليلقي محاضرة بعنوان [الإسلام الأصولي والإسلام الحداثي]، والتي انتقد فيها الأحزاب والجماعات الإسلامية ذات التوجهات السياسية، حيث اعتبرها مسؤولة عن أفكار الاستبداد والانغلاق المعرفي الذي تعاني منه الشعوب العربية، وقد أعلن عنه حينها بأنه المفكر والباحث الكبير، وكان ذلك مقدمة لإشهار أفكاره في أبي ظبي وغيرها، مثلما كانت منطلقا لإشهار كل تلك الأفكار التي لا تهدم الجماعات الإسلامية فقط، بل تهدم معها الإسلام أيضا.

قال آخر: لا يحتاج منا هذا المبدل الذي أقر بإلحاده، بل بسخريته من الدين سوى أن ننقل لكم بعض مواقفه، والتي تمثل في حقيقتها النتيجة الطبيعية لكل المشاريع الحداثية[1].

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك قوله عن الجنة والنار: (إن الجنة والنارهي خلاف العقل ولا وجود لها، وإن ورود جهنم في القرآن هو لتخويف الانسان فقط، والوعد بالجنة هو لترغيب الانسان كي ينجذب الى الدين والايمان بالاسلام وبرسوله وكتابه)

قال آخر: وقال: (إن ماجاء به محمد ليس كلاما إلهيا وليس من الله، بل كلام ناتج عن عمق اتصاله مع الله ومع الناس؛ فأخذ يصوغ للناس كلاما نورانيا من ذهنه، وليست نصوصا مبلغا بها من الله)

قال آخر: وقال: (اعتبار الارض مسطحة، وكان يعتقد أن القمر خُلقَ ليكون مواقيت للناس فقط، حيث لايستعمل الآن للتوقيت لوجود التقاويم الحديثة والساعات وغيرها من الأجهزة، وأخطأ القرآن في أسباب خلق الجبال، فاعتبرها رواسي للأرض لاعتقاده أن الأرض تطفو على سطح المياه وبحاجة للرواسي كي لا تميد وتنزلق، وهذا ما ينفيه العلم الحديث)

قال آخر: وقال: (قال النبي محمد: [إن الله هو الضال والهادي]، فكيف يدعو الله الى الخير والشر، وهذا محال أن يناقض الله نفسه)

قال آخر: وقال: (إن ثقافة محمد ومعارفه استقاها من القس النصراني ورقة بن نوفل والأحبار اليهود وقسس النصارى الذين كانوا يلتقون به خلال أربعين سنة قبل البدء بدعوته، وأنه تزوج النصرانية خديجة بنت خويلد ابنة عم القس ورقة بن نوفل على الطقوس النصرانية، حيث أنه لم يطلقها ولم يتزوج عليها كما توصي تعاليم الدين المسيحي حيث عقد القس ورقة بن نوفل بنفسه عقد قِران محمد على خديجة بحضور عمه أبي طالب ولي أمر محمد)

قال آخر: وقال: (نحن لانحتاج الى الله خالق السماء والأرض، بل نبحث عن الله الخير نبحث عن الرب)

قال آخر: وقال: (ثبت أن القرآن ليس من الله لوجود

---

1 () انظر هذه النص وغيره في مقال بعنوان: الاسلام العقلاني والليبرالي عند الشيخ احمد القبانجي، صباح إبراهيم، الحوار المتمدن ــ العدد: 3569 ـ 2011 /12 /8 ـ 08:35، وهي موجودة في محاضراته على اليوتيوب.

الكثـــير من الأخطـــاء والتناقضـــات واللاابلاغيـــة واللاأخلاقيـــة واللاعلمية فيه.. ويصف القرآنُ اللهَ بأنـه جبـار ومـاكر وغضـوب وأن محمد يجسد الله ويجلسه على عـرش وكرسـي، وأن اللـه يعذب ويظلم ويسـتهزئ ويمكـر ويـأمر بالفسـق والقتـل وينتقم ويضل من يشاء، وهذه كلها صفات بشرية يتـنزه اللـه عنهـا، ثم يناقض محمد نفسه ويصف ربه انه ليس كمثله شئ.. لذلك فإن القـرآن هـو تفسـير محمـد لكلام اللـه، وليس هـو كلام اللـه.. فالآيات القرآنية هي صياغة بشرية لما يراه النبي من تفسيرات وجدانيـة.. والقـرآن كتـاب خطـابي وليس فلسـفي.. وهـو كلام موجه للهمج من العـرب، وأدلتـه ضـعيفة.. وكـل ماجـاء بـه من الأحكـــام والشـــرائع وقصـــص الأنبيـــاء مســـتوحى من التـــوراة والانجيل والـتراث المكتـوب مـا قبـل الاسـلام وليس فيـه شـئ جديد)

قال آخر: وقال: (إن محمدا هو من ابتـدع فكـرة أن يكـون خـاتم الانبيـاء وقـد انتظـر 18 سـنة كاملـة حـتى أتى بسـورة الاحزاب ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَـدٍ مِنْ رِجَـالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُـولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: 40] لأنه كان يعتقد أنه سـيرزق بولـد ليكون خليفته ونبيا من بعده، ولما يئس من أن يرزق بولد ذكـر، قال: (لانبي من بعدي) لخوفه من ظهـور أنبيـاء جـدد منافسـين كمسيلمة وسجاح ويغيروا من دينه وينكروا نبوته من بعده)

قال آخر: وقال: (إن ختم النبوة بمحمد يتنافى مع الحكمـــة الإلهية.. وأن القرآن ذكر أن الله سيرسـل رسـلا لهدايـة البشـر بعد محمد.. وهذا يدل على استمرار ارسال رسـل آخـرين قبـل وبعد محمد، حيث لا يعقل أن ينقطع اتصال الله بالبشـرية حـتى قيام الساعة)

قال آخر: وقال: (كان الاسلام كاملا في زمان محمد، والآن يعتبر الإسـلام ناقصـا لتطـور المجتمعـات والحضـارة والقـوانين التي لا تنطبق عليها أحكام وشريعة الاسـلام الغـابرة، فلا يجـوز أن تُعتـبر اليـوم المـراءة مسـاوية لنصـف الرجـل في الارث والشهادة، وهي تدير حكومات ووزارات وأبحاث علمية، وتـذهب في رحلات للفضاء الخارجي، ولا يجوز اليوم معاقبـة إنسـان مـا بقطع يده أو عنقه بالسيف)

قـال آخـر: وقـال: (لـو كـان القـرآن هـو المحـرك للعقـل البشري للتطور والتقدم لكان المسـلمون أرقى شـعوب الأرض

حضارة ورقيا، ولكن العكس هو الصحيح؛ فالحضارة ظهرت في أوربا بأبهى أشكالها وأفضل قوانينها، وبقى المسلمون متخلفين لحد الآن بسبب اتباعهم لأوامر القرآن والشريعة)

قال آخر: وقال: (في الجنة لايوجد كرم أو إيثار أو مواساة أو التنافس على العمل ولا إبداع او عمل الخير، فالناس في الجنة لا شغل لهم سوى نكاح الحوريات وشرب الخمر والعسل واللبن من الانهار، حيث لا وجود للصفات الانسانية هناك وهذه حياة حيوانية)

قال آخر: وقال عن الأحكام الشرعية: (إنها كانت صالحة في زمان النبي وبدء ظهور الاسلام، وهي لاتصلح لكل زمان ومكان، فالآيات جاءت لظروف محدودة ولزمن معين)

قال آخر: وغيرها من المقولات الكثيرة التي يرددها، وينشرها على وسائل التواصل الاجتماعي، وهو يرتدي عمامته السوداء، ليوهم الناس أن هذا هو قول الشيعة، ويزداد بذلك الصراع الطائفي بين المسلمين.

قال آخر: وللأسف؛ فقد انطلت الحيلة على الكثير من المسلمين الذين يعتبرونه بسبب تلك العمامة التي وضعها على رأسه، وبسبب البيئة التي ولد وعاش فيها مفكرا شيعيا.. ولسنا ندري هل يمكن لمتشيع أن ينكر الجنة والنار، وأن يقول بكل تلك الطروحات التي لم يقل بها شيعي في التاريخ جميعا.. ومع ذلك يحمل على الشيعة رغم أنوفهم كما حمل ياسر الحبيب، واللهياري وكل دجال وأفاك، لأن الحاكم ليس العقل ولا المنطق، ولا العدل، وإنما الحقد الذي نهانا الله عنه.

3. التبديل والحقائق:

بعد أن انتهى المبدلون التائبون من ذكر موقف أساتذتهم من القرآن الكريم، وتشكيكاتهم وتحريفاتهم وتبديلاتهم المرتبطة به، قام بعض الحضور، وقال: حدثتمونا عن التبديل والتنزيل؛ فحدثونا عن علاقة تلك التبديلات المدنسة بالحقائق القرآنية المقدسة.

قال أحد المبدلين: لقد كان الهدف من كل تلك التبديلات، وقبلها التشكيكات هو الوصول إلى هذه الغاية، والتي تعني استبدال الهداية الإلهية المعصومة المقدسة، بالغواية الشيطانية المنتكسة المدنسة.

قال آخر: ولذلك كان كـانت جهـودهم منصـبة على القـرآن الكريم لعلمهم أنه الكتاب الذي يحمل علم الهداية الإلهية، وأنـه الشمس التي تشع بهـا، وحبـل اللـه الممـدود لعبـاده، وسـفينة نجاته لهم.

قال آخر: ولذلك ــ بعـد أن عجـزوا عن تحريـف ألفاظـه أو التشكيك فيها ـ راحوا يستعملون التحريف والتبديل، ليجعلوا من ألفاظ القرآن الكريم وسيلة لأغراضهم التضليلية.

قال أحد الحضور: فحدثونا عن مجالات ذلك، وكيفيته.

قال أحد المبدلين: من خلال تلمذتنا الطويلة على أسـاتذتنا المبدلين، وجدنا أنهم يركزون جهودهم على أربع حقائق كـبرى، لا يمكن أن يفهم القرآن الكريم فهما صحيحا بعد تشويهها.

قال آخر: وأولها الإسلام، بتحريف معناه وتمييعـه، ليشـمل كـل من على وجـه الأرض، حـتى ذلـك الـذي لا يعتقـد في نبـوة رسول الله ﷺ، ولا يؤمن بالقرآن الكريم ولا بأحكام الشريعة.

قال آخر: وثانيها [الله]، فهم لا يعتبرونـه ركنـا أساسـيا في الدين.. بل فرعا من فروعه التي لا قيمة لهـا، لأن هـدف الـدين عندهم هو الإنسان لا الله.

قال آخر: وثالثها [النبوة]، فهم يحقرونها ويقزمون أدوارها، ويميعون معناها لتشمل من تشاء لهم أهواؤهم.

قال آخر: ورابعها [المعاد]، فهم لا يبـالون بـه، لأن هـدفهم هو الحياة الدنيا، ولذلك يؤولون ما شاءوا من شؤون المعاد، بل قد يسخرون منه، ومن المؤمنين البسطاء الذين يبنـون حيـاتهم على أساس الإيمان به.

أ. المبدلون والإسلام:

قـال أحـد الحضـور: وعينـا هـذا.. فحـدثونا عن المبـدلين وحقيقة الإسلام.

قـال أحـد المبـدلين: أول تبـديلهم لحقيقـة الإسـلام هـو تمييعهم لمفهومه، أو تطـبيق معنـاه العـام على معنـاه الخـاص، حتى يفقد حقيقته ولوازمه.

قال آخر: وهم يشبهون في ذلك مـا يفعلـه الكسـول الـذي تدعوه للتسبيح والذكر والسجود، فيقول لك: أوليس كـل شـيء يسبح الله ويذكره ويسجد له؟.. فإن قلت له: أجـل.. قـال: فأنـا من تلـك الأشـياء، وكـل أعضـائي وخلايـاي وذراتي تـذكر اللـه، وتسبح بحمده، وتسجد له.

قال آخر: وهكذا مفهوم الإسلام عندهم.. فـالمفهوم العـام للإسلام يتناول كل شيء.. فكل شيء طـوع لإرادة اللـه، وملـك لمشيئته، من شاء ذلك، أو من كـره، كمـا قـال تعـالى: ﴿أَفَغَيْـرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُـونَ وَلَـهُ أَسْـلَمَ مَنْ فِي السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًـا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: 83]

قال آخر: والذي يزعم أنه مسلم بهذا الاعتبار مـع التقصـير في حق الله، وفي الإيمان بما يقتضيه الإسلام الخـاص، لا يمكن أن نطلـق عليـه لقب [المسـلم]، ولـذلك لا يصـدق فيـه قولـه تعـالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْـرَ الْإِسْـلَامِ دِينًـا فَلَنْ يُقْبَـلَ مِنْـهُ وَهُـوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85]

قال آخر: ذلـك أن هـذا النـوع من الإسـلام مرتبـط بعقائـد وشرائع تضبطه، وتحميه من أن يصبح مجرد دعاوى لا دليل يدل عليها.. فـإذا مـا جـاء أحـد من النـاس إلى تلـك الضـوابط الـتي تحمي حمى الإسـلام، فـراح يتسـاهل فيهـا أو يتلاعب بهـا؛ فإنـه بذلك لن يبقي من الإسلام إلا اسمه، أما حقيقته، والتي تشـكلها المعاني التي يتكون منها، فإنها تزول بزوالها.

قال آخـر: فهـل يمكن أن يكـون هنـاك إسـلام من دون أن يكون فيه صلاة ولا صيام ولا حج ولا تلاوة ولا ذكر؟

قال آخر: وهل يمكن أن يكـون هنـاك إسـلام لا تحـرم فيـه الخمر ولا الخنزير ولا القمار ولا الربا، ولا الفواحش، ولا كـل مـا ورد في الشريعة تحريمه؟

قال آخر: وهل يمكن أن يكون هناك إسلام لمن يعتقـد في اللـه وملائكتـه وكتبـه ورسـله واليـوم الآخـر خلاف مـا ورد في القـرآن الكـريم من عقائـد واضـحة صـريحة، تثبت الكفـر لمن جحدها وعاندها بعد أن سمع بها؟

قال آخر: هذه أمور واضحة جدا، والنصوص المقدسة كلهـا من القــرآن الكــريم والســنة المطهــرة المتفــق عليهــا عنــد المــدارس الإسـلامية جميعـا تـدل عليهـا، لكن مـع ذلـك يـأتي أساتذتنا الحداثيون ليشككوا في ذلك كله.

قال آخر: لقد استطاع أساتذتنا المبـدلون الـذين يتلاعبـون بالألفاظ، وباستخدام القـرآن الكـريم، وبقواميسـهم الذكيـة، أن يغيروا معنى الإسلام تغييرا تاما ليشمل كل البشر، حـتى الـذين سمعوا برسول الله ﷺ ثم أصروا على جحوده وإنكار الإيمان بـه واتباعه.

قال آخر: ومن أحسن الأمثلة على ذلك ما فعله شحرور في كتبه المتعددة، خاصة في كتابه [الإسلام والإيمان ـ منظومة القيم]، والذي استعرض فيه الآيات القرآنية التي تذكر الإيمان والمؤمنين والإسلام والمسلمين، وما ناقضهما من الصفات، ليهدم بها الإسلام كله.

قال آخر: وقد عبر عن ذلك بقوله: (ثمة العديد من آيات التنزيل الحكيم، تجدنا فيها أمام مصطلحات هي: الإسلام/ المسلمون، والإيمان/المؤمنون، والتقوى/المتقون، تقابلها في جانب آخر مصطلحات هي: الإجرام/المجرمون، والكفار/الكافرون، والشرك/ المشركون، ونفتح المعاجم والتفاسير وكتب الأصول، فتجدنا أمام خلط واضح بين الشرك والكفر والإجرام، وأمام ثنائية غائمة لا تفرق بين المسلم والمؤمن، والإسلام والإيمان، وتجعل المسلمين مؤمنين والمؤمنين مسلمين والجميع أتباع محمد ﷺ)[1]

قال آخر: ثم بدأ بالآيات التي تتحدث عن الآيات التي اجتمع فيها لفظ المسلمين والمؤمنين في محل واحد، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب: 35]، وقوله: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: 5]، وقوله: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: 14]، ثم علق عليها بقوله: (ونفهم من الآيات أمرين، الأول أن المسلمين والمسلمات شيء، والمؤمنين والمؤمنات شيء آخر، والثاني أن الإسلام يتقدم دائماً على الإيمان ويسبقه)[2]

قال آخر: ثم استعرض آيات أخرى تشمل إسلام وإيمان الأمم السابقة، كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: 67]، وقوله: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 132]، وقوله حكاية عن دعاء يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

---

1 () الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

2 () الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ [يوسف: 101]، وقوله حكاية عن سحرة فرعون: وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ [الأعراف: 126]، وقوله عن فرعون: وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ [يونس: 90]، وقوله في قصة لوط عليه السلام: فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ [الذاريات: 35 ـ 36]

قال آخر: ثم علق عليها بقوله: (ونفهم من الآيات في تسلسلها أعلاه، أن إبراهيم ويعقوب والأسباط ويوسف وسحرة فرعون والحواريون ونوحاً ولوطاً، كانوا من المسلمين، وأن فرعون حين أدركه الغرق نادى بأنه منهم، وهؤلاء جميعاً لم يكونوا من أتباع محمد ﷺ، فالحواريون من أتباع عيسى عليه السلام وسحرة فرعون من أتباع موسى عليه السلام، ونفهم من هذا كله أن الإسلام شيء والإيمان شيء آخر، وأن الإسلام متقدم على الإيمان سابق له، وأن المسلمين ليسوا أتباع محمد ﷺ حصراً)[1]

قال آخر: ثم يتساءل قائلا: (إن كانت الشهادة برسالة محمد ﷺ، والشعائر من أركان الإسلام، فكيف يصح إسلام فرعون وهو لم يلتق إلا بموسى عليه السلام، وإسلام الحواريين وهم لم يعرفوا سوى المسيح عيسى بن مريم، وإسلام غيرهم ممن أثبت التنزيل الحكيم إسلامهم فيما ذكرنا من آيات، وهم جميعاً لم يسمعوا بالرسول الأعظم، ولم يصوموا رمضان، ولم يحجوا البيت؟)[2]

قال آخر: وقد كان في إمكانه أن يجيب على هذا بما أجابه به كل العلماء وفي كل العصور، من أن إسلامهم كان معتبرا، لأنهم كانوا قبل رسول الله ﷺ، لكن بعد مجيئه؛ فإنه لا يتحقق الإسلام إلا بطاعته واتباعه، وهذا ليس خاصا برسول الله ﷺ، بل هو عام لكل الرسل، فلا يمكن تحقق الإسلام في كل عصر إلا بالإيمان بنبي ذلك العصر، ولهذا قال الله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ [النساء: 64]

1 () الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.
2 () الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

قـال آخـر: لكن هـذا الفهم لا يخـدم مشـروعه التـدميري والتمييعي للإسلام؛ فلـذلك راح يتهجم بشـدة على كتب الـتراث التي ذكرته، يقول في ذلك: (لقد أقامت كتب الأصول والأدبيات الإسـلامية أركانـاً للإسـلام من عنـدها، حصـرتها في خمس، هي التوحيد والتصديق برسالة محمد ﷺ والشعائر، مستبعدة العمـل الصالح والإحسان والأخلاق من هـذه الأركـان، فـالتقت، دون أن تقصد، بالعلمانيين والماركسـيين من أصـحاب مشـاريع الحداثـة والتجديد، كما أسـلفنا، ووقعت دون أن تقصـد أيضـاً، فيمـا وقـع فيه اليهود والنصارى)[3]

قال آخر: ولسنا ندري من أين له هذا، وكتب التراث كلهـا، تتحدث عن الأخلاق الفاضلة والقيم الرفيعة، وتربطهـا بالإسـلام، وتعتبرها أركانا له، من غير أن تلغي الأركان الشعائرية الأخرى.

قـال آخـر: لكن شـحرورا لا يهتم بهـذا، لأن قصـده ليس الاهتمـام بـالقيم الأخلاقيـة، وإنمـا اسـتعمالها وسـيلة لضـرب الشـرائع والشـعائر الـتي تمثـل الإسـلام المحمـدي، والـذي هـو الإسلام الوحيد الذي يجب اتباعه، كمـا قـال تعـالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَـغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِـرِينَ﴾ [آل عمـران: 85]، وهي الآية الواضحة في دلاتهـا، والـتي عقب اللـه تعالى عليها بقوله: ﴿كَيْفَ يَهْـدِي اللَّهُ قَوْمًـا كَفَـرُوا بَعْـدَ إِيمَـانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَـاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْـدِي الْقَـوْمَ الظَّالِمِينَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَـةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَـةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِـدِينَ فِيهَـا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَـذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَـرُونَ﴾ [آل عمران: 86 ـ 88]

قال آخر: لكن شحرورا لم يرتض هذا، وراح يستدل بقولـه تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـارَى تِلْـكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُـوَ مُحْسِـنٌ فَلَـهُ أَجْـرُهُ عِنْـدَ رَبِّهِ وَلَا خَـوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقـرة: 111 ـ 112] في تمـييع مفهـوم الإسـلام وأركانـه، يقول ـ معلقا على الآيـة الكريمـة ـ: (فـاليهود يحصـرون الجنـة بـاليهود، ومـا عـداهم في النـار، والنصـارى يحصـرون الجنـة بالنصارى وما عداهم في النار، والتنزيل يعتبر ذلـك كلـه أوهامـاً منهم لا برهـان عليهـا، ويصـحح لهم أوهـامهم بصـراحة لا لبس فيها، قائلاً أن الجنة يـدخلها كـل من ﴿بَلَى مَنْ أَسْـلَمَ وَجْهَـهُ لِلَّهِ

3 () الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

وَهُــوَ مُحْسِــنٌ فَلَــهُ أَجْـرُهُ عِنْـدَ رَبِّهِ وَلَا خَــوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [البقرة: 112]، وتأتي أركان الإسلام الموضوعة لتقول: لا يقوم الاسلام إلا على التصديق برسالة محمد ﷺ، وعلى الصـلاة والزكاة والصيام والحج، وهذا هو الإسلام الذي لا يقبل الله، في زعمهم، غيره، ولا يدخل الجنـة إلا أصـحابه، ونسـأل نحن: أليس هذا بالضبط ما قالته اليهود والنصارى، فتصدى لهم سـبحانه في التنزيل؟)[1]

قـال آخـر: ثم راح يسـتعمل المنهج الـذي اعتمـده، والـذي يسـتعمل التبـاين في الألفـاظ وسـيلة للتبـاين، لا في المعـاني فقط، بل في مسـمياتها أيضـا، فيقـول: (لقـد تم اعتبـار الصـلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيع من أركـان الإسـلام، فـإذا مـا فتحنا التنزيل الحكيم، وجـدناه يكلـف المؤمـنين بهـذه الشـعائر، وليس المسلمين)[2]

قال آخر: ثم اسـتعرض بعض الآيـات الـتي تربـط الشـعائر والشــرائع بالإيمــان، كقولــه تعــالى: إِنَّ الصَّــلَاةَ كَـانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًـا [النسـاء: 103]، وقولـه: وَأَقِيمُـوا الصَّـلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِـكُمْ مِنْ خَيْـرٍ تَجِـدُوهُ عِنْـدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُـونَ بَصِـيرٌ [البقـرة: 110]، وقولـه: وَأَقِيمُـوا الصَّـلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ [النور: 56]، وقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [البقرة: 183]

قــال آخــر: ثم راح يتســاءل: (لمــاذا تم اســتبعاد الجهــاد، والقتــال، والقصــاص، والشــورى، والوفــاء بــالعقود والعهــود، والعديد العديد من الأوامر والتكاليف، من أركان الإسلام، مع أن حكمها واحد في الآيات كحكم الصلاة والزكاة والصـيام والحج؟)[3]

قــال آخــر: ثم اســتعرض بعض الآيـات الـتي تتحـدث عن صفات المؤمنين، كقوله تعالى: وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ [الأنفـال: 74]، وقوله: إِنَّمَـا الْمُؤْمِنُـونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَـابُوا وَجَاهَـدُوا بِـأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِـهِمْ

---

1 () الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.
2 () الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.
3 () الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: 15]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ [البقرة: 178]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: 267]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 130].. وغيرها.

قال آخر: ثم علق عليها بقوله: (كما نجد أنفسنا، مع أركان الإسلام المزعومة التي تضم الشعائر فقط، أمام تحريف خطير لما ورد في التنزيل الحكيم، فالدين عند الله الإسلام، لا يقبل ديناً غيره.. ولكن الدين الإسلامي عند الله دين الفطرة الإنسانية التي فطر سبحانه الخلق عليها، بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 30].. ولا بد أن تكون أركان هذا الإسلام، بدليل قوله تعالى، فطرية مقبولة، تتماشى بشكل طبيعي مع ميول الخلق) [1]

قال آخر: وهكذا راح يستعمل مصطلح [الفطرة] ليلغي به الإسلام، وقد قال في ذلك متسائلا: (فهل الشعائر (إقامة الصلاة ـ الصوم ـ حج البيت ـ الزكاة) التي افترضوا أنها من أركان الإسلام، فطرية؟ تتجه إليها النفوس والأرواح والعقول مدفوعة بفطرة الخلق؟)[2]

قال آخر: ثم راح يبرهن على أنها ليست من الفطرة، ويستدل بذلك على كونها ليست من الإسلام، يقول في الزكاة: (لنأخذ الزكاة مثلاً، لنجدها ضد الفطرة الإنسانية تماماً!!.. فالزكاة إخراج للمال وإنفاق له، بينما جبل الله خلقه على كنز المال وحبه، كجزء من أجزاء غريزة حب البقاء، يقول تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: 20]، وقوله: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ [البقرة: 177]، وقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: 19 ـ 21])[3]

---

1 () الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.
2 () الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.
3 () الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

قال آخر: ومثلما أخرج الزكاة من الإسلام بسبب عدم فطريتها كما يزعم، أخرج الصوم، فقال: (ولننظر إلى الصوم كمثل آخر، لنجده يتعارض مع الفطرة، ومع غريزة حب البقاء، تعارضاً عمودياً!!.. فالأصل في الفطرة أن يأكل المرء حين يجوع، ويشرب حين يعطش، ويطلق للسانه العنان سباً وشتماً حين يغضب، أما الصوم فهو تهذيب لهذه الوجوه الوحشية البهيمية من الفطرة، وقمع لهذه الغرائز التي أوجدها الخالق في الخلق لحماية النوع والحفاظ على البقاء)[1]

قال آخر: وهكذا راح يخرج الجهاد في سبيل الله، ويعتبر عدم انسجامه مع الفطرة، ولذلك هو لا ينسجم عنده مع الإسلام، فقال: (ثمة مثال ثالث، لم يرد عند واضعي أركان الإسلام، رغم أنه تكليف أمر الله به المؤمنين، هو القتال، في هذا المثال يوضح سبحانه ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: 216]، أن القتال كتب على المؤمنين كما كتب على الذين من قبلهم، مما يذكرنا بآية الصوم التي تنص على أن الصيام كتب على المؤمنين كما كتب على الذين من قبلهم، ويذكرنا بأن الصلاة ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: 103]، لكن هذه الآية ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: 216] تزيد فتوضح بما لا يقبل الشك بأن الله يأمر المؤمنين بالقتال وهو كره لهم، صدق الله العظيم)[2]

قال آخر: ثم عقب على ذلك كله بقوله: (فالقتال ضد الفطرة، والزكاة ضد الفطرة، والصيام ضد الفطرة.. وباختصار، الشعائر كلها ضد الفطرة.. ولو كانت من الفطرة لما أنزلها تعالى في محكم كتابه، وكلف المؤمنين بها تكليفاً، ولترك الخلق يؤدونها بفطرتهم دون أمر منه، تماماً كما تمتنع البقرة عن أكل اللحم، بفطرتها التي فطرها الله عليها)[3]

قال آخر: وبعد أن أخرج تلك الشعائر والشرائع من الإسلام بسبب انسجامها مع الفطرة راح يبحث عن الأركان الحقيقية للإسلام كما يتصور، فقال مقدما لها: (لقد اقتصرنا حتى هذه لسطور، على دحض مزاعم واضعي أركان الإسلام الخمس، وعلى تنبيه القائلين بها إلى مخالفة ذلك للتنزيل

---

1 () الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.
2 () الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.
3 () الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

الحكيم.. ولكن هل وضع التنزيل أركاناً للإسلام؟.. وما هي؟)[1]

قال آخر: ثم راح يستعرض آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 62]، وقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33]، وقوله: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 112]، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: 108]، وقوله: ﴿قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 90]، وقوله: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 128]، وقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: 125]، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ [المائدة: 44]

قال آخر: ثم علق عليها بقوله: (ومن هذه الآيات وغيرها كثير، نفهم أن الإسلام هو التسليم بوجود الله، وباليوم الآخر، فإذا اقترن هذا التسليم بالإحسان والعمل الصالح، كان صاحبه مسلماً، سواء أكان من أتباع محمد ﴿الذين آمنوا﴾ أو من أتباع موسى ﴿الذين هادوا﴾ أو من أنصار عيسى ﴿النصارى﴾ أو من أي ملة أخرى غير هذه الملل الثلاث كالمجوسية والشيفية والبوذية ﴿الصابئين﴾)[2]

قال آخر: وهو لا يقصد من هذا ما اتفق عليه جميع المسلمين من أن المقصود بإسلام هؤلاء أو نجاتهم في القرآن الكريم مرتبط بكونهم في أزمنة سبقت الإسلام، ولم يعرفوا دينا إلا تلك الديانات، فهم غير مكلفين إلا بها، أو لكون بعضهم في أقصى الأرض، ولم يتهيأ لهم أن يسمعوا بالإسلام، فهم غير مؤاخذين بسبب ذلك.

قال آخر: ومثل ذلك ما ورد في قوله تعالى عند الحديث عن بني إسرائيل: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: 159]، فهو لا يقصد وجودهم في كل الأزمنة،

[1] () الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.
[2] () الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

وإنما يقصد وجودهم في الأزمنة السابقة قبل رسالة رسول الله ﷺ، لأنه بعد إرسال الله له صار على الجميع وجوب اتباعه.

قال آخر: وبعد تأويله لتلك الآيات الكريمة، وتمييع الإسلام من خلال فهمه لها، ليشمل جميع الأديان، وفي كل الأزمان، راح يبحث عن الأركان التي تمثل ذلك الإسلام الذي يشمل الجميع، ومن دون استثناء، ويستدل لها بقوله تعالى في أول سورة البقرة: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: 2 ـ 3]، ولا ينسى كعادته، وكعادة المبدلين عدم إكمال الآيات مع كونها في سياق واحد؛ لأن إكمالها يعرض نظريته جميعا للسقوط؛ فتتمة تلك الآيات هي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 4 ـ 5]، وهي تدل على اعتبار الإيمان برسول الله ﷺ ركنا من الدين، ثم تعقب على ذلك بتكفير من لا يتحقق بذلك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: 6 ـ 7]

قال آخر: هو يتجاهل تلك الآيات، ويكتفي بالجزء الأول منها، ويعقب عليه بقوله: (نفهم أن الغيب هنا هو الله واليوم والآخر، وأن العمل الصالح والإحسان هو أركان الإسلام، فإذا فهمنا ذلك كله، رأينا منطقياً وطبيعياً أن يقول سبحانه إن الدين عنده هو الإسلام، وأنه لا يقبل ديناً غيره، إذ كيف يقبل الخالق من عباده ديناً هو غير موجود فيه بالأصل)[1]

قال آخر: وبناء على هذا راح يفرق بين الإسلام والإيمان، فقال: (إذا فهمنا ذلك، ورأينا هذا، انتبهنا إلى أن التنزيل الحكيم حين يتكلم عن الإيمان، وعن الذين آمنوا، فهو يتحدث عن نوعين من الناس، أو لنقل نوعين من الإيمان، أولهما الإيمان بالله واليوم الآخر، وهو الإسلام، وثانيهما الإيمان بمحمد ﷺ ورسالته)[2]

قال آخر: ثم يستخلص من هذا أركان الإسلام الذي لا يشترط الإيمان برسول الله ﷺ، ولا اتباعه، وهي ـ كما يذكر ـ

1 () الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.
2 () الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

ثلاثة أركان، هي (الإيمان تسليماً بوجود اللـه، والإيمـان تسـليماً باليوم الآخر، ولاحـظ معي هنـا أن التسـليم بـاليوم الآخـر يعـني ضمناً التسـليم بـالبعث، أي أن الإيمـان باللـه واليـوم الآخـر هي المسلمة التي لا تقبل النقاش عنـد المسـلم، وهـذه هي تـذكرة الدخول إلى الإسـلام، والعمـل الصـالح والإحسـان.. ونتـبين في هذه الأركان الثلاثة جانبين: جانب نظري بحت هو الإيمـان باللـه واليــوم الآخــر، وجــانب منطقي عملي هــو العمــل الصــالح والإحســان، إذ لا معــنى للإيمــان النظــري دون ســلوك عملي ينعكس فيه ويتجلى من خلاله)[1]

قال آخر: وهكذا راح يحلل معنى العمـل الصـالح المرتبـط بالإسلام من خلال تحليله لمعـنى الإجـرام والمجـرمين، فيقـول: (فـإذا أردنـا تعميـق فهمنـا للإسـلام والمسـلمين في التنزيـل الحكيم، فمـا علينـا إلا أن ننظـر في تعريـف المصـطلح المضـاد للإسـلام وهـو الإجـرام، والمصـطلح المضـاد للمسـلمين وهـو المجرمين في قوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَـا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: 35 ـ 36])

قال آخـر: ثم راح يتحـدث عن هـذا المصـطلح في القـرآن الكريم لا ليحـذر من الإجـرام، ويـذكر خطورتـه، وإنمـا ليختزلـه فقط في نواح معينة، مثلمـا اخـتزل مفهـوم الإيمـان والإسـلام، يقول مقدما لذلك: (لقد ورد الأصل [جرم] ومشـتقاته 67 مـرة في التنزيل الحكيم، وهو أصل واحـد في اللسـان العـربي يعـني القطع، ومنه سـميت الأجـرام السـماوية أجرامـاً لأنهـا منفصـلة مقطوع بعضها عن بعض، ومنه جاء قوله تعـالى: ﴿لَا جَـرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِـرَةِ هُمُ الْخَاسِـرُونَ﴾ [النحـل: 109]، أي أن خسـارتهم في الآخرة أمر مقطـوع مبتـوت بـه، وإذا كـان المصـطلح القـانوني المتداول اليوم، يسمي السارق والقاتل والغاضب مجرمـاً، فـإن الأصـل في ذلـك أن المجـرم هـو الـذي قطـع صـلته بـالمجتمع وقوانينه وانطلق يجري على هواه، تماماً كـالمجرم في التنزيـل الحكيم، الـذي قطـع صـلته باللـه، فـأنكر وجـوده، وكفـر بـاليوم الآخر، وكذب بالبعث والحساب، وهو ما نطلق عليـه بمصـطلحنا المعاصر اسم [الملحد])[2]

قـال آخـر: ثم اسـتعرض الآيـات الـتي تتحـدث عن عاقبـة

---

1 () الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

2 () الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

المجـرمين، كقولـه تعـالى: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُـونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف: 53]، وقوله: ﴿وَامْتَازُوا الْيَـوْمَ أَيُّهَـا الْمُجْرِمُـونَ﴾ [يس: 59]، وقولـه: ﴿يُعْـرَفُ الْمُجْرِمُـونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الـرحمن: 41]، وقوله: ﴿وَلَـوْ تَـرَى إِذِ الْمُجْرِمُـونَ نَاكِسُـو رُءُوسِـهِمْ عِنْـدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَـا أَبْصَـرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُـونَ﴾ [السـجدة: 12]، وقولـه: ﴿وَأَمْطَرْنَـا عَلَيْهِمْ مَطَـرًا فَـانْظُرْ كَيْـفَ كَـانَ عَاقِبَـةُ الْمُجْـرِمِينَ﴾ [الأعراف: 84]، وقوله: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْـفَ كَـانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [النمل: 69] ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: 18 ـ 19]، وغيرها من الآيات الكريمة.

قال آخر: ثم علق عليها بقوله: (ونحن هنا مع الآيـات أمـام صـور تصـف مجـرمين ينكـرون البعث، ويكفـرون بوجـود اللـه، ويكـذبون بـاليوم الآخـر، قـاموا من أجـداثهم بعـد نفخـة الصـور الثانية، فرأوا رأي العين ما كانوا يكذبون بوجوده، فبهتوا دهشة، وبأن ذلك على وجـوههم، إلى حـد لا يحتـاجون معـه إلى سـؤال وجواب، فهم يؤخذون بدلالة مـا ارتسـم على وجـوههم، ليصـلوا النار التي كانوا بها يكذبون، أمـا لمـاذا لا يسـأل المجرمـون عن ذنوبهم، فسببه واضـح تمامـاً، أولاً لأن المجـرم إنسـان ملحـد لا يؤمن بوجود الله، وهذا وحده كاف لأن يعطيه تذكرة مـرور إلى جهنم دونما حاجة إلى ميزان أو حساب، إذ ليس لـه بالأصـل أي حسـاب مفتـوح عنـد اللـه بحكم قطعـة لصـلته بـه، وثانيـاً لأن الذنوب مع الله كترك الصـلاة وإفطـار رمضـان وإخسـار الكيـل وتطفيف الميزان، ذنوب قابلة للأخذ والرد والتكفـير والمغفـرة، لو أن صاحبها آمن مبدئياً بالله واليوم الآخر، أما مع المجــرم فلا حاجة للسؤال عن الذنوب، وقد تحقق الاجـرام باللـه والتكـذيب بيوم الدين، وقطع الصلة مع الله واليوم الآخر)[1]

قال آخر: وهكـذا يختصـر الإجـرام عنـده في عـدم الإيمـان بوجـود اللـه، وعنـدما يعترضـه قولـه تعـالى في وصـف أعمـال المجرمين والتي تتضمن بعض الشعائر: ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَـا سَـلَكَكُمْ فِي سَـقَرَ قَـالُوا لَمْ نَـكُ مِنَ الْمُصَـلِّينَ وَلَمْ نَـكُ نُطْعِمُ الْمِسْـكِينَ وَكُنَّا نَخُـوضُ مَـعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الـدِّينِ﴾ [المـدثر: 39 ـ 46] راح يـؤول مـا ورد فيها من الشعائر لتنسجم مع الإسلام الذي توهمه.

1 () الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

قال آخر: وقد قال في ذلك: (الصورة هنا لأصحاب اليمين في الجنة، يسألون المجرمين ماذا أوصلكم إلى النار؟ فيجيب المجرمون: لأننا لم نعتنق الإسلام نظرياً وعملياً، لم نسلّم بوجود الله فقطعنا صلتنا به ﴿لم نك من المصلين﴾ ولم نسلّم باليوم الآخر ﴿وكنا نكذب بيوم الدين﴾، ولم نقدم عملاً ينفع الخلق ﴿لم نك نطعم المسكين﴾ بل علمنا ما يسيء ويضر ﴿وكنا نخوض مع الخائضين﴾، إلى أن رأينا يقيناً كل ذلك حاضراً، فانتهينا إلى ما ترون)[1]

قال آخر: وهكذا يؤول كلمة الصلاة لتعني عنده عدم التسليم بوجود الله وقطع الصلة به، ويستدل لذلك بقوله: (لقد ذهب بعض المفسرين إلى أن المصلين في الآية هم مقيمو الصلاة، إلا أننا حين رجعنا إلى آيات التنزيل الحكيم، لم نجده يطلق اسم المصلين على القائمين بالصلاة هذا من جهة، من جهة أخرى ترك الصلاة أو الصيام لا علاقة له بالإيمان بالله واليوم الآخر، ومرتكبوها ليسوا مجرمين، بحيث ينطبق عليهم وصف التنزيل الحكيم، نقول هذا ونحن نستذكر قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّين فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَام الْمِسْكِينِ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: 1 ـ 7]، فالشبه كبير بين سورة المدثر وسورة الماعون، لأن التكذيب بيوم الدين كالكفر بوجود الله، يخرج الإنسان من دائرة الإسلام إلى دائرة الإجرام، ولهذا فنحن أميل إلى أن المقصود في السورتين بالمصلين، هو الصلة وليس الصلاة)[2]

قال آخر: ثم يستدل لذلك بأنه (لا خلاف في أن سورة المدثر وسورة الماعون من السور المكية، بينما نزلت الصلاة في المدينة المنورة، فكيف يعقل أن يعتبر الوليد نفسه تاركاً لأمر لم يعاصر التكليف به، بل والأكثر من ذلك، أن يعتبرها أحد أسباب دخوله النار، علماً أن ذلك الوقت لم يكن الصحابة أنفسهم قد أقاموا الصلاة)[3]

قال آخر: وهكذا راح يستعمل كل الحيل ليخرج الصلاة من الإسلام، ويخرجها بالتالي من الحساب والعقاب في الآخرة، لأن

---

1 () الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.
2 () الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.
3 () الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

الله يوم القيامة سيعاقب عباده فقط على إنكارهم لوجوده، وليس عن شيء آخر.. وهو مع ذلك يتساهل في هذا أيضا، حين يعتبر ستيفن هوكينغ الذي كان يدعو إلى الإلحاد في مقام الشهداء والأنبياء.

قال آخر: ثم يختم ذلك كله ببيان تفرد طرحه هذا عن كل الطروحات السابقة، فيقول: (ونعود لنختم قولنا في الإسلام وأركانه، بوقفه لا بد منها، تبين أسباب اختلاف ما وصلنا إليه من أركان للإسلام، عما هي عليه في كتب الأصول والأدبيات الإسلامية التراثية، فلقد انطلقنا من منطلق إنكار الترادف في اللغة، فإذا كان الكتاب عندنا غير القرآن، والبعد غير النأي، والذهاب غير المضي، فالأحرى أن يكون الإسلام غير الإيمان)[1]

قال آخر: ثم راح يستعرض كل الأحاديث التي تعتبر أركان الإيمان هي نفسها أركان الإسلام، ويردها جميعا، كما رد قبلها إجماع المسلمين، لأن أطروحته لا يمكن أن تتم أو تنطلي على أحد يؤمن بهذين المصدرين.

قال آخر: وبعد استعراض للأحاديث الكثيرة التي تقوض أطروحته، عقب عليها بقوله: (التراث البشري الإنساني يبقى تراثاً خاضعاً لما يخضع له التراث من عاديات التلف والضياع، واحتمال الغلط والسهو والنقص، والتأثر بالأهواء السياسية والاجتماعية والثقافية)[2]

قال آخر: وعند التأمل في طرحه هذا، نجد الانتقائية في التعامل مع آيات القرآن الكريم، وتحميلها ما لا تحتمل، ولذلك يمكن بالرجوع للقرآن الكريم وحده الرد عليه، وبيان تهافت أطروحته، وبنفس المنهج الذي يعتبره.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره من الاستدلالات حول إسلام أهل الكتاب، وفي كل العصور، مع أنه لو تدبر القرآن الكريم والآيات التي تتحدث عن أهل الكتاب، لعرف شرط إسلامهم، ومنها الآيات الداعية لإقامة التوراة والإنجيل، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [المائدة: 68]، والتي عُقبت مباشرة بما يزيل الفهم السيء الذي قد يفهم منها؛

1 () الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

2 () الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

فالله تعالى عقب ذلك بقوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: 68]، حيث اعتبرهم كافرين لإعراضهم عما أنزل من القرآن الكريم.

قال آخر: وبذلك فإن الذي يقيم التوراة والإنجيل مضطر معهما لإقامة القرآن الكريم، حتى لا يكون من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: 85]

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك، فقد أخبر القرآن الكريم في مواضع كثيرة عن نوع الإقامة التي طلبها منهم، ومنها ما ورد في الكتاب المقدس من البشارات به ﷺ، ووجوب اتباعه، وهي كثيرة جدا، وقد أشار إليها القرآن الكريم في مواضع منه، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157]، بل أخبر أنه قد ورد في الكتاب المقدس من التفاصيل المرتبطة به ﷺ ما يجعلهم موقنين به، غير شاكين فيه، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 146]

قال آخر: ومنها ما ورد فيها من الوصايا الأخلاقية كالوصايا العشر، ونحوها، والتي وردت جميعا في القرآن الكريم الذي هو المهيمن على الكتب، والحاوي لكل ما فيها من قيم نبيلة، ومعارف سامية.

قال آخر: بالإضافة إلى هذا، فقد أخبر القرآن الكريم أن هناك تحريفات حصلت في هذه الكتب، وأن أهل الكتاب كانوا يشترون بتحريفها ثمنا قليلا، فهل يعقل أن يأمر الله تعالى أهل الكتاب بأن يقيموا ما حرف من كتابهم: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 75]

قال آخر: فإذا كان ذلك حقيقة مقررة، فكيف نجيز لأحد

من أهل الكتاب أن يظل على دينه، بل يعتقد بما ورد فيه من تجسيمات وخرافات وأباطيل.. ونعتبره مسلما بسبب ذلك؟

قال آخر: والخلاصة التي ننتهي إليها من مفهوم الآية هي أن هذه الآية الكريمة تدعو أهل الكتاب للعودة لكتابهم المقدس ليتمثلوا القيم النبيلة الموجودة فيه، ويتمثلوا ما ورد فيه من أوامر باتباع الرسول الخاتم الذي تكاد الكثير من الأسفار تصرح به.. وهي لا تعني بذلك اكتفاءهم بما فيها عن اتباع الرسول ﷺ.

قال آخر: ومثل ذلك مثل من يخاطب سياسيا يراه قد انحرف عن مشروعه السياسي الذي طرحه، بالعودة إلى مشروعه والعمل بما فيه، مما كان قد وعد به، وذلك لا يعني أن مشروعه معصوم، أو أنه كاف، وإنما هو نوع من التنزل في مخاطبة الآخر.

قال آخر: وهو منهج قرآني في الحوار، فقد قال تعالى في مخاطبة المشركين: ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: 25]، فهل يمكن الاستدلال بهذه الآية الكريمة على أن المسلمين كانوا مجرمين؟

ب. المبدلون والله:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن المبدلين، وموقفهم من الله.

قال أحد المبدلين: لم يكتف المبدلون بتبديل معنى الإسلام وتمييعه وإلغاء كل الأركان والقيم التي يقوم عليها، وأولها اتباع رسول الله ﷺ.. بل إنهم أضافوا إليه احتقارهم للإيمان بالله، بل دعوة بعضهم المبطنة إلى الإلحاد شعروا أو لم يشعروا.

المثال الأول:

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما يذكره متكلم المبدلين وأصوليهم حسن حنفي، الذي بدل كل الألفاظ والاصطلاحات الشرعية لتتناسب مع الفلسفات المادية التي يؤمن بها، ومن تصريحاته في هذا قوله: (إن لفظ (الله) يحتوي على تناقض داخلي في استعماله باعتباره مادة لغوية لتحديد المعاني أو التصورات، مطلقاً يراد التعبير عنه بلفظ محدود).. ويقول: (فكل ما نعتقده ثم نعظمه تعويضاً عن فقد، يكون في الحس الشعبي هو الله).. ويقول: (ومن ثم فتوحيدنا هو لاهوت الأرض، ولا هوت الثورة، ولا هوت التنمية، ولا هوت النظام، ولا هوت

التقدم، كما هو الحـال في العديـد من الثقافـات المعاصـرة في البلاد النامية التي نحن جزء منها)[1]

قال آخر: ويشرح حنفي أسباب قصور اللغة القديمـة ــ أي لغة القرآن الكريم ـ في التعبير عن هذا، فيقول: (إنها لغة إلهية تـدور الألفـاظ فيهـا حـول [اللـه] ولـو أنـه يأخـذ دلالات متعـددة حسـب كـل علم، فهـو [الشـارع] في علم أصـول الفقـه.. وهـو [الحكيم] في علم أصول الـدين، وهـو [الواحـد] في التصـوف.. لفظ [الله] يستعمله الجميع دون تحديد سابق لمعنى اللفـظ إن كان له معنى مستقل أو لما يقصده المتكلم من اسـتعماله، بـل إن لفظ [الله] يحتوي على تناقض داخلي في استعماله باعتباره مادة لغوية لتحديد المعـاني أو التصـورات، مطلقـاً يـراد التعبـير عنه بلفظ محدود)[2]

قال آخر: ثم يفصل أكثر في هذا؛ فيقول عن لفظ الجلالة: (يعبر عن اقتضاء أو مطلب، ولا يعبر عن معين، أي أنـه صـرخة وجودية، أكثر منه معـنى يمكن التعبـير عنـه بلفـظ من اللغـة أو بصور في العقل، وهو رد فعل على حالة نفسية أو عن إحساس أكثر منه تعبيراً عن قصد أو إيصال لمعنى معين، فكل ما نعتقده ثم نعظمه تعويضاً عن فقد، يكون في الحس الشعبي هـو اللـه، وكل ما نصبو إليـه ولا نسـتطيع تحقيقـه فهـو أيضـاً في الشـعور الجماهيري هو الله، وكلما حصلنا على تجربة جمالية قلنا: اللـه! الله! وكلما حفت بنا المصائب دعونا الله، وحلفنا له أيضاً باللـه)[3]

قـال آخـر: ثم يسـتنتج من ذلـك التواصـل الـدائم لكـل المؤمنين مع الله باستنتاج غريب، عبر عنه بقولـه: (فاللـه لفـظ نعبر به عن صرخات الألم وصـيحات الفـرح، أي أنـه تعبـير أدبي أكثر منه وصفاً لواقع، وتعبير إنشائي أكثر منه وصفاً خبرياً، ومـا زالت الإنسانية كلها تحاول البحث عن معنى للفظ الله)[4]

قال آخر: ولا يكتفي بذلك، بـل يضـيف إليـه مـا تعلمـه من فلاسـفته المـاديين الـذين يحصـرون الحيـاة في رغيـف الخـبز، فيقـول: (فاللـه عنـد الجـائع هـو الرغيـف، وعنـد المسـتعبد هـو الحرية، وعند المظلوم هو العـدل، وعنـد المحـروم عاطفيـاً هـو

---

[1] () انظر هذه النصوص وغيرها في التراث والتجديد في فكر حسن حنفي، ص9.

[2] () التراث والتجديد، 112.

[3] () التراث والتجديد، 113.

[4] () التراث والتجديد، 113.

الحب، وعند المكبوت هـو الإشـباع، أي أنـه في معظم الحـالات صرخة المضطهدين، واللـه في مجتمـع يخـرج من الخرافـة هـو العلم، وفي مجتمع آخر هو التقدم، فـإذا كـان اللـه هـو أعـز مـا لدينا فهو الأرض، والتحرر، والتنمية، والعدل.. وإذا كان اللـه هـو ما يقيم أودنـا وأسـاس وجودنـا ويحفظنـا فهـو الخـبز، والـرزق، والقـوت، والإدارة، والحريـة.. وإذا كـان اللـه مـا نلجـأ إليـه حين الضــرر، ومــا نســتعيذ بــه من الشــرر فهــو القــوة والعتــاد، والاستعداد، كل إنسان وكل جماعة تسقط من احتياجاتها عليـه، ويمكن التعرف على تاريخ احتياجـات البشـر بتتبـع معـاني لفـظ [اللـه] على مختلـف العصـور.. ومن ثم فتوحيـدنا هـو لاهـوت الأرض، ولاهوت الثورة، ولا هوت التنمية، ولا هـوت النظـام، ولا هوت التقدم، كما هو الحال في العديد من الثقافـات المعاصـرة في البلاد النامية التي نحن جزء منها)[1]

قال آخر: وهكذا يتحدث بنوع من التهكم على صفات اللـه، فيقول: (فالله الواحـد الـذي ليس كمثلـه شـيء، والـذي لايـرى ويرى كل شىء، ليس هو بالضرورة التصور الوحيد لله كما نعلم من تاريخ العقائد، فهناك الله الحسي المجسم، محل الحـوادث، عند الكراميـة والمشـبه على اختلاف فـرقهم، وليس بالضـرورة أن يكــون التصــور الأول صــحيحا والثــانى بــاطلا، إذ يعكس التصوران صراعا قويا، وقوة السلطان الذى ليس كمثلـه شـىء وقوة المعارضة التي تجعل حركة التاريخ جزءا من الألوهية، أما الصفات التى تجعل الله يسـمع ويـرى ويبصـر كـل شـيء، فقـد تمت صياغتها من أجل استخدام سياسى خالص للسلطة، والتى هي بدورها ترى وتسمع وتبصر كل شيء)[2]

المثال الثاني:

قال آخر: ولم يكتف أساتذتنا المبدلون بهذا، بل راحـوا إلى كل ما يرتبـط بصـفات اللـه وأسـمائه الحسـنى يفسـرونها كمـا يشتهون.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك تفسيرات محمـد شـحرور للعلم الإلهي، حيث جعلـه كـالعلم البشـري محـدودا محصـورا مقيـدا، ثم ينتقـد ويشـتم بعـد ذلـك كـل أهـل الـتراث الـذين لم يتوصلوا إلى ما توصل إليه.

---

1 () التراث والتجديد، ص113.

2 () التراث والتجديد، حسن حنفي.

قال آخر: وقد قال في بعض كتبه فيما أطلق عليه [علم الله بالسلوك الإنساني الواعي وبالاختيار الإنساني]: (لقد حصل لغط كثير وجدل طويل وأخذ ورد والتباس في النوع الثاني من علم الله حول السلوك الإنساني والاختيار، ومرد هذا الالتباس إلى أنهم أدخلوا في علم الله حول الاختيار الإنساني ما لا يدخل فيه، ولم يرد له ذكر في الكتاب)[1]

قال آخر: ثم ذكر بعض الآيات القرآنية التي صنفها تحت علم الله بالاختيار الإنساني، من أمثال قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: 25]، وقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [النمل: 74]، وقوله: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [القصص: 69]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب: 51]، وقوله: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: 19]، وقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: 25]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: 19]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [محمد: 26].. وغيرها من الآيات الكريمة.

قال آخر: ثم علق عليها بقوله: (إن الآيات الواردة أعلاه كلها تتحدث عن سلوك إنساني واع، فلنأخذ مثلا قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: 25]، فقد جاءت في صيغة المضارع للدلالة على استمرارية المعرفة أولاً، وجاءت المعرفة لأمر مخفي فعلا، فإذا كان زيد في لحظة ما لا يخفي شيئا، فالله يعلم أن زيدا لا يخفي شيئا في هذه اللحظة، وفي لحظة تالية إذا أخفى زيد شيئا فإن الله يعلم أن زيدا قد أخفى شيئا، وكذلك الإعلان والإسرار، وبما أن السر والعلن متغير عند الإنسان بتغير نواياه، فجاء العلم بصيغة المضارع للدلالة على استمرارية المعرفة)[2]

قال آخر: ثم راح يقيس الله على خلقه، ويستشكل عليه ما يستشكل عليهم، ويؤديه استشكاله إلى عدم علم الله بما سيحصل في المستقبل من أفعال عباده الاختيارية، ويعلل ذلك بقوله: (لو كان يدخل في علم الله منذ الأزل ماذا سيفعل زيد في حياته الواعية، وما هي الخيارات التي سيختارها زيد منذ أن يصبح قادرا على الاختيار إلى أن يموت، فالسؤال لماذا تركه إذا

1 () الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.
2 () الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

كان يعلم ذلك؟)[1]

قال آخر: ثم راح يبسط ذلك، ويضرب له الأمثال، فقال: (هنا من أجل تبرير هذا الأمر ندخل في اللف والدوران فنقول إن الله علم منذ الأزل أن أبا لهب سيكون كافرا، وأن أبا بكر سيكون مؤمنا، ثم نقول إن أبا لهب اختار لنفسه الكفر وأبو بكر اختار لنفسه الإيمان، إن هذا الطرح لا يترك للخيار الإنساني الواعي معنى، وإنما يجعله ضربا من الكوميديا الإلهية مهما حاولنا تبرير ذلك)[2]

قال آخر: ثم راح يفسر الفرق بين علم الله تعالى وعلم عباده، فقال: (إننا نعني أن الله كامل المعرفة بالأشياء وأحداثها [الطبيعة وظواهرها] لأن علمه رياضي ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: 28] ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: 8]، وعلمه رياضي، لأن الرياضيات اليوم هي أرقى أنواع العلوم، ولو توصل العقل الإنساني [المصوغ من روح الله] إلى علم هو أرقى منا لرياضيات وسميناه العلم س، ثم وجدنا في القرآن إشارة لذلك كانت تخفى علينا أو كنا نؤولها تأويلا آخر لجهلنا بالعلم س لقلنا إن علمه جل وعلا علم سيني.. وما دمنا لا نعرف علما أرقى منا للرياضيات فإننا نذهب ولا نتحرج إلى أن علمه رياضي (دلنا على ذلك العقل المصوغ من روح الله)[3]

قال آخر: ثم ذكر سر تفسيره هذا، فقال: (إن الرياضيات تتصف بالدقة والتنبؤ، فنحن إذا علمنا القانون الرياضي لظاهرة ما في الطبيعة، يصبح من السهل علينا أن نتنبأ سلفا عن سلوك هذه الظاهرة.. وهذا ما نفعله الآن في الاختراعات الكبيرة في الطب والعلوم، إذ يمكننا أن نحكم سلفا عن موعد وصول الصاروخ إلى القمر إذا عرفنا قدرته وسرعته.. وبما أن الوجود هو كلمات الله، فقد أعطانا الله الاطمئنان بأنه لا مبدل لقوانينه: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الأنعام: 115]، وإن عين الأشياء هي كلماته، إن ظواهر الأشياء في كلماته لذا قال: ﴿سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [مريم: 35].. وقال عن ظواهر الطبيعة إنها في كتاب مبين فلا يوجد شيء في الطبيعة صغيرا كان أم كبيرا إلا يعلمه الله ويسيطر عليه.. لذا فإن

---

1 () الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.
2 () الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.
3 () الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

معرفة الإنسان بكلمات الله هي مفتاح خلافتـه للـه في الوجـود وهي مفتاح رقيه)[1]

قال آخر: ثم راح يقزم علم الله مثلما قزم سائر المفاهيم، فقـال: (فعلم اللـه بالطبيعـة إمـا علم مـبرمج سـلفا في اللـوح المحفوظ [القرآن المجيد] والذي يحوي قـوانين جـدل الطبيعـة الأول، والثاني والخلق والتطور والسـاعة والبعث واليـوم الآخـر والجنة والنـار، أي قـوانين الجـدل المـادي لهـذا الكـون والكـون الـذي يليـه، وإمـا علم في كليـة الاحتمـالات لظـواهر الطبيعـة الجزئية القائمة على الأضداد واليت نفهمها من خلال الرياضيات والتي سـماها [كتـاب مـبين]، وبمـا أن سـلوك الإنسـان سـلوك احتمالي فقد سمى القصص أيضا الكتاب المـبين لـذا قـال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَـامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: 12]، أي أن الإمــام المــبين هــو أرشــيف الأحداث الجزئية الجارية للأشـياء فيـا لكـون والإنسـان لـذا جـاء القصص من الإمام المبين وهناك معلومات عند الله فقط، غــير مؤرشفة وغـير مبرمجـة سـلفا وهي الـتي قـال عنهـا: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: 34])[2]

قال آخر: وبعـد كـل هـذا الإقحـام للعقـل في غـير مجالـه، والذي يذكر بحشو الحشوية، وكشـف الصـوفية، راح يـدافع عن جهل الله بمستقبل عباده المرتبط بأفعـالهم الاختياريـة، فقـال: (أما بالنسبة لسلوك الإنساني الواعي، فحتى نفهم هذا السلوك الـواعي يجب علينـا أن لا ننسـى أن الإنسـان خليفـة اللـه في الأرض، وأنــه يوجــد في الإنســان وليس في الكائنــات الحيــة الأخرى شيء من ذات الله، وهو الروح وبهـا أصـبح خليفـة اللـه في الأرض، واكتســب المعــارف وأصــبح قــادرا على المعرفــة والتشــريع، هــذه النقطــة إذا نسـيناها فـإن السـلوك الإنسـاني سيتحول إلى مجموعة من الصور المتحركة يديرها الذي صممها [أفلام كرتـون]، ولكن إذ قلنـا إن هنـاك أمـرا مشـتركا بين اللـه والإنسان وهو الروح، أي إذا قلنا إن الصور المتحركة فيها شيء من ذات المصمم لتغير الأمر)[3]

قال آخر: هل رأيتم كيف يفسر الروح، ويعتبرهـا جـزءا من

1 () الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.
2 () الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.
3 () الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

ذات اللـه، ويعتـبر الإنسـان شـريكا للـه فيهـا.. وهـو نفس قـول المشركين، كما قـال تعـالى: ﴿وَجَعَلُـوا لَـهُ مِنْ عِبَـادِهِ جُـزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ [الزخرف: 15]؟

قـال آخـر: وهـو يبـني على هـذه المشـاركة للإنسـان في الروح، فيقسم السلوك الإنساني الواعي إلى قسـمين أولهمـا ـ كما يذكر ـ (علم الله الكامـل بكليـة الاحتمـالات الـتي يمكن أن يسلكها الإنسان، فأمام كل إنسان على حدة، ملايين الاحتمالات كل يوم في موعـد نومـه وفي طعامـه وفي لباسـه وفي كلامـه وفي علاقته مع الآخرين وفي صلاته وفي صومه وإيمانـه وكذبـه وفي أن يتعلم أو يبقى جـــاهلا وهكـــذا دواليـــك، فلا يمكن لأي إنسان أن يقوم بأي عمل علـني أو يخفي أي أمـر أو يتبـنى أيـة فكـرة سـرا أو علنـا إلاوتصـرفه داخـل في هـذه الاحتمـالات.. وبالتالي فهو داخل في علم الله الكلي، أي لا يمكن لأي إنسـان مهما عمل أن يقوم بعمل ما سرا أو علنـا ويفـاجئ اللـه بـه، ولا يدخل في كلية احتمالات علمه، وهـذه هي عين كمـال المعرفـة كسرعة الضوء فإنها تحـوي كـل احتمـالات السـرعات الممكنـة للأشياء، فأبوبكر لم يفـاجئ اللـه بإيمانـه، وأبـو لهب لم يفـاجئ الله بكفره، لأن الكفر والإيمان كليهما معا يدخل في علم الله.. فالذي لا يشاء الاستقامة ينحرف، فعلم الله ومشـيئته أن يكـون هناك استقامة وانحراف معا، لـذا قـال في مجـال الكليـة وليس في مجـــال التبعيض: ﴿وَمَـــا تَشَـــاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَـــاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَـــالَمِينَ﴾ [التكـــوير: 29]، ففي علم اللـــه ومشـــيئته الاســـتقامة والانحراف معا، وفي مشـيئتنا نحن أن نسـتقيم أو ننحـرف، بيـد أن من يستقم فإنـه لا يفـاجئ اللـه باسـتقامته، ومن ينحـرف لا يفاجئ الله بانحرافه، وفي هذا يصـبح الخيـار الإنسـاني الـواعي خيارا حرا يستلزم الثواب والعقاب، وتصبح خيارات الإنسان غير مكتوبة عليه سلفا)[1]

قال آخر: ثم رد على الـذين يـذكرون أن علم اللـه محقـق وشامل لكل شيء، فقال: (إذا قلنا الآن إن اللـه منـذ الأزل علم أن أبـا بكـر سـيؤمن وأن أبـا جهـل سـيكفر فهـذا عين نقصـان المعرفة وليس كمالهـا، أي أن علم اللـه يحمـل صـفة الاحتمـال الواحد، ولو كفر أبـو بكـر وآمن أبـو جهـل لكـانت هـذه مفاجـأة كبيرة لله تعالى، علما بأن باب الكفر والإيمان كان مفتوحا أمام

1 () الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

الاثنين على حد سواء)[1]

قال آخر: ولم ينس عند ذكره للنـوع الثـاني من علم اللـه، أن يضيف له مزية يختلف بها عن الإنسان، وقد عبر عنها بقوله: (علم الله الكامل بأحداث مسبقة بكلياتها وجزئياتهـا أو بأحـداث جارية بكلياتها وجزئياتها.. وذلك أنه في لحظة أن نـوى أبـو بكـر الإيمان قبل أن يفضي بهذه النية لأحـد، وهي مـازالت سـرا في نفسه علمها الله أولا، وفي نفس اللحظة التي نوى فيها أبو بكر الإيمان، وثانيا هذه المعرفة داخلة في احتمـالات علمـه الكامـل أي لم يفاجأ بهـا، وهنـا تكمن الصـفة [الصـورة] المشـتركة بين الله والناس، فقد خلقنا الله أحـرارا في اختيارنـا ونحن بالنسـبة له لسنا لهوا يلهـو بنـا، والفـرق هـو أنـه كامـل المعرفـة [عليم] ونحن ناقصي المعرفة [متعلمين]، لذا فهو حر وله تمام الحريـة ونحن متحـررون، وقـد جـاءت صـيغ الآيـات السـابقة في صـيغة الماضـي وفي صـيغة المضـارع [الحاضـر] للدلالـة على علمـه بأحـداث مسـبقة بكلياتهـا وجزئياتهـا أو بأحـداث جاريـة بكلياتهـا وجزئياتها)[2]

قال آخـر: هـذا مجـرد مثـال عن جـدلهم في هـذا الجـانب، والذي يتباهون به ويفتخرون، ويتوهمون أن كـل الأمـة انحـرفت وأخطـأت لأنهـا لم تسـتعمل المنـاهج الـتي يسـتعملونها، والـتي يتلاعبون فيها بالألفاظ والمعاني كما يحلو لهم.

قال آخر: وقد كان من عواقب تلـك الجـرأة على اللـه، أن صار الأدب الحداثي ممتلئـا بالسـخرية من اللـه، والحـديث عنـه بكل الأساليب التي تخلوا من التعظيم والتقديس.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك قول بعض شعرائهم: (من بعد موت الله مشنوقا.. على بـاب المدينـة.. لم تبـق للصـلوات قيمة.. لم يبق للإيمان أو للكفر قيمة)[3]

قال آخر: وقال آخر: (قلبي بحر لم يعد يمشي عليه الألم.. طارد الإلـه من بعـد، وإمـا قضـى.. احتـوى جثمانـه ثلاث ليـال.. قلبي قبر أفلت منه جثمان الإله)[4]

قال آخر: وقال في قصيدة أخرى ينفي وجود الإلـه ويقرنـه بالغبار رمز العدم والضياع: (لففت العباءة حولي.. تعكــزت إلى

---

1 () الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

2 () الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

3 () الأعمال الشعرية الكاملة لنزار قباني ٣/٣٤٢.

4 () المجموعات الشعرية لتوفيق صايغ: ص ٤٠٩.

القفر.. إلى قمتي الجرداء.. حيث الغبار ولا الإلـه.. نجـو بقمـتي الجرداء)[1]

قال آخـر: ويعـبر آخـر عن ذلـك فيقـول: (رأيت الإلـه على المقصلة.. رأيت الديوك على المزبلة)[2]

قال آخر: وقال آخر: (كان في أرضنا إله نسيناه مـذ نـأى.. وحرقنا وراءه هيكل الشـمع والنـذور.. نحن صـغنا من القبـاب.. صنما من تراب.. ورجمنـاه بالحضـور.. بـالطريق الـذي كـان أن يبدأ)[3]

قال آخر: وغيرها كثير.. فقد أصبح الشعراء يتنافســون في تزيين أشـعارهم بمثـل هـذه الكلمـات، ومن لم يفعـل يعتبرونـه دوغمائيـا وكلاسـيكيا ومتخلفـا.. ثم لا يـؤذن لـه بعـد ذلـك في الشهرة، ولا حتى في نشر قصائده.

ج. المبدلون والنبوة:

قـال أحـد الحضـور: وعينـا هـذا.. فحـدثونا عن المبـدلين وموقفهم من النبوة.

قال أحد المبـدلين: إن الـذي لا يعظم اللـه ولا يقـدره حـق تقـديره، يسـتحيل عليـه أن يعظم النبـوة أو يقـدرها، أو يعـرف مقتضيات الإيمان بها.

قال آخر: وقد عرفتم من خلال أحاديثنا السابقة تشـكيكات الحداثيين الأوائل في كل ما ورد في القرآن الكريم من أحاديث الأنبياء وقصصهم باعتبارها مجـرد أمثلـة سـيقت للعـبرة، وليس لها أي حظ من الوجود الـواقعي، كمـا فعـل ذلـك محمـد أحمـد خلف اللـه، في بحثـه المعنـون بــ [الفن القصصـي في القـرآن الكريم]، والذي استعمل في الاحتيال لبث هذه الشبهة نفس ما يستعمله الحداثيون من التكلف والفضول والتألي على الله.

قال آخر: وذاك ما ذكره الحداثيون القدامى، والذين تـأثروا بالمستشرقين في الاعتماد على التشكيك في كل شـيء، حـتى في الحقـائق الواضـحة، أمـا الحـداثيون المحـدثون، أو الـذين يزعمـون لأنفسـهم أنهم قرآنيـون؛ فقـد راحـوا يسـتعملون مـا تلقنوه من مناهج غربية بغية الالتفاف على النبوة، وتفريغهـا من مضمونها مثلما فعلوا مع سائر أحكام الدين وقيمه وعقائده.

---

1 () المجموعات الشعرية لتوفيق صايغ ص ٣٠٤.

2 () ديوان البياتي ١/٤٩٢.

3 () الأعمال الشعرية الكاملة لأدونيس ١/٣٨٦.

قال آخر: وسنذكر لكم خمسة أمثلة عن ذلك، لتعرفوا مدى بعدهم عن الحقائق القرآنية، بل مدى تحريفهم وتبديلهم لها.

المثال الأول:

قال أحد الحضور: فحدثونا عن المثال الأول.

قال أحد المبدلين: المثال الأول هو استخدام شحرور لنظرية التطور في تفسير تاريخ الأنبياء، وتشويههم إلى درجة لم يصل إليها أحد من قبل ومن بعد.. فقد صور أن النبوة تدرجت في مراحل مختلفة بحسب المراحل التي مر بها الإنسان في سلم التطور الذي هو القاسم المشترك بين الحداثيين جميعا.

قال آخر: ولذلك يذكر أن الأنبياء الأوائل الذين أرسلوا للبشرية لم يكونوا من البشر ـ باعتبار البشر لم يتطوروا بعد ـ وإنما هم من الملائكة، ولذلك فإن أول نبي عنده هو نوح عليه السلام، وأنه لعدم كفايته لأداء هذا الدور كان معه ملائكة، يقومون هم أيضا بالدعوة.

قال آخر: فقد قال تعليقا على قوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 38]: (هذا الهدى جاء بداية على شكل نذر من الملائكة كان الله يبعثهم في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: 24]، وقد استمرت النذر مع نوح ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: 24]، ومع هود ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ [الأحقاف: 21]، وإلى إبراهيم وإلى لوط وإلى صالح؟.. وكانت النذر تأتي على شكل مشخص يعرفون أنها ليست منهم، وإنما هي مرسلة من السماء، ونحن نرى في الأطروحة القديمة أن الحكام جاءوا من السماء، وأنهم من دم آخر رواية أسطورية، لمفهوم النذر الواردة في التنزيل الحكيم)[1]

قال آخر: ثم يوهم القارئ أنه يعتمد في ذلك على الحقائق والوثائق؛ فيقول: (الطوفان قضى على الجميع، وبعد الطوفان نزل الحكم الملكي من السماء من جديد، وأصبحت مدينة كيش مقر حكم الملوك، وقبل الطوفان كان الحكم الملكي قد هبط

---

1 () شحرور، القصص القرآني، 2/11.

من السماء لأول مرة في مدينة أريدو.. ونؤكد هنا أيضاً أنه قبل نوح كانت النذر من الملائكة فقط، وقد تم التعبير عنه بأن الحكم هبط من السماء، ثم صار مشتركاً بشراً وملائكة (نوح حتى إبراهيم)، ثم بشر فقط وهو الرسول محمد)[1]

قال آخر: وهو يتكلم بثقة عجيبة ناسيا أن القرآن الكريم الذي يتصور أنه يعتمد عليه لإثبات هذه الحقائق هو نفسه الذي انتقدها وردها، وبين وجوه ردها، فالله تعالى ذكر في مواضع منه أن كل الرسل الذين أرسلوا للبشرية كانوا من جنسها، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ [يوسف: 109]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43]، وقال: ﴿يَابَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: 35]

قال آخر: بل إن الله تعالى رد على المشركين الذين طالبوا بنزول الرسول الملك بدل الرسول البشر، بقوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام:8ـ 9]، واعتبر قولهم ذلك نوعا من السخرية؛ فقال: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام: 10]

قال آخر: وسبب هذا الموقف هو نظرية التطور التي يؤمن بها، والتي جعلته يتوهم أن البشر كانوا من الضعف بحيث لم تكن لهم القدرة على استقبال النبوة البشرية، ولذلك تدرج الله معهم.

قال آخر: وهكذا ينطلق من هذه النظرية ليفسر النبوة، والتي يعتبرها مرحلة ترتبط بالضعف والقصور البشري، وأن البشر في تلك المراحل كانوا ـ مثل الطفل الصغير ـ يحتاجون إلى رعاية خارجية؛ فلما كبروا استغنوا عنها، ولهذا يفسر ختم النبوة، بكون البشر أصبح لهم من الرقي العقلي ما يغنيهم عن النبوة، وبالتالي يمكنهم التخلي عن النبوة الخاتمة نفسها، بتلك الأفكار التي يمكنهم أن يصلوا إليها.

قال آخر: بل إنه ينطلق من هذه النظرية ليفسر الأدوار التي كلف الأنبياء عليهم السلام بالقيام بها، وهي أدوار تخالف

---

1 () شحرور، القصص القرآني، 2/51.

تماما ما ورد في القرآن الكريم من شأنها.

قال آخر: فهو عند ذكره لوظيفة نوح عليه السلام مع قومه، يعبر عنها بقوله: (لقد كان نوح أول رسول ونبي من البشر في منطقة الشرق الأوسط كما يعتقد العالم القديم، وقومه هم بداية الإنسان الحديث في هذه المنطقة حيث كان هناك مجموعة من الناس لها علاقات اجتماعية بدائية، ولها لغة مجردة بحيث تسمح لنوع من الوحي المجرد، وكان الوضع الإنتاجي في هذه الحقبة التاريخية بدائيا جدا، لذا فقد كان الشرك الأساسي الذي وقع فيه الإنسان آنذاك هو عبادة مظاهر الطبيعة وخاصة الشمس والقمر، وقد ذكر هذا في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: 15، 16]، وبالتالي فقد اقتصرت رسالة نوح على التوحيد والاستغفار فقط دون أن يكون هناك أي وصايا أخلاقية أو شعائر تعبدية، فعند نوح لا صلاة ولا صوم ولا زكاة ولا أي شكل من أشكال العبادات التي نعرفها)[1]

قال آخر: ولسنا ندري كيف استنتج كل هذا، مع أن القرآن الكريم اعتبر من أسباب ما وقع لقوم نوح من العقوبة هو خطاياهم، وهي معنى ينتظم الخطايا العقدية والخطايا السلوكية، فقد قال تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: 25]

قال آخر: بل إن شحرورا يوغل في التطرف حين يزعم أن القتل نفسه، لم يكن في ذلك الحين جريمة، بل كان شيئا عاديا، لم تأت الشرائع لتحريمه، لأن أول تحريم له ـ حسب تصوره ـ كان مرتبطا ببني إسرائيل، فقد قال في معرض ذكره للعبر والعظات المستنبطة من من قصة نوح عليه السلام في القرآن الكريم: (عدم وجود تشريعات من أي نوع، لأن مفهوم التشريع لم يوجد بعد، والمجتمعات ما زالت بدائية لا تجارة فيها ولا بيع ولا شراء، وجريمة القتل الأولى التي حصلت مع ابني

1 () شحرور، القصص القرآني، 2/17.

آدم لم يشرع تحريمها إلهيا إلا على بني إسرائيل)[1]

قال آخر: وهكذا، فإن الوظيفة الأساسية التي كلف بها نوح عليه السلام ــ على حسب رؤية شحرور ــ هي الترقية الحضارية المادية لقومه، ولذلك كان من البنود الأساسية لرسالة نوح عليه السلام عنده هي [التبشير بالبنيان والاستقرار]، والتي استدل لها بقوله: (لقد عاش الإنسان في عهد نوح في الكهوف حيث كانت المنطقة تحيط بها الجبال، وفيها أنهار؛ فيعتقد أنهم كانوا يعيشون في الكهوف وفي الغابات المحيطة بالأنهار، لذا فقد كانوا يعبدون مظاهر الطبيعة، حيث أن تمييز الآلهة لم يوجد عندهم بعد؛ فكانت من نبوة نوح التبشير بالبنيان والاستقرار، وهذا التبشير في نبوته ورد في قوله تعالى: ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: 12].. من هنا نلاحظ كيف بشر نوح الناس بالاستقرار من البناء وهذا الاستقرار فعلا كان حاصلا حتى زمن هود)[2]

قال آخر: وهو ــ كعادته في الإغراب ــ لا يفهم من لفظة [البنين] ما تعودنا أن نفهمه منها، وإنما يرى أنها مشتقة من (فعل [بنن]، وتعني الثبات واللزوم والإقامة، وهذه هي طبيعة الأبنية والبنيان)[3]

قال آخر: لكنه عندما يواجه بقوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾ [نوح: 28]، والذي ورد فيه لفظ [البيت] ومعناه واضح جلي، يذهب إلى تأويله بكونه ليس المراد منه البيت الذي نعرفه، والمشكل من البنيان المعروف، وإنما هو (اسم جنس، ولها أصل واحد وتعني المأوى والمآب وجمع الشمل، فليس من الضروري أن يكون البيت بنيانا إذ يمكن أن يكون كهفا)[4]

قال آخر: وهكذا في تأويله للفظة الأموال، فهو يفسرها بقوله: (فهنا المال لا يعني النقد، بل جاء من فعل [مول] وتعني هنا أدوات الإنتاج البدائية، وما يمكن أن يصطاده الإنسان ويجنيه من الطبيعة، وفي القاموس خرج إلى ماله: أي خرج إلى

---

1 () شحرور، القصص القرآني، 2/17.

2 () الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

3 () الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

4 () الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

ضياعه وإبله)[1]

قال آخر: وهكذا انطلق من نظرية التطور ليصور أن اسم [الله] لم يكن موجودا، ويستدل لذلك من القرآن الكريم على طريقته في الاستنباط الممتلئ بالغرابة، فهو يقول ـ عند حديثه عن تطور اسم الإله ـ: (لقد رأينا كيف شاع التشخيص قبل إبراهيم، وانتشرت ظاهرة تعدد الآلهة من كواكبٍ ونجوم وأصنام وتماثيل، وكيف كان مفهوم الإله المجرد غامضاً لا اسم له لعدم اكتمال القدرة العقلية على التجريد عند أهل تلك العصور؛ فقد كان اسمه عند الأسباط (إله إبراهيم)، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 133]، وكان اسمه عند فرعون: (إله موسى)، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ [غافر: 36، 37]، وكان اسمه عند سحرة فرعون: (رب العالمين)، و(رب موسى وهارون)، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الأعراف: 121، 122]، أو لم يكن له اسم على الإطلاق كما عند فرعون في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 90])[2]

قال آخر: وهو يصور أن الاهتداء لله لم يتم إلا في عهد إبراهيم عليه السلام، وذلك (بعد رحلته الطويلة في البحث عن الله من المشخص إلى المجرد، وليولد عنده مفهوم الإسلام والتسليم لهذا الإله المجرد لأول مرة في تاريخ الإنسان بدلالة قوله تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج: 78])[3]

المثال الثاني:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن المثال الثاني.

قال أحد المبدلين: المثال الثاني هو تحريف شحرور لما ذكره الله تعالى عن أنبيائه عليهم السلام من قيم نبيلة، وأخلاق

---

1 () الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

2 () شحرور، القصص القرآني، 2/105.

3 () شحرور، القصص القرآني، 2/105.

عالية، وتسليم مطلق لله؛ ليتحول كل ذلك إلى تصرفات لا معنى لها، بل قد تحمل معان لا تتناسب مع الأنبياء عليهم السلام.

قال آخر: ومن أمثلة ذلك أنه حول من رؤيا إبراهيم عليه السلام ـ والتي ذكرها الله تعالى وأشاد بها ليبين مدى تسليم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لله ــ إلى مجرد أحاديث نفس، لا علاقة لها بالواقع، وقد قال مقدما لهذه الفرية العظيمة: (احتار إبراهيم ماذا يفعل ليتقرب من هذا الإله، فالناس يقدمون قرابين لآلهة مزيفة لا تملك ضراً ولا نفعاً لأحد.. وظلت فكرة تقديم القربان لله تدور في رأس إبراهيم حتى سيطرت عليه، وبدأ يرى في المنام أنه يذبح ابنه، ثم تكررت الرؤيا حتى ترسخت، فقرر إبراهيم أن يحولها إلى فعل على أرض الواقع، بعد أن أيقن أنها ليست مجرد رؤيا بل تكليف وأمر إلهي)[1]

قال آخر: وهكذا يحرف موقف إسماعيل عليه السلام الممتلئ بالحلم والتسليم لله، حيث يعلق عليه بقوله: (إننا نفهم أن جواب إسماعيل لأبيه كان أن يفعل ما يؤمر لا ما يرى في المنام، لأن إسماعيل لا يقبل أن يقتله أحد بمجرد منام حتى لو كان أباه، فإذا كانت المسألة أمراً بالقتل فليفعل، وإن كانت رؤيا فلا)[2]

قال آخر: وهو يشير بذلك إلى أن إسماعيل عليه السلام مع صغر سنه، فهم من الحلم ما لم يفهمه والده، ولذلك أمره أن يلتزم أمر الله، لا ما يراه في منامه.

قال آخر: وهكذا يحرف ذلك النص الصريح الذي أخبر الله تعالى فيه عن تسليم كلا النبيين الكريمين لله تعالى، وهو قوله تعالى ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: 103] بقوله: (في هذا إشارة إلى أن معركة المعاناة النفسية قد حُسمت لمصلحة التسليم لله تعالى، وإلى أن نار تنازع الأفكار وتجاذب الوساوس في أعماقهما قد انطفأ لمصلحة الإيمان والإنابة، وإلى أن الحيرة عندهما قد اطمأنت للطف الله)[3]

قال آخر: وعندما يواجَه بقوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ

---

1 () شحرور، القصص القرآني، 2/109.

2 () شحرور، القصص القرآني، 2/111.

3 () شحرور، القصص القرآني، 2/112.

يَاإِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ [الصافات: 104ـ 105]، يفسرها بأن كل ما حصل لم يحصل؛ فلا إبراهيم هم بذبح ابنه، ولا إسماعيل أذن بذلك.. بل إن الله تعالى اكتفى منه بذلك الموقف الذي تراجع فيه إبراهيم عن رؤياه بعد أن صححها له ابنه إسماعيل.

قال آخر: ونفس هذا الموقف نجده عند تلميذ حداثي آخر، راح يعبر عن تلك الرؤيا بقوله: (وهذا المنام ليس أمر من الله بذبح النبي إسحاق، فالأوامر الإلهية لا تأتي في المنامات، وإنما كان مناماً يقصد به شيء آخر، ولكن النبي إبراهيم أوله على ظاهره وخاصة بعد تكرار رؤيته له، فأراد أن يذبح ابنه ظناً منه أنه ينفذ أمر الله، وأخطأ في تأويل المنام، فنزل الأمر الإلهي بتوقيف هذا العمل وأعطاه فداء لمنامه وابنه، وأخبره أنه تم تصديق الرؤيا من خلال الخضوع لله وذبح الدنيا وزينتها وإخراجها من قلب النبي إبراهيم، وليس المقصود الصورة المادية للمنام، وأن ذبح الولد في المنام رمز لذبح الدنيا وزيتنها)[1]

المثال الثالث:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن المثال الثالث.

قال أحد المبدلين: المثال الثالث يشبه تلك الأحاديث التي سمعتموها من الحشويين الذين شوهوا الأنبياء عليهم السلام، واتهموهم بكل صنوف الانحرافات.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره شحرور عند حديثه عن يوسف عليه السلام، وكيف تحلى بالعفة، وواجه الفاحشة بكل قوة، فقد خالف مخالفة قطعية المنهج القرآني في هذا، بل صور أن الفاحشة نفسها لم تكن محرمة، وإنما راعى يوسف عليه السلام فقط ما تعلمه من بيئته البدوية من وفاء ومروءة، فقد قال معلقا على قوله تعالى: وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ [يوسف: 23]: (ونفهم منه أموراً أولها: أن يوسف كان يعرف الله بدليل أنه استعاذ به[2]، ثانيها: أنه استكبر واستنكر أن يمتثل لما تدعوه إليه باعتباره يتعارض أخلاقياً مع ما انفتحت عيناه عليه

1 () النبي محمد ليس من ذرية النبي إسماعيل، سامر إسلامبولي، موقع شحرور.

2 () وذلك بناء على قوله بأن معرفة الله كانت مرحلة من مراحل التطور البشري.

في بيئته الأولى من مكارم وقيم ومثل عليا كالوفـاء والمـروءة، وليس باعتباره زناً محرماً لأن تحريم الزنـا لم يكن قـد نـزل بـه تحريم إلهي)[1]

قال آخر: بل إنه ـ وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَـانَ رَبِّهِ كَـذَلِكَ لِنَصْـرِفَ عَنْهُ السُّـوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِـينَ﴾ [يوسف: 24] ـ راح يقـع في نفس الأخطاء التي وقع فيهـا أولئـك الـذين انتقـدهم باعتبـارهم خرافيين وظلاميين؛ فقد قال تعقيبـا عليهـا: (هـذه الآيـة لا يمكن فهمها إلا إذا فهمنا لماذا استعاذ يوسف بالله في الآية السـابقة، والجـواب إنـه من موقعـه كنـبي يعلم أن ميـل الرجـل للمـرأة والمرأة للرجل غريزة فطرية جعلها الله فيهما.. ويعلم أن هــذه الغريزة المخلوقـة المجعولـة فيـه قـانون ربـاني قـاهر لا فكـاك لإنسان منـه نبيـاً كـان أم غـير نـبي إلا بتـدخل من اللـه الخـالق البارئ المصور، وهذا ما أشار إليه يوسف نفسه في قوله: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: 33]، ومن هنا كان طبيعياً أن يلجأ يوسف إلى ربه مستعيذاً بـه راجيـاً منه متوكلاً عليه)[2]

قـال آخـر: ثم راح يفسـر كيـف اسـتجاب اللـه لـه، فقـال: (والسؤال الثاني: كيف حصل ذلك وتم؟ والجواب: كمـا أن اللـه سـبحانه اسـتجاب لإبـراهيم وعطـل خاصـية الإحـراق في نـار النمرود فجعلها برداً وسلاماً، وكما استجاب لموسى في مباراته أمام فرعـون فحـول العصـا من خشـب إلى لحم ودم فـإذا هي حية تسعى، كذلك استجاب الله لنبيه يوسف فجـرده من قدرتـه على الجماع، فإذا بعنوان ذكورته خرقة بالية لا تنفع لا للخـل ولا للخردل، وهذا هو البرهان الرباني المادي الذي رآه يوسـف رأي العين وهي تهم بـه ويهم بهـا، وهكـذا أصـبح الجمـاع الجنسـي مستحيلاً، وهذا هو برهان الله على الإحصان من الفاحشة، وهـو برهـان من مقـام الربوبيـة، وإلى يومنـا هـذا إذا أراد اللـه منـع إنسـان من الوقـوع في الفاحشـة؛ فإنـه يفقـده القـدرة على الجنس إن كان فاحشة، ونحن نؤكد قوله تعالى بأنـه لـو لم يهم بها لما رأى برهان ربه)[3]

---

1 () شحرور، القصص القرآني قراءة معاصرة، 2/233.
2 () شحرور، القصص القرآني، 2/233 ـ 234.
3 () شحرور، القصص القرآني، 2/233 ـ 234.

قال آخر: وخطورة هذا الطرح لا تتعلق بقصة يوسف عليه السلام فقط، وإنما بذلك التبرير للفاحشة، واعتبارها ميلا طبيعيا، وأن الإنسان فيها خاضع لغريزته القاهرة، وأنه ليس مسؤولاً عنها ما دامت تلك هي إرادة الله، إلا إذا أراد الله منعه منها، فيعطل قدرته على ممارستها.

قال آخر: ونفس كلامه هذا نجده عند حديثه عن الفواحش التي وقع فيها قوم لوط؛ فهو يبررها، ويسوغها، ويعتبر أنها مرتبطة بالنواحي البيولوجية للإنسان، وليست اختيارات سلوكية يختارها لنفسه، ولذلك يعقب على قوله تعالى حكاية عن لوط عليه السلام وخطابه لقومه: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 80] رادا على أقوال المفسرين التي استنتجت من الآية الكريمة أن أول من فعل تلك الفاحشة هم قوم لوط: (نقول هذا ونحن نعلم أن المثلية، سواء أكانت لواطاً بين ذكر وذكر، أم كانت سحاقاً بين أنثى وأنثى، هي بالأصل شذوذ تكويني في هرمونات الذكورة لدى المفعول به في اللواط، واضطراب تكويني في هرمونات الأنوثة لدى الفاعلة في السحاق، يدفع الأول إلى التماس اللذة عند ذكر مثله، ويدفع الثانية إلى تفريغ شهوانيتها عند أنثى مثلها، وهذا يعني أن اللواط كان موجوداً قبل قوم لوط بشكل غير علني وعلى الصعيد الفردي، إلا أنهم جعلوه ظاهرة عامة اجتماعية تمارس علناً في المجالس والمنتديات)[1]

قال آخر: ويقول تعقيبا على الآيات الكريمة التي أخبرت أن سبب العقوبة التي حصلت لهم هي تلك الفواحش: (فإننا لا نستطيع أن نقتنع بأن هذه الويلات المخيفة، جاءت عقاباً على سيئة اجتماعية يصعب كثيراً أن نضعها تحت عنوان الفواحش؛ لأنها أقرب إلى الحسن والقبح منها إلى المعروف والمنكر في جانب، وأقرب إلى الأخلاق الاجتماعية المصطلح عليها منها إلى العقائد)[2]

قال آخر: والتعبير بـ [المصطلح عليها]، يعني أنها لست منكرة بذاتها، وإنما هي منكرة باعتبار الأعراف والشرائع؛ فإذا استسيغت في بعض الأعراف، فإنه لاحرج فيها، مثلما تحدث عن الحجاب، واعتبر أن للعرف دورا كبيرا في تحديده، فإذا ما

1 () شحرور، القصص القرآني، 2/188.
2 () شحرور، القصص القرآني، 2/188.

قبل عـرف من الأعـراف أن تخـرج المـرأة لا تسـتر إلا جيوبهـا؛ فإنها محجبة بحسب ذلك العرف.

قال آخر: هذه مجرد نماذج عن تهديم شحرور للنبوة، وكل القيم النبيلة التي جاءت بها، وخطورتـه أنـه لا يسـتعمل قصـص كعب الأحبار، ولا وهب بن المنبه، وإنما يستعمل خياله الواسـع، وقواميسه التي يستعملها كل حين لتبـديل الكلم عن مواضـعه.. ليسـتقبل ذلـك المنكـرون على خرافـات السـلف، والـذين لم يفطنوا إلى أنهم هربوا من تطـرف السـلف ليقعـوا في تطـرف الخلف.

المثال الرابع:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن المثال الرابع.

قال أحد المبدلين: المثال الرابـع لا يختلـف أيضـا عن تلـك الأحاديث التي سمعتموها من الحشويين الذين يهتمون بـالتكلف والفضول، أكثر من اهتمامهم بالمعاني والعبر.

قـال آخـر: والحـداثيون الـذين يفعلـون هـذا يقعـون فيمـا أنكروه على غيرهم حين يرمونهم بالاهتمام بالفضول والتكلـف، وعدم الاهتمام بالحقائق التي تؤثر في الواقع الشخصي؛ فتهذبه وترقيـه، أو الواقـع الاجتمـاعي؛ فتجعلـه واقعـا حضـاريا راقيـا متطورا.

قال آخر: وهم يقعون في نفس الخطأ حين يهجمون، ومن دون أثـارة من علم، أو سـلطان من حجـة على معـاني كثـيرة؛ فيفتـون فيهـا بجـزم وتحقيـق، وكـأن كتـاب الغيب قـد فتح لهم؛ فراحوا يقرؤونه للناس، وبذلك يقعون في نفس ما أنكروه على غيرهم، بل ربما يقعون فيما هـو أخطـر منـه، ذلـك أن خرافـات السـابقين، تسـتند لروايـات يتفـق جميـع المسـلمين على أنهـا ليست روايات معتبرة، وأن أصحابها كانوا يهودا، نقلوا معـارفهم وثقافتهم للمسلمين الذين تفرقوا، ففيهم من استمع لها، وفيهم من لم يستمع إليها.

قال آخر: لكن خرافات من يدعون الحداثة، لا تستند لتلـك الروايات، بل هي تسـتند لمنـاهج غريبـة في الاسـتنباط، لا يـدل عليها العقل، ولا أي منطق صوري ولا رياضي.. ولا يدل عليها إلا الهوى المجرد، والتحكم الذي لا ضابط له.

قـال آخـر: ومن الأمثلـة على ذلـك مـا فعلـه شـحرور في سلسلة الكتب التي ألفها حول الأنبيـاء عليهم الصـلاة والسـلام،

والتي تنبع استنباطاته فيها من نفس المنابع التي نهل منها كعب الأحبـــار ووهب بن المنبـــه وغيرهمـــا من التكلـــف الممقـــوت، والفضول الذي نهينا عنه.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما فسر بـه قولـه تعـالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبـوت: 14]، والتي كـان يمكن أن يقرأها كما يقرؤها أي مؤمن من أن نوحا عليه السلام مثال للصبر الجميل، وأنه مكث كل تلك المدة مـع قومـه يـؤدي رسالة الله، ويبلغ حججه من غير أن يضيق أو يضجر، ويقرأ منها مدى صـبر اللـه وحلمـه على خلقـه، وأنـه لم يـنزل بهم عقوبـة الطوفان إلا بعد تلك السنين الطوال.

قال آخر: لكن شحرورا لم يقرأها بهـذه الطريقـة، بـل راح يبحث عن الحيلة التي يحـول بهـا تلـك المئـات من السـنين إلى أربعين سنة، وكأن الله الذي خلق كل شـيء يعجـز أن يمـد في عمـر نـوح عليـه السـلام إلى تلـك المـدة الـتي ذكرهـا القـرآن الكريم.

قال آخر: لقد قال معبرا عن ذلك: (كانت الأعمار في عهـد نوح لا تزيد أبداً عن الأعمار في يومنا هذا، بل لعلها كـانت أقـل، فلقد أثبتت الوثائق التاريخية أن متوسط الأعمار عنـد الفراعنـة لا يزيد عن 40 عاماً، أما الزعم بـأن عمـر آدم كـان ألـف عـام، وأن نوحاً لبث في قومه تسعمائة وخمسـين عامـاً يـدعوهم إلى الإسلام فهذا ضرب من العبث والتخريف، لا نلوم عليه أصـحاب التراث التوراتي لأن علوم التـاريخ كـانت مجهولـة لـديهم، لكننـا نلوم المعاصرين الذين ما زالوا يظنون ويفرضـون علينـا ظنهم، أن الإنسان كان يعيش ألف عام وأكثر)[1]

قال آخر: وهذا الاستدلال عجيب، إذ كيـف يسـتدل بالوثـائق التاريخيـة المرتبطـة بالفراعنـة على زمن نـوح عليـه السـلام، والـذي لا نملـك أي آثـار تـدل عليـه؛ فالآثـار لم تحفـظ لنـا كـل التـاريخ، ولـذلك من العجيب أن نسـتدل على حقـائق التـاريخ، وخاصة ذلك الموغل منه في القـدم بمـا ليس لـدينا أي حجـة أو براهين عليه، ثم ننسف بعد ذلك الحقائق القطعيـة الـتي حكاهـا لنا ربنا.

1 () شحرور، القصص القرآني، قراءة معاصرة، 2/49.

قال آخر: وبعد أن يضع شحرور تلك المقدمة التي لا تملك أي حظ من العلمية، يقدم مقدمة أخرى، يتفق الجميع على صحتها، لكنه يستخدمها بطريقة خاطئة، فيعتمد ــ مثل عادته ـ القواعد الصحيحة، لا للبناء، وإنما للهدم؛ فيقول: (من حيث المبدأ، إذا تعارض ظاهر نص قرآني مع حقيقة علمية ثابتة وجب اللجوء إلى التأويل، وإن تعارض فهمنا لنص قرآني مع حقيقة علمية ثابتة حكمنا بأن فهمنا للنص هو الخطأ، وليس النص بذاته، لأن كلام الله تعالى بداهة لا يمكن ولا يجوز أن يتعارض مع كلماته أي مع قوانينه ونواميسه)[1]

قال آخر: وهذه حقيقة، ولكنها تستعمل عندما يتعارض ظاهر النص القرآني مع ما ثبت علميا، وما ذكره عن الفراعنة ليس له علاقة بتاتا بعمر نوح عليه السلام، ولا أعمار قومه؛ فالمسافة بينهما طويلة، ولا يمكن قياس الغائب على الشاهد.

قال آخر: والنتيجة التي وصل إليها بعد لف ودوران طويلين هي ما عبر عنه بقوله: (إن القرآن استعمل التقويم الذي كان سائداً في عهد نوح، وليس في تقويمنا نحن، فمتوسط أعمار البشر في نمو مستمر، وليس العكس)[2]

قال آخر: وبذلك، وبعد اطلاع هواه المجرد على التقويم الذي كان معتمدا في عهد نوح عليه السلام خلص إلى أن الألف سنة التي تحدث عنها القرآن الكريم قد لا تساوي 40 عاما.

قال آخر: وبقوله هذا يصبح ما ذكره القرآن الكريم من مدة مكث نوح عليه السلام مع قومه لا معنى له، ذلك أن الله تعالى لم يذكر مدة مكث نوح عليه السلام في أداء دوره الدعوي إلا بسبب تلك الخاصية التي تميز بها، وهي الطول الشديد الذي يستدعي الصبر الجميل مع الحلم والأناة.

قال آخر: وبذلك، فإن شحرورا بسلوكه هذا ـ والذي تصور أنه يصحح فيه معلومة أخطأ جميع المفسرين في فهمها ـ قضى على حقيقة قرآنية، وقيمة من القيم الجميلة التي جاءت تلك الآية الكريمة لبيانها.

قال آخر: ومثل ذلك حديثه عن سفينة نوح عليها السلام،

---

1 () شحرور، القصص القرآني، 2/51.

2 () شحرور، القصص القرآني، 2/53.

ومن ركبهـا، والـتي كـان يمكن أن يسـلم بمـا ورد في القـرآن الكريم عنها من كونها سفينة عجيبة حمل فيها نوح عليه السلام المؤمنين به، وزوجين من الحيوانات كما ذكر القرآن الكريم من غير أن يتكلـف في البحث عن طـول السـفينة، ولا عرضـها، ولا فيمن ركبهـا من الإنس والحيوانـات، لأن هـدف القـرآن الكـريم من ذكرهـا هـو بيـان نصـر اللـه للمؤمـنين، وعقابـه للجاحـدين، وليس تفاصيل السفينة، ولا من ركبها .

قال آخر: لكن شحرورا لم يفعـل ذلـك، وإنمـا راح يقزمهـا ويحتقرها، ولم يكتف بذلك، بل راح يجادل فيمن ركب فيهــا من البشر ويشكل عليه، مع كون القرآن الكريم أخبر أنه لم يــركب فيها إلا المؤمنون.

قال آخـر: لقـد قـال معـبرا عن ذلـك: (تحـدث المفسـرون بالتفصيل الممل عن أن ركاب السفينة ثلاثة أنواع: الأول يشمل الحيوانات والنباتات ويحكمه مبـدأ من كـل زوجين اثـنين أولهمـا ذكر والثاني أنـثى، والثـاني يشـمل أهـل نـوح وهم ثمانيـة: نـوح وامرأته وأبناؤه الثلاثة سام وحام ويافث لكل واحد منهم زوجـة، وهـذا النـوع الثـاني يحكمـه مـا يحكم النـوع الأول، أمـا الثـالث فيشــمل من آمن بنــوح وهم قليــل، لكننــا لم نســمع أحــداً من المفسرين أشار إلى المبدأ الذي يحكمهم أهو مبدأ الإيمان فقط أم هــو مبــدأ من كــل زوجين اثــنين الــذي حكم النــوعين الأول والثاني؟)[1]

قال آخر: وقد طرح هذا الذي توهمه إشكالا ليؤسس عليــه بأن نوحا عليه السلام، لم يركب ابنه في السـفينة بسـبب عـدم إيمانه، وإنما بسبب كونه عازبا، وقد قال مقررا هذا: (والســؤال الآن: ماذا يفعل نوح بشاب عازب مؤمن؟ هل يتركه للغرق لأنـه عازب؟ أم يحمله معه لأنه مؤمن ليسطو على زوجات الآخــرين بعد انحسار الطوفان؟)[2]

قال آخر: ويشكل على زوجة نوح عليـه السـلام أيضـا، مـع أن القرآن الكريم لم يتحدث عن ركوبها في السـفينة معـه، لأن الغرض هو الحقائق والعبر لا تفاصيل من ركب السفينة ومن لم يركبها، فلذلك كان يكفيـه أن يقـرأ قولـه تعـالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَـاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَـكَ إِلَّا

1 () شحرور، القصص القرآني، 2/45 ـ 46.
2 () شحرور، القصص القرآني، 2/45 ـ 46.

مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ [هود: 40]

قال آخر: لكن شحرورا لم يفعل ذلك، وإنما راح يستنبط من القرآن الكريم بطريقته الخاصة أسماء من ركب ومن لم يركب، فقد قال: (وإن كان المعيار في الدخول إلى السفينة هو الإيمان فلماذا حمل نوح امرأته وقد ضربها الله في كتابه مثلاً للذين كفروا ولم يحمل ابنه؟ والأهل هم الزوجة والأولاد، وابنه ممن سبق عليه القول، لأنه ليس ابنه)[1]

قال آخر: وهكذا راح يتكلف في استنباط شكل السفينة وقدراتها، ويتصور أن الإجابة على ذلك تشكل مسألة مهمة، مع كونها ليست كذلك، وحتى لو كانت كذلك، فإنه ليس لدينا من الأدلة ما يمكننا أن نستند إليه.

قال آخر: وقد قال معبرا عن ذلك: (هنا سيظهر سؤال في غاية الأهمية وهو: ما هو المستوى الإنتاجي في الأدوات المستخدمة لصنع الفلك؟ ومن ركب في الفلك؟ لقد أجاب القرآن على هذه الأسئلة كالتالي.. لم يكن في زمن نوح حبال ولا مسامير لربط الخشب بعضه إلى بعض، وإنما تم ربط الخشب على مبدأ الدسر وهي الألياف الطبيعية.. أما الفلك نفسه فقد جاء من فعل [فلك] وهو الاستدارة، وهو بمثابة المعدية المائية، وقد أكد القرآن أنه لم يكن في ذلك الوقت مجاذيف للتجذيف ولا دفة للتوجيه ولا أشرعة.. أي أن الفلك مجرد جسم خشبي له استدارة يعوم على الماء فقط.. فإذا سأل سائل: كيف تم التوجيه والجر في فلك نوح؟ أقول: لقد تم الجر بواسطة التيار المائي حسب اتجاهه الطبيعي.. أما الآن فإن توجيه السفن يجري بواسطة الرادار والبوصلة، والشد يجري بواسطة المحرك والأشرعة)[2]

قال آخر: وهكذا راح يتكلف في كيفية حصول الطوفان، وكان في إمكانه ألا يبحث في ذلك كله، ويركز على المعاني والعبر المرتبطة بذلك، خاصة مع عدم ورود أي دليل.

قال آخر: وقد قال ذلك بصيغة التقرير والجزم، بل والإيجاب: (يجب أن نفهم أن طوفان نوح كان محليا أي عبارة عن عاصفة مطرية كبيرة جدا جرت بشكل محلي، حيث كان قوم نوح يسكنون في مناطق منخفضة قريبة من الأنهار تحيطها

---

1 () شحرور، القصص القرآني، 2/45 ـ 46.

2 () شحرور، القصص القرآني، 2/45 ـ 46.

الجبـــال.. ونحن نعلم الآن أنـــه خلال ســـاعات من العاصـــفة المطرية الشديدة يمكن إغـراق مدينـة بأكملهـا، وبنفس الـوقت نعلم إذا كانت هناك عاصفة مطرية تبعها طوفان في منطقة مـا في أستراليا فهذا لا يعـني أن الطوفـان قـد وصـل إلى مصـر أو الهند، وأن من يفسـر بـأن الطوفـان عم كـل الأرض فهـذا غـير صـحيح ولكنـه عم لـك الأرض الـتي سـكنها قـوم نـوح وبنفس الوقت لم يغط الجبال.. وبما أن المنطقة التي سكن فيهـا قـوم نوح عبارة عن منطقة محاطة بالجبـال، فقـد حصـل تيـار مـائي قوي وكان الموج كسلاسل الجبال من حيث الشكل لا من حيث البعـد كمـا نـراه الآن في طوفـان الأنهـار الجبليـة ذات الميـول الكبيرة)[1]

قال آخر: وهكـذا راح يتكلـف في تفاصـيل كثـيرة، بـل راح يصور أن قوم نوح عليه السلام لم يهلكوا بسبب كفـرهم، وإنمـا بسبب عدم معرفتهم بالسباحة، فقد قال: (وبمـا أن كـل الـذين لم يركبـوا في الفلـك هلكـوا فمن الجـائز أن الإنسـان في زمن نوح كان لم يتعلم السباحة بعد)[2]

قال آخر: وراح يفسر قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُــوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِـدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَـارًا﴾ [نـوح: 25]، والذي يستدل به العلماء عادة على وقـوع العـذاب في الـبرزخ، لكن شحرورا فسرها بغير ذلك؛ فقال ـ ليفر من عذاب البرزخ ـ (لقد جـرف السـيل جثث قـوم نـوح ورماهـا في فوهـة البركـان حيث يتبين من الآية أن فوهـة البركـان كـانت منخفضـة وعلاهـا الماء، ودخلت الجثث في البركان، وقد بين هذا في قوله: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُــوا فَــأُدْخِلُوا نَـارًا فَلَمْ يَجِــدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: 25]، هنا استعمل فاء السببية والتعقيب بين الغـرق وإدخال النار واستعمل النار نكرة وهنا لا يقصـد فيهـا نـار جهنم)[3]

قال آخر: ومثل ذلك تكلفه في معرفة تفاصـيل كثـيرة عن أقوام الأنبياء من غير أي دليل، كقوله عن قوم نوح عليه السلام أنهم كانوا يعبدون الظواهر الطبيعية [4] بدليل قوله تعالى حكاية عن دعوة نوح عليه السـلام لقومـه: ﴿أَلَمْ تَـرَوْا كَيْـفَ خَلَـقَ اللَّهُ

---

1 () شحرور، القصص القرآني، 2/45 ـ 46.
2 () شحرور، القصص القرآني، 2/45 ـ 46.
3 () شحرور، القصص القرآني، 2/45 ـ 46.
4 () شحرور، القصص القرآني، 2/16.

سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: 15، 16] مع أن مثل هذه الآيات واردة في خطاب القرآن الكريم للبشر جميعا بما فيهم قوم النبي ﷺ أنفسهم، فالله تعالى يقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 164]، فهل هذه الآية الكريمة وغيرها كثير موجهة لمن يعبد الظواهر الطبيعية، أم أنها خطاب الله لعباده ليستدلوا بالصنعة على الصانع.

المثال الخامس:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن المثال الخامس.

قال أحد المبدلين: المثال الخامس، وهو مثل الأحاديث السابقة المرتبطة بالتكلف والفضول المخالف للقرآن الكريم، وهو من أحد تلاميذ شحرور، والذين يتنافسون كل يوم لاستخراج الاستنباطات التي لم يذكرها الأولون والآخرون.

قال آخر: وهو ما كتبه بعضهم تحت عنوان [النبي محمد ليس من ذرية النبي إسماعيل][1]، وهو منشور في موقع شحرور، والذي تكلف فيه صاحبه تكلفا شديدا ليثبت في الأخير أن محمدا ﷺ من ذرية إسحق، وليس من ذرية إسماعيل.

قال آخر: وقد قال في مقدمة مقاله ذلك ـ كعادة أستاذه ـ: (لدراسة هذا الموضوع وبعيداً عن تأثير اليهود في التاريخ وتحريفه لصالحهم، لابد من إعادة دراسة الموضوع من القرآن ذاته وترتيب النصوص مع بعضها وفق منطق اللسان العربي ومنطق القرآن لتتكامل الصورة، وهذه محاولة لإعادة ترتيب النصوص وفهمها من جديد حسب المحكم منها ورد المتشابه لها، مع الانتباه إلى أن حادث ضيوف إبراهيم هو واحد، والمرأة القائمة على خدمة الضيوف هي ذاتها في النصوص، والبشرى بالولد في النصين متعلقة بواحد)[2]

قال آخر: ثم ذكر أن بكر إبراهيم عليه السلام هو إسحق وليس إسماعيل، وأنه هو الذي أمر بذبحه، ثم علق على ذلك

---

1 () النبي محمد ليس من ذرية النبي إسماعيل، سامر إسلامبولي، موقع شحرور.

2 () النبي محمد ليس من ذرية النبي إسماعيل.

بقولـه: (وبهـذا العـرض القـرآني وصـلنا إلى أن الولـد صـاحب البشرى هو إسحاق، وليس قبلـه أي ولـد، ولا يوجـد عنـد النـبي إبراهيم غـير أم إسـحاق بـدليل فهمهـا أنهـا المقصـودة بالحمـل والولادة، ولو كان يوجد غيرهـا لمـا صـكت وجهها وقـالت: إنهـا عجوز عقيم، عقب سماعها البشرى لبعلها، وبعـد ذلـك تـوجهت الملائكة بالبشرى لها)[1]

قال آخر: بل إنه ذهب إلى أن إسماعيل عليه السـلام ليس ابنا لإبراهيم عليه السلام، واستدل لـذلك باسـتدلال عجيب عـبر عنه بقوله: (وما يؤكد مـا ذهبنـا إليـه من كـون النـبي إسـماعيل ليس ابناً للنبي إبراهيم هو غياب ذكر النبي إسـماعيل من قـول النبي يوسف عندما ذكر آباءه: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَـهُ عَلَيْـكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُـوبَ كَمَـا أَتَمَّهَـا عَلَى أَبَوَيْـكَ مِنْ قَبْـلُ إِبْـرَاهِيمَ وَإِسْـحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسـف: 6].. وذكره اللـه منفصـلاً عن النـبي إبـراهيم وأبنائـه في قولـه: ﴿وَإِسْـمَاعِيلَ وَالْيَسَـعَ وَيُـونُسَ وَلُوطًـا وَكُلًّا فَضَّـلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعـام: 86]، وهذا إشـارة إلى أن النـبي إسـماعيل من ذرية النبي نوح مثله مثل النبـيين الـذين ذكـروا معـه، أمـا النص الذي ذكـر النـبي إسـماعيل كـأب لأبنـاء يعقـوب وهـو ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُـدُ إِلَهَـكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْـرَاهِيمَ وَإِسْـمَاعِيلَ وَإِسْـحَاقَ إِلَهًـا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 133]، فهو لأن النبي إسـماعيل من الآباء السلف الذين مضوا بالنسبة لأبناء يعقوب وهو معاصر للنبي إبراهيم)[2]

قال آخر: هذا وجـه اسـتدلاله.. والنتيجـة الـتي يخلص إليهـا في الأخير هي ما عـبر عنـه بقولـه: (ومـا ذكرنـاه من أن النـبي إسحاق هو ابن النبي إبراهيم فقط، وهو الذبيح، وهو الذي سكن عند البيت المحرم، والنبوة حصراً من ذريتـه أو من ذريـة النـبي نوح، أو من كليهما، نصل إلى أن نسب النبي محمد الخاتمي هو من ذرية النبي إسحاق لأنه هو الذي سكن عند الـبيت المحـرم، والأنبياء في هذه المنطقة كلهم من ذريته)[3]

قال آخر: وهكذا يسـتنبط من القـرآن الكـريم أن كـل تلـك

---

1 () النبي محمد ليس من ذرية النبي إسماعيل.
2 () النبي محمد ليس من ذرية النبي إسماعيل.
3 () النبي محمد ليس من ذرية النبي إسماعيل.

الأحاديث عن بني إسرائيل، ليس هـو مـا نتوهمـه أو نقـرؤه في كتب التفسير والحديث والتاريخ، وإنما (الخطاب في القرآن [يـا بـني إسـرائيل] هـو خطـاب لمجموعـة من القبائـل من سـكان منطقـة شـبه الجزيـرة العربيـة، وهم متـداخلون مـع أهـل مكـة وذرية النـبي إبـراهيم عن طريـق النـبي يعقـوب، وبُعث النبـيين فيهم على الغـالب من ذريـة النـبي إبـراهيم وبعضـهم من ذريـة النبي نوح مثل النبي موسى أو متداخلة مع ذرية النبي إبراهيم.. وبنـو إسـرائيل هم أرومـة القبائـل العربيـة في شـبه الجزيـرة العربية ويحتضنون ذرية النبي إبـراهيم، ولا علاقـة لليهـود بـذلك قط)[1]

قال آخر: هذه مجرد أمثلة عن ذلك التكلـف المقيت الـذي يمارسه هؤلاء المبدلون مع الحقائق القرآنية من غـير أن تكـون لهم أثارة من علم، ولا سلطان من حجة، اللهم إلا تلـك الأوهـام الـتي يخـدعون بهـا العقـول الـتي تـأثرت بهم، وتصـورت أنهـا بلجوئهم إليهـا قـد نجت من التطـرف، وغفلت عن أنهـا خـرجت من تطــرف يلبس عبــاءة القــدماء إلى تطــرف يلبس عبــاءة المحدثين والحداثيين، وكلاهما انحراف.

د. المبدلون والمعاد:

قـال أحـد الحضـور: وعينـا هـذا.. فحـدثونا عن المبـدلين وموقفهم من المعاد.

قال أحد المبدلين: أكثر المبدلين من الحـداثيين لا يهتمـون بالمعاد، ولا يبالون به، بل يسخرون ويحتقرون المؤمنين بسـببه، لأنهم يتوهمون أن الـدين ـ في حـال التسـليم بـه ـ لم يجئ إلا لإصلاح الدنيا، أو تطوريها ورقيها.

قــال آخــر: ولــذلك؛ فــإن أحســن لقب لهم ــ بمختلــف اتجاهـاتهم ومنـاهجهم ـ هـو [الـدنيويون]، فهم مسـتغرقون في حب الحياة الدنيا، والتعلق بها، والدعوة إليها، واعتبارهـا البدايـة والنهاية، وأن إليها المنتهى، لا إلى اللـه، ولا إلى حقـائق الوجـود المطلقة، التي لا تساوي الدنيا أمامها جناح بعوضة.

قال آخر: ولذلك يتفقون على أن الدين ـ بصورته الموروثة ـ عقبة دون التحقق بما تتطلبه الحيـاة الـدنيا من مقتضـيات، ثم يختلفون بعد ذلك، فمنهم من يصـرح بإلحـاده، مثلمـا فعـل عبـد اللــه القصــيمي، ذلــك الــذي كتب الكتب في نصــرة الاتجــاه

1 () النبي محمد ليس من ذرية النبي إسماعيل.

السلفي، وتكفير الصوفية والشيعة وغيرهما، ثم راح يكفر بالدين نفسه، ويكتب الكتب في الرد عليه باعتباره عقبة كبرى دون التطور.. ومنهم من لا تكون له جرأة القصيمي؛ فلذلك ينهج منهجا آخر هو أخطر على الدين من الإلحاد المجرد الواضح، وهو تفصيل الدين على مزاجه، باستعمال مناهج وأساليب مختلفة ليصبح الدين نفسه دنيويا، والغاية منه دنيوية محضة.

قال آخر: وأول علامات هؤلاء هو نفورهم من الغيب، وتركيزهم على عالم الشهادة، واعتبارهم أن الغيب يحول دون الشهادة، فلذلك إذا ما ذكر الغيب بينهم راحوا يسخرون، ويذكرون لازمتهم التي تعودوا ترديدها، وهي أن الغرب يتطور، ويصنعون الصواريخ، ونحن لا زلنا نبحث في عالم الغيب..

قال آخر: وهم يقولون هذا الكلام بتثاؤب وكسل، لأنهم في الواقع لا يقدمون شيئا، وإنما ينتقدون فقط الإيمان بالغيب، ويسخرون من أولئك الطيبين الذين تعيش أجسادهم في عالم الشهادة بينما تحلق أرواحهم في عالم الغيب، وهم الذين مدحهم الله تعالى في أول كتابه، بل اعتبر الهداية قاصرة عليهم؛ فقال: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: 2، 3]

قال آخر: بل إن الله تعالى أخبر أن الإنذار الذي كلف به رسول الله ﷺ لا يستفيد منه إلا المؤمنون بالغيب، كما قال تعالى: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: 10، 11]

قال آخر: وهذه الآية الكريمة تعبر بدقة عن ذلك السلوك الذي يمارسه أدعياء التنوير، ويكادون يتفقون عليه من إزاحة الإنذار من وظائف النبوة والدعوة إلى الله، واعتبار الدعوة فقط تبشيرا لا إنذارا، ولذلك يتصورون أن كل من يتحدث عن عذاب القبر أو عذاب جهنم منحرفا، وبعيدا عن فهم الدين.

قال آخر: ولسنا ندري من أين لهم هذا، والقرآن الكريم كله إنذار وتخويف، ولا يمكن لمن يقرؤه صادقا إلا أن يمتلئ بتلك الخشية من الله، والتي تولد فيه لا محالة حوافز التقوى، وروادعها.

قال آخر: بل إن القرآن الكريم، وفي ذكـره للـذنوب الـتي نحتقرها، يشدد ويتوعد ويهدد، ثم يأتي هؤلاء المبدلون بما أوتـوا من سماحة لينسـخوا كـل ذلـك، ويعقبـوا على اللـه في حكمـه، ليرضـوا أهـواءهم أو جمـاهيرهم، ولا يعلمـون أن البشـر الـذين خـاطبهم رسـول اللـه ﷺ هم نفسـهم البشـر الـذين يقومـون بخطابهم.

قال أحد الحضور: وعينا هذا، ونحسب أن مـا ذكرتمـوه لنـا في أحاديثكم السابقة ما يدل عليه، ولهذا نريد منكم نمـاذج عن موقفهم من المعاد وأحداثه.

قال أحد المبدلين: سنذكر لكم أربعـة أمثلـة عن تبـديلاتهم في هذا الجانب، قد تكون كافية لبيان موقفهم منه.

المثال الأول:

قال أحد الحضور: فحدثونا عن المثال الأول.

قال أحـد المبـدلين: المثـال الأول هو مـوقفهم من الـبرزخ وأحداثه، والتي ورد في القرآن الكريم والسنة المطهـرة وهـدي أئمة الهدى ما يدل عليها.

قال آخر: بـل ورد في العقـل الممتلئ بالحكمـة والإيمـان، ولذلك قال به كل الحكماء والعلماء الذين لم يستطع أحـد منهم وعلى مدى القـرون الطويلـة أن يتجـرأ؛ فيكـذب مـا دلت عليـه النصـوص، أو يحشـر أنفـه فيمـا لا طاقـة لعقلـه المحـدود في التعرف عليه، أو الإحاطة به.

قال آخر: لكن التفكير الرغبوي والمزاجي لأدعيـاء الحداثـة والتنوير راح يخوض فيـه كمـا خـاض في غـيره، ولا دليـل لـه إلا الهوى المجرد.. ذلك أنه من الناحيـة العقليـة يمكن لخـالق هـذا الكون أن يعذب أو ينعم من شاء، مـتى شـاء، كيـف شـاء، وفي إطار قوانين العدالة التي يضعها، ولا يحجر عليـه أحـد في ملكـه أو تدبيره أو تصريفه.

قال آخر: ومن الناحية الشرعية، والتي هي المخول الوحيد بالحديث في هذا الجانب، نرى النصوص الكثيرة التي تحـذر من عـذاب القـبر، وتـبين الرذائـل الـتي يمكن أن تكـون سـببا في حصوله، بل تعلمنا من الأدعية والتضرعات ما يجعل منـه قضـية حاضرة في أذهاننـا، لـنربي أنفسـنا من خلالهـا؛ فنقـاوم نزغـات الهوى بسياط الرهبـة، كمـا نـدفعها إلى العمـل الصـالح بجـوائز الرغبة، ذلك أنه كما ورد في تلـك النصـوص المقدسـة مـا يـدل

على عـذاب الـبرزخ، ورد فيهـا مـا يـدل على نعيمـه، كمـا قـال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَـلْ أَحْيَـاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِـرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُـــوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَـــوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُـؤْمِنِينَ﴾ [آل عمـران: 169 ـ 171]، وقـال: ﴿فَلَـوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْـرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَـا إِنْ كُنْتُمْ صَـادِقِينَ فَأَمَّا إِنْ كَـانَ مِنَ الْمُقَـرَّبِينَ فَـرَوْحٌ وَرَيْحَـانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ وَأَمَّا إِنْ كَـانَ مِنْ أَصْـحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: 86 ـ 90]

قـال آخـر: لكن الحـداثيين، وبسـبب مـا رأوه من بعض المشايخ والوعاظ من استعمال هذا النـوع من القضـايا العقديـة في محله أو في غير محله، راحـوا لا يكتفـون بالإغـارة عليهم أو نقدهم، وإنما الإغارة على النصوص المقدسة نفسها، ونقدها.

قال آخـر: وهـذا مـا يـدل على كـون العقـل الحـداثي عقلا مراهقا؛ فهو لا يفكك القضايا، ويمـيز بين المقبـول والمرفـوض، وبين الحقيقة والاستعمال الخاطئ لها، وإنما يغير على الجميـع، وبطريقـة استئصـالية لا علاقـة لهـا بـالعلم، ولا بالحكمـة، ولا بالتؤدة، وإنما هي تجسـيم للهـوى المجـرد، والتفكـير الرغبـوي، والعقل المزاجي.

قال آخر: ومن الأمثلـة على ذلـك قـول بعضـهم في مقـال تحت عنوان [عـذاب القـبر أم عـذاب الفقـر]: (بـالطبع لا يخفي على أحد المنتفعين من تجار الدين بالأزهر الـذين يـدافعون عن مصالحهم الشخصية باسم الدين والتـدين ودفـاعهم المسـتميت عن موضوع عـذاب القـبر، نـدعو اللـه أن يقـبرهم في جهنم إن شاء اللـه، حقيقـة شـيء مخـزي أن تكـرس حياتـك للـدفاع عن عالم أنت لا تعلم عنه شيئا، هو جزء من عالم الغيب، هـو عـالم الأموات، فلا أنت ولا أنا ولا أي شخص ولا أي علم في الماضـي والحاضر استطاع أن يخترق هذا العالم عالم المـوت، ويعلم مـا الذي يحدث لأي إنسـان بعـد المـوت، ولكن المنتفعين من تجـار الدين بالأزهر ركزوا جلّ اهتمامهم على الإنسان بعد موته فقط، أما نفس الإنسـان وهـو حي يـرزق، وكيـف سـيعيش سـعيدا أم حزينا مثل ملايين البؤساء الذين يعيشون في فقر وبؤس وسـط هؤلاء المجرمين من تجار الدين)[1]

1 () مقال بعنوان: عذاب القبر أم عذاب الفقر، رمضان عبد الرحمن.

قـال آخـر: وبعـد كـل هـذه المصـادرات على المطلـوب، والخلـط بين القضـايا، وردة الفعـل الـتي لا تـدل على الحكمـة والأناة، راح صـاحب المقـال يخطب قـائلا: (أليس من العـار أن تدافع عن الأموات وتترك الأحياء يـزدادون بؤسـا باسـم تمثيليـة عذاب القبر.. فيا أستاذ يا إنسان يا من تـؤمن أن اللـه كرمّـك.. اشـعر بمن حولـك من البشـر اشـعر بهم وهم أحيـاء يشـتركون معك في المكان والزمان.. اشعر بهم وقف معهم وبجانبهم ضد الفاسدين لا تقف ضدهم من أجل مصلحتك الشخصـية، فمزبلـة التاريخ لا تجامل ولا ترتشي أعـد حسـاباتك، فعـذاب الفقـر أهم مليار مرة من عذاب القـبر، فلا يطلـق الفقـر والفقـراء إلا على الأحياء والعقل يقول أن الذي لا يهتم ويشعر بمعاناة الناس وهم أمامه أحياء، فمن المؤكد أن ما يقولـه مـدعيا خوفـه على نفس الناس وهم أموات يعتبر محض كذب وافتراء وضحك على نفس الناس حتى ينشغلوا عن حقوقهم الطبيعية وهم احياء)[2]

قال آخر: ولسنا ندري مـا علاقـة عـذاب القـبر بكـل ذلـك، وهل في إمكان العالم أو رجل الدين أو الخطيب أن ينقذ الناس من الفقر؟.. وهل هذا دوره، أم دوره أن يبين أحكـام الشـريعة، ويعظ الناس ويوجههم؟.. أما تكليفـه بإغنـائهم من الفقـر، فهـذا ليس من مسؤولياته، والسبب فيما ذكره من السرقات الكـبرى ليس رجال الدين الذين يؤمنون بعذاب القبر، ولكن رجال الدنيا الذين ينكرونه، لأنهم لو كانوا يؤمنون به، لما تجرأوا على سرقة دينار واحد.

قال آخر: ولهـذا فـإن هـذا المـدعي التنـوير في حقيقتـه لا يعطي حلا لعلاج الفقر، وإنما يريد أن يضـم للفقـر الـذي يعانيـه الفقراء كفرا وضلالا وزندقـة، ليجمـع الفقـراء بين عـذاب الـدنيا وعذاب الآخرة، أو ليضموا إلى معانـاتهم الماديـة معانـاة أخـرى نفسية وروحية، أشد وأخطر.

قال آخر: ومثل ذلـك كتب آخـر في مقـال بعنـوان [عـذاب القبر بين الحقيقة والخيال]، ومما جاء فيه قوله: (من المؤسـف جدا أن تجد في هذه الأيام وبعد نزول القرآن الكريم على خاتم النبين منذ أكثر من 1200 سنة عددا كبيرا من أبنـاء هـذه الأمـة الإسلامية ما زال يؤمن بمقولة عذاب القبر ضاربا بمقولته هــذه بكل الآيات القرآنية عرض الحائط، والتي تنفي هذا الادعاء نفيـا

2 () المرجع السابق.

قطعيا لا مرية فيه، ويتمسكون ببعض أحاديث الآحاد، والتي يجمع معظم علماء الأمة بأنها أحاديث ظنية الثبوت، وتاركها لا إثم عليه ولا يجوز استنباط او استخراج أسس الدين من هذه الأحاديث)[1]

قال آخر: وهكذا راح هو وأمثاله ينتقون من القرآن الكريم بعض الآيات التي تنص على العذاب الأكبر في القيامة، متجاهلين آيات أخرى، تتحدث عن العذاب الذي قبلها، وبدل أن يحكموا جميع الآيات والنصوص، راحوا يستعملون بعضها لضرب بعض.

قال آخر: وهكذا راح آخرون يصرون ـ كما في كل قضية اتفق فيها الإسلام مع سائر الأديان ـ على اعتبار المسلمين أخذوا تصوراتهم وعقائدهم عن عالم البزخ من أهل تلك الأديان، وليس من مصادرهم المقدسة، أو ربما يتصورون من حيث لا يشعرون أن المصادر المقدسة للمسلمين استفادتها من أهل تلك الأديان، ولم يوح بها من الله تعالى.. وهم في هذا يطلبون من الله تعالى بأن يختار للمسلمين عقائد ينفردون بها، ولا يزاحمهم فيها غيرهم.

قال آخر: ومن الأمثلة على هذه الشبهة ما كتبه بعضهم تحت عنوان [مصدر خُرافة عذاب القبر]، والذي أعاد فيه هذه العقيدة لمصادر مختلفة عبر عنها بقوله: (بما أن اليهود هم أصل هذه العقيدة عند المسلمين؛ فهذا يعني حدوث واحد من أمرين اثنين: إما أن اليهود ـ حينها ـ كانوا يؤمنون بالحياة في البرزخ، وأن البعث يكون مرتين الأولى في القبر، والثانية يوم القيامة، وبالتالي فهم يؤمنون بثلاثة أنواع من الحيوات، وهذه العقيدة هي نفسها عقيدة من يؤمن بعذاب القبر من المسلمين.. أو أن اليهود لم يكونوا يؤمنون بالبعث يوم القيامة أصلاً.. ولكن يؤمنون بالبعث في القبر، وأن الحساب الأخروي لديهم موجود بداخله، وهذا يعني أن عذاب القبر لديهم هو نفسه عذاب الآخرة)[2]

قال آخر: ثم راح يرجح الاحتمال الثاني، ليبني عليه أن مصدر هذه العقيدة هم المصريون القدامى، فقال: (وأنا أرجح الثانية.. لأن هذا الاعتقاد هو بعينه اعتقاد المصريون القُدماء،

---

1 () عذاب القبر بين الحقيقة والخيال، فتحى احمد ماضى.

2 () مصدر خُرافة عذاب القبر، سامح عسكر، الحوار المتمدن.

فنشأة اليهود بالأصل كانت مصرية حتى مـع الخلاف حـول هـذه النتيجـة، ولكنهـا كـانت رؤيـة دينيـة عامـة منتشـرة في الشـرق القـــديم، فـــالمعبود المصـــري يُقابلـــه المعبـــود الفيـــنيقي أو البـــابلي..حـــتى أن عقائـــد اليونـــان القـــدماء لم تَخـــلُ من هـــذا الطرح..وعقيدة الحساب والجزاء لديهم كانت في القبـور وهـذا ما حملهم على دفن متاع الميت معه.. ولأن كُتب وأسفار اليهود الكُـبرى خلت من أي إشـارة للبعث يـوم القيامـة، وأن الإيمـان بيوم القيامة لدى اليهود لم يأتِ إلا متأخراً وبالتحديـد بعـد كتابـة التلمود بشِقيه.. ولأنه لا يوجد أحد من اليهود الآن يقـول بعـذاب القبر.. بمعنى أنهم يعتقدون في أن البعث يكـون يـوم القيامـة، وهذا يُثير التسـاؤل كيـف وأن هـذه العقيـدة كـان منشـأها لـدى اليهود ثم يُنكرونها الآن..والإجابة جاءت في الوجه الثـاني بـأنهم كـانوا يقولـون بـذلك قبـل كتابـة التلمـود، وبعـدما جـاء التلمـود بعقيدة البعث يوم القيامة متأثراً فيه بالإنجيل.. حينها آمن اليهود بـــأن البعث واحـــد يـــوم القيامـــة وأن الحيـــاة اثـــنين في الـــدنيا والآخرة)[1]

قال آخر: ثم أخذ يبين كيف تطور هذا المفهـوم المسـتورد من المصريين القدامي، فقال: (يكفينا الإشارة بأن فكرة عذاب القبر عند المسـلمين كـانت فكـرة دينيـة أخـذت بُعـداً اجتماعيـا نتيجـة لتطورهـا على أيـدي المتصـوفة..أيضـاً ومن أثـر عُمقهـا الضـارب في أذهـان القُـدماء الشـرقيين، وهي تعـني أن عـذاب القبر لديهم كان هو العذاب الأخير لأنهم كانوا لا يعتقـدون بيـوم القيامة الذي يبعث الله فيه العباد ويُحاسبهم على أعمالهم فمن كـــان صـــالحاً دخـــل الجنـــة ومن كـــان طالحـــاً دخـــل النـــار، وأن الأساطير المصرية والعراقية واليهودية القديمة كـانت متشـابهة في البعض ومتطابقة في البعض الآخر..وفي قضية عذاب القبر نكاد نرى تطابقاً عجيباً بين عقائد اليهود والفراعنة وبلاد العـراق ـ خاصة السومريين والبابليين ـ قبيل ظهور التلمود وتأثر اليهـود بالأناجيل التي أفصحت عن شكل الحياة بعد الموت وبأن هنـاك يوماً ستُرد فيه الحياة للأجساد وهو اليوم الأخـير للعـالم وبعـدها يأتي الحساب)[2]

قال آخر: ومثل ذلك كتب آخر في كتاب له بعنوان [أكذوبة

---

1 () المرجع السابق.

2 () المرجع السابق.

عـذاب القـبر وأكـاذيب شـيوخ الثعبـان الأقـرع]، وقـد قـال في مقدمـة الكتـاب: (فى الـوقت الـذى يسـتعد فيـه العـالم لارتيـاد القرن الحادى والعشرين بمزيـد من التقـدم فى العلـوم تقـدماً يقترب من الخيال، يحصر المسـلمون اهتمامـاتهم حـول قضـايا ترجـع إلى خرافـات تنتمى إلى القـرن الحـادى والعشـرين قبـل الميلاد. من نـوع عـذاب القـبر والثعبـان الأقـرع الـتى اخترعهـا أجـدادنا المصـريون القـدماء ثم عـادت إلينـا منسـوبة زوراً إلى النبى، ونحن مشغوفون بهذه الخرافة ونعتبرها من المعلـوم من الــدين بالضــرورة من أنكرهــا يكــون كــافراً، وهكــذا ينفصــل المسلمون عن عصرهم بأكثر من أربع آلاف سنة مع أن الإسلام حين نـزل فى القـرن السـابع الميلادى وقـف موقفـاً حازمـاً من الأساطير والخرافـات ووضـع منهجـاً علميـاً تجريبيـاً فى القـرآن للبحث والاكتشاف.. لكن الأسلاف ركنـوا إلى الخرافـة وأهملـوا مـا جـاء فى القـرآن الكـريم من منهج علمى تجريـبى.. وعنـدما بـدأت الصـحوة فى العصـر الحـديث فوجئنـا بخرافـات العصـور الوسطى التى يرفضها القرآن الكـريم وقـد عـادت إلى الظهـور والتـأثير على عقـول الشـباب المتـدينين لـيزدادوا تخلفـاً باسـم الإسلام وهو دين العلم ودين التعقل والتبصر)[1]

قال آخر: ثم قال بكـل حماسـة: (مـرة أخـرى.. مـاذا يـراد بنا!؟.. هل يراد بنـا أن نكـون رقيـق القـرن الحـادى والعشـرين نعيش فى زوايا النسيان بينما يتقدم العالم من حولنا.. هل يـراد بــديننا الحــنيف أن يكــون عنوانــاً للإرهــاب والعجــز والتخلــف والخرافة!؟)[2]

قال آخر: وهكذا راح يتصور أنه بمجرد تكذيبه لعذاب القـبر يكون قد خلص المسـلمين من الخرافـة، وأنـه بـذلك سـيؤهلهم لارتيــاد القــرن الواحــد والعشــرين، وهــو لا يعلم أن قولــه هــذا سيفتح الباب على مصراعيه لإنكار عقائد أخـرى من الـدين، قـد توصف بالخرافة، حتى نـدخل القـرن الواحـد والعشـرين ــ كمـا يزعم ـ ونحن مسلحون بسلاح العلم المجرد.

قـال آخـر: ونفس الشـيء نجـده يـردد في كتب ومقـالات تنويريــة كثــيرة، تحــاول أن تربــط هــذه العقيــدة بعقائــد الأمم السالفة، لتقوم بنسفها بعد ذلـك، وكـأن القاعـدة الشـرعية هي

---

1 () أكذوبة عذاب القبر وأكاذيب شيوخ الثعبان الأقرع، أحمد صبحي منصور.

2 () المرجع السابق.

أن الإسلام لا يقصد سوى مخالفة عقائد الأمم.

قال آخر: ولو أن هـؤلاء اسـتمروا في تطـبيق هـذا المعيـار على أحكام الحج، لألغوها جميعا، فقـد كـان الحج أيضـا موجـودا في الـديانات المختلفـة، بـل إن القرشـيين المشـركين كـانوا يتفقون مع المسلمين في كثير من أحكام الحج.

قال آخر: وهكذا نجد أكـثر الأنبيـاء المـذكورين في القـرآن الكريم هم أنفسهم المذكورون في الكتاب المقـدس، بـل نفس قصصهم موجودة، والاختلافـات بين مـا ورد في القـرآن الكـريم والكتاب المقدس محدودة؛ فهل نعتـبر تلـك القصـص مسـتمدة من الكتـاب المقـدس، وأنهـا إرث من الـديانات الأخـرى تسـلل لكتاب المسلمين ودينهم.

قال آخر: وهكـذا الأمـر في مسـائل كثـيرة جـدا سـواء في بـاب العقائـد أو الشـرائع، والـتي تـدل في الأصـل على وحـدة الدين، لا على كون المسلمين قد أخذوها من غيرهم.

قال آخر: ولو أن هؤلاء تواضعوا قليلا، وحاولوا أن يتخلصوا من ذلك العقل الرغبوي والمزاجي، وعادوا إلى نصوص القــرآن الكــريم نفســها، ومثلهــا إلى الســنة المطهــرة الــتي هي بيــان للكتاب، وشـرح لـه، لوجـدوا الأدلـة الكثـيرة جـدا، والـتي تكفي آحادها لكف المؤمن عن التجرأ على مخالفتها.

قال آخر: ولـذلك، فـإن مجـرد اتفـاق المسـلمين مـع أهـل الكتاب أو غـيرهم من أهـل الأديـان على هـذه العقيـدة لا يعـني إلغاءها، بل إنه يعني أن هذه العقيـدة من العقائـد المقـررة في الأديان الأخرى، والتي لا زالت تحتفظ بها.

قال آخر: والمشكلة الكبرى التي يقع فيها هـؤلاء بعـد هـذا هي اسـتعمالهم سـلاح التبـديل والتحريـف لإخـراج كـل الآيـات الدالــة على عــالم الــبرزخ وأحداثــه عن معانيهــا المقصــودة والواضحة التي تدل عليها ظواهر الألفاظ.

قال آخـر: ومن الأمثلـة على ذلـك أن بعضـهم يـأتي ببعض الآيات الكريمة التي تنص على أن العـذاب الحقيقي يكـون بعـد المساءلة والحساب يوم القيامة، ليضربوا بها غيرهـا من الآيـات الكريمة.

قال آخر: وهم يستعملون في هذا كل ما لـديهم من أدوات القص والكتمان والحذف التي يستعملها عـادة العقـل الرغبـوي لتقرير ما يريد، ومن أمثلة ذلك اقتبـاس بعضـهم لقولـه تعـالى:

﴿كَيْــفَ تَكْفُــرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًــا فَأَحْيَــاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: 28]، مع حذفه لتتمة الآية، والتي تقول: ﴿ثُمَّ إِلَيْـهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: 28]، ثم تعقيبه على النص الذي اقتبسـه بقولـه: (إذا يقول الحـق، هـو مـوت فى البدايـة، ثم الحيـاة الـدنيا الـتى نحياها الآن، ثم الموت، ثم الحياة فى الآخرة.. موتتان وحياتــان، أي: 2+2 =ـ 4.. إذا اضفنا [حياة القـبر] تصـبح هـذه المعادلـة خاطئة لأننا نضيف حياة أخرى لمشـاهدة الفلم المـرعب [منكـر ونكير والثعبان الأقرع..]، ثم بعـد ذلـك موتـة أخـرى.. أي 3+3، وهذا لا يساوى 4 كما قال الحق)

قال آخر: لكنه لو قرأ فقط تتمة الآيـة، وهي قولـه تعـالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْـهِ تُرْجَعُـونَ﴾ [البقـرة: 28] لـرد على نفسـه بنفسـه، فاللـه تعالى ذكر رجوعه إليه، أي يوم القيامة بعد الحياتين والموتــتين، وذلك ما يتطلب وجود حياة برزخية.

قال آخر: وهكذا نجدهم يقرؤون قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَـبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَـوْمٍ تَشْـخَصُ فِيـهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: 42]، وقوله: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَــا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُـؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَـلٍ مُسَـمًّى فَـإِذَا جَـاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَـاعَةً وَلَا يَسْـتَقْدِمُونَ﴾ [النحـل: 61]، وقولـه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَــا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَـإِذَا جَـاءَ أَجَلُهُمْ فَـإِنَّ اللَّهَ كَـانَ بِعِبَـادِهِ بَصِـيرًا﴾ [فـاطر: 45]، ويتصـورون أن العـذاب سـيؤخر إلى الآخرة، لأن الله تعالى لا يؤاخذ الظالمين قبل ذلك.

قال آخر: لكنهم لو قرأوا مع تلك الآيات آيات أخرى كثــيرة جـدا، تـذكر تعجيـل اللـه تعـالى العقوبـة لعبـاده في الـدنيا قبـل الآخرة، لفهموا تلك الآيات الكريمـة فهمـا صـحيحا؛ فهي لا تنفي العذاب المطلق، وإنما تنفي العـذاب الأكـبر الحقيقي، والـذي لا يكون إلا في الآخرة، أما ما عداه؛ فهو هين جـدا مقارنـة بعـذاب الآخرة، ولكن لا يعـني أنـه ليس عـذابا، كمـا قـال تعـالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِـكَ وَلَكِنَّ أَكْثَـرَهُمْ لَا يَعْلَمُـونَ﴾ [الطـور: 47]، والتي فسرها ابن عباسٍ بقوله: (عـذاب القـبر قبـل عـذاب يوم القيامة)[1]

قال آخر: ومن الأمثلـة الـتي ذكرهـا القـرآن الكـريم لـذلك قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَـةً كَـانَتْ آمِنَـةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَـا

---

[1] () تفسير الطبري ج 22 ص 487.

رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [النحل: 112، 113]، فقد ذكر الله تعالى في هاتين الآيتين الكريمتين، كيف أنه عجل العذاب لأهل هذه القرية، ولم يؤجله لهم، وهو لا يتنافى مع الآيات السابقة، وإنما يفهم منه أن العذاب نوعان: عذاب حقيقي كامل، وهو المؤجل إلى الآخرة، وبعد الحساب، وهناك عذاب ناقص وقاصر بالنسبة لعذاب الآخرة، وهو معجل في الدنيا أو في البرزخ.

قال آخر: ومثل ذلك قوله تعالى عن ثمود: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 157، 158]

قال آخر: بل إن الله تعالى خصص سورة القمر بأنواع العذاب التي أصابت أهل القرى، بسبب بغيهم وظلمهم، ثم قال بعد ذكره لكل عذاب يصابون به: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: 16].. وهو يصف شدة العذاب الذي أصابهم؛ فيقول: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: 19 ـ 21]

قال آخر: وهكذا تدل هذه الآيات الكريمة على أن تأجيل العذاب لا يراد منه العذاب المطلق، وإنما يراد منه العذاب الحقيقي الذي لا يمكن أن يقارن به عذاب الدنيا، ولا عذاب البرزخ.

قال آخر: وهكذا نجد القرآن الكريم نفسه يخبرنا بأن العذاب المرتبط بالكافرين والمنحرفين لا يصيبهم في الآخرة فقط، بل يصيبهم في الدنيا أيضا، وفي حال الاحتضار خصوصا؛ فقد قال تعالى يخبرنا عن فزع الإنسان عند اكتشافه لحقيقة المصير الذي سيصير إليه مباشرة بعد موته؛ فقال: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 99، 100]

قال آخر: وذكر لنا بعض العذاب الذي يصيبهم في حال الاحتضار بمجرد توفر القابلية لهم للخروج لعالم البرزخ؛ فقال: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ

لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال: 50، 51]، وقال: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: 27، 28]، وغيرها من الآيات الكريمة.

قال آخر: ولذلك، فإن القرآن الكريم لا يخبرنا فقط عن وجود عذاب القبر، أو عذاب البرزخ، وإنما يخبرنا أيضا، بأن العذاب يبدأ من لحظات الاحتضار نفسها.

قال آخر: وهو نفس ما قرره الحكماء والفلاسفة والروحانيون بناء على تصوراتهم للنفس الناطقة، وعلاقتها بالحقائق، وتأثيرها فيها، وهو ما يدل على أن عذاب القبر ليس قضية نصية فقط، بل يدل عليها العقل المجرد أيضا، ذلك أن القول بعدم البرزخ يعني العدم المطلق، وهو ما لم يرد عليه أي دليل، فالموت حالة من حالات الإنسان، وليس عدما، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: 2]

قال آخر: ولهذا نجد الآيات القرآنية الكثيرة تخبر بأن العذاب يبدأ مباشرة بعد الموت، وذلك باستعمال الفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى عن آل فرعون: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 52]

قال آخر: ومن أمثلة ذلك قوله تعالى عن قوم نوح عليه السلام: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: 25]؛ فقد أخبر الله تعالى أن قوم نوح عليه السلام، عذبوا عذابين: عذابا في الدنيا بغرقهم، وعذابا في البرزخ بإدخالهم النار، وذلك باستعمال الفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب.

قال آخر: ولم يكتف القرآن الكريم بهذه الشواهد الواضحة، والتي لا تتعارض مع كون العذاب الحقيقي هو عذاب الآخرة، لأن ما دونه لا يساوي شيئا بجانبه، وإنما ذكر هذا العذاب بصيغة صريحة لا يمكن لأحد أن يجادل فيها، فقال عن قوم فرعون: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: 45، 46]

قال آخر: فقد أخبر أنهم وفي الوقت الحالي يعرضون

على الناس غدوا وعشيا، وذلك ما يعني حياتهم في البرزخ على عكس ما يصور المنكرون لعذاب القبر، وهي أيضا تؤكد ما ذكرنا من أن العذاب الشديد يكون في الآخرة، لا في البرزخ، وبذلك يجمع بين الآيات التي تخبر عن تأجيل العذاب إلى الآخرة، وبين سائر الآيات.

قال آخر: ولم يملك أحد المدعين أنه من القرآنيين ـ بعد إيراده لهذه الآيات الكريمة ـ إلا أن يسلم بها، لكنه راح يحتال عليها بكون عذاب البرزخ مرتبطا فقط بآل فرعون، ولسنا ندري ما وجه التخصيص، مع أن القرآن الكريم يعتمد الأمثال والنماذج ليقرر الحقائق، والعاقل هو الذي يفهم الحقائق بإطلاقها، لا ذلك الذي يقصرها على شواهدها.

المثال الثاني:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن المثال الثاني.

قال أحد المبدلين: المثال الثاني هو موقفهم من الجنة والنعيم الذي أعده الله تعالى فيها لعباده الصالحين، وهو الذي لا يشك أحد في كونه من أعظم الدوافع للعمل الصالح، ولمعظم المؤمنين.

قال آخر: بل إن الجنة هي سلوة المؤمن وعزاؤه، كما أنها المحرك لهمته عندما تضعف نفسه، وتتخدر إرادته، حينها يتذكر ما هيأه الله للصابرين من عظيم الجزاء؛ فترتد إليه قوته وإرادته، ويصبح كالجبل الأشم الذي لا تحركه أعاصير الأهواء.

قال آخر: وهي فوق ذلك سلوة المريض الذي يعلم أن الجنة دار الصحة الأبدية، وسلوة الفقير الذي يعلم أن الجنة هي دار الغنى الأبدي، وسلوة المحرومين، والذين أرقتهم الحياة الدنيا لأنهم يعلمون أن الجنة هي دار الراحة الأبدية..

قال آخر: ولذلك لم تكن الجنة دار ضيافة إلهية في الآخرة فقط، بل هي أيضا ترياق وبلسم يداوي كل الجروح، ويملأ النفس بالطمأنينة والانشراح وكل أنواع السعادة.. فيعيش المؤمن مصحوبا بذكريات المستقبل الجميل الذي ينتظره عند الله.

قال آخر: لكن كل هذه المعاني التي ساهمت في الطمأنينة النفسية للمؤمنين وفي رقيهم الأخلاقي على الرغم من الظروف الصعبة التي يعيشونها، لم يلاحظها الحداثيون، بل توهموا أنها حجاب دون العمل على الحصول على ذلك الرفاه

الذي ينعم فيه الغرب، والذي لا يساوي في نظر المؤمن قطـرة من بحار نعيم الجنة.

قال آخـر: وكـل ذلـك نتيجـة لغلبـة الدنيويـة والماديـة على الفكر الحداثي، والـذي يلح دائمـا على اعتبـار الحيـاة الـدنيا هي المحور والمركز، وهي البداية والنهاية، ولذلك يحتقر الكثـير من عوالم الغيب، إما بتجاهلها، وعـدم الاهتمـام بهـا، أو بنقـد أولئـك الذين يعيشون فيها، ويتصورون أن الإيمان لا يكمـل إلا بالإيمـان بها.

قال آخر: ولهذا نراهم ــ بسـبب نظـرتهم الدنيويـة العـوراء القاصرة ــ يـذكرون أن الإيمـان بالجنـة مثلهـا مثـل كـل عـوالم الغيب هي سبب تخلفنا عن الغـرب، وعن كـوكب اليابـان، وعن الكواكب الكثيرة التي يتصورون أنها الحقيقة الوحيدة المطلقة.

قال آخـر: ومن أمثلـة ذلـك الجحـود والاحتقـار للجنـة، بـل السخرية منها تلـك الأشـرطة المنتشـرة بكـثرة، والـتي يتحـدث فيها أحد زعماء الحداثة في العصر الحـديث [أحمـد القبـانجي]، ذلك الذي يرتدي كذبا وزورا عمامة علماء الشـيعة، مـع كونـه لا ينتسب لا للشيعة، ولا للسنة، بل هو معـول لحـرب كليهمـا، بـل حرب الإسلام نفسه.

قال آخر: وقـد أوهم ذلـك بعض المغفلين بـأن موقفـه من الجنة وعالم الآخـرة هـو نفس موقـف علمـاء الشـيعة، دون أن يكلــف نفســه بــالبحث في الــتراث الشــيعي، ليعــرف حقيقــة موقفهم من هذا.. ولكن الأحقاد تعمي وتصم.

قال آخر: وقد نشر القبانجي بعض أفكاره في هذه المجال في مقال[1] حـاول فيـه أن يـبين عـدم ضـرورة الجنـة، وأنهـا لا تشكل أي دافع للعمل الصاح، بل إنه لا حاجة إليها أصلا.

قال آخـر: ولسـنا نـدري من الـذي فوضـه بـأن يقـول هـذا الكلام، وهو الذي يسيل لعابه لمتاع الـدنيا القليـل.. لكن العقـل الحداثي المستكبر الـذي حـرم من ذلـك الإيمـان الـذي ينعم بـه البسطاء والطيبون يتصور أن بيده كل شيء، ولـذلك يتحكم في كل شيء، ابتداء من تحكمه في وظائف الإله نفسها.

قال آخر: وقـد عـبر عن ذلـك الاحتقـار للجنـة بقولـه: (أمـا الجنــة، فليس فيهــا ســوى إشــباع للغرائــز الحيوانيــة من أكــل وشرب ونكاح، وليس فيها أي إشباع للغرائز الانسـانية كالإبـداع

1 () انظر: الجنة والنار، أحمد القبانجي، الحوار المتمدن، العدد: 4363.

والإيثار والكرم والشجاعة ونصـرة المظلـوم وتعليم العلم وحب الرئاسة ووو..)

قال آخر: ولسنا نـدري كيـف عـرف ذلـك، وهـل زار الجنـة حتى يحكم عليها؟.. وهل أحاط بالنصوص المقدسة التي تتحدث عن الجنـة، وكونهـا دار الضـيافة الإلهيـة الـتي تتحقـق فيهـا كـل الرغبات المشروعة، ويتحقق معهـا كـل أنـواع السـمو الـروحي والأخلاقي، حيث يعيش أهـل الجنـة الحضـارة الراقيـة والـذوق الرفيع والأدب الجم، حيث لا لغو هناك ولا تأثيم؟

قال آخر: لكنه ـ بسبب العشى الـذي أحـاط ببصـيرته ــ لم يعـرف الجنـة إلا من خلال ذلـك الوعـظ البـارد الـذي يسـتعمله بعض عوام الوعاظ والدعاة بعيدا عن الحقـائق الـتي وردت في النصـوص المقدسـة، ولـذلك تـوهم أن الجنـة مجـرد دار للمتـع الجسدية وحدها.

قال آخر: ثم راح ـ مثل سائر الحداثيين ـ يتحـدث عن ذلـك الكوكب الذي يسمونه كوكب اليابان؛ فيقول: (أما عمليـا، فنحن نرى اليابان مثلا وهم لا يعتقدون بالجنة والنار (الديانـة السـائدة هناك التاوية والبوذية) أحسن من المسلمين أخلاقـا وأقـل كـذبا وسرقة وغشا في تعـاملهم وخـدماتهم للبشـرية معروفـة، وفي المقابل نجد المسلمين مع اعتقادهم بالجنة والنار وكـثرة منـابر الوعظ والارشاد والكتب الدينية وخطب الجمعـة أصـبحوا أسـوأ المجتمعات البشرية أخلاقا)

قال آخر: وهذا التحليل يدل على سطحية العقل الحـداثي، فهو لا ينظر إلى المشكلة من زاويتها الحقيقية، وإنما ينظر إليها من الزاوية الـتي يـرغب فيهـا؛ فالمشـكلة في المسـلمين ليس كونهم يعتقدون بعالم الغيب، وبالجنة والنار، وإنما المشـكلة في ضعف إيمانهم بذلك.. وإلا لو كان الإيمان بـالغيب والجنـة والنـار قائما، لكان المسلمون قمة في الرقي الأخلاقي والحضاري.

قال آخر: فهم في الحقيقة مثل ذلك المريض الـذي يملـك الدواء، ولكن لا يستعمله؛ فيتوهم من يراه بأن الدواء لم ينفعـه، ولم يجــد مــع مرضــه، من غــير أن يبحث في كــون المــريض اســتعمل الــدواء أو لم يســتعمله، وهــل اســتعمله بالطريقــة الصحيحة، أم استعمله بطريقة خاطئة.

قال آخر: ونفس الشيء يتوجه للقـابنجي وأصـحابه الـذين جعلوا من حديث الإرهابيين عن الجنة سـببا لإلغائهـا واحتقارهـا،

كما عبر القابنجي عن ذلك بقوله: (أصبح الاعتقاد بالجنة وحور العين سببا للإرهاب الآن.. أي سببا للرذيلة والجريمة لا لمنعها، فلولا الجنة وحور العين لما قام التكفيريون بقتل انفسهم وقتل الأبرياء)

قال آخر: وهذا يشبه أولئك الذين يحرمون الأدوية النافعة بسبب أن بعض الشواذ استعملها بطريقة خاطئة، فقتل نفسه بها.. أو يشبه أولئك الذين يمنعون من بناء الجسور حتى لا تستعمل وسيلة للانتحار.

قال آخر: ولم يكتف القبانجي بكل ذلك، بل راح إلى ذلك الرهان الذي يستعمله المؤمنون بالغيب في حواراتهم مع الجاحدين والملاحدة، والذي عبر الإمام الصادق مع بعض الملاحدة، حيث قال مخاطبا له: (إن يكن الأمر على ما يقول هؤلاء وهو على ما يقولون، يعني المؤمنين، فقد سلموا وعطبتم وإن يكن الأمر على ما تقولون وليس كما تقولون فقد استويتم وهم)، فقيل له: وأي شيء نقول وأي شيء يقولون ما قولي وقولهم إلا واحد؟ فقال: (وكيف يكون قولك وقولهم واحدا، وهم يقولون إن لهم معادا وثوابا وعقابا ويدينون بأن في السماء إلها وأنها عمران، وأنتم تزعمون أن السماء خراب ليس فيها أحد)[1]

قال آخر: لكن القبانجي راح يرد على هذا السلاح القوي، بمقال له بعنوان [القمار مع الله!][2]، قال فيه ساخرا: (في الدنيا نحن غير متساويين أيضا، فالمتدين يتعب نفسه بالتكاليف الشاقة كالصلاة والصوم والحج والزيارات والخمس وغيرها ويترك الملذات كالغناء والرقص والملاهي والصداقة مع الجنس الآخر، بل الزواج مع أتباع الديانات الأخرى مع وجود حب بين الاثنين، بل قد يطلب منه الدين الجهاد أو تفجير نفسه أو الكراهية لأتباع المذاهب الأخرى، وليس على الوجدانيين شيء من ذلك)

قال آخر: وهذا كله كذب وبهتان، فكل تلك الشعائر التي يقوم بها المؤمن ليس لها علاقة بالتعب، لأن المؤمن يمارسها براحة نفسية كبيرة، بل إنه يشعر بتأثيرها في ترقية أخلاقه، وسمو روحه، وشعوره بالطمأنينة والسعادة، فوق ما لها من

---

1) الكافي، ج1 ص74.

2 () انظر: القمار مع الله، أحمد القبانجي، الحوار المتمدن، العدد: 4083.

دور في حفظ من أهواء نفسه الأمارة بالسوء.

قال آخر: فالمؤمن ـ نتيجة إيمانه باليوم الآخر ـ لن يقع في الفواحش التي تـدمر صـحته وصـحة المجتمـع، ولن يـدمن على المخدرات ولا على أي شـيء يضـره.. وفـوق ذلـك كلـه يمتلـك دوافع أخلاقية عالية بخلاف ذلك الذي لا يـؤمن باللـه، ولا بـاليوم الآخر، فهو لا يملك شيئا يسـليه، كمـا لا يملـك شـيئا يدفعـه لأي عمل صالح.

قال آخر: ولم يكتف القبانجي بذلك التزوير للحقائق، وإنما راح يفرض على الله ـ خلاف ما ورد في كتابه ـ من يدخله الجنة أو من يدخله النـار، فيقـول: (مـا دام الانسـان يسـير في حياتـه الدنيا بوحي وجدانه ويتحلى بالفضـائل ويـترك الرذائـل فهـو من أهـل الجنـة لأن القـرآن يقـول: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: 89] أي سليم من الحقد والحسد والأنانية والتكـالب على الدنيا وأمثال ذلك. ومعلوم أن التدين لا يهتم لنقـاء القلب بقـدر اهتمامـه بالقشـور والطقـوس فتكـون النتيجـة أن خسـر الـدنيا والآخرة ونكون قد ربحنا الدنيا والآخرة)

قال آخر: وهذه كلهـا مغالطـات، فسـلامة القلب لا تقتصـر على ما ذكره، بل أول سـلامة للقلب هي عـدم الاعـتراض على الله والتسليم له والإذعان لشريعته والقيم التي جاءت بها.. أمـا ادعاؤه أن التدين يهتم بالقشور، فهـو نـاتج عن نظرتـه السـلبية للـدين مثلـه مثـل سـائر الحـداثيين، وإلا فـإن الـدين هـو مجمـع الفضائل، بل لا يمكن أن تتحقـق الفضـائل من دونـه.. ذلـك أنـه يستحيل أن يجد البشر معايير للأخلاق، أو دوافع تحرك إليها من دون الدين.

قـال آخـر: ويختم القبـانجي حديثـه عن ذلـك الـذي توهمـه قمارا بقوله: (إن هذه الفرضية كلها بمثابة لعب القمار مع اللـه، لأنها تنزل بمستوى العلاقة مـع اللـه الى الحضـيض وتجعـل من هذه العلاقة تجارة او قمـارا، فالمتـدين يصـلي ويصـوم.. بـدافع احتمال وجود جنة ونار لا بدافع الايمان بالله والحب له والشـكر لنعمائه، اي لو لم يكن هذا الاحتمـال موجـودا لا صـلى ولا صـام ولا تـرك الرذائـل. أمـا الوجـداني فهـو يعمـل بالفضـائل ويـترك الرذائل لذاتها ويرتبط مع الله بدافع الحب لـه لا بـدافع الخـوف من النار والطمع في الجنة لأنه لا يؤمن بهما أساسا)

قال آخر: ولسنا ندري من الذي أخبره أن الطمـع في جنـة

الله، يتنافى مع حب المؤمن له.. فالمؤمن يحب الله لذاته، ويحبه لصفاته، ويحبه لكرمه وجوده، والذي تجلى في الدنيا فيما وفر لخلقه من أصناف الرعاية.. وفيما سيوفر لهم في المستقبل من أضعافها.

قال آخر: وهل يمكن لعاقل أن يدعي أننا إذ أحببنا كريما لكونه تكرم علينا بأصناف العطاء، ووعدنا بأضعافها أننا لا نحبه إلا لأجل ما يعطينا؟.. هذا كذب وبهتان عظيم لأن محبة المحسن ذاتية حتى لو لم يحصل إحسانه إلى المحب.

قال آخر: بالإضافة إلى أن القبانجي والحداثيين معه يتصورون الجنة بحسب عقولهم البسيطة، وإلا فإن الله تعالى الذي اعتبر كل ما نراه في الدنيا من أصناف الجمال مجرد متاع قليل، واعتبر الحياة التي نعيشها حياة دنيا لا تساوي شيئا، في نفس الوقت اعتبر الحياة الأخرى هي الحياة الحقيقية يجعلنا نقف أمامها مبهوتين منبهرين لا ندري منها شيئا، أو كما قال ابن عباس: (ليس في الجنة شيءٌ يشبه ما في الدنيا إلا الأسماء)[1]

قال آخر: ولذلك فإن كل أحاديث الحداثيين عن الجنة وعالم الغيب أحاديث منطلقة من معلومات خاطئة، لأنهم تصوروا أنهم قد أحاطوا بتلك العوالم بينما هم لم يعرفوا منها شيئا، بل لم يذوقوا من شرابها اللذيذ قطرة واحدة، ولذلك استقذروا الشراب، ولو ذاقوه لفنوا عن أنفسهم، وباعوا كل ما لديهم من جاه ومال وسلطان بلحظة واحدة يعيشها المؤمن في صحبة عالم الغيب.

المثال الثالث:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن المثال الثالث.

قال أحد المبدلين: المثال الثالث مرتبط بتفسير الحداثيين ومن يطلقون على أنفسهم لقب القرآنيين على تحريف كلمة [الحور العين]، والتي ذكرها القرآن الكريم كنموذج من نماذج النعيم المقيم الذي وفره الله لعباده في الجنة، ليكون دافعا لهم للعفة والعمل الصالح في الدنيا.

قال آخر: فقد كان في إمكانهم أن يسلموا لله فيما ذكر، فهو أدرى بعباده، وبرغباتهم، ولذلك خاطبهم بما يتناسب معهم.. لكنهم لقسوة قلوبهم، ولتمردهم على الله، وتقديمهم

---

1 () رواه أبو نُعَيْم في صفة الجنة (2/ 21)

لأهـوائهم عليـه لم يفعلـوا.. بـل راحـوا يصـورون ذلـك باعتبـاره هوسا جنسيا، والعياذ بالله، مـع أن القـرآن الكـريم لم يـذكر أي شيء يرتبط بذلك، بل اكتفى باعتباره من نعيم الجنة مثله مثـل الولدان المخلدون والقصور التي تجري تحتها الأنهار.

قال آخر: وقد كان في إمكـانهم أن يـتركوا كيفيـة التعامـل مــع ذلــك النعيم للــه تعــالى، لأن الحقــائق القرآنيــة لم تــذكر التفاصــيل المرتبطــة بــذلك، وإنمــا اكتفت بالنمــاذج الــتي تملأ النفس بالرغبة، كما اكتفت من ذكر بعض مشاهد النار التي تملأ النفس بالرهبــة، ومن خلال هــذين الجنــاحين يهــذب المــؤمن نفسه، ويرقي روحه، ويصلح سلوكه.

قال آخر: لكن الحداثيين ساءهم أن يذكر الله تعـالى ذلـك، بل تمنوا لو حـذفت أمثـال هـذه النصـوص من القـرآن الكـريم، لكونها في تصورهم تشويه له، ولسنا ندري مـا محـل التشـويه، وهم أنفسهم يركعون أمام كل غانية، بل يـبيعون دينهم ودنيـاهم من أجل متاع بسيط من الدنيا، في نفس الوقت الذي يحتقرون فيه ذلك النعيم المقيم الذي وعد الله به عباده المؤمنين.

قال آخر: وكل ذلـك دليـل على قسـاوة قلـوبهم، وإلا فـإن القلوب المؤمنة قلـوب ورعـة تعظم مـا عظم اللـه، وتحقـر مـا حقر.. فلذلك لا ترى الدنيا بمتاعها جميعا مساويا للحظة واحــدة من لحظات النعيم المقيم الذي أعده الله لعباده الصالحين.

قال آخر: وقد كان ألين الحـداثيين تعبـيرا ذلـك الـذي ذكـر موقفه بقوله: (و[الحور العين] كفكرة مثالية جميلة، ترتبـط فى أحــد جوانبهــا بــ (العفــة) خصوصــا فى المجتمعــات الفقــيرة وشـقيقتها المغلقـة، حين يكـون الـزواج أمـرا شـاقا مـع ارتفـاع تكـاليف الحيـاة فليس هنـاك حصـن للـراغب فيـه إلا التعفـف والانتظار، وإن لم يفز بها فإنه سيجد تعويضا مناسبا كلما تذكره حفــزه على عــدم التــورط فى أمــور أخــرى يرفضــها الــدين والمجتمــع، أو تفــرض الثقافــة المجتمعيــة على الراغــبين فى الزواج الالتزام بمسار معين للارتباط يقلل من خيـارات الشـاب فما عليه إلا أن يرضى بما يفرضه عليـه العـرف حـتى وإن كـان ظالما، فالصبر أفضل طالما أن جائزته تنتظره فى الجنة)

قال آخـر: لكن منهم، وهم الكـثرة الكـاثرة، من راح يتهكم بهم، ويصــور الصــور الكاريكاتوريــة عنهم، لا لشــيء، إلا لأن الإرهابيين والمتطرفين جعلوا من الحور العين وسـيلة لاصـطياد

المغفلين، وكان في إمكانهم مواجهة التطـرف والعنـف، لا الـرد على الحقائق الثابتة، لأن ردها رد على الله نفسه.

قال آخر: فمن هؤلاء الحـداثيين من راح يتسـاءل عن سـر وجود حور عين للرجال، وعدم وجود حور عين للنساء، ورأى أن ذلـك تفريقـا بين الـذكر والأنـثى، وأن النعيم في الجنـة خـاص بالذكور لا بالإناث.

قال آخر: وهذا كلـه تحريـف للكلم عن مواضـعه؛ فـالقرآن الكـريم ذكـر نمـاذج عن النعيم، ولم يـذكر كـل النعيم، واكتفى بالمتعارف منه، وأعطى فوق ذلك قاعـدة تشـمل الجميـع، عـبر عنها قوله تعالى في خطاب لعباده المؤمـنين الـذين نجحـوا في امتحانات الدنيا: ﴿ادْخُلُـوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَـرُونَ يُطَـافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَـذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: 70، 71]

قال آخر: فقولـه تعـالى: ﴿وَفِيهَـا مَـا تَشْـتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَـذُّ الْأَعْيُنُ﴾ كاف لترك الخيال يسرح حيث يشاء، ليخترع من النعيم ما يشاء؛ فقدرة الله لا تحدها الحدود.

قال آخر: وفوق ذلك؛ فكل النعيم المـذكور في الجنـة ممـا يتعلــق بالجنســين، الــذكر والأنــثى، وقصــر الحــور العين على الرجال، لاعتبارات خاصة، لا يعني تفضيل الرجـال على النسـاء، ولا يعني أنه لا يوجد نعيم خـاص بالنسـاء في الجنـة، لأن الآيـات الكريمة لم تفصل لنا كل النعيم، وإنما اكتفت بنماذج عنه.

قال آخر: ولعل من علل ذكر القـرآن الكـريم للحـور العين خصوصا، هو توفير القابلية للرجال لمواجهة الفتن الكثيرة الـتي تفرزها علاقتهم بالنساء، وهي فتن واقعية لا شك فيها، وليســت مرتبطة كما يذكر البعض بالبيئة البدويـة، بـل هي مرتبطـة بكـل الجغرافيا وكل التاريخ، ونحن لا نزال نسمع كل حين، بـأن فلانـا من النـــاس من ذوي المناصـــب الراقيـــة اتهم بـــالتحرش، أو بفضيحة جنسية.

قال آخر: ولـذلك لا داعي لأن نكـذب على أنفسـنا، ونعتـبر الفتنة بالنساء خاصة بالعرب أو بالبدو أو بذلك الجيل الذي نــزل القـرآن الكـريم في عهـده، ففي كـل الأجيـال نجـد فتنـة التـأثر بالنسـاء، وفي كــل الأجيـال نجـد قيسـا وليلى.. ونجـد روميـو وجوليت.

قال آخر: فلذلك كـان الخطـاب القـرآني المرتبـط بـالحور

العين خطابا واقعيا يخـاطب النفس بمـا أعـد اللـه لهـا من نعيم مرتبط بهذا الجانب لتسـتعلي على فتنـة النسـاء في الـدنيا، لأن الله سيعوضها بدلها بالنعيم المقيم في الآخرة، والذي يكون من جملته [الحور العين]

قال آخر: ومـع وضـوح الأدلـة من القـرآن الكـريم والسـنة المطهــرة على كــون الحــور العين من نســاء الجنــة، إلا أن الحداثيين الذين يحرفـون الكلم عن مواضـعه راحـوا يفسـرونها تفاسير مختلفة، لعل أطرفها بحث مطـول زعم فيـه صـاحبه أن الحور العين ليسوا نساء، وإنما هن فاكهة، ثم راح يستعرض كل الآيات القرآنية المرتبطة بهن، وبنعيم الجنة، ليحول منهن فاكهة رغم كل شيء[1].

قال آخر: وقد ذكر في مقدمة مقاله المواضـع الـتي وردت فيها لفظة الحور بمشتقاتها، ثم راح يتصرف فيهـا، ويتلاعب بهـا بطرق مختلفـة من ذلـك قولـه: (يجب أن نتأمـل آيـة مهمـة من القرآن تعطينا معنى جيـد وحقيقي وهي قولـه تعـالى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ [الانشقاق: 14]، فالمعنى هنا يقول إن المجـرم الـذي استلم كتابه خلف ظهره ظن أن العذاب لن يعود عليـه ويرجـع، اذاً فتطبيق هذا المعنى على حور عين يدلنا على أن هــذه النعم من فاكهة سـتعود دومـا، من حـور يعـود بشـكل عين لا تنضـب، ويتفق هذا المعنى بالتالي بالآية التالية، وهى أن أهل الجنة كلما قطفوا من فاكهة الجنة أعيدت لهم على الفور إنشـاءها بشـكل متماثل رزقا لاينقطع، ﴿كُلَّمَا رُزِقُـوا مِنْهَـا مِنْ ثَمَـرَةٍ رِزْقًـا قَـالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْـلُ وَأُتُـوا بِـهِ مُتَشَـابِهًا﴾ [البقـرة: 25]، فهـذه الثمرات كما في معنى ستحور، وتعود وترجع كلمـا أخـذها أهـل الجنة، واذا تابعنـا بهـذا المعـنى نـرى اتصـال بـاقي الآيـات بهـذا السياق من كونهـا أي النعم من فاكهـة ونعم وخـيرات مختلفـة، الخيرات الحسان وهذه لهم لاتنقطع عندما يدخل المتقون الجنة من الجنسـين (الـذكر والانـثى) يزوجـون بــها بمعـنى الاقـتران والتلازم، لذلك فهي للذكور والاناث معا بلا تفرقة)[2]

قال آخر: وبمثل هـذه الطريقـة راح يسـتعرض مـا ورد في شـأنهن في سـورة الـرحمن، ثم يعقب على ذلـك بقولـه: (فـإذا نظرنا الى كلمة فِيهِنَّ في آية ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ نجد أن

1 () انظر مقالا بعنوان: الحور العين، محمد البارودى، موقع أهل القرآن.
2 () المرجع السابق.

هذا جمع مؤنث في حـرف النـون يـدل ضـمن شـيء من أشـياء التأنيث، جنتان، عينان، مدهامتان، فيهمـا.. وهـذا بالتـالي لايعـود على التأنيث، بل يعود على فاكهة الجنـة من رمـان وخلافـه، أي أن في كلتـا الجنـتين على حـدة كثـير من الفاكهـة القاصـرات الطــرف الــتي يســهل الوصــول اليهــا.. وفي الســياق نفســه بالاتصال مع آية اخرى، فهذه الحور مقصورة داخل خيمتها الـتي تحفظها كما تحفظ كل فاكهة قشـرتها وتبـدو أيضـا هـذه الثمـار (حسب آية اخرى) من أكمامها كاللؤلؤ المكنون)[1]

قـال آخـر: وهكـذا راح يحـول من كـل أوصـاف الحـور في العين القرآن الكريم إلى أوصاف للفاكهـة، ويسـتعمل في ذلـك كل ألوان الحيـل والخـدع الـتي مارسـها أهـل الكتـاب من قبلنـا ليحرفوا الكلم عن مواضعه.

قـال آخـر: وهكـذا راح يفعـل آخـر في مقـال بـه بعنـوان [مفهوم الحور العين في القرآن الكريم]، والذي قدم له بقولـه: (إن أمنية أصحاب الـتراث العفن وأصـحاب الشـهوات الجنسـية هي أن تكون الحور العين التي ذكرت في القرآن العظيم، نساء جميلات خارقــات هن أقــرب للصــنف الملائكي من الصــنف البشــري، وأن تكــون تلــك الحــور بانتظــارهم في الجنــة، وإن أمــنيتهم أيضــا هي، أن تكــون الكــواعب أترابــا نســاء عارمــات الثـدي.. إن في تلـك الأمنيـات تحريـف لكتـاب اللـه وكفـر بـه، وتزوير لدين الله، وافتراء الكذب على الله وعلى كتابه ورسوله الأمين، وصد عن سبيل الله، وقبـول بالفحشـاء والمنكـر، وعـار على دين اللـه الحـق الإسـلام وعلى جناتـه المطهـرة.. إخـوتي وأخواتي الكرام المطهرون، تعالوا نتـدبر معـا المعـنى السـامي الطاهر العظيم للحور العين من القرآن الكريم الذي هو الكتاب المكنون، والذي لا يمسه إلا المطهرون)

قال آخر: وبعد هذه المقدمة راح يستعرض الآيات الكريمة التي ورد فيها الحديث عن الحور العين، ويستخلص منها النتــائج التي يشاء.. وأولها مـا عـبر عنـه بقولـه: (من هم الـذين زوجهم الله تعالى بحور عين؟.. الجواب واضـح جـدا وجلي، هم المتقين ذكــورا كــانوا أم إناثــا، ونحن إذا ســلمنا بتفاســير أئمــة الكفــر والضلالة أن الحور العين هن نساء جميلات خارقات أعدهن الله من أجــل الشــهوات الجنســية، فهــذا يعــني أن تلــك النســاء

1 () المرجع السابق.

الخارقـات هن لسـن فقـط للمتقين من الرجـال، ولكنهن أيضـا للمتقين من النساء، لأن المتقين في لغة القرآن ومن خلال تلك الآيات البينات هم ذكور وإنـاث، فـالمتقين هم ليسـوا فقـط من فئـة الـذكور (الرجـال)، واللـه تعـالى لا يـدخل المتقين من فئـة الذكور فقط الجنة ويسـتثني المتقين من فئـة النسـاء فيـدخلهم جهنم)

قـال آخـر: ثم عقب على هـذه الاسـتنتاجات الغريبـة بهـذه التساؤلات التي لا تقل غرابة عنها، يقول في ذلك: (ونحن لـدينا سؤال نرغب في طرحه عليكم: هـل تقبلـون بـأن تكـون الحـور العين (بمفهوم أئمة الكفر والضلالة) أيضا للنساء المؤمنات في الجنة؟.. بمعنى أصح، هل تقبلون بأن تمارس النساء المؤمنـات في الجنة الجنس مع نساء الحور العين؟.. وعلينا أيضا أن نقـف هنـا ونسـأل أنفسـنا سـؤالا آخـر، وهـو: كيـف زوج اللـه تعـالى المتقين ذكورا وإناثا بحور عين؟)

قال آخر: وبعد هذه الأسئلة الغريبة، راح يستنتج الاسـتنتاج الأغرب، فقال سائلا ومجيبا: (ما معنى الحـور العين؟.. الجـواب أيضا بسيط وواضح وجلي وبين ومفصل نجده في الآيـة التاليـة، أي في قوله تعـالى: ﴿يَـدْعُونَ فِيهَـا بِكُـلِّ فَاكِهَـةٍ آمِنِينَ﴾ [الدخان: 55].. إذا لقد زوج اللـه تعـالى المتقين ذكـورا وإناثـا بحـور عين، يدعون فيها بكل فاكهة آمنين، هذا يعني بأن اللـه تعـالى زوجهم بحـور عين، أي جعلهم جـزء لا يتجـزأ من الجنـة ذات الأشـجار والثمار والخيرات، وهذا يعني أن الله تعـالى زوجهم بالجنـة، أي بخيراتها، أي جعلهم يعيشـون جنبـا إلى جنبهـا يـدعون فيهـا (أي يرغبـون) من خـيرات تلـك الحـور العين (الجنــة) آمـنين، أي مطمئنين لدوام وجوديتها معهم من دون انقطاع، ولدوام قربهم منها ووجودهم وعيشهم وإقامتهم فيها إلى أبد الآبدين)

قال آخر: وبعد هذه الاستنتاجات وغيرها، والتي تلاعب فيها بالألفاظ والـتراكيب كمـا يشـاء، قـال: (بعـد ربطنـا لجميـع تلـك الآيات البينات من سورة الدخان وتدبرنا لها، نجد الدليل القاطع على أن الحـور العين هي جنـات فيهـا من كـل الثمـرات، ومن جميع أنـواع الثمـار، أي الفاكهـة من نخيـل وأعنـاب وغيرهـا من أنواع الفاكهة المختلفة)

قال آخر: وهكذا راح آخر يستعمل حيلا أخـرى، ليحـول من الحور العين إلى ما عبر عنه بقوله: (وحار تعنى رجع أو عاد إلى

ربه فى الآخرة.. وعلى ذلك فالحور هن المؤمنات العائدات.. وهؤلاء المؤمنات قد تحوَّرت أشكالهن أيضا، فعدن فى شكل شابات جميلات كواعب ذوات عيون ساحرة فقد أعاد الله إنشائهن إنشاءً.. وعِينٌ تعني: نُجْلُ العُيُونِ حِسَانُهَا، والمفرد للرجل: أَعْيَنُ، وللمرأة: عَيْنَاءُ.. فسوف يتزوج المؤمنون فى الجنة بهؤلاء المؤمنات الراجعات أو العائدات إلى الله، وبالطبع سيعود الرجال إلى شبابهم مثل النساء، لأن لهم ما اشتهت أنفسهم، وهل لن يشتهي أحد أن يعود إلى شبابه وعُنفوانه؟.. وهذا هو نصيب النساء فسيتمتعن بأزواجهن كما سيتمتع بهن أزواجهن)[1]

قال آخر: وهكذا نجد كل يوم من يجتهد، ليبحث عن معنى جديد للحور العين مما لم يفطن له أحد من المفسرين ولا اللغويين القدامى والمحدثين.

المثال الرابع:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن المثال الرابع.

قال أحد المبدلين: المثال الرابع مرتبط بتحريفات خطيرة لما ورد في القرآن الكريم عن درجات الجنة، وتفاضل المؤمنين فيها بحسب أعمالهم؛ فأصحاب تلك المقالات يضربون الآيات الكريمة بعضها ببعض، ليثبتوا في الأخير ـ بحسب زعمهم ـ أن أهل الجنة متساوون في كل نعيمها، وأنهم في درجة واحدة ابتداء من النبي ﷺ وانتهاء بأضعف المؤمنين إيمانا.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما كتبه بعضهم في مجموعة مقالات عن هذا قدم لها بقوله: (قالوا وما زالوا يقولون بأن الجنة درجات وطبقات، وأن المؤمنين زمر وأن كل زمرة لها جنة تختلف عن جنة غيرها، وأنَّ كل جنَّة مُختلفة عن غيرها ولها اسم مختلف عن الجنّات الأخرى كجنات عدن والفردوس والروضة والمأوى.. وقد استعانوا بالأباطيل الأحاديث الخبيثة كي يثبتوا هذه المفاهيم في عقول المسلمين.. إنهم لم يكتفوا بصنع الطبقية في الأرض بأشكالها المخيفة، بل تعدّوا حين حسبوا أنهم يستطيعون صنعها في جنات الخالق عز وجل)[2]

---

1 () الحور العين، عز الدين نجيب، موقع أهل القرآن، 11 نوفمبر 2011.

2 () منها مقال بعنوان: هل هناك درجات في الجنة وما مفهومها الحقيقي في القرآن؟، موقع حقيقة الإسلام

قال آخر: وإستند في ذلـك لقولـه تعـالى: ﴿وَمَنْ يُطِـعِ اللَّهَ وَالرَّسُـــــــولَ فَأُولَئِكَ مَـــــــعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّـالِحِينَ وَحَسُـنَ أُولَئِكَ رَفِيقًـا﴾ [النسـاء: 69]، واعتبرها الآية المحكمة الوحيدة، وفسرها بقوله: (لقد قـال الله عز وجل في هذه الآية أنَّ من يُطـع اللـه ورسـوله فسـوف يكون مع النبيين والصـدّقين والشـهداء والصـالحين.. هـذه الآيـة هي أكبر دليل على أنَّ الإنسان المـؤمن سـوف يكـون في جنـة واحدة مع الأنبياء والرُسُل والشُهداء وجميع المؤمنين الصـالحين ومن دون أي تفرقة أو طبقيـة، وسـوف ينعم بـرفقتهم الدائمـة والأبدية فيها.. وهذا هو العدل الإلهي المطلق والمُساواة)[1]

قال آخر: وانطلاقا من هذا راح يستعرض كل الآيـات الـتي وردت في ذكر الجنة، ليؤولها بهذا المعنى، ومنهـا قولـه تعـالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِـهِ مُؤْمِنًـا قَـدْ عَمِـلَ الصَّـالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الـدَّرَجَاتُ الْعُلَى جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْـرِي مِنْ تَحْتِهَـا الْأَنْهَـارُ خَالِـدِينَ فِيهَـا وَذَلِـكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ [طه: 75 ـ 76]، والتي علق عليها بقوله: (نجد في هـذه الآيـة 75 أن من يـأتي ربـه مؤمنـا قـد عمـل الصـالحات، فسوف يكون له الدرجات العلى في الجنة في الآخرة.. مـا هي هذه الدرجات العلى؟ نجد الجواب في قول الله تعـالى: ﴿جَنَّاتُ عَـدْنٍ تَجْـرِي مِنْ تَحْتِهَـا الْأَنْهَـارُ خَالِـدِينَ فِيهَـا وَذَلِـكَ جَـزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ لقد عرف الله عز وجل لنـا الـدرجات العلى أنهـا جنـات عدن تجـري من تحتهـا الأنهـار خالـدين فيهـا، وأنـا أعجب لعـدم استطاعة الذين يسمون أنفسهم بعلماء الدين الإسلامي أن يروا هـذا التعريـف الواضـح الجلي.. إذا الـدرجات العلى هي الإقامـة في جنات الآخرة والخلود فيها، والذي سوف يكون صـاحب هـذا الشرف ويصل إلى هذه المنزلة والرتبـة العاليـة الرفيعـة ويقيم في الجنة هو كل إنسان يـؤمن باللـه ويعمـل صـالحا، أي جميـع المؤمـــنين من دون اســتثناء (النبــيين والصــدقين والشــهداء والصالحين) ومن دون أي تفرقة أو طبقية)[2]

قـال آخـر: ثم اسـتعرض الآيـات الـواردة في أول سـورة المؤمنون، والتي تنتهي بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُـونَ الْفِـرْدَوْسَ هُمْ فِيهَـا خَالِـدُونَ﴾ [المؤمنـون: 10 ـ 11]، وعقب

من القرآن.

[1] () المرجع السابق.

[2] () المرجع السابق.

عليها بقوله: (إذا تدبرنا تلك الآيات البينات نجد أن الذين سوف يفلحون في الآخرة ويرثون الفردوس (الجنة) هم المؤمنون، أي كل إنسان كان مؤمنا في هذه الأرض.. أي هم جميع المؤمنين من دون استثناء (النبيين والصدقين والشهداء والصالحين) ومن دون أي تفرقة أو طبقية)[1]

قال آخر: وهكذا راح يستعرض كل الآيات الواردة في الجنة، ويعقب عليها بمثل ذلك التعقيب.. ثم استعرض الآيات التي تصرح بالتفرقة بين المؤمنين على أساس أعمالهم، كقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 95 ـ 96]، وعقب عليها بقوله: (إذا تدبرنا تلك الآيات البينات نجد أن الدرجة التي فضل الله تعالى بها المؤمنين المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على المؤمنين القاعدين غير أولي الضرر والذين لا يريدون أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم، هي الحسنى أي هي الجنة التي وعد الله تعالى بها المؤمن المجاهد في سبيله والتي وعد تعالى بها أيضا المؤمن القاعد غير المجاهد بماله ونفسه، ولكن فقط في حال استغفر ربه وتاب وأصلح وقام وقبل أن يجاهد بماله ونفسه في سبيله.. ونجد أيضا من خلال هاتين الآيتين أن الدرجة أي المنزلة العالية هي الحسنى أي الجنة، وهي الأجر العظيم الذي سوف يعطيه الله تعالى لكل مؤمن، وهي الدرجات أي المراتب والمنازل العالية الرفيعة من الله عز وجل للمؤمن، أي هي جنات عدن والفردوس والمأوى والروضة التي سوف يقيم فيها المؤمن وينعم بجميع خيراتها، وهي المغفرة والرحمة التي سوف يعطيها الله عز وجل للمؤمن في الآخرة.. إذا هذه الدرجة أو الدرجات الرفيعة سوف تكون لجميع المؤمنين من دون استثناء ومن دون أي تفرقة أو طبقية)[2]

قال آخر: ومثل ذلك قال في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ

---

1 () المرجع السابق.

2 () المرجع السابق.

يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 18 ـ 21]، فقد علق على قوله تعالى: ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ بقوله: (لأن الله عز وجل أعطى فضله وعطاءه للجميع، للكافر الذي أراد العاجلة (الحياة الدنيا) وللمؤمن الذي أراد الآخرة وسعى لها)[1]

قال آخر: وعلق على قوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ بقوله: (لأن الآخرة مرتبتها ومنزلتها أي درجتها عالية جدا ورفيعة المستوى، وسوف تكون لجميع المؤمنين من دون استثناء ومن دون أي تفرقة أو طبقية)[2]

قال آخر: وهكذا راح يستعرض الآيات الواردة في سورة الرحمن، والتي تصرح بالتفرقة بين الجنات، وتصف لكل جنة نعيمها الخاص بها، وقد علق عليها بقوله: (إذا تدبرنا تلك الآيات البينات نجد أن قوله ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: 46] هي جنة للإنس وجنة للجن، لذلك قال الله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: 74]، هذا يعني أن الجنتين هي جنة مادية يأكل ويشرب منها الإنسان، وجنة نفسية وجمالية (معنوية) يتمتع بها الإنسان ويسلم فيها.. وهذا يعني أن الجنتين فيها جنة لحاجات الجسد وجنة لحاجات النفس، وهي في الحقيقة جنة واحدة يجد فيها الإنسان حاجته من المأكل والمشرب (الغذاء الجسدي) وحاجته من الراحة النفسية والسلام الدائم والتمتع بجمال الطبيعة والماء العذب والأنهار والخير والحيواة الدائمة والأبدية (الغذاء النفسي)[3]

قال آخر: ثم عقب على قوله تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: 62]ـ بقوله: (نجد أن ﴿جنتان﴾ هي في الحقيقة أماكن فيها جنات أخرى كثيرة ومتعددة موجودة في كل مكان في أرض الجنة.. نستطيع أن نقول بأنها كل مكان من أرض الجنة، فأرض الجنة فيها جنات كثيرة أي خيرات كثيرة وتلك الخيرات موجودة في كل مكان من بقاعها.. إذا فإن قول الله تعالى

---

1 () المرجع السابق.

2 () المرجع السابق.

3 () المرجع السابق.

وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ يدلنا على وجود جنات كثيرة لجميع المؤمنين من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين والمحسنين وغيرهم من المتقين.. وإذا قارنا الجنتان التي ذكرتا في آية (46) إلى (61) بـ الجنتان التي ذكرتا في آية (62) إلى (78) لا نجد أي فارق بينهما، بل على العكس تماما، سوف نجد أنها نفس الخيرات وأنها موجودة في كل مكان من أرض الجنة)[1]

قال آخر: ثم راح يستعرض الآيات الواردة في سورة الواقعة والواضحة في التفريق بين جنات السابقين وجنات أهل اليمين، وقال: (إذا قارنا جنات السابقين من آية (12) إلى (26) بجنات أصحاب الميمنة من آية (28) إلى (37) لن نجد فرقا أو اختلاف أو طبقية بينهن، وسوف نجد أن أرض الجنة في الآخرة هي جنة كبيرة فيها جنات كثيرة وواسعة لجميع المؤمنين من السابقين ومن أصحاب اليمين من دون أي اختلاف أو تفرقة أو عنصرية)[2]

قال آخر: وفي ختام مقاله قال: (إذا أخذنا جميع تلك الآيات التي ذكرتها لكم أعلاه وضربناها وقارناها ببعضها، سوف نجد أن لا وجود لدرجات وطبقات أو لطبقية في الجنة، وأن جميع الجنات التي وردت في القرآن باختلاف أسمائها هي في الحقيقة جنة واحدة كبيرة للجميع عرضها السماوات والأرض أعدت لجميع المؤمنين المتقين ومن دون استثناء.. وسوف نتوصل إلى أن الجنة هي الجنات، وهي جنات عدن، وهي جنات الفردوس، وهي جنات المأوى، وهي الروضة، وهي الروضات، وهي الدرجة، وهي الدرجات، وهي المغفرة، وهي الرحمة، وهي الرضوان، وهي النعيم المقيم، وهي الأجر العظيم، وهي الفوز الكبير)[3]

قال آخر: وهكذا ورد في مقال آخر عن الأزواج الثلاثة الّذين ذكرهم الله تعالى في سورة الواقعة، فقد قال بعد استعراضه لها: (إخواني الكرام، إذا كنتم تظنون بأن هناك فرق بين جنة السابقين وبين جنة أصحاب الميمنة فهذا خطأ كبير فادح تقعون فيه، وأنتم إذا تدبرتم جيدا الآيات التي وصف الله

---

1 () المرجع السابق.

2 () المرجع السابق.

3 () المرجع السابق.

تعالى لنا فيها جنة السابقين مع الآيات الـتي وصـف اللـه تعـالى فيها جنة أصحاب اليمين، لن تجدوا بينهما أي فرق في مضـمون هذا الوصف، ولذلك ذكر الله تعالى لنا زوجين فقـط في سـورة المطففين وفي سورة البلد، وذكر لنا نوعا واحدا من المؤمـنين وصـفهم بـالأبرار المقـربين في سـورة المطففين وبأصـحاب الميمنـة في سـورة البلـد، إذا فـالأبرار المقربـون في سـورة المطففين هم نفسـهم أصـحاب الميمنـة في سـورة البلـد، هـذا يعطينا الدليل بل يؤكـد لنـا أن السـابقين المقـربين هم نفسـهم أصحاب اليمين أو الميمنة في سورة الواقعة)[1]

قال آخر: ثم قال: (في سورة المطففين ذكـر اللـه تعـالى لنا كتابين فقط: كتاب الأبرار وكتاب الفجار، وأخبرنـا أن الأبـرار هم المقربون، فأين كتاب أصحاب اليمين؟ ولماذا لم تذكر هـذه الفئة (فئة أصحاب اليمين) في هذه السورة؟)[2]

قال آخر: ثم قال: (وفي سورة البلد حدثنا اللـه تعـالى عن أصـحاب الميمنـة (أصـحاب اليمين) ولم يحـدثنا عن السـابقين المقـربين، وأخبرنـا بـأن أصـحاب الميمنـة هم الـذين يقتحمـون العقبـة، الـتي هي فـك رقبـة، والـتي هي إطعـام في يـوم ذي مسغبة، يتيما ذا مقربة، أو مسكينا ذا متربة، ثم كانوا من الـذين آمنـوا وتواصـوا بالصـبر وتواصـوا بالمرحمـة، ولقـد وصـف اللـه تعـالى جميـع هـؤلاء بـأنهم أصـحاب ميمنـة، وإذا انطلقنـا من مضمون تلك السورة وقارنا فئـة السـابقين المقـربين بمـا جـاء فيها، فهل يصـح أن نقـول عن السـابقين المقـربين أنهم ليسـوا من الذين يقتحمون العقبة، وأنهم ليسوا من الذين يفكون رقبة، وأنهم ليسوا من الـذين يطعمـون في يـوم ذي مسـغبة يتيمـا ذا مقربـة أو مسـكينا ذا متربـة، وأنهم ليسـوا من الـذين آمنـوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة؟ ولماذا لم تذكر هـذه الفئـة (فئة السابقون المقربون) في هذه السورة؟)[3]

قال آخر: ثم قال: (باختصار مفيد، لقد أراد الله تعـالى من خلال ذكـره لـزوجين من المؤمـنين والـذين هم زوج (نـوع) السابقون وزوج (نوع) أصـحاب الميمنـة في سـورة الواقعـة أن يعلمنا عن أمرين: الأمر الأول هو أنه في كـل زمن، يكـون عـدد

---

1 () من هم الأزواج الثلاثة الّذين ذكرهم اللـه تعـالى في سـورة الواقعـة؟ وهـل هنـاك فـرق مـا بين السـابقين وأصحاب اليمين؟، موقع حقيقة الإسلام من القرآن.

2 () المرجع السابق.

3 () المرجع السابق.

المؤمنين أكثر في بداية تنزيل الكتـاب ولكن بعـد مـرور الـوقت يخف عدد المؤمنين إلى حين انتهاء أجل الكتاب، والأمـر الثـاني هو أن هناك دائما وفي كل الأزمـان والعصـور وعلى مـر الـدهر مجموعات من النـاس كـانت تـدخل في الإيمـان، لقـد أراد الله تعالى أن يعطينا معلومتان فيهما عبرتين مختلفتين)[1]

قال آخر: ثم قال: (وللتوضيح أكثر، إذا نظرنا في كـل زمن ورأينا ما يحدث فيـه، نجـد أن المؤمـنين في كـل زمن أتى فيـه رسول كانوا ثلة من الأولين وقليل من الآخرين، ولذلك وصـفهم الله تعالى بالسابقين المقـربين، وإذا قارنـا جميـع تلـك الأزمـان ببعضـها، نجـد أن السـابقين المقـربين قـد وجـدوا في كـل زمن لذلك قال تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: 39 ـ 40]، من هنا أستطيع أن أقول لكم أن أصحاب الميمنة الذين هم ثلة من الأولين وثلة من الآخرين هم جميـع السـابقين المقـربين الـذين أتـوا عـبر الأزمـان والعصـور من أول خلـق الإنسـان إلى آخره والذين كانوا ثلـة من الأولين وقليـل من الآخـرين في كـل زمن من تلك الأزمان)[2]

4. التبديل والقيم:

بعــد أن انتهى المبــدلون التـائبون من ذكــر مــا قــام بــه أساتذتهم من تحريفات للحقائق القرآنيـة المقدسـة، قـام بعض الحضـور، وقـال: حـدثتمونا عن أسـاتذتكم وتحـريفهم لحقـائق القرآن الكريم المقدسة؛ فحدثونا عن تحريفهم لقيمه السامية.

قال أحد المبدلين: من تجرأ على الحقـائق؛ فإنـه قـد تجـرأ على القيم؛ فالقيم تقوم على الحقائق؛ فإذا ما حرفت الحقـائق وبدلت تبدلت معها القيم.

قال آخر: ولذلك كان لهؤلاء الحداثيين والقرآنيين دور كبـير في نشـر الإرجـاء، وإلغـاء تـأثير كـل الزواجـر الـتي تزجـر عن المعصية، وكل الدوافع التي تدفع إلى الطاعة.

قال آخر: وقـد رأيتم كيـف يسـخرون من خـوف المؤمـنين من عذاب القـبر، وكيـف يـذكرون لهم أن المؤمـنين جميعـا في درجة واحدة في الجنة، لا فـرق بين محسـن ومسـيء، وسـابق ولاحق..

---

1 () المرجع السابق.

2 () المرجع السابق.

قال أحد الحضور: فهلا ذكرتم لنا نماذج عن ذلك مثلما ذكرتم لنا في تبديلاتهم السابقة.

قال أحد المبدلين: أجل.. سنذكر لكم نماذج عن تبديلاتهم لنوعين من القيم: الروحية، والاجتماعية.

أ. القيم الروحية:

قال أحد الحضور: فحدثونا عن المبدلين وموقفهم من القيم الروحية.

قال أحد المبدلين: سنضرب لكم ثلاثة أمثلة عن موقفهم من القيم الروحية، لعلها تكون كافية لكم للتعرف على موقفهم منها جميعا.

المثال الأول:

قال أحد الحضور: فحدثونا عن المثال الأول.

قال أحد المبدلين: المثال الأول هو موقفهم من المقامات العالية التي يتنافس فيها الصالحون، والتي ورد الحديث المفصل عنها في القرآن الكريم والسنة المطهرة وهدي أئمة الهدى.

قال آخر: وقد عرفتم من أحاديثنا السابقة عنهم أن من علامات المبدلين تحقير تلك المعاني والاستهانة بها، لأن الدين عندهم ليس سوى علاقة للإنسان مع الإنسان أو الكون؛ فالإنسان هبط إلى الدنيا في تصورهم ليعمرها، ويملأها بالأبراج والطائرات والصواريخ، ويسيطر على مناخها وتضاريسها، أما ترقية نفسه بممارسة العبادة وكثرة الذكر والرياضات الروحية، فهي عندهم تشدد وتطرف وبلادة.

قال آخر: وهذا ما جرهم إلى الاستهانة بالشعائر، وتحقيرها، وتأويل كل ما ورد فيها من النصوص تأويلات مختلفة، حتى تصبح الصلاة أحقر الأعمال، لا أشرفها، ويصبح الذكر هو ذكر الدنيا، ولا ذكر الله، ولا الشوق إليه.

قال آخر: ولهذا نراهم يحتقرون الصالحين والأولياء الذين أمرنا الله تعالى بسلوك سبيلهم، وبأن نكون معهم، فالصالحون عندهم هم المخترعون والمكتشفون، لا أولئك الذين أفنوا أعمارهم في ذكر ربهم والدعوة إليه.

قال آخر: وهم لا يتوقفون عند أفراد الصالحين، وإنما يضمون إليهم الأنبياء والمرسلين، وخصوصا سيدنا رسول الله ﷺ، ولذلك يحتقرون سنته، ولا يبالون بها، بل يعقبون عليه بما

تمليه أهواؤهم.

قال آخر: ولهذا ينفرون من كل تلك النصوص المقدسة التي تحقر الحياة الدنيا، وتعتبر حبها أم الخطايا، وتعتبر كل ضلالة حصلت في الأرض ناتجة عنها، كما قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: 212]

قال آخر: وهذه الآية الكريمة تحوي وصفا دقيقا لهؤلاء الدنيويين الذين يسمون أنفسهم حداثيين، ذلك أن الدنيا قد زينت في أعينهم، فاستحلوها، ثم راحوا يسخرون من الذين آمنوا، والذين اتقوا، مع أنهم فوقهم يوم القيامة، كما أنهم فوقهم في الحياة الدنيا.

قال آخر: ولذلك لا نجد حداثيا إلا وهو يسخر من العلماء والأولياء والعباد والزهاد، ويعتبرهم جميعا متخلفين لم يفهموا الدين كما فهمه..

قال آخر: ولهذا نراهم يحتقرون الوعاظ الذين يمارسون ما كان يمارسه رسول الله ﷺ من التحذير من الاستغراق والتثاقل إلى الحياة الدنيا، باعتبارهم أخطر ما يهدد حقيقة الإنسان نفسها، والتي قد تتحول إلى كلب يلهث، كما قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 175، 176]

قال آخر: وبناء على هذا كله، فإن كل النصوص المقدسة التي تحذر من الحياة الدنيا، وتبين حقيقتها هي في الحقيقة رد على الفكر الحداثي، الذي يبالغ فيها، ويعتبرها أصلا وغاية ومقصدا.

قال آخر: وهو عندما يفعل ذلك لا يقدم شيئا جديدا، لأنه عقل يهدم ولا يبني، ولهذا نرى الكثير من الحداثيين يملكون شهادات علمية في الطب والفيزياء والهندسة وغيرها، ثم يتركونها، ولا يقدمون في تخصصاتهم أي شيء جديد، بينما يذهبون إلى القرآن الكريم يتلاعبون بألفاظه ومعانيه، ليحولوها إلى المسار الذي تريده أهواؤهم.

قال آخر: ولهذا ذكرنا أن العقل الحداثي أخطر من العقل الملحد، وأكثر بعدا من الدين عنه، لأن الملحد قد يقتنع في يوم من الأيام، ويعود إلى الله بتواضع، أما الحداثي، فهو يتصور أنه على شيء، بينما هو لا يملك من الدين إلا السراب والأهواء والتقول على الله، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: 11]

قال آخر: والعقل الملحد يكتفي بنقد الدين من دون أن يتدخل في تحريفه وتبديله والتلاعب به، بينما العقل الحداثي يفعل ذلك، ويفتري على الله الكذب، ويزعم أنه يفهم من الوحي ما لم يفهمه كل العلماء والصالحين، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: 93]

المثال الثاني:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن المثال الثاني.

قال أحد المبدلين: المثال الثاني هو تمييعهم لمعنى إقامة الصلاة، وإخراجها من حيز الوجوب والفرضية إلى حيز الاختيار والتطوع.. بل تحويلها من حيث هيئتها إلى مجرد دعاء قد يصدر من أي شخص حتى ولو لم يؤمن بأي دين.. المهم أن يؤمن بالله واليوم الآخر، ولو على سبيل العموم.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما ما نشره بعض الحداثيين في موقع شحرور يتحدى كل فقهاء المسلمين بأن يردوا عليه إن استطاعوا[1]، وهو يتعلق بعدد الصلوات، والتي يرى أنها ليست تلك الصلوات الخمسة المعروفة، وإنما هي ثلاثة فقط: صلاة في الصباح الباكر، ووقتها في أول النهار.. ومقدارها من الوقت: هو مقدار طرف النهار، ويبدأ من بداية النهار عند تلاشي الظلام إلى قبل طلوع الشمس.. وصلاة في المساء، ووقتها في آخر النهار، ومقدارها من الوقت: هو مقدار طرف النهار، ويبدأ هذا التوقيت من قبل غروب الشمس إلى آخر النهار عند بداية الظلام، أي عكس ما يقع في الصباح تماما.. وصلاة في الليل، ووقتها في أول الليل، ومقدارها من الوقت: يبدأ توقيتها من أول الليل إلى غسقه أي حتى يشتد

---

1 () انظر مقالا بعنوان: أنزل الله ثلاث صلوات وليس خمسا، بنور صالح.

الظلام.

قال آخر: ويلخص ذلك بقوله: (وخلاصة القول أن الله فرض علينا ثلاثة أوقات تقام فيها الصلاة، صلاة في أول النهار وتسمى الفجر، وصلاة في آخر النهار وتسمى الوسطى، وصلاة في أول الليل وتسمى العشاء، ولم ينزل الله غير هذا إلا ما كان نافلة في الليل، ومن قال غير هذا فقد افترى على الله كذبا وقال على الله ما لم ينزل به سلطانا)[1]

قال آخر: وبعد أن يذكر مجموعة آيات كريمة تتحدث عن الصلاة وأوقاتها بعيدا عما ورد في تفسيرها من السنة المطهرة المتواترة والمجمع عليها، يقف على برجيه العاجي قائلا بكل غرور: (إلى جميع العلماء، رؤساء الأحزاب الإسلامية، رؤساء الأحزاب التالية: السنة، الشيعة، الإباضية، المعتزلة، المالكية، الحنفية، الحنبلية، الشافعية، الزيدية، الجعفرية، الإمامية، المهدوية، الصوفية، الشاذلية، القادرية، التيجانية، العلوية.. القرآنيين، الباطنية، الظاهرية.. إلى جميع الشعوب العربية والإسلامية.. اذكروا لنا الصلاة التي أنزلها الله ومواقيتها، ومن الآيات العديدة التي أنزلها الله في الصلاة إليكم)[2]

قال آخر: ثم يذكر قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: 114]، ثم يسأل تلك الطوائف جميعا قائلا: (هل هذه الآية منسوخة؟.. هل هي فاعلة إلى يومنا هذا؟.. وهل يجب أن نعمل بها أملا؟.. كم صلاة أنزل الله فيها؟ 3 أم 5.. وما هي هذه الصلوات؟ اذكر أوقاتها، وأين هي الصلاة الوسطى في هذه الصلوات.. هل قرأ النبي هذه الآية على الناس؟.. هل بلغها؟.. هل تكلم بها بلسانه أم لا؟.. هل عمل بها؟.. وكم صلى حين عمل بها؟.. وهل هو الذي شرع الظهر والعصر؟.. إذا لم يكن هو فمن الذي شرعهما؟.. هل صلاة الظهر والعصر فرض؟.. إذا قلتم فرض فمن فرضهما؟ وأين فرضهما؟.. وما حكم الذي لم يصليهما، هل ارتكب معصية؟ إذا قلتم نعم، فمن عصى؟.. من الذي يشرع للعباد؟.. إذا شرع آخر مع الله هل هذا شرك بالله أم لا؟)[3]

---

1 () المرجع السابق.

2 () المرجع السابق.

3 () المرجع السابق.

قال آخـر: وهكـذا تحـول من صـلى الظهـر والعصـر عنـده مبتدعا ومشـركا وضـالا بمجـرد أسـئلة يسـألها عن آيـة لم يفهم معناها، ولا معاني غيرها من الآيات، وكيف يفهمها، وقد أبعد من أوكله الله بتأويلها وتوضيحها وتحديد المقصود منها، وهو رسـول الله ﷺ الذي ذكر اللـه دوره العظيم المرتبـط بـالقرآن الكـريم، فقال: ﴿وَأَنْزَلْنَـا إِلَيْـكَ الـذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَـا نُـزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44]

قال آخر: وقـد ختم عجرفتـه تلـك بقولـه: (قـدموا شـهادة على الصلاة التي تصلونها على أن الله هـو الـذي أنزلهـا عليكم، وأي شخص يقول بصلاة معينة يقدم شهادة عليهـا على أن اللـه هـو الـذي أنزلهـا، وإذا لم تجيبـوا على هـذه الأسـئلة، وتقـدموا شهادة عليها وعلى صلاتكم، فاعلموا أنكم حكمتم على أنفسكم أنكم مشـركون، لسـت أنـا الـذي أحكم عليكم، بـل تـركتكم لتحكموا على أنفسكم، لقـد أشـركتم باللـه في تشـريعه مـا لم يـنزل بـه سـلطانا، ومن فعـل ذلـك علم أم لم يعلم فهـو من المشـركين، فلا أحـد يكفـركم ولا أحـد يضـللكم بـل أنتم الـذين ستحكمون على أنفسكم هنا في الدنيا قبل الآخرة، والذي أنزله الله هو الذي كشف شرككم كما كشف شرك الذين من قبلكم، فهو الوحيد الذي يكشف ما قبله وما بعده، والآن أنتم على علم بضلالكم وشـرككم، ومـا يزيـدكم هـذا الحـق والتبيـان إلا نفـورا وطغيانـا، اسـتكبارا في الأرض ومكـر السـيء ولا يحيـق المكـر السيء إلا بأهله)[1]

قال آخـر: ثم راح يقـدم شـهادته في كيفيـة الصـلاة قـائلا: (أشهد أني صاحب هذه الدعوة، وأشهد أن كل نـبي رسـول من الله وختمت الرسالة والنبوة بمحمـد، وأشـهد أمـام اللـه وأمـام العباد وأقسـم باللـه العلي العظيم أن اللـه أنـزل ثلاث صـلوات مفروضة، صلاة الفجر والصلاة الوسطى وصلاة العشاء، وصـلاة النافلة في الليل فقط، هذه هي الصلاة الـتي أنزلهـا اللـه وختم التنزيل على هـذه الصـلاة، وأن اللـه لم يـنزل صـلاة الظهـر ولا صلاة العصر، وأن نبينا محمدا كـان يصـلي الثلاث صـلوات الـتي ذكرتها وأنه مـات على هـذه الصـلوات الثلاث، وليس هـو الـذي شرع صلاة الظهر وصلاة العصر، بـل النـاس هم الـذين شـرعوا ذلك، وأن كل الأنبياء كـانوا يصـلون هـذه الصـلوات الثلاث وفي

1 () المرجع السابق.

هـذه الأوقـات، ولم يـنزل اللـه بصـلاة في الظهـيرة أبـدا على الإطلاق في جميع الكتب المنزلة التي نعرفهـا والـتي لا نعرفهـا، وأن الصلاة لم تتغير منذ أن أنزل اللـه الهدايـة على البشـر إلى يوم الدين، وأن الله لم ينزل الصلاة مقدرة بالركعات، بل أنزلها دائما وأبدا مقدرة بالوقت، وأن النبي كان يصلي الصلاة مقـدرة بالوقت وليس بعدد الركعـات، وأن الصـلاة الوسـطى تبـدأ قبـل غروب الشمس، وأن النبي والأنبياء كلهم كانوا يصلون الوسطى قبل غـروب الشـمس، وأن الركـوع ليس الانحنـاء، وأن اللـه لم ينزل الانحناء ولم يشرع به في الصلاة، وأن النبي وجميع الأنبياء لم يكونوا يقومون بالانحناء في الصلاة، وأن الله لم ينزل صـلاة الجمعة، ولا صلاة الأحد، ولا صلاة السبت، إلا الصـلاة المـذكورة سابقا، وأن النبي وجميع الأنبياء لم يكونوا يصلون صلاة الجمعـة ولا صلاة السبت ولا صلاة الأحد، وأن الله لم ينزل صلاة الأعياد، ولا صلاة في الأعياد أبـدا، وأن النـبي وجميـع الأنبيـاء لم يكونـوا يصلون صلاة الأعياد، وأن الله لم ينزل صـلاة الاستسـقاء إلا إن أراد الناس أن يتقربوا لله بالصلاة النافلة في الليل، وأن الله لم ينزل صلاة الجنازة إلا أن يدعو النـاس لموتـاهم كـدعاء بعضـهم لبعض وهم أحياء، وأن الصلاة على النبي هي الدعاء له بالرحمة والاسـتغفار، وليس هـذا الشـكل الـذي يقـال، وأخـيرا إن كنت كذبت على الله في شـيء من هـذه الشـهادة ولـو شـيء قليـل فلعنة الله على الكاذبين.. هذه شهادتي، فقدموا عكسها في مـا تخـالفونني فيـه، واعلمـوا بـإذن اللـه أنكم لا تفعلـون.. لأنكم تعلمون أنكم تكذبون)[1]

قال آخر: ثم ختم بملاحظة يقول فيهـا: (كـل من قـرأ هـذا الموضوع أرجو أن ينقله إلى علمائه وشيوخه للرد عليه إن كانوا صادقين في مـا يعبـدون.. وليعلم النـاس أن علمـاءهم يعلمـون الحق ولكنهم يكتمونه، فهم يفعلون كما فعـل الـذين من قبلهم، فهم لا يهتدون)[2]

قال آخر: هذا مجرد نموذج عن التلاعب بالصلاة واحتقارهـا واحتقـار كـل مـا ورد في شـأنها، ولـو تتبعنـا تفاصـيل مـا ذكـره الحداثيون في شـأنها لوصـلنا إلى نتـائج أخطـر بكثـير من الـتي ذكرناها، فذلك نكتفي بهذا، لتعرفوا مدى التطرف الذي وقع فيه

---

1 () المرجع السابق.

2 () المرجع السابق.

الحداثيون، وأنهم حاولوا أن يعالجوا التطرف السلفي، فوقعوا في تطرف أشد منه.

المثال الثالث:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن المثال الثالث.

قال أحد المبدلين: المثال الثالث مرتبط بمفهوم الصوم وأحكامه، والذي راح شحرور يؤول الآيات الواردة فيه كما يشاء، بحيث وصل في الأخير إلى اعتبارها شعيرة اختيارية، الأولى تركها، واستبدالها بإطعام المساكين.. لأن في إطعام المساكين ـ بحسب تصوره ـ خدمة اجتماعية حضارية، بخلاف الصيام الذي يؤثر على الإنتاج والتطور والرقي.

قال آخر: والآية التي إعتمد عليها في ذلك الفهم العجيب هي قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 184]، والتي فسرها بقوله: (فالآية الأولى هي الآية المحكمة المتعلقة بالصوم، وكل ما ورد فيما يتعلق بالموضوع هو تفصيل لهذه الآية، وفي التفصيل حدد من يشمله الإعفاء من الصيام، بداية من لا يتحمله (لا طاقة له به) وهما المريض والمسافر فيمكنهما تأجيل الصيام لوقت آخر، ثم من يتحمله (يطيقونه) فيمكنه دفع فدية [إطعام مسكين]، فإن كنت تستطيع الصيام فالصيام خير لك، وإن كنت لا تريد فعليك بالفدية وهي إطعام مسكين كحدٍ أدنى)[1]

قال آخر: ثم راح يتهم جميع المفسرين في جميع مراحل التاريخ أنهم لم يفهموا معنى الآية الكريمة، فقال: (والمفارقة هنا أن السادة المفسرين وضعوا [لا] قبل [يطيقونه]، فيجد الباحث عن تفسير [يطيقونه]: [لا يطيقونه]، أو [يطيقونه بصعوبة].. وحرموا على الناس الإفطار برمضان مهما كانت الأسباب عدا المرض والسفر، وإلا صيام شهرين متتاليين، وقد يغفر الله وقد لا يغفر، مع أن التنزيل الحكيم لم يقل بذلك)[2]

قال آخر: وهذا افتراء على المفسرين وعلى اللغويين قبلهم، لأن نفس كلمة [يطيقونه] في اللغة العربية تدل على معنى العنت والجهد الشديد الذي يصيب الصائم، والذي يبيح له الإفطار مع الفدية أو القضاء، بحسب حالته العمرية والصحية..

---

1 () الصيام وفق الاستطاعة، محمد شحرور.

2 () المرجع السابق.

وقد ذكر ذلك جميع علماء اللغة واتفقوا عليه..

قال آخر: ومن ذلك ما قاله الزمخشري، وهو الذي لا يجادل أحد في معرفته باللغة العربية، وتذوقه لبلاغتها، فقد قال في تفسيره للآية الكريمة: (ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطوقونه، وأصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه، على أنهما من فيعل وتفعيل من الطوق، فأدغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم: تدير المكان وما بها ديار.. وفيه وجهان: أحدهما نحو معنى يطيقونه.. والثاني يكلفونه أو يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز، وحكم هؤلاء الإفطار والفدية)[1]

قال آخر: ومثله قال الراغب الأصفهاني ــ وهو العالم اللغوي صاحب السبق في البحث في مفردات القرآن الكريم ـ في تفسيرها: (وروي عن ابن عباس في أصح الروايتين أن ذلك في الشيخ والشيخة الهرمين والحامل والمرضع إذا خافتا على ولديهما، فلفظ (الطاقة) ههنا ينبيء عن ذلك، فإن الطاقة هي التي تبلغ غاية المشقة، ولا يخرج عن القدرة والعجز، فذكر أن هؤلاء الذين يبلغ بهم الصوم غاية المشقة يجوز لهم الإفطار والفدية وقرئ (يُطَوقونه) أي يتكلفونه بجهد، وقرئ (يطوقونه) أي يحملون على أن يتطوقوا)[2]

قال آخر: لكن شحرورا فهم هذه الكلمة على حسب ما يشتهي، مع أنه يعلم أن اللغة العربية واسعة، وأن اللفظة الواحدة لها دلالات متعددة.

قال آخر: ولم يكتف بذلك، بل راح إلى إطعام المسكين نفسه يتساهل فيه، ويلغيه، أي أن الذي يقدر على الصيام، ولكنه لا يرغب فيه، ويرغب في الفدية بدله، يمكنه ألا يقدمها أيضا إن لم يكن قادرا على تقديمها، وقد قال معبرا عن ذلك: (قد يقول البعض، وهل العامل قادر على دفع الفدية؟ وهل هذا الدين للأغنياء فقط؟ أقول لا، فالصيام وفق الاستطاعة ومن لا يملك قوت يومه لا حرج عليه، وكفانا تصوير الله تعالى وكأنه شرطي يتربص بالعباد، فقد قال وجل من قائل: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: 184] وأتبعها بقوله ﴿يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[البقرة: 184])[3]

---

1 () الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (1/226)

2 () تفسير الراغب الأصفهاني (1/389)

3 () المرجع السابق.

قال آخر: ثم راح ـ كسائر الحداثيين ـ يصور الآثـار العمليـة لهذه الفتوى الخطـيرة الـتي تزيـل هـذه الشـعيرة عن الإسـلام، وتجعل المسلم مخيرا بين الصيام والفدية، بل تضع عنـه الفديـة نفسـها، وتجعلـه في حـل من إخراجهـا، فقـال: (ولنتخيـل حـال عالمنـا العـربي والإسـلامي لـو كـل من لا يريـد الصـيام أطعم مسكيناً في اليوم، أو لو تم جمع البدل النقـدي عن فديـة صـيام من يعيشون في شمال أوروبا، هل سنجد جائعاً في بلداننا؟)[1]

قال آخر: ثم راح يعلل ذلك بتصوره للحرية الدينيـة، والـتي تتيح للمسلم أن يترك الصلاة والصيام وكل الشعائر التعبدية مـا دام غير راغب فيها، من غير أن يخل ذلك بإسلامه ولا إيمانه ولا دينه، فقـال: (وأكـرر أن الشـعائر يأتيهـا الإنسـان طواعيـة، دون إرغام، وهي أهم تطبيق للآية ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقـرة: 256]، والصيام يفقد معناه إن كان إلزاميـاً، لـذا فـإن فـرض عقوبـة أو غرامة على المفطرين هو أمـر غـير مقبـول، ومراعـاة مشـاعر الصائمين أمر جميل، لكن ليس أكثر من ذلك.. أيضاً ما نراه من تحميـل عبـاد اللـه فضـلاً بحجـة الصـيام، أو تعطيـل الأعمـال والأشغال بهذه الحجة، فهذا أبعد ما يكون عن ديننا)[2]

قـال آخـر: ولم يكتـف شـحرور وسـائر الشـحارير الـذين يظهرون كل يوم بهذا، بل راح إلى ميقات شهر رمضان نفســه، والذي حدده القرآن الكـريم بدقـة، ليحولـه إلى شـهر شمسـي، مرتبط بفصل محدد هو فصل الخريـف، حـتى يزيـل عن أتباعـه مشـقة الصـيام في فصـل الصـيف، وقـد قـال معـبرا عن ذلـك: (يبقى أن نشير إلى أن الأشهر القمرية تحتاج لتصحيح، يقوم بـه المختصون ويجمعون عليه، بحيث توافق الأشهر القمرية الأشهر الشمسية، أي ما يسمى بالنسـيء، وأعتقـد أن رمضـان يوافـق الشهر التاسع الميلادي (أيلول، سبتمبر)، إذ يكون النهار مساوياً لليل في نصفي الكرة الأرضية، علماً أن النسيء المحرم هو مـا كان يقوم به العرب من تأخير وتقديم للأشهر بحيث يوافق الحج مواسم التجارة، وليس تصحيحاً وفق قواعد ثابتة)[3]

قال آخر: ولم يكتف شحرور بطرح أفكاره في مقالاته، بل هو يفتي بها باعتباره مفتي الإسلام الأكبر، وقد سألته امرأة عن

1 () المرجع السابق.
2 () المرجع السابق.
3 () التنويريون والصراع مع المقدسات، ص 206.

بعض أحكام الصيام؛ فأجابها بقوله: (أشكرك على مشاعرك، وقت الصيام يدخل ضمن حدود الله التي نهانا عن الاقتراب منها وهي من الفجر وحتى الليل.. ولكن لك أن تعلمي أن من لا يرغب الصوم يمكن أن يطعم مسكينا.. وعليك أن تعلمي أن هناك ثلاث فئات من الناس: المرضى ــ على سفر ــ القادرين على الصيام.. أي ليسوا مرضى ولا على سفر، هؤلاء رغبة الصوم عندهم مفتوحة على الفدية أو الصوم، والحد الأدنى للفدية هو طعام مسكين حسب إمكانياتك ومستوى البلد الذي تعيشين فيه، وهنا قال: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: 184] هنا يخاطب المستطيع، والذي له الخيار بين الفدية والصوم، قال الصوم خير لكم من باب الترجيح وليس الفرض، لذا فعليك الفدية ولا تستمعي إلى من يقول الصوم حسب مكة أو حسب أقرب بلد إسلامي فهذه إفتاءات ليست أكثر من هراء، وكوني مطمئنة بالفدية، وانصحي الآخرين)[1]

قال آخر: ثم راح يقترح عليها، وعلى المسلمين ــ بحسب الدين الجديد الذي جاء به ــ قائلا: (وأرى إنشاء مؤسسة في بلدان أوربا الشمالية تسمى (مؤسسة إطعام مسكين) توضع فيها أموال فدية رمضان، ويفتح بها مطاعم لإطعام الفقراء والمحتاجين فهذا أفضل)، أي أن هذا أفضل من الصيام.

قال آخر: ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إننا نجد كل يوم من ينادي بمثل هذه الطروحات، بل يحاول أن يغرب فيها، لأن دين الله أصبح سلعة لكل تاجر، وباحث عن الشهرة.

قال آخر: ومن الشخصيات التي كتبت في هذا، ودعت إليه بحماسة لا تقل عن حماسة شحرور أستاذ جامعي اسمه [يوسف قرنفل] الذي كتب مقالا بعنوان [هل الصيام اختيار؟]، ومما جاء فيه قوله: (المؤمن مخير بين الصيام وبين الإفطار، إن شاء صام وإن شاء أفطر ولا ذنب عليه.. ويفدي عن كل يوم أفطر فيه بإطعام مسكين؛ وإن أطعم أكثر من مسكين عن كل يوم أفطر فيه فهو خير)[2]

قال آخر: ومنهم [فوزى فراج] الذي راح يدعي أن له السبق على الفكرة التي طرحها شحرور، فقد قال في مقال له في ذلك: (التفسير الذى جاء به الاستاذ شحرور ليس جديدا،

---

1 () التنويريون والصراع مع المقدسات، ص 207)

2 () هل الصيام اختيار؟، يوسف قرنفل، 29 ماي 2016.

فقد قلت مثله منذ سنوات، والآية من وجهة نظرى واضحة جدا، فقد قسم الله الناس فى موضوع الصيام إلى ثلاثة أنواع: الأول هم المرضى أو من على سفر، وقد صرح لهم بعدم الصيام أى الإفطار على أن يصوموا فى أيام أخرى بعد إنتهاء السفر او المرض.. الثانى وهم الذين يستطيعون الصيام ولكنهم لأسبابهم الخاصة والتى لا يعرفها إلا الله، لا يريدون الصيام، فأحل لهم الإفطار مع إطعام مسكين، أو أكثر من مسكين، ولكنه فى نفس الوقت نصحهم بأن الصيام خير لهم من ذلك.. الثالث وهم الأغلبية من الناس الذين سوف يصومون الشهر كما كتب الله ذلك عليهم)[1]

قال آخر: ثم راح يردد ما ذكره شحرور وغيره، والجديد الذي أضافه في هذا الباب هو تفسيره لمعنى التقوى الواردة في الآية الكريمة، والتي اعتبرت علة للصوم، لكونه يربي النفس ويهذبها، ويرفع عنها القيود التي تقيدها بها شهواتها، والتي نظر إليها من زاوية تجديدية مادية، فقال: (الصيام ليس من أجل أن يجوع أو يعطش الصائم أو يحرم من معاشرة زوجته أو زوجها، الصيام من أجل التقوى كسبب رئيسى ورغم ذلك فليس من المؤكد إن كل صائم سوف يصل إلى التقوى بصيامه.. والإحصائيات تفيد بأن خلال شهر رمضان يقل الإنتاج فى العالم الإسلامى إلى النصف أو أقل، وجميعنا من عاش فى المجتمعات العربية والمصرية يعلم ذلك جيدا، ويعلم التباطؤ والتكاسل والتغيب مما يؤدى إلى تعطيل المصالح وكثرة الإختلافات والشجار بين الناس وزيادة حالات الطلاق، وكل ذلك كما يدعون بسبب الصيام، والصيام الذى أمر الله به بريء من كل ذلك)

قال آخر: ولذلك؛ فإن الحل بالنسبة له هو اعتبار الصيام عبادة تخييرية؛ فمن شاء أن يصوم صام، ومن شاء أن يفطر أفطر من غير حرج، وليس عليه سوى أن يطعم مسكينا واحدا بدل ذلك اليوم.. وإن كان هو المسكين؛ فيمكنه أن يطعم نفسه، ويعتبر بذلك صائما.. بل يؤجر أكثر إن استطاع أن يرفع الإنتاج، ويحقق الرفاه الاجتماعي الذي هو الغاية العظمى التي خلق من أجلها الإنسان، كما يصور الحداثيون.

ب. القيم الاجتماعية:

1 () شهر رمضان الذى يأتى كل عام، فوزى فراج، 02 تموز 2014.

قـال أحـد الحضـور: وعينـا هـذا.. فحـدثونا عن المبـدلين وموقفهم من القيم الاجتماعية.

قـال أحـد المبـدلين: من خلال مـا عرضـنا لكم سـابقا من نماذج يمكنكم أن تستنتجوا بسهولة موقف هـؤلاء المبـدلين من القيم الاجتماعية؛ ذلك أنهم لم يرتضوا بقيم الإسلام، واعتبروهـا تخلفا ومرتبطة بـزمن معين، ولـذلك راحـوا إلى كـل تلـك القيم الجميلة التي وضع الله تعالى أحكامها لحفظ المجتمـع وعلاقاتـه وآدابه وعفافه، ليهدموها رأسا على عقب.

قال آخـر: وسـنكتفي بـذكر مثـالين لكم عن ذلـك، لتعـبروا منهم لغيرهما من المعاني.

المثال الأول:

قال أحد الحضور: فحدثونا عن المثال الأول.

قـال أحـد المبـدلين: المثـال الأول مـوقفهم من الحجـاب الشرعي الذي نص على وجوبه القـرآن الكـريم، وأيدتـه السـنة المطهرة، والروايات الواردة عن أئمة الهدى، ثم أيده بعـد ذلـك كلـه إجمـاع المسـلمين بمدارسـهم المختلفـة، وإن اختلفـوا في بعض تفاصيله البسيطة.

قال آخر: وأيده بعد ذلك ومعه العقـل والفطـرة والواقـع.. فالحجاب رمز للعفة والطهـارة والتضـحية، ولكـل القيم النبيلـة، ذلك أن المرأة التي تسـتر محاسـنها وفتنتهـا، في الـوقت الـذي تحب بفطرتها أن يظهر ذلك منها، تقوم بتضحية كبـيرة، وتـؤدي واجبا إنسانيا وأخلاقيا رفيعا، ذلك أنها بهذا السلوك الرفيع ترحم ما أودع الله في شقيقها الآخـر من تطلـع إليهـا، وفتنـة بهـا، ولا تكلفه عنتا بأن يغض طرفه عنهـا، أو يكـف نفسـه عن التحـرش بها.

قال آخر: وهو رمز لطهـارة القلب، وسـمو الـروح، وتجـرد العقل وتحكمه في صاحبه، ذلـك أن المـرأة الـتي تسـتر مفـاتن جسدها، إنما تقول للمجتمع، ولكـل المتطلعين إليهـا: أنـا لسـت جسـدا فقـط، وإنمـا أنـا روح وعقـل وقلب ولـدي من الأشـواق والسمو الروحي ما للرجل تماما؛ فلذلك لا ينظر إليها باعتبارهـا فتنة، وإنما باعتبارها أسوة ونموذجا ومثالا إنسانيا رفيعا.

قـال آخـر: ولهـذا كـان الحجـاب معـنى من المعـاني الـتي اتفقت عليهـا جميـع الـديانات، وتوحـد على الـدعوة إليهـا كـل الأولياء والأنبياء والمصلحين.

قال آخر: لكن الحداثيين القدامى والجـدد لم يلاحظـوا كـل هذه المعاني، وإنما تصوروه مجرد خرقـة ولبـاس لا معـنى لهـا، بـل تصـوروه نوعـا من التـدخل الإلهي أو الـذكوري في شـأن المرأة، وأنه مخـالف للحضـارة، وأن البشـرية لن تتحضـر حـتى تتحرر المرأة من لباسها، لتصبح مرعى خصيبا لكل ذئـاب الـدنيا وكلابها.

قال آخر: وقد استعملوا في هذه الحرب كـل مـا أوتـوا من أسلحة.. وهـو سـلاح التحضـر والـرقي، وهـو سـلاح اتفـق عليـه القـدامى منهم والمحـدثون، حـتى أن بعضـهم تصـور أن سـبب تخلف المسلمين هو الحجاب، وأن رمز رقيهم هو نزعه، ولـذلك راح ينادي بخلع الحجاب حتى تترقى الأمة، وتترفع عن تخلفها.

قـال آخـر: ولـذلك لا يربـط الحـداثيون التطـور العلمي والتقـني الأوروبي بتـوفر الظـروف المناسـبة للبحث والإنتـاج العلمي، وإنما يربطونه بوجود المـرأة الـتي تتخلى عن حجابهـا، كما تتخلى عن حيائهـا وعفتهـا، وتعمـل بنفسـها كـل مـا يرضـي نزوات الرجل.

قال آخر: وقد صرح بذلك بعضهم، فقـال ــ يمـدح الانحلال الأخلاقي في المجتمع الأوربي ـ: (يضم المجتمع الأوربي الرجال والنساء دائماً، فيسهل الاتصال بينهم، وتنشأ فيما بينهم علاقـات آلفـــة وصـــداقة وحب، وهـــذا الاختلاط بين الجنســـين في الاجتماعات يُسبغ، عليهـا عذوبـة ورقـة، فالسـحر الـذي تشـيعه المرأة في كل مكان توجد فيه شيء ممتع ونفاذ كعطر الزهور، وفي مثل هذه الاجتماعات ينعم المرء دائماً بـالمرح، وغالبـاً مـا يتودد للغير، ويخرج في النهاية مفعم القلب بالرضا!)[1]

قـال آخـر: وبنـاء على هـذا تصـور أنـه لا يمكن أن تـترقى الأمة، ولا أن تتحضـر، ولا أن ترفـع عنهـا جلبـاب التخلـف إلا إذا رفعت عن المرأة الجلباب الذي أمرهـا اللـه بلباسـه، وقـد قـال معـبرا عن ذلـك: (ليس من الممكن أن تصـل المـرأة إلى هـذه المنزلة الأدبية ما دامت في الحجاب، ولكن من السهل جـداً أن تصل إليها بالحرية، تصل إليها كما وصلت إليها غيرها من النساء الغربيات.. فإنا نرى أنه كلما زيـد في حريـة المـرأة الغربيـة زاد عندها الشعور بالاحترام لنفسها ولزوجها ولعائلتها)[2]

1 () المصريون، ضمن الأعمال الكاملة لقاسم أمين، ص 258.
2 () المصريون، ص 451.

قال آخر: وهو لا يستدل لهذا بما نراه في واقع المرأة الغربية من تحولها إلى مجرد سلعة للإعلانات التي توضع فيها بجانب الحلويات والمأكولات والملبوسات، وكأنها مجرد متعة من تلك المتع، وإنما يستدل لها بما تعود الحشويون أن يستدلوا به، وهو الرجال، فهو يرى أن العقل الأوروبي الذي استطاع أن يتقدم في الكثير من المجالات لا يمكن اتهامه في هذا المجال.

قال آخر: وقد عبر عن ذلك بقوله: (هل يظن المصريون أن رجال أوروبا، مع أنهم بلغو من كمال العقل والشعور مبلغاً مكنهم من اكتشاف قوة البخار والكهرباء واستخدامها على ما نشاهده بأعيننا، وأن تلك النفوس التي تخاطر في كل يوم بحياتها في طلب العلم والمعالي وتفضل الشرف على لذة الحياة، هل يظنون أن تلك العقول وتلك النفوس التي نعجب بآثارها يمكن أن يغيب عنها معرفة الوسائل لصيانة المرأة وحفظ عفتها!؟ هل يظنون أن أولئك القوم يتركون الحجاب بعد تمكنه عندهم لو رأوا خيراً فيه؟ كلا!، وإنما الإفراط في الحجاب من الوسائل التي تبادر عقول السذج وتركن إليها نفوسهم ولكنها يمجها كل عقل مهذب وكل شعور رقيق)[1]

قال آخر: وهو ـ هنا ـ يقع في خلط كبير بين الرقي المادي والرقي الأخلاقي، فيتصور أنهما يسيران في خط واحد، مع أن الأمر مختلف تماما، فقد يسير الإنسان إلى أعلى قمم التطور المادي، في نفس الوقت الذي ينهار فيه أخلاقيا إلى أدنى مراتب الإنسانية، بل قد ينزل إلى مراتب البهيمية نفسها.

قال آخر: وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى عندما اعتبر كل التطور المادي، والعلوم المرتبطة به، إنما هو ظاهر الحياة الدنيا، لا حقيقة الحياة، كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: 6، 7]

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك السلاح التقليدي، والذي فضحه واقع الانحلال الغربي نفسه.. جاء المبدلون بسلاح جديد استعملوا فيه القرآن الكريم نفسه، ولذلك هو أخطر من كل الأسلحة التي استعملها السابقون.

قال آخر: وهؤلاء راحوا يكذبون الفقهاء باعتبارهم ذكوريين، وراحوا يكذبون السنة باعتبارها جميعا مكذوبة

---

1 () المصريون، ص 372.

وموضوعة، فلما خلا لهم الجو مع القرآن الكريم راحــوا يعبثــون بألفاظه كما تعودوا ليحولوه عن معناه تحويلا تاما.

قال آخـر: ومن أمثلـة ذلـك الـدجل الممـارس مـع القـرآن الكــريم مــا ذكــره محمــد شــحرور في حديثــه لبعض القنــوات الخليجية[1] الـــتي لا هم لهـــا إلا نشـــر الفـــواحش والـــدعوة للانحـــراف، حيث راح كعادتـــه يتلاعب بالألفـــاظ، ويجـــادل في القطعيات التي اتفقت عليها كل كتب التفسير والحديث والفقـه من لدن جميع المدارس الإسلامية، فيذكر أن (أن كلمة الحجاب وردت في التنزيـــل الحكيم ثمـــاني مـــرات، ولم تمت في كـــل استعمالاتها إلى اللباس بأية صلة من قريب ولا من بعيد، فكانت الألفاظ التي تدل على اللباس هي الثياب والجلابيب والخُمر)[2]

قال آخر: وهو نـوع من المصـادرة على المطلـوب، والـتي يخدع بها عادة عوام الناس، فالحجاب مصطلح، ولا مشـاحة في الاصطلاح، ولا يهم أن يذكر في القـرآن الكـريم أو لا يـذكر، لأن القرآن الكريم ذكر الستر ودعـا إليـه، واعتـبر التعـري بمختلـف أشكاله ومستوياته دعوة شيطانية لا حداثية، فقال: ﴿يَــابَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّـيْطَانُ كَمَـا أَخْـرَجَ أَبَـوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْـزِعُ عَنْهُمَـا لِبَاسَــهُمَا لِيُرِيَهُمَــا سَــوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَـرَاكُمْ هُـوَ وَقَبِيلُـهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 27]

قال آخر: بل إنه صرح بـذلك حين قـال: ﴿يَاأَيُّهَـا النَّبِيُّ قُـلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: 59]

قال آخر: ولم يكتف بذلك، بل راح يوضح ويبين بدقة كيفـة يكــون الســتر ومحالــه؛ فقــال ﴿وَقُــلْ لِلْمُؤْمِنَــاتِ يَغْضُضْــنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْـدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَـا ظَهَـرَ مِنْهَـا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُـولَتِهِنَّ أَوْ إِخْـوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَـوْرَاتِ النِّسَـاءِ وَلَا يَضْـرِبْنَ بِـأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَـا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُــوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًــا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُــونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُــونَ﴾ [النور: 31]

---

1 () وهذه المعاني ذكرها بتفصيل في كتابه: نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي ـ فقه المرأة.

2 () نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي ـ فقه المرأة.

قال آخر: وهذه الآية الكريمة وحدها تكفي لمن تأملهـا في التعرف على مقصد الشرع من الحجاب وأهميته.. حيث أن نرى أن القرآن الكريم الذي لم يذكر عدد ركعات الصلاة، ولا مقـادير الزكاة، ولا أركان الحج وكيفيته، ولا أحكاما تفصيلية كثيرة.. لكن مع ذلك يذكر الحجاب، وكيف يكون، ومع من يكـون.. وهـو يـدل على أهميتـه القصـوى في حفـظ المـرأة والمجتمـع على حـد سواء.

قـال آخـر: لكن الحـداثيين الـذين لم تعجبهم أمثـال هـذه النصوص، وتمنوا لو استطاعوا حذفها من القرآن الكـريم راحـوا يحتالون عليها، ويتلاعبون بها.

قال آخر: ومن صور ذلـك الاحتيـال والتلاعب تلـك الفهـوم العجيبة الـتي خـرج بهـا شـحرور على القنـوات الفضـائية ليقنـع المؤمنات بأن الحجاب خدعة خدعهم بها الفقهاء، ولا علاقـة لهـا بالدين.

قال آخـر: فهـو يـرى ــ من خلالـه فهومـه للآيـات الكريمـة الواضحة التي ذكرناهـا ــ أن المـرأة ليسـت مكلفـة سـوى بـأن (تستر جيوبها السفلية (الفرج والإليتين) وهو الحد الأدنى للباس وهو ما يسمى بالعورة المغلظة أمـام المـذكورين في الآيـة 31 من سورة النور بما فيهم بعلها، والمحارم المـذكورون في هـذه الآية هم نصف المحارم وليس كلهم)[1]

قال آخر: أي أن المـرأة ــ بحسـب فهمـه هـذا ــ يمكن أن تسير أمام أبيها وابنها وأخيها وجميع أقاربها المذكورين في الآية الكريمة فقط بلباسـها الـداخلي الـذي يسـتر العـورة المغلظـة، وليس عليها أن تستر أي شيء آخر عدا ذلك.

قال آخر: أما عندما تريد أن تخرج خارج بيتها، فليس عليها ـ كما يذكر ـ سوى أن تغطي (الجيـوب العلويـة (الثـديين وتحت الإبطين) بالإضـافة إلى الجيـوب السـفلية (العـورة المغلظـة)، وبذلك تتحقـق باللبـاس الشـرعي، أو بالحجـاب الشـرعي، كمـا فهمه من القرآن الكريم.

قال آخر: أما ما عـدا ذلـك، فهـو يـرى أنـه حريـة شخصـية يقررها المجتمع، لا الدين، فلـذلك يـراه سـاريا (حسـب أعـراف المجتمـع الـذي تعيش فيـه، وحسـب ظـروف الزمـان والمكـان بحيث لا تتعرض للأذى الاجتماعي)

---

1 () نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي ـ فقه المرأة.

قال آخر: وبذلك فهو يرى أن كل التبرج الذي نراه في الغرب ليس تبرجا، بل هو حجاب شرعي، لأن المجتمعات الغربية رضيت بذلك، وألفته، وصار شيئا عاديا بالنسبة لها.

المثال الثاني:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن المثال الثاني.

قال أحد المبدلين: المثال الثاني هو موقف أساتذتنا المبدلين من الحكومة الإسلامية.. فقد كانوا ولا يزالون أبرز المعارضين لها، بل صاروا هم السند الذي يلجأ إليه العلمانيون لرفض الحكم الإسلامي، ومن خلال المصادر الإسلامية نفسها.

قال آخر: ولعلكم تعرفون أول كتاب ألف في تأييد العلمانية، ورفض الحكم الإسلامي، والاستناد في ذلك إلى المصادر المقدسة نفسها، والذي لا يختلف كثيرا عن كتاب الشعر الجاهلي لطه حسين وغيره.

قال آخر: إنه كتاب (الإسلام وأصول الحكم)، والذي ألفه بعض علماء الأزهر، يذكر فيه أن الإسلام دين لا دولة، ورسالة روحية لا علاقة لها بالحكومة والسياسة الدنيوية وعمارة الكون وتنظيم المجتمعات.. وأن محمدا ﷺ لم يؤسس دولة، ولم يرأس حكومة، ولم يسس مجتمعا، ولم يدع إلى شيء من ذلك، بل كان رسولا فقط، ما عليه إلا البلاغ.

قال آخر[1]: وقد عمد فيه إلى مغالطات عجيبة، ومجازفات غريبة؛ ليدلل على أن الإسلام كالمسيحية المحرفة علاقة روحية بين العبد والرب، ولا صلة لها بواقع الحياة، وأن نظام الخلافة لا يمت إلى الإسلام بصلة، وأن القرآن الكريم والسنة النبوية لم ينصا على ذلك، وأن نظام الخلافة في هذا العهد غير ضروري لقيام حكومات إسلامية.

قال آخر[2]: وقد كان لهذا الكتاب ما كان من الآثار البعيدة؛ فقد ترجم إلى اللغات الأجنبية، وأصبح مرجعا معتمدا للدراسات الإسلامية هناك، وقام بتقريظه والثناء عليه جل المهتمين بهذه الدراسات في الغرب، وظهرت آثاره في كتاباتهم، وهلل له سماسرة الاستعمار من الكتاب والصحفيين، وعدوا مؤلفه عالما متحررا متنورا، ووضعه بعضهم على رأس مرحلة فكرية عصرية.

---

1 () العلمانية نشأتها وتطورها، ص582.

2 () العلمانية نشأتها وتطورها، ص582.

قال آخر: وهكذا استقبله الأحزاب العلمانيـة بحفـاوة، حيث وجدت فيه ضالتها المنشودة؛ فلم تعد تتحرج من إعلان انتمائهـا للاتجاهـات السياسـية اللادينيـة شـرقيها وغربيهـا، وبراءتهـا من الدين والمتدينين[1].

قـال آخر[2]: وقـد قـابلت الـدوائر الاسـتعمارية والمراكـز التبشيرية المسيحية الكتاب بالترحيب والتصفيق، وذلك لخشيتها من كل فكرة ترمي إلى تكتل العـالم الإسـلامي، وارتياحهـا إلى نشر مثل هذه الآراء الـتي ضـمنها علي عبـدالرازق كتابـه، تلـك التي تخدم أهداف الاستعمار، وتحقق آمالـه في السـيطرة على الشعوب الإسلامية، وإذلالها إلى الأبد.

قال آخر[3]: وقد تـرجم الكتـاب إلى الإنجليزيـة، وعـد أحـد المراجـع الأساسـية لعلم الاجتمـاع الإسـلامي في دراسـة الجامعات الأمريكية على الخصوص للإسلام وتعاليمه.

قال آخر[4]: وقد لقي صاحبه من الحفاوة في تلك الـدوائر ما جعله يصر على ما كتبه، وقد سأله بعض الصـحفيين الأجـانب بعد محاكمتـه من طـرف علمـاء الأزهـر: هـل يمكن أن نعتـبرك زعيمـا للمدرسـة؟.. فأجـاب بقولـه: (لسـت أعـرف مـاذا تعـني بالمدرسة؟ فإن كنت تريد بهذا أن لي أنصارا؛ يسرني أن أصرح لك أن الكثيرين يرون رأيي، لا في مصر وحدها، بـل في العـالم الإسلامي بأسره.. وقد وصلتني رسائل التأييد من جميـع أقطـار العالم الـتي نفـذ إليهـا الإسـلام، ولا ريب أني ـ رغم الحكم ـ لا أزال مستمرا في آرائي وفي نشرها؛ لأن الحكم لا يعدل طريقة تفكيري، وسأسعى إلى ذلك بكل الوسائل الممكنة كتأليف كتب جديدة، ومقالات في الصحف، ومحاضرات، وأحاديث.

قـال آخر[5]: ولم يكـد يظهـر الكتـاب في أول إبريـل سـنة 1925م، ويطلع عليه بعض العلماء والقـراء حـتى لقي معارضـة عنيفـة؛ لتعارضـه الصـارخ مـع الثـوابت الإسـلامية من جـانب، وتطابقـه كـل المطابقـة مـع أهـداف الإنجلـيز، والسياسـة الاستعمارية في العالم الإسلامي من جانب آخر؛ فالإنجليز كانوا

---

1 () العلمانية نشأتها وتطورها ص583.

2 () الإسلام وأصول الحكم، 9.

3 () الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص206.

4 () الإسلام وأصول الحكم، 11.

5 ()رد هيئة كبار العلماء على كتـاب (الإسـلام وأصـول الحكم) للشـيخ علي عبـدالرازق، تقـديم أ.د.السـيد تقي الدين، هدية مجلة الأزهر المجانية، ربيع الأول 1414هـ، ص4.

يريدون هدم الخلافة والقضاء على كل فكرة من أجل التجمع من جديد حول الوحدة الإسلامية، وهذا هو الغرض الأساسي من الكتاب كله؛ بدليل الدفاع المستميت لحزب الأحرار الدستوريين الذي ينتمي إليه الشيخ علي عبدالرازق وأسرته، وهو الحزب الذي انبثق عن حزب الأمة ربيب الاستعمار الإنجليزي، وذلك في مواجهة موجة الرفض العارمة التي شهدتها البلاد ضد الشيخ علي عبدالرازق وكتابه؛ حيث رمته الصحف الوطنية بالطيش في الرأي، والإلحاد في العقيدة، واندلعت المظاهرات منطلقة من الأزهر تعلن الاحتجاج، وتطالب بوقفة حاسمة؛ للدفاع عن الإسلام، والرد على هذه الدعوات الهدامة التي تعد خروجا على الدين.

قال آخر[1]: وبصدور الكتاب بدأت وقائع الجولة الأولى للمعركة بين العلمانيين وعلماء المسلمين من مختلف المذاهب والمدارس، ومن الذين ردوا عليه حينها السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار، والشيخ محمد شاكر وكيل الأزهر سابقا، والأستاذ أمين الرافعي.. وقد أفتى بعض كبار العلماء من أمثال الشيخ محمد شاكر، والشيخ يوسف الدجوي، والشيخ محمد بخيت، والسيد محمد رشيد رضا بردة الكاتب بسبب مواقفه المتناقضة مع القرآن الكريم.

قال آخر: كما ألف كبار العلماء كتبا في الرد عليه؛ حيث ألف الشيخ محمد الخضر حسين (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم)، وهو أعظم تلك الردود، وأهمها، وأخلدها، وأشدها أثراً على الشيخ علي عبدالرازق.

قال آخر: وألف الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية في وقته (حقيقة الإسلام وأصول الحكم) كما ألف الشيخ محمد الطاهر بن عاشور كتاب (نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم)[2]

قال آخر: لكن موجة العلمانية كانت أكبر من تلك الردود جميعا، وخاصة عندما وجد في الواقع الإسلامي من يسيء إلى الحكم الإسلامي، ويعتبر كل تلك الدول المستبدة الظالمة حكومات إسلامية.

قال آخر: ولهذا أصبح الحديث عن هذه الأمور شيئا عاديا

---

1 () الإسلام وأصول الحكم، 17.

2 () الإسلام وأصول الحكم، 18.

يستغرب خلافه، ومن الأمثلة على ذلك ما نشرته بعض الباحثات بعنوان [العلمانية مع وضدّ الدين الإسلاميّ]، والذي قدمت له بقولها: (لنعلنها من دون مواربة منذ البداية: باتت العلمانية خيارًا ملحًّا لوضع حد للصراعات الطائفية والمذهبية التي يشهدها العالمان العربي والإسلاميّ، وإنّنا بهذه المصارحة سنقف في مواجهة خطرة لمخاوف ومغالطات من قبيل من يدعُ إلى تطبيق العلمانية فهو ملحد، العلمانية اعتداء على الدين الإسلاميّ، الإسلام دين ودولة، والعلمانية إذ تفصل الدين عن الدولة فهي تعتدي على حدوده.. كلّها تُهم جاهزة يقذفها بعضٌ في وجه كلّ من يرى في العلمانية الحلّ لإخماد نيران الحروب الطائفية والدينية التي يشهدها الوطن العربي)[1]

قال آخر: ثم راحت تدافع عن العلمانية، وتبدد تلك المخاوف بشأنها، فقالت: (إنّ أفضل طريقة لتبديد المخاوف، هي مواجهتها، بأن نلقي عقولنا في يمّ المخاوف التي ترسخت في عقول عموم الشعوب العربية، بل حتى في أوساط المثقفين المحسوبين على التيار الإسلاميّ حول: تعارض العلمانية مع الدين الإسلاميّ، بل خطورة العلمانية على الإسلام والمسلمين، فما صحة هذه المخاوف؟ وإذا كانت العلمانية تنبني على مبدأ حرية المعتقد وحرية الفرد، فهل الإسلام يعارض هذا المبدأ الأساسيّ؟)

قال آخر: ثم راحت تثني عليها، وتدعو إلى التأسي بالغرب بشأنها، فقالت: (تعدّ العلمانية من أهمّ المفاهيم التي أنتجتها الحداثة الغربية وحركة التنوير الغربيّ، وتعني في معناها المتداول فصل الدين عن الدولة، كما تعني أيضًا عدم إجبار الدولة أو الحكومة لأيّ أحد على معتقد معيّن، دينيّ أو غير دينيّ، فالفرد حر في اعتناق أيّ دين، أما الدولة فلا دين لها، لكنّها تحمي في الوقت نفسه حرية كلّ معتقد ديني أو فلسفيّ أو لا دينيّ، حلّت إذن التشريعات القانونية الوضعية محلّ صكوك الغفران الكنسية، فأصبحت الشرعية دنيوية في هذا الشكل الجديد من الاجتماع البشريّ، بدل الشرعية السماوية السابقة، فانبثقت العلمانية أو الدنيوية كمقابل للدينيّ أو اللاهوتيّ، وقد لمّح فيورباخ إلى هذا المعنى في قوله: (علينا أن نوزّع الكنوز السماوية في الأرض)، وقد ارتبطت العلمانية

---

1 () العلمانية مع وضدّ الدين الإسلاميّ، سامية بن عكوش، مجلة الفيصل.

وظيفيًّا بشــبكة مفــاهيم، انبثقت من شــكل الاجتمــاع الجديــد للغــرب الحــداثيّ التنــويريّ العلمــانيّ؛ ألا وهي: الديمقراطيــة، والمجتمع المدني، والمساواة بين الجنسين، والتـداول السـلميّ للسلطة، وتعبّر هذه الشبكة المفهوميـة عن انتقـال الغـرب من وضعية الدول الدينية إلى وضعية دول مواطنيها، ومع أنّ الــدول الغربية علمانية؛ إلا أنّها أكثر الدول التي تنشط فيهـا الجمعيـات الدينية في مجال العمل الخـيريّ، وبخاصـة المسـيحية، فالـدول الغربيـة لا دينيـة داخـل مؤسسـات الدولـة وأجهزتهـا المختلفـة؛ لكنها تفتح مسـاحات واسـعة لحريـة ممارسـة الشـعائر الدينيـة والمعتقدات)[1]

قال آخر: وهي في نقدها للحكومة الإسلامية تعرض ــ كمـا يفعل العلمانيون والحداثيون ـ صورة مشوهة عنها، لأنه لا يمكن أن تزين العلمانية بغير ذلك.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك قولها: (إنّ إكراه المســلم على أداء العبـادات يـؤدي إلى نتيجـتين: أولاهمـا يخلـق الإكـراه شخصًا منافقًـا في كثـير من الأحيـان، فقـد يـؤدي كـلّ الشـعائر للتظـاهر أمـام الآخـرين، ولإبعـاد عبء النبـذ الاجتمـاعي؛ لكن الشــخص نفســه قــد يســرق ويكــذب ويحقــد وينمّ، ويقــذف المحصنات، ويهدر الوقت، ولا يتقن العمل، مع أن الله عز وجـلّ فرض الشعائر الدينية كوسـيلة لا غايـة في حـدّ ذاتهـا، ثانيتهمـا: يخلق الإكراه ما يسمى بوصاية المسلم على باقي البشـر، فمـا يمارس عليه من إكراه دينيّ، يعيد إنتاجه مـع الآخـر المسـلم أو غير المسلم، وما تفعله داعش في العراق وسوريا مثال للإكراه الذي يعتقد بعضٌ خطأً أنّه جوهر الدين الإسلاميّ، فما الحلّ لكلّ هذه المعضـلات الـتي أغـرقت المجتمعـات العربيـة في النفـاق الدينيّ والعنف الطائفيّ؟)[2]

قال آخر: وهكذا نجد محمـد شـحرور يـدافع عن العلمانيـة، ويؤول كل النصـوص في سـبيل خـدمتها، بـل إن كـل مشـروعه قائم عليها، وهو يستخدم القرآن الكريم لفعل ذلك، ومن الأمثلة على ذلك قوله في بعض مقالاته عنها: (يختلط تعريف العلمانيـة لــدى كثــير من النــاس مــع الإلحــاد، لدرجــة أن إطلاق صــفة [علمــاني] على أحــد مــا، يســمه تلقائيــاً بصــفة ملحــد، وتأييــد

---

1 () المرجع السابق.

2 () المرجع السابق.

العلمانية يتعارض في مجتمعاتنا مع صيامك في رمضـان مثلاً، أو ذهابــك إلى الحج، لاســيما مــع اعتيادنــا على إطلاق الأحكــام القطعية وتقييم الناس وفق أهوائنا، لكن هذا الخلط لم يأت من فـراغ، فبالنسـبة للغـرب وبعـد عهـود من تحكم الكنيسـة بحيـاة الناس واسـتفرادها بالسـلطة ومحاباتهـا للملـوك باسـم الـدين، جعـل المجتمعـات الغربيـة تتحسـس من موضـوع تـدخل الـدين بـالمفهوم الكنسـي في شـؤون السياسـة، ممـا دفـع بمفكريهـا ومنظريها إلى رفض إقحام الدين في الفلسفة السياسية تماماً، لأن الدين بالنسبة لهم يقابل سـلطة الإكـراه والحـد من الحريـة الشخصية وحرمان الإنسـان من حقوقـه الطبيعيـة، لـذلك نـادوا بالعلمانية ليس بكونها فصل الدين عن السلطة السياسية فقط، وإنمـا بالـدعوة للاهتمـام بالحيـاة الحاليـة عوضـاً عن الاهتمـام بالحياة الآخرة، إنما خلصت العلمانيـة فيمـا بعـد لتـترك للأفـراد حريتهم الدينية، طالما أنها لا تؤثر على حرية الآخرين))[1]

قال آخر: ثم راح يفعل ما فعلـه علي عبـد الـرازق نفسـه، ولكن بصيغة مطـورة، فقـال: (ورغم أن الإسـلام [المـوروث] لا يقل تحكماً برقاب العباد عما كانت عليه الكنيسة في الغرب، إلا أن قراءة التنزيل الحكيم وفق الأرضية المعرفية اليوم، تجــد أن الإسلام لا يتعارض إطلاقـاً مـع مقومـات المجتمـع المـدني ومـع الحق الطبيعي للإنسان في الحرية، وعلى رأسها حرية المعتقد، وأنه لم يعط الحق لأحد بالحكم باسم الله على الأرض؛ فالــدين هــو الانقيـاد والطاعـة، والصـفة الأساسـية لأي دين هـو تدخلـه بالحياة الشخصية للإنسان، فينقاد له بكل طواعية ودون إكــراه، تحميه سلطة الضمير فقط، وأنت مثلاً تؤمن بالله لأنك تريد هذا الإيمان ولسـت مجـبراً عليـه، وتتبـع تعليماتـه برغبـة منـك ومن قناعة شخصية، فالدين لا يملك أداة الإكراه، وهذا ما نقــرأه في قوله تعالى ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَـد تَّبَيَّنَ الرُّشْـدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَـكَ بِـالْعُرْوَةِ الْـوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة 156] مع ملاحظة أن الإيمان بالله يوافقه الكفر بالطاغوت، أي رفض كل أنواع الإكـراه الــتي تمـارس على الإنسـان مهمـا كـان نوعهـا، وبالتـالي الحريـة هي العروة الوثقى، وعليها قامت خلافة الإنسـان على هــذه الأرض، وهي الأمانة التي حملناها، فاللـه تـرك لنـا التحـرك بين الطاعـة

1 () مقال بعنوان: العلمانية والإسلام، محمد شحرور، موقعه.

والمعصية أحراراً في اختيارنا، على أن نتحمل مسؤولية خياراتنا في الآخرة، وكلما كان حقل حرية الاختيار كبيراً في مجتمع مــا، كانت كلمة الله عالية خفاقة فيه)[1]

قال آخر: ثم استدل بهـذا، وبعـدم الإكـراه في الـدين على العلمانية، فقال: (وكون الدين لا يملك أداة الإكراه، فهـذا يعـني حتماً ألّا سلطة فيه، وأنه والسلطة خطان متوازيان مهمـا امتـدا لا يلتقيان، فالسلطة من التسلط والقهـر، والدولـة لا تقـوم لهـا قائمــةٍ من دون سـلطة تحافـظ على هيكليتهـا، بعكس الــدين تمامــاً، وســلطة الدولــة يجب ألا تتــدخل في حيــاة الإنســان الشخصية ولا العقائدية، وتنحصر مهمتها في السـهر على ضـبط المجتمع فقط، وليست مهمة الدولـة إرسـال النـاس إلى الجنـة وإبعادهم عن النار، وأطروحة الثواب والعقاب هي من اختصاص الله وحده، لا أحد غيره)[2]

قـال آخـر: وبمـا أنـه يريـد أن يفصـل مواقفـه انطلاقـا من القــرآن الكــريم من خلال عمليـات التبـديل والتأويـل، فقـد راح يعرض الآيات التي يستدل بهـا كـل العلمـاء على وجـوب إقامـة حكومة إسلامية ليؤولها كما يشاء.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره في قولـه تعـالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة 44]، وقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَـا أنـزَلَ اللّـهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائــدة 45) و﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَــا أَنــزَلَ اللّــهُ فَأُوْلَــئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة 47]، فقد قال فيها: (لقد جرى اقتطاع الآيــات من سياقها، واللـه وصـف بـني إسـرائيل بهـذه الأوصـاف لعـدم خضـوعهم للأحكـام التشـريعية الـتي أتت في شـريعة موسـى، والشرائع في الإسلام، منذ نـوح وحـتى محمـد خضـعت للتطـور التدريجي، بحيث ختمت الرسـالة المحمديـة الرسـالات بمـا هـو رحمــة للإنســانية، وإعلان جهوزيتهـا للتشـريع لنفسـها ﴿الْيَـوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِـيتُ لَكُمُ الإِسْـلاَمَ دِيناً﴾ [المائدة 3] وتميز الرسالة المحمدية بالعالمية ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء 107] تمثل في شموليتها لكـل جـوانب التشريع الإنساني، وحركتهـا بين حـدود دنيـا وعليـا، ممـا جعلهـا تتمتع بمرونة توافق الفطـرة الإنسـانية، إلا أن الفقـه المـوروث

[1] () المرجع السابق.
[2] () المرجع السابق.

هو من حولها لرسالة إصر وأغلال لا تمت لما أنزل الله بصلة.

قال آخر: ثم راح يتلاعب بقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: 48]، ليحول من الآية الكريمة دليلا على العلمانية، وبذلك يصبح الحكم بما أنزل الله، هو الحكم بما جاءت به العلمانية.

قال آخر: وقد قال في ذلك: (لو بحثنا في التنزيل الحكيم من أحكام لنحكم بها بحيث لا ينطبق علينا صفات (الكافرون أو الفاسقون أو الظالمون)، آخذين بالاعتبار أن الحرام شمولي أبدي مغلق، بيد الله وحده، لوجدنا أن أحكام الله تختزل بمحرمات أربعة عشر، ولوجدنا أن أغلب السلطات في العالم، ديمقراطية كانت أو ديكتاتورية، دينية أم علمانية، مستبدة أم غير مستبدة، تحترم هذه المحرمات، فلا يوجد برلمان صوت مثلاً على الإيمان بالله واليوم الآخر، حتى في الدول الشيوعية التي تبنت عقيدة الإلحاد كان يمكن للمؤمن الاحتفاظ بإيمانه في قلبه، ولا يوجد برلمان عرض وحدانية الله للاستفتاء، أو بر الوالدين، أو منع قتل الأولاد أو السماح بممارسة الجنس علنياً، أو الاقتراب من مال الأيتام أو الغش بالكيل والميزان أو نقض العهد أو شهادة الزور أو نكاح المحارم، أو منع أكل نوع معين من اللحم أو الإجبار عليه، أو غيرها، أما الشعائر فيفترض أنك تقيم الصلاة (خارج أوقات العمل) أينما كنت وتصوم وتنفق كذلك، وحريتك الدينية وحرية غيرك يجب أن تكون مصانة، وهذا ما تحققه الدول العلمانية)[1]

قال آخر: ثم ختم مقاله بقوله: (خلاصة القول، إن الإسلام لا يتعارض مع العلمانية، والناس بالنسبة له سواسية، يتميزون بقدر عملهم الصالح ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت 33]، ووضع بند [الإسلام دين الدولة] في أي دستور لا معنى له، بل يحمل مغالطة للتحكم برقاب الناس، والأفضل من هذا التركيز على دولة المؤسسات والقانون، بحيث يحكم فيها أمثال ميركل وترودو من خلال مؤسساتهم لا شخصهم))[2]

---

1 () المرجع السابق.

2 () المرجع السابق.

قال آخـر: وهكـذا يتفـق جميـع الحـداثيون والمبـدلون على هـذه المعـاني، والـتي تنطلـق من تقـزيم الإسـلام وحصـره في الإيمـان باللـه واليـوم الآخـر، وبعض الأعمـال الشـعائرية الـتي يتلاعبون بها كما يشاءون.

النهاية

في نهايـة زيـارتي لتلـك المدينـة القرآنيـة الطيبـة، وبعـد استماعي لتلـك الأحـاديث الكثـيرة، ومن الأطـراف المختلفـة، رأيت جموعا كثيرة تجتمع أمام بناء ضخم.

ثم لم نلبث أن سـمعنا مكـبرات الصـوت تـدعو الجميـع للهـدوء، للاسـتماع إلى قـرارات مهمـة يريـد المجلس الحـاكم للمدينة بثها.

ثم لم نلبث أن سمعنا أحدهم يقول: أنتم تعلمون ـ يـا أهـل هذه المدينة الطيبة ـ أن آباءنا وأجـدادنا لم يؤسسـوا مـدينتنا إلا على تلـك التعـاليم المقدسـة الـتي وردت في القـرآن الكـريم، وأيدتها السنة المطهرة، وأكدها وبينها أئمة الهدى.

قال آخر: ولذلك أحاطها الله بعين عنايتـه؛ فلم نـر فيهـا إلا البركات تلو البركات، والخيرات تلو الخيرات.. كما وعدتنا بـذلك النصوص المقدسة.

قال آخر: لكن الأعداء الذين واجهوا الأنبياء عليهم السـلام، واحتقروا رسائل الله إليهم، لم يرضهم ذلك؛ فراحوا يسـتعملون كـل الوسـائل لتخـريب مـدينتنا، لا من خلال الجنـود والعسـاكر، والعدد والعدة، وإنما من خلال إزالة ذلك التقديس لكلمات ربنا، والذي ورثناه عن آبائنا وأجدادنا، لعلمهم أن كـل بركـات مـدينتنا من ذلك التقديس والتعظيم والتوقير لكتاب ربنـا، ومـا ورد فيـه من هدي.

قال آخـر: وقـد كـان مجلسـنا يتـابع كـل تلـك المـؤامرات، ويبحث في سبل مواجهتها، وبـالمنهج القـرآني، بعيـدا عن إثـارة أي فتنة، حتى لا نعطي الفرصة لأعدائنا ليتسللوا لنا من خلالها.

قـال آخـر: ولـذلك لم نعمـد لاعتقـال دعـاة الحشـوية أو الكشفية أو المشككين أو المبدلين، لأننا لو فعلنا ذلك؛ فسننشر من حيث لا نريد تلك الأطروحات التي يطرحونها، وبـذلك نقـدم لهم من الخدمات ما لم يحلموا به.

قال آخر: ولهذا، وبعد بحث وتـدبر ونظـر، وبعـد استشـارة لمعلم القرآن ومعلم الحقائق التي لم تتدنس بـالأهواء، أرسـلوا لنا الحكماء السبعة، الذين يمثلـون الحكمـة القرآنيـة المتوافقـة مع كل العقول السليمة.

قـال آخـر: وقـد اسـتطاعوا من خلال حـواراتهم العلنيـة والسرية، والجماعية والفرديـة، أن يجعلـوا من أولئـك المبطلين

الذين أرسلهم أهل الباطل لتهديم هـذه المدينـة، محققين ودعـاة للحق.

قال آخر: ولهذا، وبعد أن سمعنا منهم ما سـمعنا من العلم والحكمة والتوبة الصادقة؛ قررنا وبإجماع أن نخول لهم تـدريس كل ما يحصن مدينتنا من تلك الأهـواء، خاصـة وهم أكـثر النـاس معرفة بالواقع الـذي كـانوا فيـه.. واللـه تعـالى أمرنـا أن نسـأل الخبراء، وأن ننزل الناس منازلهم.

قال آخر: أما الحكماء السبعة؛ فلم ندر كيف نكـافئهم على جهودهم، فقد حاولنـا أن نسـلم لهم مـا يشـاءون من المناصـب والأموال؛ فرفضوا.. وطلبوا منا أن نأذن لهم في المغــادرة، لأن هناك مدنا أخرى تنتظر حكمتهم.

قال آخر: ولهذا دعوناكم لتوديعهم.. والتبرك برؤيتهم.. فقد كانوا الجنود الأخفياء الذين حقق اللـه بهم حمايـة هـذه المدينـة من المبطلين وباطلهم.

بعد أن اسـتمعت لهـذه الكلمـات والقـرارات الـتي اتخـذها المجلس الحاكم لتلك المدينة القرآنيـة الطيبـة، وجـدت نفسـي في بيتي وبين أهلي، ومن غير أن أحظى بتوديع أولئك الحكمــاء السبعة، ولا بمعلم الحقائق التي لم تدنسها الأهواء.

وقـد تـأثرت لـذلك كثـيرا.. لكـني عـزيت نفسـي وسـليتها بـرحلات أخـرى قـد يتيحهـا اللـه لي، لأراهم من جديـد، أو أرى نظراءهم من الحكماء والمعلمين.

بعـد أن كتبت كـل مـا رأيتـه وسـمعته في تلـك الرحلـة، وحذفت ما لم أر حاجة إليه منهـا، وضـعت نسـخة مصـورة ممـا كتبتــه في مواقــع إلكترونيــة مختلفــة للحشــوية والكشــفية والمشككين والمبدلين.. وقد كنت أتـوهم أنهـا سـتحذف بمجـرد الاطلاع عليها من طرف المدراء والمسؤولين.

لكني وبعد فترة قصـيرة من ذلـك، وردتـني رسـائل كثـيرة على بريدي الالكتروني، ومن طرف أولئك المسؤولين أنفسهم، تشكرني على وضع الكتـاب في مـواقعهم، وتخـبرني وتبشـرني بتـأثيره فيهم، وأنهم قـرروا مراجعـة أنفسـهم وطروحـاتهم بعـد اطلاعهم عليها.

وكان من جملة تلك الرسائل رسالة تطلب مـني أن أطلب من معلم القــرآن أن يرســلني إلى رحلــة للــرد على تــأويلات الجاهلين الذين أشار إليهم رسول الله ﷺ في قوله: (يحمل هذا

العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحــال المبطلين، وتأويل الجاهلين) [1]

وبمجــرد أن قــرأت الرســالة، رأيت معلمي معلم القــرآن، وهــو يقــول لي: هــيئ نفســك لرحلتــك الجديــدة إلى [القــرآن.. وتأويل الجاهلين] [2]

---

1) الحديث مروي في المصادر السنية والشيعية، ومنها: البيهقي في السنن الكبرى 10/ 209، ومعاني الأخبار ص 33.

2() هو عنوان الكتاب الخامس من السلسلة.

هذا الكتاب

هذا الكتاب هو المقدمة الضرورة الرابعة لهذه السلسلة، ويتناول القسم الثاني من أقسام المنحرفين عن القرآن الكريم، وهو القسم الذي سماه رسول الله ﷺ [انتحال المبطلين]

ومن خلال تحليل ذلك التعبير النبوي المقدس، رأينا أن المقصود منه تلك الجهات التي تريد نشر الباطل، وتشويه الحق، لا بالمواجهة المباشرة، وإنما بالانتحال، وأصناف الحيل.

وقد رأينا من خلال استقرائنا للواقع أن ذلك الانتحال قد تم من طرف أربع جهات، أولها وأسبقها من يطلق عليهم لقب [الحشوية]، وهم أولئك الرواة والمدلسين الذين امتلأت بهم كتب الحديث والتفسير، والذين كان لهم دور كبير في نشر الخرافة والدجل والشعوذة وتشويه الحقائق والقيم القرآنية.

وأما الجهة الثانية؛ فيمثلها من أطلقنا عليهم لقب [الكشفية]، وهم أولئك الذين اعتبروا الكشف والإلهام المجرد أداة من أدوات تأويل القرآن الكريم وتفسيره وفهمه، من غير مراعاة لأي ضابط أو قانون.

وأما الجهة الثالثة؛ فيمثلها من أطلقنا عليهم لقب [المشككين]، ونقصد بهم كل من حاول أن يشكك في القرآن الكريم، ابتداء من السابقين من المعاصرين لرسول الله ﷺ إلى المبشرين والمستشرقين والحداثيين وغيرهم.

وأما الجهة الرابعة؛ فيمثلها من أطلقنا عليهم لقب [المبدلين]، ونقصد بهم كل الذين حاولوا أن ينحرفوا بالقرآن الكريم عن معانيه الظاهرة الواضحة التي فهمها المتقدمون والمتأخرون إلى معاني بديلة، متأثرين في ذلك بموجة الحداثة الغربية ومناهجها المختلفة، ولذلك تعاملوا مع القرآن الكريم، مثلما تعامل حداثيو الغرب مع الكتاب المقدس، من غير أن يراعوا الفوارق بين الكتابين.